

الحكايات الشعبية عند القوسا في نيجيريا

دراسة في الأنثروبولوجيا الثقافية



د.نادية عبد الفتاح الباجورى





هذا الكتاب:

يطرح تحليلاً أنثروبولوجياً لوظائف الحكايات الشعبية الهوساوية، ولمعرفة مدى التنوع الثقافي والاجتماعي، داخل مجتمع الهوسا الإفريقي الإسلامي، الذي يسود شمال نيجيريا، ويحتل مكانة كبيرة بين سائر المجتمعات، فالحكايات الشعبية تأريخ لتفكيره، وعاداته وتقاليده ومعتقداته، ونظام حياته بالكامل. ويناقد الكتاب - أيضاً- مفهوم الحكاية الشعبية الهوساوية وتطورها، ونشأتها، وأشكالها ومصادرها، وجمعها وتدوينها، ورواتها، وشخصياتها والرمزية فيها، ومفهوم وظيفة الحكاية الشعبية.

ISBN# 9789779104638



6 221149 039230



الحكايات الشعبية عند الهوسا في نيجيريا

(دراسة في الأنثروبولوجيا الثقافية)

د. نادية عبد الفتاح الباجورى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠١٥

الباجوري، نادية عبد الفتاح.
الحكايات الشعبية عند الهوسا في نيجيريا:
دراسة في الأنثروبولوجيا الثقافية/ نادية
عبد الفتاح الباجوري. - القاهرة : الهيئة المصرية
العامّة للكتاب، ٢٠١٥.
٢٧٢ص: ٢٤ سم.

تدمك ٨ ٠٤٦٢ ٩١ ٩٧٧ ٩٧٨

١ - القصص الشعبية.

٢ - الأنثروبولوجيا الثقافية.

١ - العنوان

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠١٥ / ١٦٨٢٠

I. S. B. N 978 - 977 - 91 - 0463 - 8

ديوي ٢. ٢٩٨.

وزارة الثقافة
الهيئة المصرية العامة للكتاب
رئيس مجلس الإدارة
د. هيثم الحاج على

اسم الكتاب : الحكايات الشعبية
عند الهوسا في نيجيريا
تأليف : د. نادية عبد الفتاح الباجوري
حقوق الطبع محفوظة للهيئة المصرية العامة للكتاب
الإخراج الفني : عمر حماد علي

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
صر. ب : ٢٣٥ الرقم البريدي : ١١٧٩٤ رمسيس
www.gebo.gov.eg
[email:info@gebo.gov.eg](mailto:info@gebo.gov.eg)

إهداء

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لوالديّ واخوتي لوقوفهم المشرف بجانبى،
واليهم أهدى هذا العمل اعترافاً لهم بالجميل.

مقدمة

موضوع الدراسة :

"الحكايات الشعبية عند الهوسا فى نيجيريا" دراسة فى الأنثروبولوجيا الثقافية
لقد شغلت الحكاية الشعبية اهتمام الباحثين، وحفزت فكر العلماء وأثارت خيال
الأدباء، وخاصة فى مجال المأثورات الشعبية والفولكلور بصفة عامة، لما تحمله من
خصائص فنية ولذة ثقافية تفردت بها عن غيرها من ألوان الأدب الشعبى، لقد
ثار الجدل وكثر النقاش حول حقيقة الحكاية الشعبية، مصادرها مغزاها التاريخى
والاجتماعى وما تثيره تلك الحكاية الشعبية من قضايا اجتماعية وفنية .

لقد طرح هذا الفن الشعبى عدة تساؤلات منها كيف انتشرت الحكاية الشعبية
وما مصادرها، وما أهم القضايا التى تثيرها، وعلى كل حال فقد وجد فيها الباحثون
مادة خصبة ومنتعة فنية أسهمت فى كشف حياة الشعوب وجسدت خصائصها
ومقوماتها، وعكست الطابع الثقافى والاجتماعى من قيم وعادات وتقاليد وطقوس
دينية لكثير من هذه الشعوب .

وتراث الهوسا يزخر بالعديد من تلك الحكايات الشعبية التى تعبر بأدلة قاطعة
عن المكونات الاجتماعية للجماعات المختلفة من شعب الهوسا، كما أنها تقدم وصفاً
للتركيبة العرقية والثقافية والطبقات الاجتماعية التى تتناولها .

وعلى الرغم من كل التطورات التكنولوجية فى إفريقيا عامة وفى نيجيريا
خاصة فإن دور الحكايات الشعبية الشفاهية مازال هو الفعال فى مجتمع الهوسا،
وشعب الهوسا مولع بالحكايات الشعبية والأمثال وقد لا تخلو بعض هذه الحكايات
والأمثال من ذكر حيوان أو حرفة أو مهنة، ومما يدعو للدهشة أن هذه الموضوعات

تمتد لتشمل الآلهة والأسلاف والسحرة والأشباح والحيوانات والتي تؤمن بها الشعوب على مستوى العالم لما لها من قدرات خارقة مثل : الجنيات وغيرها من الكائنات الخرافية .

ويعتبر الأدب الشعبي ميدانا بارزا من ميادين الفولكلور وهو وثيقة مهمة تستحق الدراسة ؛ لأنها تصور موقف الإنسان من الحياة والأحداث اليومية التي تحدث حوله، كما أنها تعبر عن كل أحاسيس ومشاعر هذا الإنسان .

تعد الحكاية الشعبية جزءاً من الأدب الشعبي، وهي من أهم وأقدم موضوعاته التي عرفتها الإنسانية منذ قديم الأزل، حيث ابتدعها الإنسان لكي يعبر من خلالها عن تخيلاته وتأملاته في الحياة، فهو بذلك يحاول أن يظهر كل ما يتمناه - داخل ذاته وخارجها - في الحكاية الشعبية التي ابتدعها من أجل تحقيق كل رغباته وآماله من خلالها .

وتعتبر الحكاية الشعبية من أغنى أنواع الأدب الشعبي من حيث تنوعها الفكري والاقتصادي والقرابي والسياسي والديني والأخلاقي والاجتماعي، ويتضح ذلك من خلال تصورات الإنسان الواقعية في حياته اليومية، وتأملاته لما وراء الطبيعة .

إن الحكاية الشعبية جزء من الثقافة الإنسانية، وهي تؤدي دوراً كبيراً في إثراء المعرفة . وترى "نبيلة إبراهيم" أن دراسة الحكاية الشعبية من الناحية الأنثروبولوجية تعنى إبراز ما ترسب في الحكايات من معتقدات وتصورات قديمة، وإن بدت هذه المعتقدات والتصورات في شكل جديد يتناسب مع الظروف الحضارية التي يعيشها الناس، كما أنها تعنى اقتناء أثر تعبير الإنسان عن ظاهرة من الظواهر الكونية منذ الزمن القديم حتى اليوم من خلال أشكال تعبيره الروائي، وذلك بقصد الربط بين تصور الإنسان الحديث لهذه الظاهرة وتصور الإنسان القديم لها^(١).

والحكاية الشعبية عند جميع الشعوب على اختلاف بيئاتها ومراحلها الحضارية من أهم أنواع الأدب الشعبي ؛ لأنها لا تمثل مرحلة واحدة من مراحل حياة الإنسان

(١) نبيلة إبراهيم : الدراسات الشعبية ، بين النظرية والتطبيق ، المكتبة الأكاديمية . القاهرة . ١٩٩٤ .
ص ٢٢٥ .

بل تمثل جميع المراحل الحياتية والثقافية للإنسان منذ الطفولة وما بعد الموت .
وتتأثر الحكاية الشعبية بكافة التغيرات التي تحيط للإنسان مهما كانت درجة ثقافة
المجتمع سواء أكان مجتمعاً تقليدياً أم متحضراً .

إن الحكاية الشعبية تروى وتتكرر روايتها بقدر ما يتذكرها الراوى وقد يتدخل
الراوى بثقافته وبراعته فى إنشاء صيغ جديدة للحكاية الشعبية فقد يغير أو يحور
بعض عناصر الحكاية التى يرويها، بغرض إمتاع المستمعين وحفز خيالهم وإثارة
مشاعرهم من خلال التجديد والتطوير لبعض عناصر الحكاية الشعبية وصيغها
المألوفة. إن هذا التغيير أو التجديد فى قوالب الحكاية الشعبية وصيغها يكون
مدعاة لإزالة الملل والرتابة من نفوس المستمعين والقراء حيث تستولى الحكاية
الشعبية على قلوبهم .

إن الحكاية الشعبية على الرغم من أنها تتصف بصفة المحلية فإنها أكثر أنواع
الأدب الشعبى ذيوغاً وانتشاراً بين المجتمعات المختلفة .

وتعد الحكاية الشعبية إبداعاً جماعياً، والبيئة هى المصدر الأساسى لمادتها
الشعبية وكما ذكر سابقاً أن الحكاية الشعبية تروى للكبار والصغار، وهى بذلك تنال
اهتمام جميع أفراد المجتمع ليس فقط لهدفها التعليمى أو شغل أوقات الفراغ ولكن
أيضاً لبساطتها ؛ ولأنها تمثل أحاسيس الإنسان الفطرية ولذلك يجد راوى الحكاية
الشعبية دائماً جمهوراً مولعاً بسماعها أيا كان شكلها أو محتواها سواء أكان هذا
المحتوى يتحدث عن الماضى البعيد أم الحاضر القريب .

إن الحكاية الشعبية جزء من الموروثات الشعبية وهى تفرض وجودها بوصفها
ترجمة وتفسيراً لواقع أعلى من مستوى مدارك الإنسان، وغالباً ما تقوم بدور فعال
حيث إنها تمثل عاملاً من عوامل الاستقرار والتواصل الثقافى .

وتعد الحكاية الشعبية وسيلة من وسائل نشر الثقافات والمعارف والقيم والعادات
والتقاليد والمعتقدات الموجودة فى الحياة الاجتماعية، وتقدم من أجل تحقيق غايات
ثقافية معينة مثل: التأكيد على بعض العادات أو النهى عن بعض السلبيات فى
نفوس الناس والتفتيس عن بعض مشاعر العداة عن طريق الخيال، وبسبب ما

تطوى عليه من جاذبية فهي لذلك تعتبر من أهم ألوان الأدب الشعبي تأثيراً في النفوس فهي موروث شعبي عريق لا يمكن التكرار له أو الاستغناء عنه، وهي تساعد على تنمية خيال الأفراد وتنمية موهبة الإبداع والتفكير لديهم.

وللهوسا تراث غنى من الحكايات الشعبية فهم يعرفون عالم القرى والمدن، ويعرفون العالم السفلى والعلوى، ولديهم حكايات عن الماضي والحاضر. ومن المدهش أن حكايات الهوسا لم يفتها موضوع إلا وتناولته .

إن قبيلة الهوسا تسكن شمال نيجيريا وهم مسلمون وينتشرون في سوكونو، وكانو، وزاريا، وباوتشى، وكاتسينا، وبرنو، وزمفرا، وجومبي وغير ذلك وتعد هذه القبيلة من أكبر قبائل نيجيريا عدداً ومكانة وقد دخلها الإسلام منذ قرون بعيدة فتمسكوا به وبتعاليمه فهم شعب متدين جداً وقد انصهروا مع الفولاني عندما دخلوا بلادهم وأصبحوا خليطاً من الهوسا / فولاني .

ويعتبر أبناء قبيلة الهوسا من مهرة الزراعة ورعاة الماشية، كما أنهم تجار مغامرون وأهل فن حاذقون فهم يجيدون صناعات يدوية تقليدية كثيرة مثل: صناعة الجلود؛ والحصر، ولغتهم تنتشر في أماكن كثيرة في غرب إفريقيا، ولقد ارتبطت لغة الهوسا باللغة العربية ؛ لأنها أفترضت كلمات كثيرة من العربية مثل : حكمة "Hikima"، رحيم "Rahimi"، رينا "Rabbana" واجب "Wajibi"، وقبيلة الهوسا قد تأثرت بالدين الإسلامى وبتعاليمه كما تأثرت بلغته .

إن مجتمع الهوسا مجتمع أبوى، الأب فيه هو صاحب السلطة والكلمة الأولى والأخيرة له، وسوف يتضح فيما يلى بعض عادات وتقاليد الهوسا ومعتقداتهم فى جميع مراحل حياتهم، وأخيراً إن الحكاية الشعبية الهوساوية لها أهمية كبيرة فى حياة شعب الهوسا الذى يعتبرها من أهم أنواع الأدب الشعبى لأنها تجسد ماضيه ومستقبله.

تقسيم الدراسة :

لما كانت هذه الدراسة تهتم بدراسة " الحكايات الشعبية عند الهوسا فى نيجيريا"، فقد تطلب ذلك تقسيم الدراسة إلى ستة فصول فضلاً عن المقدمة والخاتمة .

الفصل الأول - الإطار النظري

تناول هذا الفصل: الأنثروبولوجيا الثقافية وعلاقتها بالفولكلور والأدب الشعبي، والإطار النظري والمنهجى للدراسة، ومفهوم الحكاية الشعبية الهوساوية، وتطور مفهوم الحكاية الشعبية مثل: " الخرافة، والأسطورة، والسمر، والحدوتة، والأقصوصة، والقصة، والرواية "، ونشأة الحكاية الشعبية الهوساوية، وأشكالها، ومصادرها، وجمعها وتدوينها، ورواتها، وفنية الحكاية الشعبية الهوساوية التي تتمثل في بناء الحكاية وشخصياتها، والرمزية في الحكاية الشعبية الهوساوية، ومفهوم وظيفة الحكاية الشعبية .

الفصل الثانى - مجتمع الدراسة:

تعرضت الباحثة فى هذا الفصل لموقع نيجيريا موطن مجتمع الدراسة، وبعض القضايا التي يتضمنها التركيب السكانى فى نيجيريا، وقبيلة الهوسا، وأصولهم السلالية، ولغتهم، وتأثير الثقافات الوافدة على مجتمع الهوسا وهذه الثقافات هي:

أ - الثقافة العربية الإسلامية .

وأشارت الدراسة كذلك إلى النظام الاجتماعى والسياسى إلى قبيلة الهوسا، وأنماط الحياة الاجتماعية والثقافية لقبيلة الهوسا والتي تتمثل فى القرابة، والزواج، وتعدد الزوجات، والخطبة، والمهر، والمسكن، وعقد القران والزفاف، والولادة، والتسمية، ومفهوم الرضاعة، والختان، والطلاق، والوفاة، والميراث، والأعياد، والمعتقدات التي قسمتها الدراسة إلى فرعين، أولا - الدين، وثانيا - السحر، ثم تناولت الدراسة بعض عادات الهوسا وتقاليدهم، ودور المرأة فى مجتمع الهوسا، وأنماط الحياة الاقتصادية لقبيلة الهوسا، كالزراعة وملكية الأرض، والرعى، والصناعات اليدوية التقليدية، والتجارة، والسوق .

الفصل الثالث - الوظيفة الاقتصادية للحكاية الشعبية الهوساوية

وقد جمعت الدراسة فى هذا الفصل بعض نصوص الحكايات الشعبية الهوساوية وقامت بتحليل تلك الحكايات تحليلا دقيقا للتعرف على وظيفتها الاقتصادية .

الفصل الرابع - الوظيفة القرابية للحكاية الشعبية الهوساوية

اشتمل هذا الفصل على بعض نصوص الحكايات التي لها وظيفة قرابية داخل مجتمع الدراسة .

الفصل الخامس - الوظيفة السياسية للحكاية الشعبية الهوساوية

تناولت الدراسة في هذا الفصل بعض الحكايات التي لها وظيفة سياسية والتي تهتم بأمور الحكم وتنظيم المجتمع سياسياً .

الفصل السادس - الوظيفة الدينية للحكاية الشعبية الهوساوية :

ولقد تضمن هذا الفصل بعضاً من نصوص الحكايات الشعبية مع تحليل هذه النصوص للتعرف على وظيفتها الدينية .

ولقد انتهت الدراسة بخاتمة لخصت فيها كل النتائج التي توصلت إليها في تلك الدراسة، وأخيراً لقد وضعت في هذا العمل أقصى ما استطعت من جهد، وخلاصة ما تعلمته على أيدي أساتذتي الأفاضل، وما حصلته من خلال قراءاتي الخاصة، مدركة أنه يمكن أن يختلف معي كثيرون في هذا، فإن وجهات النظر لا تتفق دائماً بل إن تباينها أمر طبيعي، ودلالة على تجدد العقل البشري .

الدكتورة

نادية عبدالفتاح حسنين عفيفى الباجورى

والله ولى التوفيق ...»

الفصل الأول

الإطار النظري

- ١ - الأنثروبولوجيا الثقافية وعلاقتها بالفولكلور والأدب الشعبي .
- ٢ - الإطار النظري والمنهجى للدراسة .
- ٣ - مفهوم الحكاية الشعبية الهوساوية.
- ٤ - تطور مفهوم الحكاية الشعبية، الخرافة، الأسطورة، السمر، الحدوتة، الأقصوصة، القصة، الرواية.
- ٥ - نشأة الحكاية الشعبية الهوساوية .
- ٦ - أشكال الحكاية الشعبية الهوساوية .
- ٧ - مصادر الحكاية الشعبية الهوساوية .
- ٨ - جمع وتدوين الحكاية الشعبية الهوساوية .
- ٩ - رواة الحكاية الشعبية الهوساوية .
- ١٠ - فنية الحكاية الشعبية الهوساوية .
- أ - بناء الحكاية الشعبية الهوساوية .
- ب - الشخصيات فى الحكاية الشعبية الهوساوية .

ج- الرمزية فى الحكاية الشعبية الهوساوية .

١١ - مفهوم وظيفة الحكاية الشعبية .

١- الأنثروبولوجيا الثقافية وعلاقتها بالفولكلور والأدب الشعبى.

"الأنثروبولوجيا الثقافية Cultural Anthropology" هى فرع من "الأنثروبولوجيا العامة" يركز أساساً على دراسة الصيغة الكلية للسماة الثقافية والعلاقات المتبادلة بينها^(١) وتدرس بالوصف والتحليل موضوع الثقافة الإنسانية للمجتمعات القديمة (البدائية)، والمجتمعات المحلية (الريفية)، والمجتمعات المدنية، أى (ثقافة الشعوب) فتبين معناها وخصائصها وعناصرها وكيف تنتشر (تؤثر وتتأثر) وما دورها فى بناء شخصية الإنسان، كما تدرس الفروق التى يتميز بها الإنسان استناداً إلى إنتاجه الثقافى الذى يتميز به عن الحيوان، لأن جميع الخصائص العضوية والانفعالية مشتركة بين الإنسان والحيوان، والذى يميزهما عن بعضهما البعض هو الثقافة كإنتاج حضارى يقدمه الإنسان فقط^(٢).

والثقافة تركيب واسع الاستخدام، وتستخدم فى العلوم الاجتماعية والإنسانية كما أنها تحدد الأبعاد المختلفة للمجتمع، والهدف والمغزى من التحليلات والتفسيرات للمجتمع، والسلوك الإنسانى من خلال المجتمع، والثقافة هى محاولات لتحليل وتفسير الأحداث فى المجتمع الصغير كالقرية، وفى المجتمعات ذات المكانة التاريخية^(٣).

إن الثقافة نتاجاً لعملية تطور طويلة امتدت عبر آلاف السنين ترسبت فى كل مجتمع بشرى، متضمنة قدرًا عظيمًا من الحكمة مع معاييرها وأنماطها شديدة

(١) محمد عاطف غيث : قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٧٩ . ص ٩٩ .

(٢) عدنان أحمد مسلم : محاضرات فى الأنثروبولوجيا . علم الإنسان . الموقع المعرفى . الموضوع . الميادين والمنهج . الطبعة (١) . مكتبة المبيكان . الرياض . ٢٠٠٠ . ص ١٥٨ .

(3) Ekeh, Peter, P.: "The Scope Of Culture In Nigeria" . Vol , 7 . Nigeria, 1989, P. 1.

التنوع، ولا يمكن لأحد أن يهرب من تأثيرها في أى مجتمع كان، ابتداء من أكثر المجتمعات بساطة حتى أشدها تعقيداً وتطوراً^(١).

ويعد التعريف التقليدي "الكلاسيكى" للثقافة هو ذلك المأخوذ عن "تايلور Tylor" الذى يعتبره الكثيرون مؤسس الأنثروبولوجيا الثقافية الحديثة، يقول "تايلور" فى كتابه "الثقافة البدائية" (١٨٧١ م) : الثقافة أو الحضارة، بالمعنى الإثنوجرافى الواسع، هى ذلك الكل المركب الذى يتضمن المعرفة، والمعتقد، والفن، والأخلاق، والقانون، والعادات وأى قدرات أو عادات يكتسبها الإنسان كعضو فى المجتمع^(٢). وتدرس "الأنثروبولوجيا الثقافية Cultural Anthropology" الإنسان بوصفه كائناً حضارياً يعيش فى ثقافة معينة فتبحث فى مختلف ثقافات الإنسان البدائى وعاداته وتقاليده^(٣).

وقد أكد علماء "الأنثروبولوجيا الثقافية" - مراراً وتكراراً - على أن الثقافة مسئولة عن الجزء الأكبر من محتوى أى شخصية، وكذلك عن جانب مهم من التنظيم السطحى للشخصية^(٤)

وعلى أى حال فحين يتكلم علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع عن ثقافة شعب من الشعوب فإنهم يقصدون على العموم طرق المعيشة، وأنماط السلوك، وقواعد العرف والتقاليد، والفنون التكنولوجية السائدة والتى يكتسبها الأعضاء ويلتزمون بها فى سلوكهم وفى حياتهم^(٥). وكل مجتمع بشرى له ثقافته الخاصة المميزة له عن المجتمعات الأخرى، وقد يحدث أن يوجد تشابه قوى بين مجتمعين لقوة الاتصال بينهما وتشابه المراحل التاريخية والبيئة الجغرافية، على الرغم من وجود مثل هذا

(١) محمد الجوهرى وآخرون : دراسات فى علم الفولكلور . الطبعة (١) . عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية . القاهرة . ١٩٩٨ . ص ٣٢ .

(٢) شارلوت سيمور . سميت : موسوعة علم الإنسان المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية . ترجمة مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بإشراف محمد الجوهرى . المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة . بدون تاريخ . ص ٣٠٩ .

(٣) أحمد زكى بدوى : معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية . مكتبة لبنان . بيروت . ١٩٧٧ . ص ٢١ .

(٤) محمد الجوهرى : علم الفولكلور : دراسة فى الأنثروبولوجيا الثقافية . الجزء (١) . الطبعة (٣) . دار المعارف . القاهرة . ١٩٧٨ . ص ٣٧ .

(٥) توفيق الحسينى عبده : الموسوعة الإفريقية . الأنثروبولوجيا . المجلد (٤) . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ١٩٩٧ . ص ١٦ .

التشابه فإنه لا يصل أبداً إلى حد التطابق تماماً كما يستحيل أن يصدق مبدأ التطابق الكلى بين شخصيتين^(١).

وبعد هذا العرض تتناول الباحثة وفي إيجاز علاقة الفولكلور والأدب الشعبي بالأنثروبولوجيا الثقافية على النحو الآتى :

أ - الفولكلور :

" الفولكلور Folklore " يندرج تحت الأنثروبولوجيا الثقافية التى تُعنى بدراسة العادات والتقاليد ومؤسسات الشعوب الحية . وعالم الأنثروبولوجيا يعتبر الفولكلور أحد العناصر الهامة التى تتألف منها ثقافة أى شعب من الشعوب، فالفولكلور علم مهم^(٢) . يمارس دوراً فى نقل الثقافة من جيل إلى آخر ويقدم مسوغات تبرز وجود المعتقدات والمواقف عندما تثور الشكوك حولها وفضلا عن هذا فالفولكلور يستخدم فى بعض المجتمعات لإلقاء ضغط اجتماعى على من يريدون الانحراف عن المعايير التى ارتضتها الجماعة^(٣).

والفولكلور اصطلاح علمى مشتق عن الإنجليزية، أدخله العلامة " وليم توماس W.G.Thomas " لأول مرة على المصطلحات العلمية سنة (١٨٤٦ م) . والترجمة الحرفية للكلمة تعنى " حكمة الشعب " أو " المعرفة الشعبية " وسرعان ما تبنى الباحثون فى مختلف البلدان هذا الاصطلاح ومن ثم أصبح اصطلاحاً عالمياً^(٤).

والحقيقة أنه ليس هناك اتفاق تام بين دارسى الفولكلور حول ماهية الفولكلور، إذ تتعدد وجهات نظرهم وتختلف حول هذا الموضوع، ولا يقتصر هذا التعدد أو الاختلاف على دارسى الفولكلور من الثقافات أو البلدان المختلفة فحسب، بل إن

(١) أحمد سويلم : التربية الثقافية للطفل العربى . . الطبعة (١) . مركز الكتاب للنشر القاهرة . ١٩٩١ . ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) وليم ر . باسكوم : الفولكلور والأنثروبولوجيا . ترجمة: أحمد صليحه . مجلة الفنون الشعبية . العدد (٤٢) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٩٤ . ص ٤٩ .

(٣) المرجع السابق : ص ٥٢ .

(٤) يورى سوكلوف : الفولكلور قضايا وتاريخه . ترجمة: حلمى شعراوى، وعبد الحميد حواس .

مراجعة: عبد الحميد يونس . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر . القاهرة . ١٩٧١ . ص ١٧ .

هؤلاء الدارسين تختلف وجهات نظرهم حول تعريف الفولكلور، فى إطار الثقافة الواحدة والمجتمع الواحد أيضاً^(١).

وسوف نتناول الباحثة بعض تعريفات الفولكلور فيما ياتى :-

إن الفولكلور هو علم ثقافى، يختص بقطاع معين من الثقافة " هو الثقافة التقليدية أو الشعبية " يحاول إلقاء الضوء عليها من زوايا تاريخية وجغرافية واجتماعية ونفسية، كما أن شأنه شأن أى علم آخر يؤتى عدداً من الثمرات العلمية التى تفيد المشتغلين برسم السياسة الاجتماعية والثقافية، فهو إلى جانب القيمة العلمية النظرية، يقدم خدمة تطبيقية عملية لا يمكن إنكارها^(٢) وهو يساهم علاوة على ذلك فى تحليل علاقات التفاعل والتأثير المتبادل بين الثقافات المختلفة^(٣).

ويتضمن الفولكلور عناصر كثيرة أهمها الأساطير وقصص الخوارق والحكايات الشعبية، والحكم والأمثال، والأغاني، والفنون الشعبية، والطب الشعبى، والعادات والتقاليد الشعبية، والمعتقدات الشعبية وغيرها، وهى كلها أجزاء مهمة من الثقافة يهتم بها الأنثروبولوجيون كما يهتم بها دارسو الفولكلور والمتخصصون الآخرون^(٤). ويهتم علماء الأنثروبولوجيا بالعلاقة بين الفولكلور وجوانب الثقافة الأخرى من وجهتى نظر مختلفتين :

أولاهما - ترى أن الفولكلور يجسد إلى حد ما الثقافة، حيث يقدم وصفاً للطقوس والتكنولوجيا القائمة وغير ذلك من التفاصيل الثقافية .

وثانيتهما - وهى ذات دلالات أوسع، ترى أن شخوص الحكايات الشعبية والأساطير قد تمارس أشياء تشذ عن المؤلف^(٥).

وقد وضع " تايلور " تعريفاً أو تفسيراً للفولكلور بمعنى الثقافة الحية وقد استلهم هذا التعريف من ملاحظاته ودراساته لثقافة الشعوب البدائية^(٦).

(١) أحمد على مرسى : مقدمه فى الفولكلور . عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية . القاهرة ١٩٩٥ . ص ٤٤ .

(٢) محمد الجوهرى : علم الفولكلور . مرجع سابق . ص ٣٠ .

(٣) المرجع السابق : ص ٣٥ .

(٤) فاروق أحمد مصطفى : مرجع سابق . ص ٦٢١ .

(٥) وليم ر . باسكوم : مرجع سابق . ص ٥٣ .

(٦) صفوت كمال : الحكايات الشعبية الكويتية . مرجع سابق . ص ٢٩ .

وينظر قاموس "ويبستر Webister" إلى معنى الفولكلور على أنه المادة التى تنتقل عن طريق الموروثات . ويشمل هذا المعنى تناقل الموروثات شفاهة بين الناس^(١).

ويعرف " بواس " الفولكلور بأنه مرآة الثقافة^(٢).

وتعرف الدكتورة " سعاد شعبان " الفولكلور بأنه مخلفات الثقافة السابقة على التحضر أو الرواسب فى البيئة الحضارية الحديثة والفولكلور عبارة عن الحفريات الحية التى ترفض أن تموت^(٣).

ويقول آخرون إن الفولكلور هو التراث الروحى للشعب، وخاصة التراث الشفاهى وهو كذلك العلم الذى يدرس هذا التراث^(٤).

إن الفولكلور هو الثقافة عمومًا المنقولة شفويًا^(٥).

وهناك تعريف آخر للفولكلور يقول : بأنه الماضى الحى^(٦).

ويعد الفولكلور أو الثقافة التقليدية والشعبية جملة أعمال إبداعية نابذة من مجتمع ثقافى، وقائمة على التقاليد تعبر عنه جماعة أو أفراد معترف بأنهم يصورون تطلعات المجتمع، بوصفه تعبيرًا عن الذاتية الثقافية والاجتماعية لذلك المجتمع، وتتناقل معايير وقيمه شفاهة أو عن طريق المحاكاة أو بغير ذلك من الطرق، وتضم أشكاله، فيما تضم، اللغة والأدب، والموسيقى والرقص والألعاب،

(١) الثقافة الشعبية : العدد الثانى . المركز الحضارى لعلوم الإنسان والتراث الشعبى . كلية الآداب . جامعة المنصورة . ٢٠٠٠ . ص ٦٩ .

(٢) آلان دندس : المفهوم الأمريكى للفولكلور . ترجمة على عفيفى . مجلة الفنون الشعبية . العدد (٤٩) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٩٥ . ص ٦٨ .

(٣) إبراهيم محمد مدحت غيث : مرجع سابق : ص ١٠ .

(٤) أيكه هو لتكرانس : قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفولكلور . ترجمة محمد الجوهري وحسن الشامى . دار المعارف . القاهرة . ١٩٧١ . ص ٢٧٩ .

(٥) محمد الجوهري : علم الفولكلور . مرجع سابق . ص ٦٥ .

(٦) شوقى عبدالحكيم : تراث شعبى . الجزء (١) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٩٤ . ص ٨ .

والأساطير والطقوس والعادات والحرف والعمارة، وغير ذلك من الفنون^(١). وقد تخصص الفولكلور فى العناصر الثقافية المؤثرة فى أشكال التعبير الأدبى والفنى، التى تصدر عن وجدان جمعى^(٢). فهو محصلة الثقافة الشعبية الحية الفعالة والمتراكمة من أقدم العصور، والمسيرة لتاريخ الشعب والمعينة على تقدمه، والفولكلور هو الذى يحافظ على دعامة الأصالة وجوهر الإنسانية، والتكامل الحيوى بين الفرد، وبين إطاره الاجتماعى^(٣).

وإنه يمكن التمييز بين الفولكلور والأدب الشعبى باعتبار أن الأدب الشعبى فى حقيقته أحد فصائل الأدب الرسمى أو الأدب العامى الذى استطاع أن يجيز صفات خاصة فى ظروف بيئية معينة، وبذلك يكون الأدب الشعبى هو أحد أقسام الفولكلور^(٤).

ب - الأدب الشعبى

"الأدب الشعبى هو نوع من الإبداع الأدبى ويمثل كذلك جزءاً مهماً من التراث الشعبى، ويشتمل على : الحكايات الشعبىة، والأغاني الشعبىة وأهازيج الطقوس الدينىة، والألغاز، والأمثال، وغيرها"^(٥).

وكذلك هو تعبير عن انفعال عاطفى أو فكرى يتخذ اللهجة العامية أسلوباً له فى التعبير، تطفى على معانيه السذاجة التى تميز ابن الشعب المحروم من الثقافة، ولكنها سذاجة لا تخلو من إرهاب الحس وبراءة وعفوية فى إطلاق المشاعر والأحاسيس، وصدق يتجلى فى استعمال الألفاظ والأساليب واختيارها^(٦).

(١) محمد الجوهري: حماية التراث الشعبى دور مستقبلى لعلم الفلكلور مجلة الفنون الشعبىة العدد (٥٨-٥٩) الهيئة المصرىة العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٨ ص ١٩.

(٢) عبد الحميد يونس : دفاع عن الفولكلور : الهيئة المصرىة العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٧٣ . ص ١٤ .

(٣) إبراهيم محمد مدحت غيث : الوظائف الاجتماعىة للحكاية الشعبىة فى كينيا . مرجع سابق ص ١١ .

(٤) هدى محمد قناوى : الطفل وأدب الاطفال . مكتبة الانجلو المصرىة . القاهرة . ١٩٩٤ . ص ٢١٢ .

(٥) يكه هو لكرانس : قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور . مرجع سابق . ص ٢٢ ، ٢٣ . بتصريف .

(٦) أحمد على مرسى : الأدب الشعبى العربى المصطلح وحدوده . مجلة الفنون الشعبىة . العدد (٢١) .

الهيئة المصرىة العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٨٧ . ص ١٨ .

وتتردد لفظة " أدب " فى حياتنا لتدل على تلك الوسائل الفنية المختلفة التى تقوم على التعبير بالكلمة عن الفكر والوجدان^(١).

وكلمة "شعبى" أتت للدلالة على العمومية التى يتسم بها هذا الفن، فهو ليس فناً خاصاً أنشأه فرد معين وبقي محافظاً على تلك الصورة التى نشأ عليها لأول مرة، بل اكتسب على مر الزمن عناصر جديدة وفقد عناصر أخرى على أيدي كثير من الأفراد والجماعات التى تناقلته عبر القرون فنفتخت فيه من روحها، وأعطته الشكل الذى أحبته ورأت أنه خير ممثل لرغباتها وأمانيتها بالإضافة إلى تلك الملامح من واقعها التى نستكشفها خلف الكلمات وأحياناً بين يديها^(٢).

وفى محاولة من الدكتور " أحمد على مرسى " لتعريف مصطلح " الأدب الشعبى " استعرض عدداً من هذه المصطلحات التى جاءت فى مؤلفات الكتاب، الذين طرقتوا هذا الموضوع، وخلص إلى تحديد هذه التعريفات ورتبها وفق انتشارها كما يلى:-^(٣).

الأدب الشعبى يتسم بالعامية .

الأدب الشعبى ينتقل عن طريق الرواية الشفاهية .

الأدب الشعبى مجهول المؤلف ويشترك فى تأليفه أكثر من فرد .

الأدب الشعبى يعبر عن وجدان الجماعة أو نفسية الشعب .

الأدب الشعبى متأثر .

كما أن هناك من اشترط أن يكون ساذجاً أو تلقائياً، وأنه يعبر أساساً عن الطبقات الكادحة أو الفلاحين، وهناك من رأى أنه يمكن أن يكون معروف المؤلف^(٤).

وقد اقترح الدكتور " أحمد على مرسى " تعريفين " للأدب الشعبى" هما :

(١) أحمد سويلم : « التربية الثقافية للطفل العربى » مرجع سابق ص ٢٢ .

(٢) أحمد بسام ساعى : مرجع سابق . ص ٢ .

(٣) إبراهيم محمد مدحت غيث : مرجع سابق . ص ٧ .

(٤) أحمد على مرسى : الأدب الشعبى العربى المصطلح وحدوده . مرجع سابق . ص ٢٤ .

التعريف الأول : وهو " الأدب الشعبي هو أسلوب التعبير الفنى المأثور عن الفكر والعادات والتقاليد الجمعية، والذي يتوسل بالكلمة " .

التعريف الثانى : وهو " الأدب الشعبى هو الإبداع الفنى الجمعى المأثور الذى يتوسل بالكلمة " (١).

وأشمل تعريف للأدب الشعبى أنه " الأدب الذى يعبر عن وجدان الشعب ويمثل اتجاهاته ومستوياته الحضارية " وهو" لا يأخذ صورة نهائية محددة وإنما تضيف إليه الأجيال المتعاقبة، وتحذف منه وتعيد ترتيب عناصره وتجرى فيه بعض التغييرات، ليلائم ذوقها ويعبر عنها، فاشتراط التوارث يكاد يكون ضرورياً، ولكن اشتراط الجهل بمبتكره الأول ليس بالضرورى وإنما الضرورى أن تعمل فيه الأجيال المتعاقبة بما يلائم ذوقها" (٢).

والأدب الشعبى لا ينسب إلى مؤلف بعينه، وإنه لهذا السبب يتسم بالصراحة والصدق والحرية فى التعبير عن مشكلات الحياة التى يعيشها الناس (٣).

وما يزال تحديد الأدب الشعبى أمراً يختلف عليه النقاد ودارسو الأدب (٤). ولكى نفهم الأدب المكتوب، كان لا بد من دراسة الأدب الشعبى الذى كان مقدمة الأدب المكتوب ومصدر من مصادره، وتعتبر الحكاية هى أبرز أنواع الأدب الشعبى (٥).

وإنه مما لا شك فيه أن للهوساويين أديهم الخاص بهم، والذى يحمل فى طياته عادات هذا الشعب وتقاليد وثقافته، والتى تعبر عنه حياتهم اليومية منذ القدم وحتى اليوم والغد، ومما يوضح ذلك ما جاء فى أمثال الهوساويين الشعبىة، فيقولون: « Kafin Ahaifi Uwar Mai Sabulu La Belbela Take Tare Da Farinta » أى : " أنه لا يمكن أن يقال بأن أمة من الأمم وجدت فى العالم دون أن يكون لها أديها

(١) المرجع السابق : ص ٢٥.

(٢) أحمد بسام ساعى : مرجع سابق . ص ٤ .

(٣) نبيلة إبراهيم : قصصنا الشعبى من الرومانسية إلى الواقعية . مكتبة غريب . القاهرة . بدون تاريخ . ص ١٩١ .

(٤) أحمد رشدى صالح : الأدب الشعبى . الطبعة (٣) . مكتبة النهضة . القاهرة . ١٩٧١ . ص ١٤ .

(٥) عبد الله نجيب محمد : مرجع سابق . ص أ .

الخاص بها، وذلك مهما كانت بداوتها أو قلتها " . ولكن من الصعوبة بمكان أن يستطيع أحد أن يتكهن بمعرفة الزمن الذى نشأت فيه وظهرت الحركة الأدبية الهوساوية، فأدب أية أمه من الأمم قديم فى وجوده قدم هذه الأمة^(١).

أما عن أدب الهوسا : فهو - ببساطة - صورة معبرة عن واقع ملموس فى حياة الهوساويين، فهو مرآة عاكسة لثقافة وحال هذا المجتمع، فى الماضى، وفى الحاضر، وما يستجد فيه من تغيرات تفرضها عليه البيئة التى يعيش فيها، وكذلك علاقة الجوار التى تربطه بشعوب أو قبائل أخرى تعيش معه داخل حدود سياسية واحدة وظروف واحدة، أو مؤثرات داخلية أو خارجية تؤثر فيه ويتفاعل معها راضياً بها أم آيباً، يترجمها إلى الواقع ويخرج بها إلى حيز الوجود مجموعة من المشتغلين بقضايا " الأدب " هم الذين يطلق عليهم " الأدباء " ، ويقدمونها فى صور متنوعة، فتخرج فى شكل رواية، أو قصة قصيرة، أو ملحمة، أو حكاية شعبية، أو شعر، أو نثر، أو غير ذلك . وهو أدب يتسم بطابع إسلامى إلى حد كبير خاصة فى مجال الشعر^(٢).

ومن كل ما سبق يتضح لنا أن الأنثروبولوجيا الثقافية تدرس الثقافة الإنسانية لكل الشعوب مهما كانت درجة تقدمها أو العكس، وذلك كما ذكر سابقاً عن طريق دراسة المعيشة، وأنماط السلوك وقواعد العرف والتقاليد والفنون التكنولوجية السائدة، والتى يكتسبها الأعضاء ويلتزمون بها فى سلوكهم وفى حياتهم .

أما مفهوم الفولكلور فتتفق الباحثة مع رأى " أموس " الذى يعرفه بأنه عبارة عن العناصر الثقافية الحية والمؤثرة والفعالة التى تسير الشعب فى تطوره، مسايرتها لحياة الأفراد فى سلوكهم وعلاقاتهم، وهذه العناصر الثقافية تتسم بالمرونة وما إلى ذلك .

(١) صبرى إبراهيم على سلامة : صور من بلاد الهوسا . مرجع سابق . ص ١٤ .
(٢) صبرى إبراهيم على سلامة، عمر السيد عبدالفتاح : ملامح الأدب الإفريقى . مذكرة محاضرات غير منشورة . قسم اللغات . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ٢٠٠٠ . ص ٣ .

وقد تخصص الفولكلور فى العناصر الثقافية المؤثرة فى أشكال التعبير الأدبى والفنى، التى تصدر عن وجدان جمعى، فى إطار شعب من الشعوب فى فترة زمنية محددة .

أما مفهوم الأدب الشعبى فتتفق الباحثة مع رأى القائل أنه الأدب الذى يعبر عن وجدان الشعب، ويمثل اتجاهاته ومستوياته الحضارية، وتضيف إليه الأجيال المتعاقبة، وتحذف منه وتعيد ترتيب عناصره، وتجرى فيه بعض التغيرات ليلائم ذوقها ويعبر عنها .

ولكى يستطيع الباحث الأنثروبولوجى أن يدرس علم الفولكلور وميادينه التى من أهمها الأدب الشعبى، وأنواعه، وخاصة الحكايات الشعبية لا بد أن يستخدم بعض النظريات وبعض المناهج حتى يتوصل فى دراسته إلى نتائج سليمة .

٢- الإطار النظرى والمنهجى للدراسة

لما كانت الحكاية الشعبية تمثل إحدى موضوعات الفولكلور والذى يمثل جزءاً من الثقافة المعنوية والتى تمثل هى بالتالى إحدى موضوعات الأنثروبولوجيا الثقافية كان من الضرورى اختيار الإطار النظرى الملائم لمجال الدراسة .

أولاً - النظرية

نظرية البنائية الوظيفية

اعتمدت الدراسة على نظرية البنائية الوظيفية ؛ حيث إنها تظهر الدور الوظيفى الذى تؤديه الحكاية الشعبية فى البناء الاجتماعى لقبيلة الهوسا ومنها نتعرف على دور الوظيفة الاقتصادية والسياسية والقرايبية والدينية، حيث إن الحكاية الشعبية تمثل وحدة متكاملة تنقسم فى الوقت نفسه إلى عدد من الوحدات الصغيرة تتفاعل وتتساند وظيفياً للمحافظة على كيان المجتمع .

ويمثل المنهج البنائى أبرز التطورات المنهجية التى ظهرت على مسرح العلوم الاجتماعية، وهذا المنهج يتعرض لدراسة البناء الاجتماعى بوصفه كلا، بعد تحليله

إلى عناصره الصغيرة، بهدف اكتشاف بنيته الداخلية التي تتكون من مجموعة من الأنساق الاجتماعية التي تؤلف بالتالي مجموعة من النظم الاجتماعية .

إن الحكاية الشعبية فى بنائها تشتمل على نوع من النظام والمعقولة والاستقرار النسبى، والوظيفة التي تؤديها الحكاية الشعبية هى أهم ما يميزها ولا يمكن أن تميز بشكل دقيق إلا بالاعتماد على الوظيفة، فهى التي تغلب بعض الأشكال والمضامين على غيرها، والوظيفة كنظرية ترى ضرورة دراسة الظواهر الاقتصادية والقرايية والسياسية والدينية من حيث الوظيفة التي تؤديها أو الدور الذي تقوم به^(١).

ثانياً - المنهج

المنهج الوظيفى

إن الوظيفة كنظرية تقول بوجود دراسة الظواهر الثقافية والاجتماعية من حيث الوظيفة التي تؤديها فى المجتمع، ويمكن القول بأن الوظيفة كانت موجودة باستمرار فى الإثنولوجيا وخاصة الإثنولوجيا الوصفية، وذلك لأن أى وصف موسع وشامل لثقافة ما أو لعادة ما يكون وظيفياً .

وإن رسوخ الأساس المنهجى للنزعة الوظيفية فى الأنثروبولوجيا، قد ازدهر بجهود الباحث الأنثروبولوجى "برونيسلاو مالينوفسكى B. Molinowski".

ويحدد "باسكوم" أركان الدراسة الوظيفية بثلاثة عناصر أساسية هى :

- السياق الاجتماعى للفولكلور، أى (عناصر التراث الشعبى) .
- علاقة التراث الشعبى بالثقافة، وهو ما يطلق عليه اسم السياق الثقافى للفولكلور .

- وظائف الفولكلور^(٢).

وعلى كل حال، فإن من أهم أنواع الأدب الشعبى الذى ينتمى إلى التراث الشعبى،

(١) محمد الجوهري : علم الفولكلور . مرجع سابق . ص ١٢٠ : ١٢٢ . بتصريف .

(٢) المرجع السابق . ص ١١٨ : ١٢١ . بتصريف .

المثل، واللفز، والنادرة، والسيرة، والأغنية، والحكاية، وغير ذلك. وأبرز هذه الأنواع
الحكاية الشعبية موضوع الدراسة .

٣- مفهوم الحكاية الشعبية الهوساوية

" الحكاية الشعبية الهوساوية " هي إحدى ثمرات المنتج الأدبي الهوساوي على
وجه العموم، وفيها من المعاني والرموز ما يجعل الكثيرين من المعنيين بدراستها
يقضون على كل معنى وكل رمز اعتمدت عليه حتى ولو كان هذا المعنى أو هذا الرمز
بسيطاً^(١).

"وتعرف الحكاية الشعبية عند الهوسا بأنها أخبار مخترعة منظومة خاصة
للأطفال مثل حكاية "العنكبوت" وغيرها مما يتضمن درساً أو هدفاً ما فى
الحكمة^(٢)

والحكاية الشعبية الهوساوية يلقبها الراوى غالباً ليلاً لهدف التعليم أو الترفيه
أو المسامرة^(٣). وتعتبر الحكاية الشعبية فيها كل مقومات الأدب الشعبى من العراقة
والتطور والإضافة، ومن التعبير عن وجدان الجماعة أكثر من وجدان الذات^(٤).
ولا يكاد يخلو تعريف من تعريفات الفولكلور - قديماً وحديثاً - وعند كل
من علماء الأنثروبولوجيا وعلماء الفولكلور وغيرهم، من النظر بعين الاعتبار إلى
الحكاية الشعبية عند تعريفهم لمادة العلم، بغض النظر عن اتفاقنا أو اختلافنا مع
بعض هذه التعريفات^(٥).

(١) صبرى إبراهيم على سلامة، عمر السيد عبد الفتاح : مرجع سابق . ص ٢٢ .

(2) Mahammad Balarabe Umar: Dangantakar Adabin Baka da Al Adun gargajiya. Triumph.
Gidan Sa Adu Zungr, Kano, 1987 .P.17. (هوسا)

قام بترجمة هذا النص للغة العربية الأستاذ / حافظ إبراهيم عبدالله .

(3) Habib Alhassan , Usman Ibrahim Musa : Zaman Hausawa. Don Makarantun Gaba Da
framare. Vol. 1. printed by the Institute of Education printer, Nigeria, 1980, p.
53.(هوسا).

قام بترجمة هذا النص للغة العربية الأستاذ / حافظ إبراهيم عبد الله .

(٤) صفوت كمال : الحكاية الشعبية فى مجال أدب الأطفال . مجلة الفنون الشعبية. عدد(٢٥) . الهيئة
المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ص ٧٨ .

(٥) محمد حسين حسن هلال : مرجع سابق . ص ٢٠١ .

وتستعرض الباحثة فيما يلي بعض تعريفات الحكاية الشعبية التي جاءت في مؤلفات الكتاب الذين طرقتوا هذا الموضوع وترتبها وفق انتشارها :

يستخدم مصطلح "الحكاية الشعبية Folk Tales « للإشارة إلى الحوادث وأحكايات الجنيات مثل سندريلا أو سنوهوايت، كما يستخدم كذلك بمعنى أكثر اتساعاً ليشمل جميع أشكال المروييات النثرية التي توارثها الأجيال، سواء أكانت مدونة أم شفوية، وهو بذلك ينطبق على أشكال متنوعة من القصص مثل أساطير الخلق عند الشعوب البدائية^(١).

والحكاية من المحاكاة، ولهذا اتصلت بالحركة والحياة " وحكى " بمعنى قص " وحكواتى" أى القصص الذى يقص الحكايات على الجمهور، ثم أصبحت كلمة "حكاية" تطلق على أى نوع من أنواع القصة وإن كان لا يزال فى الإمكان استعمالها بمعناها الأصلى حتى فى لغة العوام^(٢) فالحكاية من المماثلة فيقال حكى فلان بمعنى قال مثل غيره^(٣).

وتعرف "المعاجم الألمانية" الحكاية الشعبية بأنها الخبر الذى يتصل بحدث قديم ينتقل عن طريق الرواية الشفوية من جيل إلى جيل، أو هى خلق حر للخيال الشعبى ينسجه حول حوادث مهمة وشخص و مواقع تاريخية^(٤).

أما " المعاجم الإنجليزية " فتعرف الحكاية الشعبية بأنها حكاية يصدقها الشعب بوصفها حقيقة وهى تتطور مع العصور، وتتداول شفاهة كما أنها تختص بالحوادث التاريخية أو الأبطال الذين يصنعون التاريخ^(٥).

-
- (١) فوزى العنتيل : عالم الحكايات الشعبية . دار المريخ . الرياض . ١٩٨٣ . ص ١٧ .
 - (٢) أ.جى . بريل : دائرة المعارف الإسلامية . إشراف: إبراهيم زكى خورشيد ، أحمد الشناوى ، عبد الحميد يونس . الجزء (١٣) . (مادة حكاية) . بدون تاريخ . ص ٤١٠٨ ، ٤١٠٩ .
 - (٣) صفوت كمال : الحكايات الشعبية الكويتية . مرجع سابق . ص ٥٩ .
 - (٤) شاكر عبد الحميد : الحكايات الشعبية دورها فى تنمية الحس الجمالى والفنى لدى الطفل ، مجلة الفنون الشعبية . العدد (٥١) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٩٦ . ص ٩٠ .
 - (٥) إبراهيم محمد مدحت غيث : مرجع سابق . ص ٢٢ .

ومن أعلام " المدرسة الأنثروبولوجية The Anthropological School " لانج A. lang ، " وجادوز Gaidoz ، " وبواس Boas ، الذين اظهروا الأساس الثقافى للحكاية الشعبية، ورأوا أنها بقايا حضرية لثقافات الماضى البعيد^(١).

وقد أكد " هيردر " بصفة خاصة على أهمية الحكايات الشعبية والأساطير كبقايا للمعتقدات القديمة، فالحكايات الشعبية فى رأيه ليست بثرثرة عجائز لا منطق لها، ولا هى اختراع صرف، إنما هى ملك للشعب ونتاج قواه الشعاعرية المبدعة، وفى هذا يقول إن الحكاية الشعبية^(٢) بأسرها، ومثلها الحكايات الخرافية والأساطير، هى بكل تأكيد بقايا المعتقدات الشعبية وقد ترجع فى تاريخها إلى أقدم العصور^(٣) كما أنها بقايا تأملات الشعب الحسية وبقايا قواه وخبراته عندما كان الإنسان يحلم لأنه لم يكن يعرف، وعندما كان يؤثر فيما حوله بروح ساذجة غير منقسمة على نفسها^(٤).

ويرى "تولكين" أن الحكاية الشعبية مجرد لون من ألوان التغذية العقلية والوجدانية^(٥).

ويرى الدكتور " عبد الحميد يونس " أن الحكاية من المحاكاة أو التقليد فهى ترتبط بمحاكاة الواقع، أو بمحاكاة واقع نفسى يقتنع أصحابه بحدوثه، وقد استعمل لفظ " الحكاية " للدلالة على أحكام الرواية فى بيئات العلماء، كما استعمل كمرادف للتشبيه وتصوير الحدث، مما جعل هذا المصطلح يبرز فى الأدب القصصى ويخرج عن مجرد الإخبار بالواقع إلى الإيهام بحدث قديم^(٦).

(١) فوزى العنتيل : الفولكلور ما هو . دار مسيرة . الطبعة (٢) . بيروت ١٩٨٧ . ص ٧١ . بتصرف .

(٢) محمد الجومرى : علم الفولكلور . مرجع سابق . ص ١٠٦ .

(٣) فرديريش فون ديرلاين : الحكاية الخرافية . ترجمة: نبيلة إبراهيم . مكتبة غريب . القاهرة . بدون تاريخ . ص ٣٢ .

(٤) محمد الجومرى : علم الفولكلور . مرجع سابق . ص ١٠٦ .

(٥) عبد التواب يوسف : الطفل العربى والأدب الشعبى . الطبعة (١) . الإدارة المصرية اللبنانية . ١٩٩٢ . ص ٢٧ .

(٦) عادل ندا : الحكاية الشعبية : مجلة الفنون الشعبية . العدد (٣٠ : ٢١) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٩٠ . ص ٢٨ .

وتعد الحكاية الشعبية - كما أشار الدكتور - صفوت كمال - سابقاً - المصدر الأساسي لكل المرويات الشفاهية وأكثرها انتشاراً، كما أنها تحمل من ملامح التراث الشعبي أكثر مما تحمله غيرها من المرويات الشفاهية^(١).

وتعتبر الحكاية الشعبية إبداعاً أدبياً فنياً يقدم الراوى من خلاله صيغة مقبولة لما يحفظه عن السلف أو ما اكتسبه من معرفة سابقة يفترض أنها موروثه من قديم الزمان^(٢).

وترى الدكتورة - نبيلة إبراهيم - أن الحكاية الشعبية هي الوسيلة الجذابة الطريفة التي يعبر بها الإنسان عن أفكاره الفلسفية^(٣) - وهي تنتقل من جيل إلى جيل، سواء كانت مدونة أو غير مدونة - وتجدد نفسها باستمرار طالما أنها تروى وتتمولا عن طريق الانقطاع والبدء من جديد، بل عن طريق التواصل المستمر لاستبدال وتبادل "الموتيفات" واندماجها في علاقات جديدة، تتولد بمقتضاها حكايات أخرى رائعة ومدهشة، وهذا التواصل والتبادل والاندماج أدى إلى تماثل وتشابه الكثير من "الموتيفات" في العديد من الحكايات لدى العديد من الشعوب^(٤).

إن الحكاية الشعبية ليست من ابتكار لحظة معروفة أو موقف محدد، وإنما تنتقل من شخص إلى آخر بحرية، وغالباً ما يكون الانتقال عن طريق الرواية الشفاهية كما تتسم بالمرونة التي تجعلها قابلة للتطور بحيث يضاف إليها أو يحذف منها أو تعدل عباراتها ومضامينها على لسان الراوى الجديد، تبعاً لمزاجه أو موقفه أو ظروف بيئته الاجتماعية . ويكاد يتفق العلماء على أن نسبة الحكاية الشعبية لشخص ما لا تعنى شيئاً بالنسبة لشعبيتها، لأن المعيار هو مدى استقبال الطبقات الشعبية لها وترديدها إياها^(٥).

(١) شاكر عبد الحميد : مرجع سابق . ص ٨٩ ، ٩٠ .

(٢) المرجع السابق : ص ٩٠ .

(٣) نبيلة إبراهيم : الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق . مرجع سابق . ص ٢٤٢ .

(٤) عبد العزيز رفعت : حيوية الحكاية الشعبية . مجلة الفنون الشعبية . العدد (٥١) . الهيئة المصرية

العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٩٦ . ص ٨٠ .

(٥) عادل ندا : مرجع سابق . ص ٣٠ .

إن علماء الأنثروبولوجيا يميزون بين نوعين من القصص والحكايات التي توجد ليس فحسب في المجتمعات التي اصطلح على تسميتها بالمجتمعات البدائية وإنما نجد لها وجوداً أيضاً في كثير من المجتمعات الإنسانية الأخرى وهذه الحكايات إما تحكى وتسرد أحداث الحياة الواقعية والخبرات اليومية، إما حكايات تقص أحداثاً وقعت في الماضي القريب ومعظم هذه الحكايات - لها أهميتها في التحليل الأنثروبولوجي . أما النوع الثاني من الحكايات هو الحكايات والقصص التي لا يعرف لها زمان محدود ولا يتعرف الأهالي أنفسهم على الشخصيات التي تدور حولها ولا ينقصها الطابع الفني أو الجمالي، وهذه القصص تعد في العادة جزءاً من ثقافة تلك المجتمعات وتؤدي دوراً هاماً في فهم تلك الثقافات والأبنية الاجتماعية بل إن البعض يرتفع بها إلى مستوى الأنساق الاجتماعية التي تؤلف البناء الاجتماعي فالنسق السياسي ونسق القرابة والنسق الاقتصادي وما إليها، ينظر إليها على أساس أنها تمثل النسق الأيديولوجي نظراً لما تحويه هذه الحكايات والقصص والأساطير من مبادئ ومثل وقيم اجتماعية^(١).

ويدور موضوع الحكاية الشعبية بين النواحي، الخيالية والدينية والاجتماعية والأخلاقية والتاريخية^(٢).

والحكاية الشعبية هي حكاية تروى في جميع أنحاء العالم ولها مصطلحات في كل زمان ومكان وتعريفاتها التي تلبى حاجات الجماعة المنتجة لها كما أن لها خصائصها المختلفة أيضاً وقد رصد العلماء تشابه الكثير من تفاصيلها بدرجة كبيرة على مستوى النواحي البنائية أو "المعمارية" وعلى مستوى المضمون أيضاً وربما يعود هذا إلى "التشابه في المواقف الأساسية" في حياة الإنسان، لكن الجدير بالذكر هو أن الحكايات الشعبية لها في كل مكان شكل معلوم ومادة محدودة، ولغة معروفة في الثقافة الإنسانية^(٣).

(١) فاروق أحمد مصطفى : مرجع سابق . ص ٦٢٢ . ٦٢٣ .

(٢) أحمد بسام ساعي : مرجع سابق . ص ٧ .

(٣) محمد حسين حسن هلال : مرجع سابق . ص ١٤ .

فعالم الحكايات الشعبية عالم رحب يفوق عالم الإنسان المحصور فى بيئته، عالم يشمل كل العوالم المرئية والمدركة، وينطلق منها إلى عوالم من صنع خيال الإنسان فى الحكايات الشعبية يلتقى عالم الإنسان على الأرض بعالم الفضاء دون حواجز فكرية، ويخرج الإنسان بطاقاته الإبداعية من مجال المحسوس والمدرک إلى مجال الخيال فى طواعية شديدة، وبرؤية شمولية للإنسان والوجود ككل، دون حواجز من علم أو قدرات محدودة، فلا الزمان أو المكان أو اللغة تشكل عقبة أمام الإنسان، فعالم البحر، وعالم الأرض، وعالم السماء وبكل ما فيهم من كائنات يمكن للإنسان أن يعايشهم فى عالم الحكايات الشعبية^(١).

وقد اهتم دارسو الفولكلور بوضع القواعد التى تحكم الحكايات الشعبية والأساطير ونشير هنا إلى محاولة قام بها " اكسل أولريك Axel Olrik » فى وضع القواعد والقوانين التى استنبطها من دراساته الكثيرة التى قام بها على الحكايات الأوروبية، والتى يمكن أن تصل إلى درجة العمومية بحيث يمكن أن تطبق على الحكايات الشعبية والأساطير فى جميع أنحاء العالم بعد اختبارها ومن أهم هذه القواعد ما يلى :

أ - أن الحكاية الشعبية لا يمكن أن تبدأ فجأة بفعل مفاجئ ولا تنتهى أيضاً فجأة ويطلق عليه " قانون الافتتاحية والخاتمة Law Of Opening and Closing .

ب- أن الحكاية الشعبية تعتمد على التكرار ويسميه " قانون التكرار Law Of Repetition .

ج- أن الحكاية الشعبية تعتمد على الأعداد والأرقام مثل: ٢ أو ٣ أو ٧ .. وغير ذلك .

د - أن الحكاية الشعبية تعتمد على " التقابل والتغامم Law of Contrast .

هـ- أنها تعتمد على التوائم .

(١) صفوت كمال : الحكاية الشعبية الكويتية . مرجع سابق . ص ٤٤١ .

- و - أنها تعتمد على إبراز الوضع الأول والنهائي بالنسبة للشخصيات .
- ز- أنها تسير فى خط واحد لا يعود إلى الوراء .
- ح - أنها تخضع لقانون النمطية أو "التميط" .
- ط - أنها تستخدم المشاهد الحية .
- ى- منطقية الراوى .
- ك- حبكة الرواية .
- ل - التركيز على الشخصيات الرئيسية^(١).

٤- تطور مفهوم الحكاية الشعبية

تطور مفهوم الحكاية الشعبية فى كل مجتمعات العالم . وقد يختلف معنى هذا المفهوم من مجتمع إلى آخر، ومن ثقافة إلى أخرى .

فقد يستخدم مفهوم "حكاية شعبية" فى مجتمع، ويستخدم مفهوم خرافة أو أسطورة أو حدوتة فى مجتمع آخر، فإن الحياة الأدبية قد عرفت عدة مصطلحات تعبر عن نفس المعنى للحكاية الشعبية ومنها ما هو تطور لها، ومنها ما هو مختلف عنها، مثل الفرق بين القصة والرواية، وقد يختلف هذا المفهوم من مجتمع تقليدى إلى مجتمع متحضر .

ومن المعروف أن الراوى لا يشغل باله بهذه المسميات، كما أن راوى الحكاية الشعبية التقليدى لا يستطيع التمييز بين هذه المسميات التى نجمها فيما يلى أو التى سوف نذكرها حسب ظهورها فى معظم المجتمعات، وهى كالتالى :

الخرافة، والأسطورة، والسمر، والحدوتة، والأقصوصة، والقصة، والرواية .

(١) فاروق أحمد مصطفى : مرجع سابق . ص ٦٤٢ . ٦٤٣ .

أ - الخرافة

برزت كلمة "خرافة" لتدل على الوقائع والأحداث غير المعقولة^(١). وورد لفظ "خرافة" في "المعاجم العربية" بمعنى الحديث المستملح من الكذب^(٢).

"والخرافة" هي حكاية بسيطة التركيب ساذجة المحتوى لاتميل إلى التعقيد، مفردة لا تتداخل في غيرها، وهذا يؤدي إلى سرعة تذكرها، فإذا ذكرت أكثر من خرافة في عمل واحد فإنها لا تتفاعل تفاعلاً ينسج عنصراً جديداً بل تظل الخطوط بينها واضحة^(٣).

وقد عرف العرب "الخرافة" وهي تختلف عن الأسطورة بأن المجتمعات كانت أكثر إيماناً بها بل ما زالت تؤمن حتى الآن بكثير منها^(٤).

ب - الأسطورة

استخدمت كلمة "أسطورة" استخدامات متعددة ومختلفة على مر العصور إلى أن وصلت إلى اصطلاحها الفنى الحالى كنوع أدبى له شخصيته المتميزة^(٥).

وقد عرف العرب منذ القدم ما نسميه "بالأساطير"، وورد - فى قوله تعالى ﴿إِذَا نُفِثَ عَلَيْهِ، إِنِّنَّا قَالِ اسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٦) - كتعبير عن كل ما لم يكن يسمح العرب لأنفسهم بتصديقه فى ذلك الحين، ولكن أساطيرهم كانت خالية غالباً من تلك الآلهة المتعددة التى نجدها فى أساطير بقية شعوب العالم الأخرى^(٧).

(١) عادل ندا : مرجع سابق . ص ٢٩ .

(٢) صفوت كمال : الحكايات الشعبية الكويتية . مرجع سابق . ص ٥٩ .

(٣) إبراهيم شعراوى : الخرافة والأسطورة فى النوبة . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٨٤ . ص ٧٢ .

(٤) أحمد بسام ساعى : مرجع سابق . ص ٥ .

(٥) نبيل راغب : فنون الأدب العالمى . مكتبة لبنان الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان القاهرة . ١٩٩٦ . ص ٥ بتصرف .

(٦) القرآن الكريم : سورة المطففين . آية ١٢ .

(٧) أحمد بسام ساعى : مرجع سابق . ص ٥ .

وترتبط كلمة " الأسطورة " دائماً ببداية الإنسانية^(١) أو ببداية الإنسانية والأساطير هي المعتقدات المشبعة أو المحملة بالقيم والمبادئ التي يعتنقها الناس والتي يعيشون بها أو من أجلها، ويرتبط كل مجتمع بنسق من الأساطير يعبر عن الصور الفكرية المعقدة التي تتضمن في الوقت نفسه كل نواحي النشاط الإنساني^(٢).

وقد ربط كثير من الدارسين - قديماً وحديثاً - بين الحكاية الشعبية والأسطورة وذلك بعد أن استقر لدى هؤلاء الدارسين الرأي على أن الحكاية هي وريثة الأسطورة، أو هي الفرع الذي انبثق عنها، فعلى سبيل المثال لا الحصر يرى عبد الحميد يونس " أن السير الشعبية هي الجسر الذي يصل بين الأساطير والحكايات الشعبية، فهي إذاً لا ترتبط بالأسطورة فقط، بل بالسير الشعبية أيضاً، أو بالملاحم^(٣).

والأسطورة كما يقول "برونسلاو مالمينوفسكى" الأسطورة تقوم في الثقافة البدائية بوظيفة لا غنى عنها فهي تعبير عن العقيدة وتذكيتها وتنقيتها وتصور الأخلاق وتدعمها وتبرهن على كفاءة الطقوس وتضم قواعد عملية لهداية الإنسان^(٤).

ويعرف دارس الحكايات الشعبية والمأثورات عامة "الأسطورة" بأنها قصة مخترعة، ربما بغرض تفسير الأحداث الطبيعية الخارقة مثل الزلازل أو تفسير ما هو غيرها كطلوع الشمس وغروبها . أو قد يكون غرضها تفسير بعض الظواهر الإنسانية مثل الأحلام . والتي كانت شيئاً محيراً بالنسبة للشعوب البدائية^(٥).

والأسطورة - كما أشار "ليفى شتراوس" - تحاول أن تضع حلاً لأشياء يستحيل حلها في الواقع، وأن توفق بين متناقضات لا يمكن بغير الطريق الأسطوري التوفيق بينها^(٦).

(١) أحمد كمال ذكى : الأساطير . دار الكتاب العربي للطباعة والنشر . القاهرة . ١٩٦٧ . ص ٣ .

(٢) أحمد زكى بدوى : مرجع سابق . ص ٢٤٤ .

(٣) محمد حسين حسن هلال : مرجع سابق . ص ٣ .

(٤) عبد الحميد يونس : الحكاية الشعبية . دار الكاتب العربي للطباعة والنشر . القاهرة . بدون تاريخ . ص ١٨ ، ١٩ .

(٥) فوزى المنتيل : عالم الحكايات الشعبية . مرجع سابق . ص ٨ .

(٦) محمد الجوهرى : علم الفولكلور . مرجع سابق . ص ١٤٠ .

ويرى بعض الأنثروبولوجيين والفولكلوريين أن الحكايات الشعبية يمكن أن تضم قصص الخوارق "Legends" والأساطير "Myths" وقد يستخدم البعض مصطلح الأساطير للدلالة عليها معاً إلا أنه يجب أن نفرق بينها على أساس أن "Legends" هي قصص الخوارق تتناول أحداثاً خارقة للعادة بينما الأسطورة "Myth" هي التي ترتبط بالشعائر والمعتقدات الدينية كما استخدمها مالمينوفسكى^(١).

ج - السمر:

وفي العصر الإسلامي أطلق مصطلح "السمر" و"الأسمار" على الحكايات والقصص التي تتردد في مجالس الخاصة والعامة^(٢). والجمع "أسمار" وتعني في المقام الأول المحادثة ولما استعملت كلمة حكاية بمعنى عام، استردت كلمة "سمر" معناها المتقدم^(٣). وتم التفريق بين الأحداث التاريخية والروايات الواقعية وبين الأسمار التي يتلمس فيها المبدعون أو الجامعون الطريف والعجيب والمثير للخيال^(٤).

د - الحدوتة

أما مصطلح الحدوتة "فهو ألصق المصطلحات بالمأثورات الشعبية، فالحدوتة" تعنى الحدث والإخبار عنه، وقد ارتبطت الحدوتة بلغة الحياة اليومية، واستوعبت النموذج والمثال والطريف والخارق، استهدفت التسلية والترفية والموعظة، واستغلت في تربية النشء وحققت نوعاً من الشيوخ بين المجتمعات، وحفزت إلى العناية بجمع الحكايات الشعبية^(٥).

وقد نشأت "الحدوتة" مع قدرة الإنسان على الكلام في إطار ذلك المجتمع البسيط الذي كان يضم الرجل والمرأة وأبناءهما الصغار، إن "الحدوتة" في ذلك المجتمع كانت عملاً فطرياً دفعت إليه غريزة البقاء، فقد نشأت في إطار التحذير

(١) فاروق أحمد مصطفى : مرجع سابق . ص ٦٣٧ .

(٢) عادل ندا : مرجع سابق . ص ٢٩ .

(٣) أ.جى. بريل : مرجع سابق . ص ٤١٢١ . بتصرف .

(٤) عادل ندا : مرجع سابق . ص ٢٩ .

(٥) المرجع السابق : ص ٢٩ .

والتخويف من الضرر، وتوجيه الأوامر والنواهي لتجنب الخطر، ومن ثم تعتبر "الحدوتة" أول عمل تربوي عرفته الإنسانية منذ بدأ الإنسان يحس بكيانه في هذا الوجود^(١)، وأثر "الحدوتة" وتأثيرها في المجتمع الإنساني أمر لا يستهان به أبداً، فهي بهدفها التربوي قامت ومازالت تقوم بدور كبير في التهذيب وكبح عنان الطفولة الجامح بالتحذير والتخويف^(٢). وتعتبر الحدوتة الطيبة التي تدل على شجاعة أو صدق أو بطولة، تنتج نتائجاً طيباً، والعكس صحيح^(٣).

هـ - الأقصوصة

"والأقصوصة" هي مصغر وتصغير قصة فهي قصة قصيرة يتناول فيها الكاتب ناحية من نواحي الحياة أو جانباً من جوانب شخصيته فيقتصر على واقعة أو وقائع محددة تكون موضوعاً قائماً بذاته مستقلاً بشخصياته . ومجال القاص في هذا النوع ضيق يعتمد على التركيز ولا يسمح بالإطالة والتفصيل ويتطلب عرض الموضوع في إيجاز ووضوح تام^(٤).

و - القصة

"القصة" تستعمل للدلالة على جميع أنواع القصص، ولكن هذه الكلمات أطلقت بوجه خاص من خلال استعمال الفعل "قص"، والاسم "قصص" ذكر في القرآن الكريم وكذلك القصص المحترفين في قصص التهذيب وقصص الأنبياء - وعلى أية حال - فإن من الملاحظ في أيامنا هذه أنها قد اصطنعت للدلالة على الرواية، وكذلك استعملت صيغة التصغير أقصوصة للدلالة على القصة القصيرة^(٥).

(١) أحمد سويلم : السير الشعبية في أدب الأطفال . مجلة الفنون الشعبية . العدد (٥١) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٩٦ . ص٤٢ .

(٢) محمد فهمي عبد اللطيف : الحدوتة والحكاية في التراث الشعبي . مجلة الفنون الشعبية . العدد (٩) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٦٩ . ص٨٠ .

(٣) أحمد أمين : قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية . الطبعة (١) مطبعة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة . ١٩٥٣ . ص١٦١ .

(٤) مصطفى حجازي السيد حجازي : أدب الهوسا الإسلامي . الإدارة العامة للثقافة والنشر . المملكة العربية السعودية . ٢٠٠٠ . ص ١٠١ .

(٥) جى . بريل : مرجع سابق . ص ٤١١٨ . ٤١١٩ .

إن القصة مرتبطة في الأساس بتسجيل الواقع، فالكلمة من "قص الأثر" أي تتبعه، والقصاص هو المتخصص في الكشف عن آثار الأقدام وتتبعها، لذلك اقترنت القصة بالتاريخ، ثم اتسع المدلول ليشمل كل فنون السرد^(١).

وتعد القصة حديثة العهد في الظهور، وربما أصبحت في القرن العشرين أكثر الأنواع الأدبية رواجاً، وقد ساعد على ذلك طبيعتها والعوامل الخارجية^(٢).

ولم يكن من الممكن أن تستعمل كلمة "حكاية" بمعنى القصة من أي نوع إلا بعد أن تكون القصة قد مرت بمراحل كانت تدل فيها على القصة الخيالية التي تتعلق بحوادث عجيبة وقعت في عصر سالف أو في بلاد بعيدة أو تتحدث عن تعاون الجن والسحرة، ولكنها تتضمن صوراً من صميم الحياة التي عرفها القراء أنفسهم^(٣).

ز - الرواية

إن "الرواية" بمعنى تكرار ما يقال وحفظه، فيقال روى الحديث والشعر، أي حفظه، فيقال رويت الحديث والشعر رواية فأنا راو^(٤)، والرواية تعنى النقل الشفوي لحديث أو لقصيدة أو لقصة، وقد احتفظ مصطلح رواية بهذا المضمون في مصطلح الحديث، وفي قواعد اللغة وفي النقد وكان مرادفاً في بعض الأحيان لكلمة "حكاية" بمعنى نقل الحقائق ووضعها، وقد اصطنعت في العربية الحديثة للدلالة على القصة أو الرواية بمعناها القصصي أو المسرحي أو الفيلم^(٥).

وأخيراً إن مفهوم الحكاية الشعبية قد استخدم في المجتمعات الإفريقية عامة ومجتمع الهوسا خاصة استخدامات مختلفة وتطور على مر العصور إلى أن استقر إلى مفهوم الحكاية الشعبية، وقد يختلط الأمر على مستمعي الحكاية الشعبية عند

(١) عادل ندا : مرجع سابق . ص ٢٨ .

(٢) عز الدين إسماعيل : الأدب وفنونه دراسة وتقد . الطبعة (٣)، دار الفكر العربي . القاهرة . ١٩٦٥ . ص ١٦٤ .

(٣) أجي . بريل : مرجع سابق . ص ٤١٠٧ . ٤١٠٨ .

(٤) صفوت كمال : الحكاية الشعبية الكويتية . مرجع سابق . ص ٥٩ .

(٥) أجي . بريل : مرجع سابق . ص ٤١٢٠ . ٤١٢١ .

سماعها فى المفهوم الذى يطلق عليها، فقد يطلق عليها البعض مفهوم حدوتة وقد يطلق عليها البعض الآخر أسطورة أو سمر أو ما إلى ذلك، فإن المجتمع التقليدى يستخدم معظم المفهومات السابقة الذكر على أنها تؤدى إلى نفس المعنى .

٥- نشأة الحكاية الشعبية الهوساوية .

لاشك أن الحكايات الشعبية هى ثمرة تفكير إنسانى، وعقل البشر هو مبدعها، وهى ليست عمل فرد بذاته، بل هى " إنتاج جماعى " شارك فيه الكثيرون، ويقاؤها وخلودها يؤكدان سلامتها وروعيتها، مهما تضمنت من عنف وقسوة، إنها فى حد ذاتها لها جمالها ثم هى موحية للكتاب بالكثير^(١).

وإذا نظرنا إلى الماضى البعيد نجد الإنسان البدائى كان يعود إلى أهله آخر النهار بعد يوم حافل بالمشاق والمغامرات، (من أجل حصوله على الطعام) فيحكى لهم ما لقى من مصاعب ومتاعب جمّة، وأمور غريبة ومواقف عصبية، وكان يشد أسماعهم بحكاياته، وهكذا تطورت الحكاية مع مرور الأيام وأصبح لها خصائصها الفنية، كما أصبحت أكثر الأنواع الأدبية شيوعاً، لأنها تتصل بوجودان الإنسان منذ عرف الحياة كما ذكرنا، فالحكاية فى شكلها البدائى قديمة قدم الإنسان، سايرته وسارت معه من البدائية إلى الحضارة^(٢).

ويرى بعض المتخصصين أن " الحكاية الشعبية " فى البداية كانت من صنع الجماعة الإنسانية والمجتمع مجهولة المؤلف إلى أن بدأ كتابتها فظهر دور الفرد بالنسبة لها، وتؤدى الجماعة الإنسانية دوراً مهماً فى تطويرها وإذا كان هناك فرد ألف الحكاية الشعبية فهناك مجموعة من الرواة يروونها فتتأثر الجماعة وتعكس تفاعلاتها وتحكى خصائص الجماعة الاجتماعية والعقائدية والتاريخية والعرقية^(٣).

(١) عبد التواب يوسف : مرجع سابق، ص ١١ .

(٢) هدى محمد قناوى : مرجع سابق . ص ١٤٧ .

(٣) فاروق أحمد مصطفى : مرجع سابق . ص ٦٣٦ .

ويمثل المجتمع المنشأ الذى أطلقت منه كافة الأعمال الأدبية والإطار الذى تقع فيه هذه الأعمال^(١).

وانتشار "الحكايات الشعبية" من مجتمع لآخر أمر ممكن أن يقارن بدقة بانتشار التبغ أو أحد الطقوس أو المفاهيم الدينية أو آلة أو تقنية أو مبدأ قانونى، حيث يمكن أن تقبل الحكاية أو ترفض، فإذا قبلت تعدل حتى تتفق مع الأنماط الثقافية القائمة، وهى عملية يصفها علماء الأنثروبولوجيا بالتكامل "integration"^(٢).

وفى الحقيقة إنه لا يستطيع أحد أن يزعم بمعرفة عمر الحكاية الشعبية عامة، والهوساوية خاصة، فالمسرح الأول " للحكاية الشعبية " هو الأرض، أو البيئة التى عاش فيها الإنسان الأول صاحب أقدم حكاية عرفها التاريخ وزمن الحكاية الشعبية الأول هو ذلك الزمان البعيد الذى تفجرت فيه ينابيع الحكاية الشعبية وخرجت منها أقدم حكاية ظهرت فى عمر الزمان^(٣).

" إن حكاية الهوسا الشعبية " فى الواقع، ما هى إلا لون من نسيج الحضارة الإفريقية العريقة التى اعتمدت فى معظم جوانبها على الكلمة التى كانت دائماً المعبر الأساسى عن تلك الحضارة قبل أن يعرف الإنسان التدوين عن طريق الكتابة، فالكلمة هى الأساس ولها قدسيته، لأنها كانت همزة الوصل - ولا تزال - الوحيدة التى تربط بين الأجيال، جيل بعد جيل، ولقد ظلت الحكاية الشعبية الهوساوية، ومنذ ظهورها تتوارث بين الأجيال توارثاً يعتمد على المشافهة، وقد ظل الحال على ما هو عليه عبر الأزمان البعيدة، وحتى عصور التدوين^(٤).

وكان رواة الحكاية الشعبية يستلهمون حكاياتهم من خلال الواقع والأحداث التى يعيشونها، فكانوا ينسجونها حسبما تتوافق وذوق جمهور المستمعين، هادفة إلى توضيح الرؤيا - رؤيا الأحداث الجارية - عاملة على استخلاص العبر والمواعظ

(١) صبرى إبراهيم على سلامة: بعض معتقدات الهوسا وعاداتهم « دراسة فى الأدب الهوساوى . مجلة الدراسات الإفريقية . العدد (٢١) . جامعة القاهرة . ١٩٩٩ . ص ٩١ .

(٢) وليم ر. باسكوم: مرجع سابق . ص ٥١ .

(٣) صبرى إبراهيم على سلامة: صور من بلاد الهوسا . مرجع سابق . ص ٥٨ .

(٤) صبرى إبراهيم على سلامة، عمر السيد عبد الفتاح: مرجع سابق . ص ٨ .

منها، وكانت تروى هذه الحكايات من خلال مجالس سمر تعقد عادة فى الليالى القمرية يتوسط فيها القصاص جمهور الحاضرين من الرجال والنساء والشباب من البنين والبنات، وكذلك صغار الأطفال على مختلف أعمارهم، ويحكى لهم ما شاء له أن يحكى، وهم مستمتعون بما يحكىه عليهم القصاص من روائع الحكايات^(١).

وأخيراً إن الأدب الشفاهى بصفة عامة والحكاية الشعبية بصفة خاصة ما هو إلا عمل إنسانى عام شعبى غير فردى، عمل يشعر به الجميع ويفهمه الجميع، فهو إنتاج تلقائى لشعب ما، عمل مجهول المؤلف، فهو إنتاج لشخص أو اثنين ولكن سرعان ما تتناوله الجماعة لتعدله وتملكه وتضيف إليه وتحذف منه، فهو ينتقل من راو إلى آخر، فيضيف الأول بعض التفاصيل ويحذف الآخر البعض أو يدمجها مع تفاصيل أخرى^(٢).

٦- أشكال الحكاية الشعبية الهوساوية

منذ زمن بعيد ظهرت الحاجة إلى تصنيف "الحكاية الشعبية" وقد اختلفت آراء العلماء والدارسين حول تصنيفها اختلافاً كبيراً .

وذلك لأن الحكاية الشعبية لها أشكال كثيرة، منها ما يحكى على السنة الحيوانات، ومنها ما يشترك فيها الإنسان مع الحيوان، وما يتعلق بالبطولة والمغامرات الإنسانية، ومنها ما يختص بالأساطير والخوارق، ومنها ما يتصل بالفكاهة، أو بالتاريخ، أو بالعقائد، وغيرها من - الأطر التى تهدف إلى تسلية الأفراد وإحداث اللذة الفنية وإمتاع الشعوب.

فالحكاية الشعبية عادة لا تلتزم بأشكال فنية ثابتة أو قوالب محددة أو مضامين معينة، فهى دائمة التطور والتجدد فى صورها، وأشكالها، وموضوعاتها، ليس بسبب اختلاف الزمان والمكان فحسب، وإنما لاختلاف المتلقى كذلك، سواء من حيث المستوى الثقافى، أو العمر الزمنى، أو غير ذلك من أسباب، وبعض العلماء وسعوا دائرة التصنيف لتشمل الأشكال التالية أو بعضاً منها.

(١) صبرى إبراهيم على سلامة : صور من بلاد الهوسا . مرجع سابق . ص ٥٩ .
(٢) غراء مهنا : «حول أصل وانتشار الحكاية الشعبية » . مجلة الفنون الشعبية . العدد (٢٣) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٨٨ . ص ٣٦ .

أ - الحكايات التعليلية Explanatory or Etiological Tales

وهى تلك التى يحاول الإنسان من خلالها أن يجد تفسيراً أو تعليلاً لأحد الظواهر الطبيعية، وذلك مثل حكاية "المصارعون وإبليس"^(١) التى تعلل سبب هزيم الرعد بأنه نتيجة الصراع القائم بين إبليس وأحد المصارعين.

ب - الحكايات البطولية Hero Tales :

وهى الحكايات التى تعتمد على شخصيات تقوم بأعمال بطولية، وتواجه مخاطر كثيرة، ولكنها تتجح فى النهاية فى حل مشكلات المجتمع، وهى عادة تتميز بمميزات خاصة لا تتوفر للناس العاديين وهذا النوع من الحكايات مثل حكاية "إذا كنت تحفر حفرة للشر فلا تعمقها"^(٢).

ج - حكايات المآزق Dilema Tales

إن شخصيات هذا النوع تقوم بأعمال فوق طاقة البشر، أو تخير بين خيارات صعبة التنفيذ، ثم تواجه العقبات الكثيرة التى تتطلب عليها فى النهاية بطرق وأساليب غير عادية، مثل حكاية "فليهتم كل بنفسه"^(٣).

د - حكايات المخادعين Trickster Tales

حكايات المخادعين هى التى تدور حول شخصية مثيرة سواء أكانت من الإنسان أم الحيوان، أم نصف إنسان أم نصف حيوان، حيث تقوم هذه الشخصية بأعمال بطولية، لتحقيق بعض الأمنيات أو الرغبات لبعض ضحايا الظلم أو القهر وكثيراً ما تكون هذه الشخصية مثقفة ووافدة من بيئة أخرى، وقادرة على هزيمة الوحوش، لإيجاد معارف ومفاهيم جديدة لهذا المجتمع .

هـ - حكايات الحيوان Animal Tales

تعد حكايات الحيوان من أقدم أشكال الحكايات الشعبية إن لم تكن أقدمها على

(١) انظر الرسالة : ص ٢٠٩ .

(٢) انظر الرسالة : ص ١٨٧ .

(٣) انظر الرسالة : ص ١٠٨ .

الإطلاق . وهى فى أبسط صورها ، حكاية شارحة أو مفسرة من حيث جوهرها ، أو قل إنها حكاية ترمى إلى شرح علة أو غاية . بمعنى أنها تفسر الظواهر الطبيعية تفسيراً ميتافيزيقياً أسطورياً على حسب عقائد الشعب .

وهذا الشكل من الحكايات يجعل الحيوان شخصاً أساسياً من شخوص الحكاية فيتصرف تصرفات الإنسان العاقل وتستخدم هذه الأنواع فى الحكاية للوعظ والإرشاد عن طريق الرمز بالحيوان ، أو تبقية حيواناً يتصرف على أنه حيوان مع الاحتفاظ بصفاته الأساسية كالدهاء للحية ، والمكر للثعلب ، والقوة للأسد ، والوداعة للحمام ، والخوف للأرنب .

وذلك مثل حكاية "مزرعة الحيوانات"^(١) و"السنجاب والقنفذ"^(٢) و"منع الآخر منع للنفس"^(٣) و"السنجاب البرى والأسد"^(٤) و"الثعلب ملك الحيلة"^(٥) و"كفى عبرة ما يحدث للأخرين"^(٦) و"ضفدعتان"^(٧) و"لكل بعيد أبعد منه"^(٨).

و - الحكايات الخرافية Fablas

يزخر تراث الهوسا فى نيجيريا - مجتمع الدراسة - بعدد كبير من هذه الحكايات . وقد انتهى الباحث الألمانى "فريدريش ديرلاين" إلى أن الحكاية الخرافية البدائية ، تكونت فى الأصل من أخبار مفردة نبعث من حياة الشعوب البدائية ومن تصوراتهم ومعتقداتهم ، ثم تطورت هذه الأخبار واتخذت شكلاً فنياً على يد الراوى الشعبى ، وأصبحت لها قواعد وأصول محددة . والخرافة معتقد أو ادعاء يكتسب أهمية من اتفاق الناس ، على واقعيته وفائدته العملية .

- (١) انظر الرسالة : ص ٩٣ .
- (٢) انظر الرسالة : ص ١٩١ .
- (٣) انظر الرسالة : ص ١٩١ .
- (٤) انظر الرسالة : ص ١٩٢ .
- (٥) انظر الرسالة : ص ١٩٣ .
- (٦) انظر الرسالة : ص ١٩٣ .
- (٧) انظر الرسالة : ص ٢١٩ .
- (٨) انظر الرسالة : ص ٢٢٠ .

والخرافة تختار لها عالماً خاصاً يزخر بالسحر والجمال والرغبة والقوة، وهي بصفة خاصة تعبر دائماً عما يشغل اللاشعور الجمعي . ويؤكد الأنثروبولوجيون مثل تايلور "ولانج" أن موضوعات الحكاية الخرافية تصدر عن تصورات دينية من الممكن أن تنشأ منفصلة بعضها عن بعض، ويرى الباحث الفرنسي "سانت بييف" في الحكاية الخرافية بقايا طقوس قديمة .

ويرى بعض الدارسين أن الحكاية الخرافية لون من ألوان الأساطير . وتعتبر الحكاية الخرافية الشعبية شكلاً أدبياً تلتقى فيه ظاهرتان، الطبيعة الإنسانية - ظاهرة الميل إلى الشيء العجيب - وظاهرة الميل إلى الشيء الصادق والطبيعي، فحيث تلتقى هاتان الظاهرتان توجد الحكاية الخرافية، ولا بد أن تجمع بين هاتين الظاهرتين علاقة صحيحة لكي لا تفقد الحكاية الخرافية سحرها وقيمتها .

وشغوص الحكاية الخرافية قد تكون أشكالاً بدون أجساد بلا وقائع وبلا عالم على خلاف ما هو في عالمنا الواقعي، أي أن عالم الخرافة مسطح بلا أعماق ولا أبعاد وخير مثال لمثل هذا النوع من الحكايات حكاية " أربع بنات عجيبات"^(١).

ز - حكايات العمالقة والغيلان Orge / Monster Tales :

شخصيات هذا النوع عمالقة أو أشباح أو شخصيات خرافية أخرى، وهي عادة شريرة تخدع الناس وتآكل لحوم البشر، وتقوم بعمل أي شيء للوصول إلى أغراضها الشريرة، وكل قبيلة من القبائل الإفريقية لديها شخصية من هذا النوع، لها اسم خاص، وهي تخشاها، وتتقى شرها بأعمال وممارسات خاصة وذلك مثل حكاية "كيف قتل أوتا دودو"^(٢).

(١) انظر الرسالة : ص ١٤٠ .

(٢) انظر الرسالة : ص ١٥٤ .

ح - حكايات الأشباح والأرواح Ghost / spirit Tales

شخصيات هذا النوع عبارة عن أرواح غامضة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، أو تتمص شخصيات موجودة، وتظهر فى الأحلام، وتامر بأعمال، وتقدم معلومات وأسراً للناس مثل حكاية " الولد البطل والأرواح" (١).

ط - الحكايات المرحية Joiful Tales

والحكايات المرحية هى تلك الأحداث القصيرة، المنتثرة أو المنظومة التى تحكى نادرة أو سلسلة من النوادر، وتنتهى إلى موقف فكه مرح، وتندر فيها عناصر الخوارق وحين تظهر هذه العناصر تكون وظيفتها أن تخلق القاعدة التى يقوم عليها الموقف المرح لا أن تخلق الموقف نفسه، ويؤخذ موضوعها من الحياة اليومية وهذه الحكايات يقصد من ورائها التخفيف من متاعب الإنسان النفسية (٢).

(١) انظر الرسالة : ص ١٥٥ .

(٢) لجأت الباحثة فى دراستها لأشكال الحكاية الشعبية إلى المراجع التالية :

إبراهيم محمد مدحت غيث : مرجع سابق . ص ٢٤ : ٢٦ .

أحمد سويم : التربية الثقافية للطفل العربى . مرجع سابق . ص ٦٤ .

أحمد كمال زكى : مرجع سابق . ص ٦١ .

الكزائدر هجرى كراب : علم الفولكلور . ترجمة: رشدى صالح . وزارة الثقافة . القاهرة . ١٩٦٧ . ص ١١٤ .

- محمد طالب الدويك : مرجع سابق . ص ١٥٤ : ١٦٤ .

- محمد عبد الواحد محمد : خرافات الهوسا وعاداتهم . مجلة الفنون الشعبية . العدد (٥٢) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٩٦ . ص ١٠٦ .

- محمد غنيمى هلال : الأدب المقارن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة بدون تاريخ . ص ١٧٧، ١٧٨ .

- محمود ذهنى : بين الأدب الشعبى وأدب الطفل . مجلة الفنون الشعبية . العدد (٢١) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٨٧ . ص ٣١ .

- هدى محمد قناوى : مرجع سابق . ص ٢٢٦ .

- فاطمة حسين المصرى : الشخصية من خلال دراسة الفولكلور المصرى . دراسة نفسية تحليلية أنثروبولوجية . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٨٤ . ص ٩٥ ، ٩٦ .

- فردريش فون ديرلاين : مرجع سابق . ص ٦٧ ، ٦٨ .

- فوزى المنتيل : حكايات الحيوان وتطورها . مجلة الفنون الشعبية . العدد (١١) . الهيئة المصرية العامة

وذلك مثل حكاية " اللعبة العقلية" (١).

٧- مصادر الحكاية الشعبية الهوساوية

إن عالم الحكاية الشعبية، عالم زاخر بالعجائب، ممعن في الخيال، عالم يبعث الحس في الإنسان والحيوان، والنبات، والجماد، وتلغى فيه أبعاد الزمان والمكان، وتفيض فيه مشاعر الوفاء والتضحية، والعدل، وينتصر فيه الخير دائماً (٢).

ويعتبر المصدر الأول والأساسي للحكاية الشعبية هو الثروة الثقافية لشعب من الشعوب، التي يحفظها سمار القرى وجمهور المداحين وعاشقوا الفن، وكافة مبدعى التراث الذين ينشدون الموالم، والمثل، والقول المأثور، والشعراء والباعة الجائلون والمنشدون للأذكار، الذين يرددون كل هذه الأنواع (٣).

والثروة الثقافية مصدرها الإنسان في المجتمع في حركته اليومية وإقامته وارتحاله وهجرته واحتكاكه بالآخرين، وتعرضه للحوادث الإنسانية والطبيعية، وتفكيره في الظواهر الطبيعية والملموسة والخفية. " ولا جدال في أن الطبيعة هي التي تمدنا بالموارد الوحيد لمادة الأدب والفن في شكلها النهائي، على الرغم من أن الطبيعة أغنى وأعمق في محتواها من الفن بدرجة تفوق المقارنة، فإن الناس مع ذلك لا يقنعون بالطبيعة ويطلبون الفن، لأن أشكال الأدب والفن الخالقة، تفوق الطبيعة في أنها أكثر انتظاماً وأكثر مثالية، ولهذا فهي أشد شمولية ". والمصدر الثاني ولاشك هو الاقتراض من الآخرين والتأثر بتراثهم وثقافتهم، فالأفارقة الذين تأثروا بالحضارة العربية الإسلامية، قد نقلوا عن العرب وغيرهم الكثير من

للكتاب . القاهرة ١٩٦٩ . ص ١٣ .

- نبيلة إبراهيم : أشكال التعبير في الأدب الشعبي . دار نهضة مصر للطبع والنشر . القاهرة . ١٩٧٤ . ص ٦٦ .

- نبيلة إبراهيم : الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق . مرجع سابق . ص ١٣٦ .

- مرسى الصباغ : القصص الشعبي العربي في كتب التراث . دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر . الإسكندرية . ١٩٩٩ . ص ١٤٥ .

(١) انظر الرسالة : ص ١٠٨ .

(٢) صبرى إبراهيم على سلامة : صور من بلاد الهوسا . مرجع سابق . ص ٦٢ .

(٣) إبراهيم محمد مدحت غيث : مرجع سابق . ص ٢٧ .

الحكايات، وطورها وغيروا فيها، كي تتفق مع ظروفهم المكانية وأفكارهم وثقافتهم الإفريقية^(١).

ويعتبر الإنسان حامل هذا التراث الشعبي هو الذى ينقل هذه الظاهرة عبر الزمان وينشرها عبر المكان، فهو وراء الظاهرة المدروسة، ولا وجود ولا حياة لهذه الظاهرة بدونه^(٢).

- وإضافة إلى ما سبق يمكن القول بأن - للحكاية الشعبية مصادرها التى يعتمد عليها الراوى فى نسج حكايته التى يتقدم بها إلى جمهور المستمعين، وقد تتعدد هذه المصادر، وتختلف، ويصعب أيضاً تحديدها تحديداً دقيقاً إلا أننا يمكن أن نورد بعضها على النحو التالى:

البيئة وما تحتوى، والوضع الاقتصادى، وعلاقة الجوار مع الشعوب والقبائل المجاورة، وطبيعة هذه العلاقة، والغارات القبلية، والتأثير والتأثر على المستويين الداخلى والخارجى، والاقتباس، والمعتقد الدينى، والخيال ومهارة الراوى وبراعته فى التأليف، فالبيئة الهوساوية مصدر من المصادر التى يستمد منها الراوى كثيراً من حكاياته، حيث الغابات الكثيفة، والوحوش الضارية، والطيور الجارحة، وإلى غير ذلك كثير، فهناك من يعتمد فى حكاياته على حيوان أليف، أو سبع ضار، أو طير وديع، أو آخر جارج، لياخذ من طباعها الرمز الذى يريد أن يرمز به إلى ما يود الحديث عنه والتتويه إليه، وربما يرجع السبب فى اعتماد الكثيرين من رواة حكاية الهوسا الشعبية على الحيوان، إلى محاولة تقليد الهنود الذين يرجع إليهم السبق الأول فى استخدام الحيوان فى القصص منذ زمن بعيد، بل إنهم أيضاً عملوا على تنمية هذا النوع وتطويره، حيث كان " الهنود " يهدفون إلى محاولة لتفهم أوسع للعلاقة بين الإنسان والحيوان، وإلى معرفة دور الحيوان فى أحلام الإنسان وتطلعاته نحو عالم أفضل^(٣).

(١) المرجع السابق : ص ٢٧ .

(٢) محمد الجوهري : علم الفولكلور . مرجع سابق . ص ٢٥٧ .

(٣) صبرى إبراهيم على سلامة، عمر السيد عبد الفتاح . مرجع سابق . ص ١٦، ١٥ .

وتؤدى العوامل - السابقة - وغيرها الدور الأساسى فى نسج وتكوين الحكاية الشعبية، معتمدة فى الأساس على مهارة الراوى الفنية، وبراعته فى التأليف، وقدرته على شد انتباه المستمعين للحكاية، وجذبهم إليه^(١).

وأخيراً قد تبين مما سبق أن مصادر الحكاية الشعبية كثيرة ومتعددة، ولذلك فهى تعطى لراوى الحكاية الشعبية الفرصة فى إطلاق خياله وأفكاره إلى مالا حدود، وتظهر لنا حكايات كثيرة متعددة ومتنوعة بتنوع الحياة الإنسانية وما فيها ٨- جمع وتدوين الحكاية الشعبية الهوساوية

إن مهمة الفولكلورى تعتمد أساساً على النصوص والمواد التى تجمع من الميدان والتى يعاد جمعها مرة ثانية وثالثة أو أكثر، وعلى ذلك فالفولكلورى الذى يتولى دراسة التراث الإفريقى يجب أن يكون خبيراً بالعمل الميدانى، وجمع المادة الفولكلورية وتمييزها عن غيرها، ثم تصنيفها بعد ذلك^(٢).

ويرى بعض المشتغلين بعلم الفولكلور، أنه من الضرورى العمل على جمع وتنقية أو تطوير بعض عناصر التراث الشعبى، التى تتمتع بقدرة هائلة على الانتشار وجذب الناس (فتضمن النجاح التجارى) وتنطوى فى الوقت نفسه على ذخيرة كبيرة من القيم والمعانى والنواحي التربوية . كما أنها قد تقيد فى نظر فريق آخر فى تنمية ودعم معانٍ وقيمٍ سياسية وطنية أو قومية، وقد يتفق هؤلاء الفرقاء جميعاً، وقد يرى ذلك بعضهم فقط، أن هذه المواد التراثية الشعبية تتضمن مع ذلك بعض "العبارات الخارجة"، أو قيماً سلبية إلى جانب القيم الإيجابية العظيمة، أو لغة ركيكة مبتذلة، أو كلاماً غامضاً بطل استعماله إلى غير ذلك^(٣) .

ولا خلاف على أن الذاكرة الشعبية الجماعية قد حفظت لنا هذا التراث المتواتر منذ القدم^(٤).

(١) المرجع السابق . ص ١٦ .

(٢) أحمد على مرسى : مقدمة فى الفولكلور . مرجع سابق . ص ١٧ .

(٣) محمد الجوهري، وآخرون : دراسات فى علم الفولكلور . مرجع سابق . ص ١٤٤ .

(٤) إبراهيم محمد مدحت غيث : مرجع سابق . ص ٢٠ .

وفى الواقع أن تدوين الحكايات الشعبية بأنماطها التعبيرية المختلفة فى كتب التراث المتعددة ليست صيغاً مستحدثة وليست مقصورة على طبقات معينة مثل : الطبقات الشعبية وعامة الناس، بل هى فنون قولية أدبية متواترة، وجدت لدى عدد غير قليل من الكتاب والأدباء العظام، هؤلاء الذين وعوا وعرفوا قيمة هذا الإبداع وعياً فنياً ومعرفة موضوعية وأدركوا وظيفته فى الحياة اليومية للإنسان، فاحتقوا به وسجلوه فى أعمالهم تلك الأعمال التى شكلت بصيغها الفنية والأدبية، الطابع المتميز لهذا التراث، بما تحويه تلك الصيغ من دلالات ثقافية^(١).

ولقد ظلت الحكاية الشعبية منذ ظهورها تتوارث بين الأجيال، توارثاً يعتمد على المشافهة، وظل ذلك حتى عصور التدوين، وتشير بعض المصادر إلى أن تدوين حكاية الهوسا الشعبية بدأت أول خطواتها فى النصف الأول من القرن العشرين، وكان ذلك على أيدى بعض المهتمين بالأدب الهوساوى، ويأتى فى طليعة هؤلاء الحاج أبو بكر إمام الذى يعد - بحق - رائد حركة النهضة الحديثة للحكاية الشعبية فى أدب الهوسا - إذا جاز التعبير-^(٢).

ويرجع اهتمام أبى بكر إمام بجمع وتدوين الحكاية الشعبية - التى تمكن من جمعها - على أنها جزء مهم من التراث الأدبى لشعب الهوسا، الذى ظل متداولاً عن طريق النقل الشفاهى عبر سنوات طويلة يصعب على وجه الدقة تحديدها والوصول إلى زمنها الأول الذى بدأت فيه، ومن الدوافع التى دفعت بأبى بكر إمام للقيام بهذا العمل، خوفه من أن يندثر هذا التراث الشعبى "الحكاية الشعبية" ويموت بموت العارفين به من الناس، كذلك خشية منه من أن يتأثر هذا الفن بالمستحدثات من الأمور، كأن يصيبه تغير بسبب التأثير الاستعمارى على حضارة وثقافات هذا الشعب، فيدخل فيه اللحن، والإبهام، والتحريف المتعمد الذى يهدف لطمس المعالم الحقيقية لهذا التراث الشعبى، ولقد سعى أبو بكر إمام جاهداً لجمع الحكايات الشعبية من أفواه العارفين بها، فظل ينتقل بين الناس فى ربوع البلاد من

(١) صفوت كمال : الحكاية الشعبية الكويتية . مرجع سابق . ص ٩٠ ، ٩١ .

(٢) صبرى إبراهيم على سلامة : صور من بلاد الهوسا . مرجع سابق . ص ٥٩ .

أجل جمع ما يتيسر له من الحكايات الأصلية، حتى تمكن بالفعل من جمع بعض الحكايات - التي أثرت في مجتمع الهوسا-(^١).

ومن حكايات أبي بكر إمام الشعبية، حكاية " الماء الشافى Ruwan Bagaja" التي قدمها في عام ١٩٣٤م، والتي حصل بها على الجائزة الثانية التي أقامها "إيست" والحكاية تقول بأن هناك نوعاً من المياة يعرف بـ"الماء الشافى" فإذا شرب منه سقيم شفى من سقمه، وإذا شرب منه صحيح البدن ازداد قوة على قوته، فلا يصارع أحداً إلا وقد غلبه، وهذه الحكايات بدأ أصحابها في تدوينها، وطبعها وطرحها لجمهور القراء، وكتبت باللغتين الإنجليزية والهوساوية، ولكن نصيب ما كتب بلغة الهوسا كان أكثر بكثير مما قدم باللغة الإنجليزية(^٢).

ومن روائع أبي بكر إمام أيضاً سلسلة الحكايات الشعبية التي نسجها مترابطة مع بعضها البعض، حيث تكون نهاية الحكاية بداية لحكاية أخرى، وجعل بطل هذه السلسلة " البيغاء Aku" الذي عينه الملك - فيما بعد- وزيراً لشئون البلاد . وقد جمع أبو بكر هذه الحكايات ووضعها تحت عنوان " الكلام رأسمال Magana jari ce" ووقعت في ثلاثة أجزاء من القطع المتوسط وفي تجربة غير مسبوقة قام بها الدكتور "مصطفى حجازى السيد حجازى" - أستاذ لغة الهوسا وآدابها المتفرغ بجامعة القاهرة - قام بترجمة هذا الكتاب "الكلام رأسمال" بأجزائه الثلاثة إلى اللغة العربية ونشر بالمجلس الأعلى للثقافة(^٣).

وبدأت حركة الاهتمام بحفظ التراث الشعبى وتدوينه، خاصة في مجال "الحكاية الشعبية" تتشط وتزداد يوماً بعد يوم، وإلى جانب أبي بكر إمام من المهتمين بـ "أدب الهوسا" عامة وبـ "الحكاية الشعبية" خاصة البروفيسور "إبراهيم يارو يحيى Ibrahim Y. Yahaya"؛ حيث نهج في الحكاية الشعبية نهج أبي بكر

(١) المرجع السابق : ص ٥٩ ، ٦٠ .

(٢) المرجع السابق . ص ٦٠ .

(٣) المرجع السابق : ص ٦٠ .

إمام فى اهتمامه بها وجمعه لها . كما حرص أيضاً على أن يدونها باللغة المحلية "لغة الهوسا"، وقد جمع ما تيسر له من الحكايات ودونها فى سلسلة من الحجم أقل من المتوسط، وجاءت فى ستة أجزاء، وجاءت تحت عنوان " الحكايات الشعبية والفن المسرحى Tatsuniyoyi Da Wasanni"؛ وتم نشرها فى فترة السبعينيات من القرن العشرين . ومن أشهر الحكايات التى جمعها وقدمها إبراهيم يارو يحيى حكاية "الدجاجة البرية والكلب الصغير Zabuwu Da Dan Kwikwiyo" وحكاية "موسى ابن الملك Musa Dan Sarki" وحكاية " الماء الشافى Ruwan Bagaja " وحكاية "فيفى داللو Fifi Dallo " . هذا بالإضافة إلى العديد من الحكايات الأخرى التى أوردها إبراهيم يارو يحيى^(١).

وتؤدى الحكاية الشعبية الإفريقية الحديثة دوراً مبهراً فى دعم التصورات الفكرية والمناقشات التى تدور حول قضايا معاصرة، حيث يتم الاستشهاد بالحكايات الشعبية المعروفة، والمعترف بها لدى جميع الأفراد لتأييد رأى ما والدفاع عنه، أو إثبات أصالة الثقافة وقيمتها الاجتماعية^(٢).

" وعلى الرغم من أن التصورات التكنولوجية التى حدثت فى القرن العشرين فى مجال معالجة الحكاية الشعبية وعرضها فما زالت الجهود المبذولة فى حاجة إلى المزيد وإلى الأدوات التكنولوجية الحديثة لجمع وعرض الحكاية من اللقاء المباشر بين الحاكي والسامع"^(٣).

٩- رواية الحكاية الشعبية الهوساوية

لقد اهتم كثير من الأنثروبولوجيين والفولكلوريين والاجتماعيين عند دراساتهم للحكاية الشعبية والأساطير بالرواية، فالراوى هو الذى يحفظ هذا التراث؛ لأنه

(١) المرجع السابق : ص ٦٠ ، ٦١ .

(٢) فالترا ودفولر : ماتياس فولر : الحكاية الشعبية فى القرن العشرين . ترجمة: أحمد عمار . مجلة الفنون الشعبية . العدد (٤٥) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٩٤ . ص ٤٠ .

(٣) المرجع السابق : ص ٤٠ .

يستمتع إليه كثيرًا كما أنه يمتلك موهبة الذاكرة القوية والمقدرة على الحفظ كما أنه يستطيع أن يغير ويبدل في النص حتى لا يصبح التراث جامدًا^(١).

"والراوى أو الراوية" كما جاء في معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية هو "الشخصية التي تقوم بالتعليق السردي المباشر في العرض المسرحي، وتقوم بتوجيه هذا التعليق أساسًا إلى الجمهور، وقد يؤدي الراوى دورًا تمثيليًا إلى جانب التعليق وقد لا يؤدي^(٢) وقد يطلق على الراوى حكواتى، وهو اسم لمن يحفظ الحكايات ويلقيها عن ظهر قلبه^(٣) ولكل قبيلة راوٍ يروى حكاياتها ويحفظ تراثها وهو بالنسبة للقبيلة كتاب غنى، كما أن التقاليد الإفريقية في الرواية الشفوية تقاليد عريقة ولديها القدرة على الاحتفاظ بتراثها المتعدد الغنى في كل المجالات"^(٤).

ويرى الدكتور "على الراعى" أن الحكائين هم فنانون مسرحيون لا شك فيهم، فنانون من طراز ممتاز، فلا أحد يكتب لهم شيئًا، وإنما تلتقط عيونهم الحادة خصائص البشر ومعائب الأفراد، فيجمعون هذه الخصائص والمعائب في شخصية كلية أو مركبة، كما يقول النقد الحديث ويجعلون منها مادة الفكاهة التي تسر عامة الناس وخاصتهم^(٥).

إن فن السرد لا يمارسه بين الشعب سوى أفراد قلائل دائمًا، فليس كل فرد في الجماعة قادرًا على قص الحكايات الشعبية، ومن شأن هذا أن يكفل الراوى مكانة خاصة في أعين أفراد جماعته، فلا بد أن نتصور فيهم "الرواة" تملكًا من ناحية اللغة، ونزوعًا إلى الخيال، وطبيعة خاصة متميزة على أى حال^(٦).

(٤) فاروق أحمد مصطفى : مرجع سابق . ص ٦٤١ ، ٦٤٢ .

(٢) أيمن إبراهيم عبدالله الأعصر : توظيف الراوى فى المسرح السواحلى . مجلة أفاق إفريقية . المجلد (٢) . العدد (٨) . القاهرة ٢٠٠٢ . ص ٨٦ .

(٣) أحمد أبو سعد : قاموس المصطلحات والتعابير الشعبية «معجم لهجى ناصيلى فولكلورى» مكتبة لبنان . بيروت . ١٩٨٧ . ص ١٨٧ .

(٣) إبراهيم محمد مدحت غيث : مرجع سابق . ص ٣٠ .

(٤) صفوت كمال : الحكايات الشعبية الكويتية . مرجع سابق . ص ٧٩ .

(٥) محمد الجوهري، وآخرون : دراسات فى علم الفولكلور : مرجع سابق . ص ١٤٠ .

وأكثر من يقوم بدور الراوى فى الحكاية الشعبية - الهوساوية - هن عجائز النساء يروينها لأحفادهن، وهكذا الأطفال من البنين والبنات يتبادلونها فى أماكن لعبهم، أو فى بيت عروس ما، أو فى غرفة امرأة ما، حيث يلعبون ويتسامرون^(١).

ونظراً لطبيعة الدور الذى يقوم به راوى الحكاية الشعبية يمكن أن نعدّه مؤلفاً ومؤدياً فى الوقت نفسه، ولكن الحدود الفاصلة بين كونه مؤلفاً وبين كونه مؤدياً لا يمكن أن تكون واضحة على الإطلاق، إنه يقوم بالدورين معاً على اختلاف فى درجة إبداعه فى كل منها^(٢).

وقد توصل الباحثون إلى أن الذاكرة الجيدة هى إحدى المزايا المهمة التى يجب توافرها فى المؤدى^(٣) فالحكاية الشعبية بطبيعتها كفن روائى شفاهى تعتمد على مهارة الراوى فى تذكر ما سمع، وخبرته فى نقل ما يعرف إلى غيره- المعلومات الكامنة فى الحكاية الشعبية- بأسلوب يجذب انتباه السامعين إلى ما يقول، وإلى ما يرويّه^(٤).

وينتقى الرواة ما يقدمونه من مواد مما استوعبوه وحفظوه من تراثهم منذ طفولتهم، واضعين فى اعتبارهم ملائمة ما ينتقونه لذوق مجتمعهم وظروفه، والمناسبات المختلفة التى قد يشتركون فيها، وهم فى كل حالة يعرفون ما ينتظر أن يطلب منهم^(٥).

كما يعتز الراوى فى كثير من الأحداث بشرح ما يرويّه تأكيداً بأنه أعلم من غيره بواقع الأحداث التى تتضمنها الحكاية^(٦):

(1) Mahammd Balarabe Umar : op.cit . p.17 . 18.

قام بترجمة هذا النص للغة العربية الأستاذ /حافظ إبراهيم عبد الله .
انظر أيضاً :

Habib Alhassan , Usman Ibrahim Musa : op.cit.p.53 .

(٢) أحمد على مرسى: مقدمة فى الفولكلور . مرجع سابق . ص١٠١ .

(٣) المرجع السابق . ص ١١٨ .

(٤) صفوت كمال : الحكايات الشعبية الكويتية . مرجع سابق . ص ٤٣٩ ، ٤٤٠ .

(٤) أحمد على مرسى : مقدمة فى الفولكلور . مرجع سابق ص ١٢٤ .

(٦) صفوت كمال : الحكايات الشعبية الكويتية مرجع سابق . ص٤٤١ .

ويشير "شوب Schub" إلى أن الأداء طريقة للاستخدام اللغوى وطريقة للكلام، فاللغة والأسلوب، إلى جانب قدرة المؤدى ومهاراته تشترك كلها فى تشكيل النصوص الشعبية المختلفة إلى حد كبير، كما يمكن استخدامها لبيان دور المؤدى فى صياغة مادته وتقديمها بصورة تجعل الجماعة تنفعل به، وهو المعيار الذى يتم على أساسه الحكم على نجاحه فى أن يكون مؤدياً حقيقياً متميزاً^(١).

وتعتبر العلاقة بين الراوى والجمهور غاية فى الأهمية ويفسر تكاملها جزءاً كبيراً من نجاح الحكاية بوصفها أكثر الظواهر شيوعاً فى المجتمعات التقليدية، ولا تكتسب الحكاية وجوداً حقيقياً إلا فى اللحظة التى يعجب فيها المستمع بها ويقود توصيلها إلى مستمعين جدد، وتعتمد حياة الحكاية بالكامل على هذه المشاركة بين الراوى وجمهوره، كل منهما تاركاً قدرًا كافيًا من الحرية للآخر حتى يصل إلى دلالة مكتملة وخاصة به، للحكاية المروية^(٢).

وإذا حاول الراوى أن يعبر فى حكايته عن خبرات شخصية بشكل مبالغ فيه، فإن المستمعين لن يتقبلوها، وفى هذه الحالة فإن الحكاية تهوى مع صاحبها العنيد إلى القبر^(٣).

ولقد فرق "فون سيدوف" عالم الفولكلور السويدى، بين الحامل الإيجابى للتراث والحامل السلبى له وقال: "إن الحاملين الإيجابيين للتراث هم هؤلاء الأفراد الذين يحكون الحكايات وينشدون الأغنيات. وربما كان هؤلاء على عكس الحاملين السلبيين للتراث، والذين يستمعون فقط لما يؤديه الحاملون الإيجابيون". ويرى أيضا فون سيدوف: أن هناك فى أى جماعة أو مجتمع عددًا قليلًا من

(١) ويليام باسكوم: الكتاب السنوى لعلم الاجتماع. عرض عبدالله لؤلؤ، إشراف محمد الجوهري. العدد (١). كلية الآداب. جامعة القاهرة. ١٩٨٠. ص ٣٥٦.

(٢) جاك شوفرييه: نظرة إلى التراث الشفهى فى إفريقيا السوداء، ترجمة نورا أمين. مجلة الفنون الشعبية. العدد (٤٧). الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. ١٩٩٥. ص ٧٧، ٧٦.

(٣) فالتراد فولر: ماتياس فولر: مفهوم الحكاية الشعبية. ترجمة: أحمد عمار. مجلة الفنون الشعبية العدد (٤٧). الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. ١٩٩٥. ص ٧٠.

الحاملين الإيجابيين للتراث، وهؤلاء فقط هم سبب استمرار وانتشار التقاليد "التراث"^(١).

١٠- فنية الحكاية الشعبية الهوساوية

أ - بناء الحكاية الشعبية الهوساوية

تتكون " الحكاية الشعبية " أيا كان نوعها من حركات أو أحداث يرتبط بعضها ببعض الآخر ارتباطاً وثيقاً، وفق ضرورة اجتماعية ونفسية وفنية معينة، بحيث يصعب تماماً عزل الحدث الواحد منها عن سائر الأحداث^(٢).

والحكاية الشعبية ككل تعبير فنى، يلتقى فى بنائها الفنى وصياغة أحداثها عالم الذات مع عالم الموضوع، وتتغير أشكال بنيتها من خلال التغيير الحادث فى جزئيات بنائها عبر تناقلها من جيل إلى جيل، كما تتنوع عناصر التغيير بتنوع أنماط التغيير الحادث فى الظروف الاجتماعية والطبيعية والاقتصادية التى تحيط بالأجيال فى تتابعها المستمر، كما تتعدد عناصرها الأساسية والفرعية أيضاً، بفعل تنوع الخبرة الإنسانية واللقاء الإنسانى بين جماعة وجماعة، وانفعال الإنسان نفسه بالانتقال من مكان إلى مكان^(٣).

ويمكن لنا التعرف - ولو معرفة جزئية - على أحد أسباب تغير البناء الفنى لبعض الحكايات حينما تنتقل شفاهة من راوية إلى راوية آخر - وليس فقط، من مجتمع إلى مجتمع آخر، أو من جيل إلى جيل، فالراوى الجديد يضيف لما حفظه أو سمعه - تصوره الذاتى - وخبرته الفنية الخاصة إلى ما انتقل إليه أو نقله هو عن غيره، فالحكاية الشعبية بما تحمل من تصور فنى تلتقى مع الخيال الفنى للمستمع، لتشكل من جديد البناء الفنى للحكاية ذاتها كأبداع شفاهى، وتلك هى سمة أساسية من سمات الإبداع الفنى الشعبى وبخاصة فى المرويات الشفاهية^(٤).

(١) فون سيدوف : دراسات فى الحكاية الشعبية وعلم اللغة . ترجمة: جمال صدقى . مجلة الفنون الشعبية . العدد(٤٤) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٩٤ . ص ٢١ .
(٢) نبيلة إبراهيم : قصصنا الشعبى من الرومانسية إلى الواقعية . مرجع سابق . ص ١٤ .
(٣) صفوت كمال : الحكايات الشعبية الكويتية . مرجع سابق . ص ٩٥ .
(٤) المرجع السابق : ص ١٨٤ .

إن الحكاية الشعبية بنية مركزة، تخدم بأصنافها المتعددة جوانب الحياة النفسية المتشعبة في حياة الشعب، ولهذا فإن أهم ما يستوعبه الراوي الناشئ في أثناء الاستماع إلى حكاياته الشعبية هو بنيتها التركيبية، حقاً إن الراوي الشعبي لا يدرك عن وعى ما البنية التركيبية للحكاية الشعبية ؟ ولكنه يكون على وعى تام بأنه يقوم برواية حكاية تخضع لشكل محدد يقبل الشعب على سماعه^(١).

وفي كل القصص الشعبي العالمي تؤدي بداية الحكاية ونهايتها وظيفية فنية لها أهميتها من الناحيتين المعمارية والمعنوية، فمن الناحية المعمارية تبرز هذه الأهمية في أن البداية والنهاية يصنعان معاً طرفي الحلقة التي تضم في إطارها كل الأحداث والمواقف، فعلى أساس من البداية تتوالى الأحداث وتتراكم، ثم تأتي النهاية فتكون تويجاً لهذه الأحداث، أما من الناحية المعنوية، فإن البداية والنهاية حين تقترنان في ذهن السامع تساعدان على إدراك المغزى، وتفهم الهدف المعنوي للحكاية، ولقد اهتم دارسو القصص الشعبي برصد العبارات التي تعد تقليداً في مفتح الحكايات الشعبية، والتي تكشف عن هذه الظاهرة^(٢).

فالحكاية العربية عامة، والمصرية خاصة نجدها تعرف نظام " الجمل أو العبارات الافتتاحية " فكثيراً ما تبدأ الحكاية بـ : " صلوا بنا على النبي، كان ياما كان في سالف العصر والأوان، أو كان ياما كان، يا سادة يا كرام .. إلخ " وهكذا الحال في كثير من الأدبيات الشعبية الأخرى في كثير من لغات العالم المختلفة^(٣).

وإن راوي الحكاية الشعبية - الهوساوية - عادة ما يبدأ حكايته بقوله، " Ga Ta Nan Ga Ta Nan Ku " والتي تعنى حرفياً (ها هي "الحكاية" موجهة إليكم) - وهي جملة افتتاحية تعارف عليها المجتمع الهوساوي وهي تقابل جملة "كان ياما كان في سالف العصر والأوان " أو " كان يا ما كان يا سادة يا كرام " وهي في ذاتها جملة افتتاحية تشويقية تشد انتباه المستمعين إلى ما يجري في ساحة هذه الحكاية

(١) نبيلة إبراهيم : الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق . مرجع سابق . ص ٢٨٧ .

(٢) صبرى إبراهيم على سلامة : صور من بلاد الهوسا . مرجع سابق . ص ٦٦ ، ٦٧ .

(٣) المرجع السابق . ص ٦٧ .

- وعندئذ يرد السامعون (فلتأت لنسمعها) أو فلتأت لتعود "Ko' Ta zo Mu Ji" Ta Ta Zo Ta Koma وهو تعبير يشير إلى الاستعداد للاستماع إلى الحكاية⁽¹⁾.

وبالنسبة لخاتمة حكاية الهوسا الشعبية على اختلاف أشكالها، فأحياناً ما نجدها تنتهى بإحدى هذه العبارات الختامية الآتية "Kurunkus Kan dan bera" أو بـ "Kurunkus kan dan bera ba don gizo ba"

..na yi karya Da Ma Karyar na shirga muku"

والعبارة الأولى تعنى "انتهت الحكاية وركب الفأر الصغير ... أما الثانية فتعنى "انتهت الحكاية وركب الفأر الصغير، وإنه ليس من أجل العنكبوت كذبت، إن الكذب قد بينته لكم من قبل" كما قد تنتهى أيضاً الحكاية بالكلمة الختامية "Kungurus" والتي تعنى أيضاً "انتهت الحدوتة" ومثل هذه النهايات التى كثيراً ما تختتم بها حكاية الهوسا الشعبية نجدها تتشابه أيضاً مع العبارات الختامية للحكاية الشعبية العربية عامة والمصرية خاصة "توتة توتة خلصت الحدوتة"⁽²⁾.

وما بين طرفى الحكاية - بدايتها ونهايتها - تدور أحداث ووقائع الحكاية، والتي كثيراً ما نجدها تتميز باستخدامها للتعبيرات التى تدل على "الفجائية والمباغته" مثل "عندئذ saï"، "وفجأة- ثم saan nan"، كذلك تحوى على بعض التراكيب اللغوية التى تدل على "الاستمرارية" مثل، وهكذا - وهو كذلك "shi ke nan"، "هكذا الحال Ana nan ana nan"، وعلى الرغم من اعتماد الحكاية الشعبية على عنصر "الزمن Lokaci" إلا أنها كثيراً ما تعتمد إلى أن تلبس الزمن لباس الإبهام، فتحيطه بشيء من الغموض، فلا يعرف الزمن فأى ماض هو ؟ أو أى حاضر ؟ أو أى مستقبل هذا الزمان؟، والشىء نفسه مع "المكان" الذى هو خشبة المسرح التى تدور فوقها أحداث الحكاية، فأى مكان هو ؟ أية بلدة أو مدينة أو كفر أو نجع الذى وقعت فيه هذه الحكاية؟ هذه هى سمة الحكاية الشعبية، إبهام الزمان، وإخفاء المكان⁽³⁾.

(1) Habib Alhassan , Usman Ibrahim Musa : op.cit. P.53.

قام بترجمة هذا النص للغة العربية الأستاذ / حافظ إبراهيم عبدالله .

(2) صبرى إبراهيم على سلامة : صور من بلاد الهوسا . مرجع سابق . ص ٦٨ .

(3) المرجع سابق . ص ٦٨ ، ٦٩ .

وتأخذ الحكاية الشعبية الهوساوية فى مبناها أحد ثلاثة أشكال، إما طويلة مثل "الكلام رأسمال Magana Jari ce"، والتي قدمها أبو بكر إمام، وإما متوسطة مثل حكاية "الماء الشافى Ruwan Bagaja" التي قدمها إبراهيم يارو يحيى، وكذلك حكاية "فيفى داللو Fifi Dallo"، وإما قصيرة مثل حكايات الأطفال الشعبية التعليمية مثل "حكاية أمير السرعة وأمير المراوغة Sarkin Zafi da Sarkin Baudiya" وحكاية السنجاب والقنفذ Kurega da bu Shiyahما^(١).

وتتميز الحكايات الشعبية سواء أكانت حكايات خرافية أم خيالية وسواء أكان موضوعها الإنسان أم الحيوان من حيث إن بطلها إنسان واقعى أو حيوان أو كائن أسطورى وتتميز هذه الحكايات بيناتها الفنى وربط الأحداث واستطرادها^(٢).

ب - الشخصيات فى الحكاية الشعبية الهوساوية

الأسماء التى تستعمل فى الحكاية الشعبية - الهوساوية - هى، الملك، والضرة، واليتيمة، والزوجة المفضلة، وآخر العنقود، وصاحب الوسية، وما على شاكلة هذه الأسماء، وتستعمل من أسماء الحيوانات الذئب كرمز للجبن، والأسد كرمز للزعامة والتخويف فى الوقت نفسه، والثعلب رمز للدهاء والحيلة، والثعبان رمز للدهاء والظلم والترويع، والنمر رمز للعدوانية، والأرنب رمز للحيلة والسرعة فى نقل الأخبار، ومورى Morai، وفكرا Fakara، وسودا Suda - وهذه أسماء حيوانات - وهناك أشياء وهمية مثل "جزو Gizo" الذى يمثل دور الداهية والخائن، وزوجته "قوق Koki" رمز للزوجة العبيطة، "وبتورامى Batorami" الذى يمثل دور البهلوانية بأنفه الكبير وتصرفاته العجيبة مثل : شربه لماء بحر بلد ما بأكمله، وزعيم الجن الذى يساعد الناس، وزودو Zodo الذى يخيف الناس ويهلكهم ويشرد البلد كله^(٣).

أما الأماكن والأشياء التى كثيراً ما تذكر فى الحكاية الشعبية - الهوساوية - هى الغار، والغابة، وبلد بعيد، أو كثير النعم، والأنهار، والأديان، والهضاب، وموقع

(١) المرجع السابق . ص ٦٨ .

(٢) فاروق أحمد مصطفى : مرجع سابق، ص ٦٣٦ .

(3) Habib Alhassan.Usman Ibrahim Musa: op.cit, P.53 .54

قام بترجمة هذا النص للغة العربية الأستاذ / حافظ إبراهيم .

طلوع الشمس وغروبها، وتحت ماء البحر، والبيض، وطن كواتاشي Dan Kwatashi - اسم عفريت - ومدينة الجن، وآلات الحرب، والسفن، واللباس، والمأكولات، والمشروبات^(١).

كما أنه لا يمكن أن ننكر أن الحكايات الشعبية تحمل في طياتها أسماء الأسلاف، والأزمنة، والأماكن، والوسائل المستخدمة في التآمر وأسماء القبائل والمواقف العامة التي توصف في الحكايات الشعبية والأساطير^(٢).

ج - الرمزية في الحكاية الشعبية الهوساوية

تمثل "الرمزية Symbolic" بالنسبة لحكاية الهوسا الشعبية جانباً مهماً من جوانبها، وسمة من سماتها المميزة لها، فإنه لمن النادر أن نرى حكاية هوساوية تخلو من "الرمزية" فالرمزية مجال تصويري إبداعى ينشأ أولاً في مخيلة "الراوى" هذا بالإضافة إلى أنها تكسب الحكاية خاصية الخروج على المؤلف، وتفتح فيها الباب واسعاً للافتراضات والتساؤلات، وتعمل على أعمال فكر القارئ والمستمع على السواء من أجل التوصل إلى حقيقة ما يشير إليه الرمز، والبيئة الإفريقية عامة والهوساوية خاصة مجال خصب للرمزية، فنرى القصص قبل أن يأتى بحكايته، طاف بخيالاته في الأفاق الرحبة والفسيحة، وجال بها في أنحاء البيئة التي يعيش فيها، فيتأمل ما حوله من غابات وأحراش، وجبال، وتلال، وأنهار، وما فيها من وحوش ضارية Namun Daji، وأخرى أليفة Namun Gida، والطيور Tsuntsaye بأنواعها، فيستخلص منها الرمز symbol، والذي يرمز به إلى "القوة" وآخر إلى "الشجاعة" وآخر إلى "الوفاء" وغيره إلى "الغدر والخيانة" ورمزاً آخر إلى "الكرم والجود" وآخر إلى "البخل والشح"، وما إلى ذلك من النواحي التي يريد أن يرمز إليها^(٣).

قام بترجمة هذا النص للغة العربية الأستاذ / حافظ إبراهيم عبدالله .
(٢) فاروق أحمد مصطفى : مرجع سابق . ص ٦٤٦ .
- لمزيد من الاطلاع انظر :

Levinson.David, and Ember. Melvin : "Encyclopedia culturoul Anthropology", Vol 2. Henry Holt and Company, New York. USA, 1996.P.5:1.

(٣) صبرى إبراهيم على سلامة : صور من بلاد الهوسا . مرجع سابق . ص ٦٩ .

والحكاية الشعبية تحتوى على ذلك الرمز الكبير "Allegory" الذى تتضافر من حوله كل عناصر الحكاية لإبراز مغزاه، ذلك أن قيمة الحكاية عندئذ تتوقف على مدى نجاح هذا الرمز الكبير فى إبراز هدف الحكاية، وهذا الرمز الكبير هو ما يسميه البلاغيون " التشبيه التمثيلي " (١).

ولعل من الأسباب والدوافع التى تدفع بالرواة الهوساويين - بالإضافة إلى المحاكاة والتقليد - الميل إلى " الرمزية " تخوفهم من التعرض المباشر للملوك والأمراء وغيرهم، بذكر أسمائهم ذكرًا مباشرًا - خاصة إذا كان أحدهم يتصف بالقسوة أو الظلم أو الجور أو غير ذلك، فى الوقت الذى تهدف فيه "الحكاية" إلى معالجة هذا الأمر - فيترتب على ذلك حدوث شقاق وخلاف، أو تعرض الرواة لبطش الحكام والأمراء (٢) وقد تتحدث الحكاية عن الاستعمار وما يترتب على دخوله البلاد وعدم رغبة أصحاب الأرض فى وجوده.

والحكاية ليست فقط السرد والرواية على لسان الراوى، ولكن أيضا المعنى الرمزي للعبارات، فالرمز يعنى شيئاً خفياً غامضاً، والحكاية تشتمل على أكثر من المعنى الواضح أو المباشر، فهذا المعنى لا يمكن تحقيقه بدقة، أو تفسيره كلية، فالإنسان يحمل فى فكره كل الهواجس والقلق، وكذلك الهموم، وسعادة العالم فى شكلها البدائى أى الرمز والحكاية تتوجه إلينا فى لغة رمزية تعبر عن اللاشعور، وعلماء النفس من أتباع "فرويد" يحاولون إثبات أن اللاشعور موجود بصورة خفية فى الأساطير والحكايات، التى ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالأحلام، ويوضح علماء النفس نوعين من اللاشعور الشخصى والجماعى الذى يمثل الأفكار العامة القديمة للبشرية جمعاء، ويقولون : إن الإنسان يحمل فى داخله كل تاريخه وتاريخ البشرية هذا هو الشكل المزدوج الشخصى والجماعى للاشعور، والحكايات والأساطير هى تعبير عن اللاشعور القديم الجماعى للبشرية، وعلى هذا فيمكن القول بأن الحكاية

(١) نبيلة إبراهيم : قصصنا الشعبى من الرومانسية إلى الواقعية . مرجع سابق . ص ٢١١ .

(٢) صبرى إبراهيم على سلامة : صور من بلاد الهوسا . مرجع سابق . ص ٦٩ .

هى نتاج الشعور العادى والمضمون اللاشعورى، لا لشخص بعينه ولكن لمجموعة وفقاً لنظراتها ولما تعتبره مشكلات إنسانية عالمية^(١).

ونحن لا نبالغ إذا قلنا إن الحكاية الشعبية بوصفها كلاً متكاملًا، تعدفى كثير من الأحيان وحدة رمزية متكاملة^(٢) ومن الحكايات التى تظهر فيها "الرمزية" بوضوح حكاية "الدجاجة البرية والكلب الصغير"^(٣) حيث رمزت الحكاية بـ "الدجاجة البرية" التى أوقعت بـ "الكلب الصغير" - رمزت بها إلى قبيلة "الإيبو" التى كانت طرف النزاع فى الستينيات من القرن العشرين والتى سعت إلى الانفصال عن نيجيريا وإنشاء دولة جديدة تحمل اسم "بيافرا" وكان نتيجة لهذه الفكرة التى تدعو إلى الانفصال أن نشبت حرب أهلية راح ضحيتها آلاف المواطنين من أبناء الهوسا الذين أهدرت دماؤهم وأزهقت أرواحهم دون سبب، كما رمزت الحكاية بـ "الكلب الصغير" فى وفائه وإخلاصه إلى "شعب الهوسا" أما البيت الذى كانوا يعيشون فيه فيرمز إلى "الوطن نيجيريا"^(٤). وفى حكاية "السنباب والقنفذ" فقد رمز الراوى فى هذه الحكاية لقبيلة الهوسا بالقنفذ، أما الاستعمار فقد رمز له بالسنباب الذى تمكن من المكان وأراد أن يخرج صاحب المكان بعد ذلك^(٥).

١١- مفهوم وظيفة الحكاية الشعبية .

لقد اختلف الباحثون باختلاف وجهات نظرهم فى تعريف وظيفة الحكاية الشعبية، كما اختلفوا من قبل فى تصنيفها إلى أشكال متميزة^(٦).

(١) غراء مهنا : الرمز فى الحكايات الشعبية، مجلة الفنون الشعبية . العدد (٣٤) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٩١ . ص ٢٤ .

(٢) نبيلة إبراهيم : قصصنا الشعبى من الرومانسية إلى الواقعية . مرجع سابق . ص ٢١٢ .

(٣) انظر الرسالة : ص ١٧١ .

(٤) صبرى إبراهيم على سلامة : صور من بلاد الهوسا . مرجع سابق . ص ٧٠ .

(٥) انظر الرسالة : ص ١٩١ .

(٦) إبراهيم محمد مدحت غيث : مرجع سابق . ص ١٦٧ .

والواقع أن الاهتمام ببحث الوظيفة واستخدام المنهج الوظيفي إنما يرجع الفضل فيهما إلى المدرسة الأنثروبولوجية وعلى رأسها "مالينوفسكى" و "رادكليف براون" ومنهما انتقل هذا الاهتمام إلى مجال الدراسات الفولكلورية ثم الأدبية البحتة^(١).

وفكرة الوظيفة عند "رادكليف براون" ترتبط ارتباطاً وثيقاً بفكرة البناء، على اعتبار أن البناء هو مجموعة العلاقات المنظمة التي تقوم بين الوحدات المكونة، وأن عملية الحياة التي تتألف من المناشط التي تقوم بها هذه الوحدات المكونة هي نفسها التي تكفل استمرار البناء خلال الزمن^(٢).

ويعرف "رادكليف براون" الوظيفة الاجتماعية بأنها نصيب النشاط الاجتماعي الجزئي في النشاط الكلي الذي يؤلف هو جزءاً فيه . فوظيفة أى ظاهرة من الظاهرات - أو أى عنصر من عناصر السلوك الاجتماعي - هي الدور الذي تؤديه هذه الظاهرة في الحياة الاجتماعية التي تعبر عن النسق الاجتماعي الكلي وتصدر عنه . والمقصود بالنسق الاجتماعي الكلي هنا هو البناء الاجتماعي وكذلك كل المناشط والممارسات والعادات الاجتماعية التي ينعكس البناء فيها من ناحية، ويستمد منها وجوده وكيانه من الناحية الأخرى . وبهذا المعنى فإن النسق الاجتماعي الكلي يتمتع بنوع من الوحدة التي يسميها "رادكليف براون" " بالوحدة الوظيفية"^(٣).

وتعنى الوظيفة عند "مالينوفسكى" و "رادكليف براون" - بتعبير آخر - فعلاً أو لونهاً من النشاط له قيمة اجتماعية يحددها الإطار الحضارى العام، ويزداد هذا المعنى العام وضوحاً حين يضرب كلا الباحثين لنا مثلاً عليه، "فمالينوفسكى" يقول : " إن وظيفة عرف من الأعراف تعادل الاستمتاع بنتائج النشاط الذي تبذله الجماعة أو يبذله الفرد الذي يقوم به " .

(١) عز الدين إسماعيل : القصص الشعبي في السودان . مرجع سابق . ص ١٧٤ .

(٢) أحمد أبو زيد : البناء الاجتماعي مدخل لدراسة المجتمع . الجزء (١) . المفهومات . الطبعة (٨) .

المكتب الجامعي الحديث . الإسكندرية . ١٩٨٢ . ص ٧٩ .

(٣) المرجع السابق : ص ٨١ .

ويقول راد كليف براون : " إن وظيفة عرف اجتماعى معين تتمثل فى الإضافة التى يقدمها إلى الحياة الاجتماعية فى مجموعها بوصفها أثراً للنظام الاجتماعى فى مجموعه " (١).

ومن هذين المثلين يتضح لنا أن الوظيفة تتمثل فيما ينتج عن النشاط الفردى أو الجماعى من إضافة إلى الحياة الاجتماعية فى مجملها، مرتبطة فى الوقت نفسه بالإطار الحضارى العام لهذه الحياة وغير منفصلة عنه، وتتمثل فعالية هذه الإضافة فى مقدار ما يستشعره الفرد والجماعة نتيجةً للجهد المبذول . وإذا كان تحديد معنى الوظيفة لا يزال عند هذا الحد غامضاً بعض الشيء فربما اكتسب قدرًا من الوضوح من خلال تحديد " مالىنوفسكى " لأبعاد النظرية الوظيفية. ويقول مالىنوفسكى : " إن هذا النمط من الفكر النظرى يهدف إلى شرح الحقائق الأنتروبولوجية فى كل مستويات التطور عن طريق وكيفية ارتباطها ببعضها ببعض خلال هذا النظام، وكيفية ارتباط هذا النظام بالظروف المحيطة . إن كل نمط من أنماط الحضارة، وكل عادة، وكل عنصر مادى وكل فكرة وعقيدة تؤدى بعض الوظائف الحيوية، لها عمل تقوم به، كما أنها تمثل جزءاً لا يمكن الاستغناء عنه فى الكيان الكلى الفعال وهذا المنهج لا يلح على تأكيد الطبيعة الديناميكية للحضارة فحسب، بل على وحدتها العضوية كذلك" (٢).

ويرتبط الحديث عن خصائص الحكاية الشعبية وفنيتها وسماتها العامة بالحديث عن وظيفة الحكايات الشعبية، فالوظيفة التى تؤديها الأنماط والأنواع الشعبية هى أهم ما يميز ألوان الإبداع الشعبى ؛ حيث يرى "عبدالحميد يونس" أن أجناس الأدب الشعبى لا يمكن أن تميز بشكل دقيق إلا بالاعتماد على الوظيفة،، فهى التى تغلب بعض الأشكال والمضامين على غيرها، ويرى أنه من الضرورى على دارس الأدب الشعبى أن يميز الأشكال على أساس من الحوافز والوظائف" (٣).

فالوظيفة كنظرية ترى ضرورة دراسة الظواهر الثقافية والاجتماعية من حيث الوظيفة التى تؤديها أو الدور الذى تقوم به (٤).

(١) عز الدين إسماعيل : القصص الشعبى فى السودان . مرجع سابق . ص ١٧٤ . ١٧٥ .

(٢) المرجع السابق : ص ١٧٥ ، ١٧٦ .

(٣) محمد حسين حسن هلال : مرجع سابق . ص ٢٨١ .

(٤) فاروق أحمد مصطفى : مرجع سابق . ص ٦٦٧ .

ويرى الدكتور " أحمد على مرسى " أن الحكاية تستمد الكثير من جاذبيتها وفضيتها واستمرارها من الوظائف التي تؤديها، فهي أولاً وقبل كل شيء لون من ألوان الإبداع الشعبى، تصدر عن نموذج أو مثال ترتضيه الجماعة وترى أن تصعد الأفراد جميعاً إليه وعلى ذلك فهي تشبه العرف الاجتماعى فى التمكين لسلامة المجتمع الصغير والكبير على السواء" . وهى تقوم بوظيفة أخرى مهمة، وثيقة الصلة بما سبق الحديث عنه من نماذج السلوك وغيرها، فهي وسيلة فى تربية الصغار فى المجتمع، إلى جانب وظيفتها الأخلاقية العامة^(١).

وقد اعتبر علماء التربية الحكاية جزءاً من الآداب التربوية، بالنظر إلى جوانبها الفكرية، حيث احتفظت بأدوارها ووظائفها فى المجتمعات كمواعد تعليمية وبنائية ذات اعتبار مقدس أحياناً، وراذع أحياناً أخرى، ومعلم أصول السلوك الاجتماعى^(٢).

وإذا أردنا أن نحدد وظائف الحكاية الشعبية عند الهوسا فى نيجيريا، لن نستطيع أن نحيط بها إحاطة كاملة، فهي تأريخ لتفكير شعب بأكمله، تأريخ لعاداته، وتقاليده، ومعتقداته، ولنظام حياته بالكامل .

وعلى العموم فهناك العديد من الوظائف الموجودة فى الكثير من المجتمعات التقليدية وخاصة مجتمع الدراسة، ويمكن تقسيم هذه الوظائف كما يلى :

الوظيفة الاقتصادية . ٢- الوظيفة القرابية .

الوظيفة السياسية . ٤- الوظيفة الدينية .

وسوف تتناول الباحثة كل وظيفة من هذه الوظائف فى الفصل الخاص بها .

(١) أحمد على مرسى : من ماثوراتنا الشعبية. الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٩٨ ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٢) إبراهيم محمد مدحت غيث : مرجع سابق . ص ١٧٤ .

الفصل الثانى

مجتمع الدراسة

• تقديم

- ١ - نيجيريا موطن مجتمع الدراسة .
- ٢ - بعض القضايا التى يتضمنها التركيب السكانى فى نيجيريا .
 - ٢ - الأصول السلالية لقبيلة الهوسا .
 - ٤ - قبيلة الهوسا .
 - ٥ - لغة الهوسا .
 - ٦ - تأثير الثقافات الوافدة على مجتمع الهوسا .
 - أ - تأثير الثقافة العربية والإسلامية .
 - ب- تأثير الثقافة الإنجليزية .
 - ٧ - النظام الاجتماعى والسياسى لقبيلة الهوسا .
 - ٨ - أنماط الحياة الاجتماعية والثقافية لقبيلة الهوسا .
 - أ - القرابة .
 - ب - الزواج .

- ج- تعدد الزوجات .
- د - الخطبة .
- هـ- المهر .
- و - المسكن .
- ز - عقد القران والزفاف .
- ح- الولادة .
- ط - التسمية .
- ى - مفهوم الرضاعة .
- ك - الختان .
- ل - الطلاق .
- م - الوفاة .
- ن - الميراث .
- س - الأعياد .
- ع - المعتقدات
- أولاً - الدين .
- ثانياً - السحر .
- ف - بعض عادات الهوسا وتقاليدهم .
- ص - دور المرأة في مجتمع الهوسا .
- ٩ - أنماط الحياة الاقتصادية لقبيلة الهوسا .
- أ - الزراعة .
- ملكية الأرض .

- ب - الرعى .
- ج - الصناعات اليدوية التقليدية .
- د - التجارة .
- السوق .

تقديم

تقع نيجيريا فى غرب القارة الإفريقية، وتتكون من عدة قبائل من أهم هذه القبائل وأكبرها قبيلة الهوسا التى تسكن شمال نيجيريا .

وتعد الحكايات الشعبية الهوساوية نتاج لتجربة طويلة تخص المجتمع فهى تعبير عن روح المجتمع وعاداته ومعتقداته ومعاييره وسلوكه، وهى بذلك تعتبر مرآة عاكسة لخلاصة تجارب أفراد المجتمع وهى صورة نابضة عن واقع الشعب عبر مراحل تاريخه الطويل.

ولكى نتمكن من دراسة الحكايات الشعبية الهوساوية دراسة أنثروبولوجية؛ فلا بد من التعرف على العوامل الإيكولوجية، والموقع الجغرافى، والتركيبية السكانية لنيجيريا، والتعرف على قبيلة الهوسا، ومعرفة العادات، والتقاليد، والعرف، والشعائر والطقوس الجماعية والفردية، وتصرفات الأفراد وأفعالهم وطرائق سلوكهم كما تمارس فى الحياة اليومية، وكل مكونات الثقافة على العموم التى تظهر بشكل واضح فى الحكايات الشعبية، والتعرف على كل أنماط الحياة الاقتصادية والقربانية والسياسية والدينية، فكل ما سبق ذكره يعد الخلفية التى تروى من خلالها الحكايات الشعبية بمعنى أنها -الحكاية الشعبية- تبرز كل ما يخص الإنسان فى المجتمع، فهى من أمتع الدراسات وأقيمها وخاصة عندما يتناولها الجانب الأنثروبولوجى؛ حيث يساعد هذا الجانب فى وصف وتبيان حقائق الأمور، وكثيراً ما كشفت الحكايات الشعبية النقاب وأزاحت الستار عن أشياء كادت أن تتلاشى فى غيابات التيه، وتذهب فى دوامة النسيان .

وإذا كانت الدراسة منصبة وقائمة أساساً على " الحكاية الشعبية عند الهوسا فى نيجيريا فسوف يتحتم الإشارة إلى نيجيريا المجتمع الكبير الذى يأتى شعب الهوسا واحداً من خلاياه الرئيسية المكونة له، وليس من العجيب أو المستغرب أن تتناول هذه الدراسة نيجيريا عامة وشعب الهوسا خاصة فما يحدث فى هذا المجتمع يعتبر الخلفية التى تحكى فيها الحكاية الشعبية .

١- نيجيريا موطن مجتمع الدراسة

تقع نيجيريا فى غرب القارة الإفريقية، بين دائرتى عرض ٤ - ١٤ شمالاً، وبين خطى طول ٣ - ١٥ شرقاً، يحدها من جهة الشمال دولة النيجر، ومن جهة الشرق دولة تشاد والكاميرون، ومن جهة الجنوب خليج غانا، ومن جهة الغرب دولة بنين^(١)، وتطل نيجيريا على المحيط الأطلنطى من الجنوب بشاطئ رملى يقدر بحوالى ٨٠٠ كم^(٢).

وتبلغ مساحة نيجيريا ٩٢٣,٧٧٣ كم^٢ (٣٥٦,٦٦٩ ميلاً مربعاً)، وبذلك فهى أربعة أمثال مساحة المملكة المتحدة، وضعف مساحة فرنسا، لكنها ثلث مساحة السودان، وأقل قليلاً من مساحة جمهورية مصر العربية، ويسكنها نحو ١٠٥ ملايين نسمة فى عام (١٩٩٥) ^(٣)، (وفى عام ١٩٩٦ م) بلغ عدد السكان ١١٩ مليون نسمة^(٤)، وهى بذلك تعتبر أكبر الدول الإفريقية كثافة سكانية^(٥) وعلى الرغم من هذا العدد الضخم لا يوجد إحصاء دقيق للسكان فى نيجيريا^(٦).

(١) عيد سعيد محمد أبو زينة : التحليل الاقتصادى للتجارة الخارجية فى نيجيريا الفترة ١٩٧٤ / ١٩٩٢ م . رسالة ماجستير قسم النظم السياسية والاقتصادية . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ١٩٩٥ . ص ٢ . بتصرف .

(٢) مصطفى كمال السيد طائيل : اقتصاديات المواد الأولية فى نيجيريا . رسالة ماجستير . قسم النظم السياسية والاقتصادية . معهد البحوث والدراسة الإفريقية . جامعة القاهرة . ١٩٧٩ . ص ٧ .

(٣) جوده حسنين جوده : جغرافية إفريقيا الإقليمية . الطبعة (٩) . الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية . الإسكندرية . ١٩٩٦ . ص ٣١٩ .

(٤) حمدى عبدالرحمن حسن : التعددية وأزمة بناء الدولة فى إفريقيا الإسلامية . الطبعة (١) . مركز دراسات المستقبل الإفريقى . سلسلة أوراق إفريقية . القاهرة . ١٩٩٦ . ص ٧٣ .

(5) Anderson, J.D. : "Stories of the peoples of Africa . West Africa and East Africa in the Nineteenth and Twentieth Centuries". Heinemann Educational Books, London- GB, 1972. P.184.

(6) Mitchison, Lois: "Nigeria : Newest Nation", Pall Mall Press, London,- GB, 1960 . p . 39.

وكلمة " نيجر " معناها بالإنجليزية " الأسود "، وتطلق على نهر النيجر، النهر الرئيسي بتلك البلاد، وكلمة نيجيريا معناها " ما حول النيجر " (١) وقد أطلق اسم نيجيريا بواسطة صحفية بريطانية هي " فلوراشو Flora Shaw " حين وضعت النفوذ البريطانى فى تلك المنطقة من غرب إفريقيا بهذا الاسم فى مقال لها نشرته صحيفة التايمز " Times " اللندنية فى (٨ يناير عام ١٨٩٧ م) . ولم يستخدم اسم نيجيريا على نطاق واسع إلا فى عام (١٨٩٩ م) حين استعمل فى مجلس العموم البريطانى أثناء مناقشة قانون شركة النيجر الملكية فساد هذا الاسم منذ ذلك التاريخ (٢).

وحصلت نيجيريا على الاستقلال عام ١٩٦٠ م (٣)، وأصبحت جمهورية اتحادية مكونة من ثلاثة أقاليم تتمتع بالاستقلال الذاتى (٤)، ودخلت الكومنولث فى أكتوبر عام (١٩٦٠ م)، وأصبحت ذات نظام برلمانى ديموقراطى (٥)، وتشارك فى المنظمات الدولية والإقليمية فهى عضو فى منظمة الأمم المتحدة، ومنظمة الوحدة الإفريقية، ومنظمة المؤتمر الإسلامى، ومنظمة الدول المصدرة للنفط " الأوبك" (٦).

ولقد كان التقسيم الإدارى الذى استقلت على أساسه نيجيريا مكوناً اتحاداً فيدرالياً يرتكز على ثلاثة أقاليم : الشرقى، والغربى، والشمالى، ثم حدث تغير آخر عندما قسم الإقليم الغربى، وظهر إقليم الغرب الأوسط وبذلك صارت أربعة أقاليم (٧)، ثم زادوا إلى ١٢ ولاية، وأصبحت ٢١ ولاية فى عام (١٩٨٧ م) واستمر

(١) مصطفى كمال السيد طایل : مرجع سابق. ص ٧ .

(٢) نهلة عبدالمعظم إبراهيم : تطور الحركة الثقافية فى نيجيريا (١٩٠٠ - ١٩٦٠) وأثرها فى تطور الحركة الوطنية. رسالة دكتوراه . قسم التاريخ . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة ١٩٩٤ . ص ٤ .

(٣) "The World Book Encyclopedia" : Vol, 9 . world Book, Inc. Chicago. USA . 1991 . p. 90 .

(٤) سامى منصور : نيجيريا عملاق إفريقيا التائه . دار المعارف بمصر . القاهرة . ١٩٦٦ . ص ١٠٤ .

(٥) عبدالحليم السيد : أطلس الشئون الإفريقية . مراجعة وإشراف: زاهر رياض . دار المعرفة . القاهرة ١٩٦٢ . ص ١٢١ .

(٦) عبدالسلام محمد شلوف، محمد حسن البركى، وآخرون : وثائق إفريقية « من أكرا إلى لومى » . الطبعة (١) . الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلام . القاهرة . ٢٠٠١ . ص ٦٠١ .

(٧) نوار عبدالحليم محمد منصور : مدينة لاجوس . « دراسة فى الأنثروبولوجية الحضرية » . رسالة ماجستير . قسم الأنثروبولوجيا . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ١٩٨٩ . ص ٤١ .

الحال هكذا حتى أصبح عدد الولايات فى دولة نيجيريا ٣٠ ولاية وذلك فى عام ١٩٩٢ م^(١)، وذلك حتى (١٩٩٦/٩/٣٠ م) وبإشراقه الشمس فى صباح الثلاثاء الموافق (١٩٩٦/١٠/١ م) تم الإعلان عن تأسيس وإنشاء ستة ولايات جديدة، وذلك فى احتفال كبير شهدته نيجيريا وبلغ بذلك عدد الولايات النيجيرية ٣٦ ولاية^(٢).

٢- بعض القضايا التى يتضمنها التركيب السكانى فى نيجيريا

يحتوى المجتمع النيجيرى على العديد من القبائل المختلفة، فهناك اثنيات عرقية، ولغوية، ودينية وقبلية وغير ذلك، ويذكر أحد الباحثين أنه يقدر عدد اللغات فى نيجيريا بـ ٤٧٨ لغة منها ٤٧٠ لغة تعايش، وواحدة لغة ثانية وسبع لغات منقرضة إلا أن ثلاث من هذه اللغات تعتبر اللغات الرئيسية وهى الهوسا / فولانى، واليوروبا، والإيبو، ولهذا أصبحت اللغة الإنجليزية هى لغة التفاهم بين النيجيريين الذين يتحدثون لغات مختلفة كما شجعت عملية الهجرة إلى المدن على استخدام اللغة الإنجليزية بين المنتمين إلى جماعات ذات لغات ولهجات مختلفة^(٣).

ومن أهم هذه القبائل هى الهوسا Hausa، والإيبو Ibo، واليوروبا Yuruba^(٤).

ولكى نتعرف على قبيلة الهوسا يمكن لنا أولاً أن نتعرف على تقسيم السكان فى نيجيريا طبقاً للتقسيم القبلى إلى الثلاث نقاط الآتية :

١ - فى الإقليم الغربى تسكن وتعيش قبيلة " اليوروبا " واليوروبا يعتبرون أن مدينتهم إيفا IFE هى البقعة التى خلق الله منها الإنسان، سواء الأبيض أو الأسود،

(١) عيد سعيد محمد أبو زينة : مرجع سابق . ص ٣ ، ٢ .

(٢) صبرى إبراهيم على سلامة : الحرب الأهلية النيجيرية فى الأدب الهوساوى « الشمر كنموذج » (ص ١٤٩ - ١٥٠) . فى أعمال المؤتمر السنوى للدراسات الإفريقية، الصراعات والحروب الأهلية فى إفريقيا . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ١٩٩٩ .

(٣) محمد على نوفل : التعدد اللغوى فى نيجيريا . مجلة الدراسات الإفريقية . العدد (٢٢) . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ٢٠٠٠ . ص ٦ .

(٤) معلومات أساسية عن جمهورية نيجيريا الاتحادية . مجلة أفاق إفريقية . المجلد (١) . العدد (٢) . القاهرة . ٢٠٠٠ . ص ١٦٠ . بتصرف .

وهم يعتقدون أن خالق الأرض والسماء، والمياه، والنور هو الإلهة " Oduduwa "، وأن أرضهم الأم هي مكة . وإلى جانب اليوروبا هناك بعض الأقليات الإثنية كالإيدو والارهوبو .

٢ - في الإقليم الشرقي تسكن قبائل " الإيبو "، وهذه القبائل تنقسم إلى ألفين (٢٠٠٠) فرع تقريباً، وهي تمثل العناصر القبلية الزنجية، وليس لها نفس الحضارة التي لقبائل اليوروبا، ولكنهم عناصر نشطة في الزراعة والتجارة، كذلك أكثر القبائل حباً في الاستقرار، والسلام والتمسك بتقاليدها، وإلى جانبهم كانت هناك بعض من جماعات الأقليات الإثنية كالإيبو والإيفيك والأنانج ثم الإيجو .

٣ - في الإقليم الشمالي تسكن قبائل الهوسا والفولاني، وهم يشكلون القبائل الكبرى، وإلى جانبهم عدد كبير من القبائل متفاوتة الحجم كالتييف والنوبى والكانورى، وغيرهم . فأما الهوسا فولاني، فيتركزون في مناطق الشمال الأعلى في نيجيريا، وخاصة في سوكوتو وكاتسينا وكانو وزاريا وأما الكانورى فيتركزون في الركن الشمالي الشرقي لنيجيريا ويدينون بالإسلام. والتييف ينتشرون في وادى نهر بينوى الأوسط، وخصوصاً جنوبى النهر، وهم يعتقدون أنه يرجع نسبهم إلى تيف ابن شون بن آدم، أما النوبى فينتشرون في وادى نهر كادونا الأدنى وجزء من وادى نهر النيجر^(١).

٣- الأصول السلالية لقبيلة الهوسا

إذا أخذنا بالرأى القائل إن السلالات البشرية تتحدركلها من أب واحد، فإن هذا الرأى يدعونا إلى الاعتقاد بأن الإنسان في مبدأ الأمر قد تميز بصفات موحدة، فلما تفرقت في أنحاء العالم أخذت كل جماعة صفات جديدة حسب ظروف البيئة التى تعيش فيها، حتى إذا تقادم عليها العهد ثبتت لها هذه الصفات التى نتجت عن طريق الوراثة، وعلى هذا الأساس انقسم النوع البشرى إلى أجناس^(٢).

(١) صبرى إبراهيم على سلامة : الحرب الأهلية النيجيرية فى الأدب الهوساوى « الشعر كنموذج » . مرجع سابق . ص ١٤٨ .

(٢) إبراهيم محمد مدحت غيث : مرجع سابق . ص ٤٢ .

وقد اختلف علماء الأجناس والتاريخ والاجتماع حول أصل قبيلة الهوسا وانتمائهم الجنسي، ونستطيع أن نلخص آراءهم فيما يلي^(١)

فبعضهم يردها إلى أصل هندي أو فينيقي، ومن المعروف أن بعض الفينيقيين هاجروا قبل الميلاد إلى شمال إفريقيا، واستقروا هناك حتى جاء الغزو الروماني فطردهم - هم والسكان السابقين عليهم - إلى داخل الصحراء، وأطلق عليهم اسم البربر أى المطرودين.

ويذهب البعض الآخر إلى أن أصلهم من المصريين القدماء، لأنهم يشبهون صور المصريين التي وجدت منقوشة على القبور، فى عصر الهكسوس، إلا أن كثيراً من الباحثين يتفقون على أن هؤلاء القوم جاءوا من صعيد مصر، وأنهم هاجروا غرباً إلى بلاد المغرب، ثم انحدروا مع المحيط الأطلسي؛ حيث استقر بعضهم ومضى البعض الآخر حتى بلاد السنغال، ثم أخذوا يهاجرون فى القرن الثامن عشر الميلادى شرقاً، ويتدفقون إلى شمال نيجيريا .

وكثير منهم ينسبون أنفسهم إلى القبائل العربية المهاجرة من اليمن التي وصلت إلى غرب إفريقيا، عن طريق باب المندب قبل الإسلام، أو القبائل التي هاجرت إلى غرب إفريقيا بعد الفتح الإسلامى^(٢).

ويردهم البعض إلى أصول زنجية أو الجنس الزنجي، رغم أنهم يتكلمون لغة حامية^(٣).

وهناك أسطورة يحكيها الهوساويون عن أصلهم، وهى رواية حديثة، وردت فى كتاب " أخبار الهوسا وجيرانهم Labarun Hausawa da Makwabtansu " الجزء

(١) فراج عطا سالم : الإسلام والتغير الثقافى والاجتماعى لدى بعض الجماعات الإفريقية المقيمة بمكة المكرمة (دراسة ميدانية) . رسالة ماجستير . قسم الأنثروبولوجيا . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ١٩٨٩ . ص ١٤٣ .

(٢) مصطفى حجازى السيد حجازى : الهوسا لغةً وشعباً . مجلة فيصل عدد (٩١) أكتوبر . ١٩٨٤ . ص ١١٣ ، ١١٤ .

(٣) فراج عطا سالم : مرجع سابق ص ١٤٣ .

الأول الذى قامت بنشره دار النشر الشمالية النيجيرية . N.N.P.C ، وهى الرواية الشائعة بين الهوسا ، التى يرويها الباحثون عن أصل الهوسا . وتقول الرواية الحديثة : إن أصل الهوسا رجل اسمه " بيازيد " ابن أمير بغداد ، هاجر مع إخوة له كثيرين ، هرباً من أحد الكفار الذى حاربهم ثم تعقبهم ، فانقسم الإخوة إلى أربعين فرقة ، اصطحب " بيازيد " ، وحده عشرين فرقة ، واتجه إلى برنو ، وكانوا يفوقون رجال ملك برنو قوة ، فأشاروا عليه أن يستولوا على ملك برنو ، فلما سمع رجال برنو ذلك ، أشاروا على ملكهم بأن يزوجه ابنته ، فزوجه ابنته " Magaira أو Magarma مجرم أو مجيرا " . وساد الاستقرار والأمان ، بين بيازيد وملك برنو ، إلا أنه ما لبث أن دب بينهما خلاف ، استولى ملك برنو على أثره ، على عدد كبير من رجال بيازيد ، بل إن رجال برنو عقدوا العزم على قتل بيازيد ، ففر إلى مدينة " جيس Gabas " وأثناء الطريق شعرت زوجته بالتعب ، وكانت حاملاً ، فتركها فى هذه المدينة ، فلما وضعت بعد ذلك أطلقت على مولودها اسم " بُرم Buram أو Burldma " ، وهو أمير جيس . وواصل بيازيد هجرته حتى وصل إلى " دورا Daura " فوجد فيها امرأة تحكمها اسمها " دوراما " ، ولم تذكر هذه الرواية موطن آباء " دوراما " ، التى اعتبرتها الأميرة العاشرة التى حكمت هذه البلاد ، وذكرت " الرواية " أسماء التسع أميرات اللاتى حكمن قبل " دوراما " . وأشارت الرواية أن الرجل " بيازيد " لم يتزوج دوراما نفسها ، ولكن تزوج ابنتها ، بعد أن قتل الثعبان الذى كان يسكن البئر الوحيدة التى تروى سكان مملكتها ، وأنجب " بيازيد " من ابنة " دوراما " ، ذرية أسست من بعده إمارات الهوسا السبع⁽¹⁾ .

ويبدو أن الأسطورة قد فعلت فعلها ، ولم تقف بل ذهبت إلى أن الذى تزوج ملكة دورا التى هى ابنة لوالدين هاجرا من البلاد العربية وسموها " دورا Daura " لدورانها حول الأرض حتى وصلوا إلى غابة بالقرب من برنو تسمى " جابى " تقول إن الذى تزوجها هو " مريما Murima " الذى كان حارساً لإصطبل أمير برنو الذى فر منه بعد أن أطلق حصان الأمير على فرسة ابن الأمير فأنجبت حصاناً يشبه حصان الأمير فتوعده بالقتل ففر إلى دورا ، وتزوجها وأنجبت ابنها " باوا Bawa

(1) مصطفى حجازى السيد حجازى : الهوسا لغةً وشعباً . مرجع سابق . ص 113 ، 114 .

" ، ولقد أحب الناس " باوا " هذا لأن أمه هى الأميرة التى كانت تحكمهم ولما ماتت انتقل إلى مكان ما بالقرب من برنو إلى الشرق من " جابى Gabi " حيث تزوج بامرأة بريرية اسمها " زارو Zaro " فأنجبت ولدا أسماه " برنكنى Birankane " ومكث مدة طويلة فى هذا المكان حتى كثر أبناؤه، ويقال أيضا : إنه تزوج امرأة ليست بريرية أنجبت له ولداً أسماه " أويوه Auyo " ، ثم أنجبت ولداً ثانياً فأسماه " جابى Gabi " ثم ثالثاً أسماه " كشيئا Kashina " ، ثم رابعاً أسماه " كانو Kanu " ومعناه فى البريرية " النار " ، ثم أنجبت ولداً خامساً فأسماه " جوبير Gobir " ، ثم سادساً فأسماه " رينو Rino " وعرف فيما بعد باسم " رانو Rano " ، وقد أطلقت هذه الأسماء فيما بعد على مدن لا تزال تعرف بها إلى اليوم^(١).

٦ - وهناك رأى آخر يقول : إن أصل الهوسا بالضبط فى الأرض التى نسميها حالياً بلاد الهوسا والحجة الأساسية التى يستند إليها هذا الرأى هى أنه لم يكن لأى طائفة من قبيلة الهوسا أبداً رواية تتعلق بالنزوح إلى بلاد الهوسا، وبخلاف ذلك فإن بعض الروايات المتناقلة محلياً تؤكد أن أجداد الهوسا فى هذه النواحي قد خرجوا من ثقب الأرض . وهذه الرواية - التى نقلناها فى غير هذا المكان فى إفريقيا - دليل على أن أجداد قبيلة الهوسا كانوا من المحليين، وبالتالي فإن أصل الهوسا فى الأرض التى يطلق عليها حالياً بلاد الهوسا وطبيعى أن هذه المجموعة العرقية التى تشمل سكان الهوسا الأصليين قد أفادت من موجات الهجرة القادمة من الشمال ومن الشرق، وفيما بعد جاءت بعض شعوب الوثقارة والقولانى من الغرب واستقرت فى بلاد الهوسا، وقد يناقض هذا الرأى القائل بأن لغة الهوسا ومجموعة الهوسا العرقية نشأت منذ البداية فى بلاد الهوسا، وما من شك فى أن هذه النشأة ستبقى غامضة بسبب المسافة الزمنية، وعدم ذكر المصادر لها والتى تعرضت لهذا الموضوع^(٢).

(١) فراج عطا سالم : مرجع سابق . ص ١٤٥ .

(٢) حسين سيد عبدالله مراد : دولة كانو الإسلامية تطورها السياسى والحضارى حتى نهاية القرن ٩ هـ / ١٥ م . نشرة رقم (٤٧) . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ١٩٩٧ . ص ١٠ ، ٩ .

وعلى أية حال فليس ثمة جنس يمكن أن يسمى جنس الهوسا، كما أنه ليس من الصواب اعتبارهم عنصرًا واحدًا أو مجموعة واحدة أو شعبًا واحدًا فهم يمثلون خليطًا من شعوب تنتمي إلى أصول مختلفة وإن جمعتهم لغة واحدة وذاتية ثقافية واحدة، واللغة - وليس العرق - هي التي أعطت الاسم للشعب والأرض جميعاً^(١).

٤- قبيلة الهوسا

تطلق كلمة " هوسا " على الشعوب والقبائل المقيمة بين مملكة برنو شرقًا والمنطقة الواقعة في الضفة الغربية لنهر نيجيريا غربًا، ومن حدود مملكة أهير شمالاً إلى حدود نهر بينوى جنوبًا . كما تطلق هذه الكلمة أيضا على اللغة التي يتحدث بها شعوب هذه المناطق والقبائل التي تعيش فيها^(٢) .

إن كلمة هوسا باعتبارها اسمًا عرقيًا لشعوب بلاد الهوسا، لم تظهر في الوثائق المكتوبة إلا حوالي القرن السادس عشر أو السابع عشر، وحتى هذا العهد، لم تكن شعوب الهوسا تعرف إلا بأسماء مدنها أو ممالكها^(٣) .

وينتشر الهوساويون في منطقة غرب إفريقيا وبخاصة في نيجيريا والنيجر وهم يعملون بالتجارة على نطاق واسع، وكان هذا الانتشار التجاري سببًا في نشر اللغة الهوساوية على نطاق واسع^(٤) .

وقديمًا كانت الهوسا تضم سبعة أقاليم هي " بيرام، ديورا، جوبر، كانو، كاتسينا، رانوا، زاريا " ^(٥) .

(١) المرجع السابق : ص ١١ .

(٢) صبري إبراهيم على سلامة : صور من بلاد الهوسا : مرجع سابق . ص ١٠ ، ١١ .

(٣) مهدى آدمو : « الهوسا وجيرانهم بالسودان الأوسط » في تاريخ إفريقيا العام . إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر . المجلد (٤) . المشرف على المجلد ج ت نيانى . اليونسكو . ١٩٨٨ ص ٢٧٥ .

(4) Ramsay F. Jeffress: "Africa". McGraw . Hill / Dushkin Company, connecticut- USA.,2001 . p. 129.

(5) "The New Encyclopaedia Britannica" : Vol. 5, Encyclopaedia Britannica, Inc. Chicago. USA, 1991.

وعلى الرغم من أن شعوب الهوسا تتميز بكونها ريفية في أغلبها فإنها تتركز في عدد من المراكز العمرانية الكثيرة مثل "كانو" التي تشتهر بصباغة المنسوجات، "وكتسينا" ذلك المركز التجارى المهم، "وزاريا" التي كانت مورداً كبيراً للعبيد، وفى القرون البعيدة كانت كل مدينة منهم تتمتع بنوع من الحكم الذاتى، وكانوا يناصبون بعضهم البعض العداء الشديد، وكانت لهم روابط تجارية مع التجار العرب والسودانيين الذين كانوا يسافرون عبر الصحراء إلى غرب إفريقيا^(١).

إن أهم الأحداث التاريخية التى حدثت فى تاريخ الهوسا كانت فى بداية القرن التاسع عشر فى سنة " ١٨٠٤م " حين ظهر داعية إسلامى يسمى " عثمان ابن فوديو " معلناً الجهاد ضد حكام الهوسا وممتلكاتهم فى الجزء الشرقى وكان عدد الثوار يقدر بعشرة ملايين، وقد امتد هذا الجهاد حتى الكاميرون الشمالية عن طريق بعض القادة الآخرين، وذلك بعد صراع دام أربع سنوات تم بعدها احتلال كل دويلات الهوسا وأسس " فوديو " خلافة الهوسا فولانى فى سوكونتو^(٢).

ولقد امتزج الفولانى الغزاة بقبيلة الهوسا، وانصهروا فيهم وتمثلوا ثقافتهم وتكلموا لغتهم، حتى أنه يطلق على الهوسا والفولانى فى شمال نيجيريا (الهوسا / فولانى) باعتبارهما شعباً واحداً له سمات ثقافية واحدة ولغة واحدة^(٣).

ويوجد أول سجل لدخول قبيلة الفولانى إلى بلاد الهوسا فى حوالى عام (١٣٢٠م)، أى فى عهد (منسى موسى) أحد سلاطين مالى^(٤) وقد دخل الفولانيون

(1) The Diagram Group : « Encyclopedia of African peoples », fitzory Dearborn publishers, Chicago – USA, 2000. P.96 .

(2) Lye, Keith and the Diagram Group : "Encyclopedia of African Nationa and civilizations", facts on file , New York- USA, 2002 . P. 284. Gordon April A. and Gordon, Donald L.: "Understanding Contemporary Africa". Lynne انظر أيضا
Rienner Publishers, London. GB, 2001, p. 40.

(٣) ماجدة فتحى رفاعة : مفهوم السلطة فى المجتمعات الإفريقية مع التطبيق على قبائل الهوسا / فولانى واليوروبيا والايبو الموجودة فى نيجيريا رسالة ماجستير .قسم الأنثروبولوجيا . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة. ١٩٩٥ . ص ١٤٥ .

(٤) عبدالله عبدالرازق إبراهيم : دولة سوكونتو منذ عام (١٨١٧ حتى ١٩٠٣) رسالة دكتوراه . قسم التاريخ . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ١٩٨٢ . مرجع سابق ص ١٥ .

ولايات الهوسا تجارًا، ولكنهم أخذوا معهم معارفهم الدينية واتجاهاتهم الخلقية، ونجحوا خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر في جذب جموع كثيرة من قبيلة الهوسا إلى الإسلام، وبعض الفولانيين أقام في بلاد الهوسا^(١). وظلوا سنين طويلة يتعايشون سلميًا مع قبيلة الهوسا خاصة بعد أن تعلموا لغتها، وامتزجوا بها عن طريق الزواج والمصاهرة، وتولى كثيرون منهم المناصب الكبرى في إماراتها^(٢).

وقبل الجهاد الفولاني كانت قبيلة الهوسا تمارس السيادة في مدنها المحصنة وقد اعتاد الناس هذه النظم، وكان الرجل من الهوسا لا يهتم كثيرًا بمن يحكمه، طالما يسمح له بزراعة حقله في أمان أو ممارسة أية حرفة يرغبها، وظل الشعب يدير شؤونه بنفسه فطور نظامه الاجتماعي الذي تأثر إلى حد كبير بالثقافة الإسلامية^(٣).

ولقد كان شعب الفولاني وقت الاحتلال البريطاني يمثل القوة السياسية المتسلطة في نيجيريا الشمالية حيث اتسعت إمبراطورية الفولاني قبل هذا الاحتلال لتشمل كل المديرية الشمالية جميعها^(٤).

ومنذ استقلال نيجيريا أصبح الهوسا يؤدون دورًا رئيسيًا في السياسة النيجيرية^(٥).

إن المجتمع الهوساوى كان واستمر مؤسسًا سياسيًا على القواعد الإقطاعية الحاكم " الأمير " في واحدة من أقاليم الهوسا، يكون محاطًا بعدد من الرجال ذات الألقاب الذين يتحكمون في القرى ولهم وكلاء يجمعون لهم الضرائب، والإدارة يتم

(١) أحمد شلبى موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية الجزء (٦) الطبعة (٢) . مكتبة النهضة . القاهرة ١٩٧٨ ص ٦٩ .

(٢) أحمد صقر سيد نجم : الحركة الوطنية فى نيجيريا (١٩١٤ - ١٩٦٠) . رسالة ماجستير . قسم التاريخ . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة ١٩٨٢ . ص ٨ .

(٣) عبدالله عبدالرازق إبراهيم : دولة سوكتو منذ عام (١٨١٧ - ١٩٠٢) . مرجع سابق . ص ٢٠٦ .

(٤) نجوى عبدالنبي شحاتة : الاستعمار البريطانى فى نيجيريا . (١٨٦١ - ١٩١٤) . رسالة ماجستير . قسم التاريخ . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ١٩٨٠ . ص ١٦٩ .

(5) The World Book Encyclopedia : Op. cit, P 90 .

مساعدتها بواسطة الدواونية " حكومة تتركز السلطة فيها بأيدى مجموعة من الموظفين " باستخدام سجلات مكتوبة باللغة العربية^(١).

ويعتبر الهوسا من مهرة الزراع، ورعاة الماشية، كما أنهم تجار مغامرون، وأهل فن حاذقون يجيدون صناعة الجلود، وعمل الحصر من القماش، والحمالون كلهم لهم طاقة هائلة من القوة والاحتمال، ولقد أثبتوا في المعارك التي اشتركوا فيها تحت القيادة البريطانية أنهم محاربون أشداء، ولا يجد الخوف إليهم سبيلاً^(٢)، ولهم تاريخ مجيد وذكريات خالدة في السياسة والصناعة والتجارة والحماسة، وهم مولعون بحب السياحة وتحمل المكاره وسعة الصدر وخفة النفس وقوة العارضة والعزيمة وإتقان الصناعة، ويؤخذ على قبيلة الهوسا الخوف المفرط من الكبراء والخضوع الفاحش للأمرء والتجمد على التقاليد الموروثة من الأسلاف والاعتماد على الغير وإهمال ما من شأنه الاعتناء به ثم الإحالة على القضاء والقدر^(٣).

٥- لغة الهوسا

وحول إطلاق كلمة "هوسا Hausa" إنما هي في الواقع تتكون من مقطعين، كل مقطع منها يمثل كلمة مستقلة في ذاته، هذان المقطعان هما : الأول : " Hau " بمعنى " يصعد - يركب"، والثاني : " Sa " بمعنى " ثور البقر ". والكلمتان مركبتان بالإضافة Hausa" بمعنى " راكب الثور ". والسبب في إطلاق هذا اللفظ يرجع إلى أنه حينما رأى أهل البلاد الأصليين رجلاً " فارساً شجاعاً " جاء إلى بلادهم قادماً من بلاد الشرق، وكان يسمى " أبو يزيد Bayajida " وكان هذا الرجل يركب ثور البقر، وكانت هذه الظاهرة " ركوب ثيران البقر " غير مألوفة لدى هؤلاء الناس فكانت غريبة عليهم ومثيرة للدهشة، فأخذوا يتداولون فيما بينهم هذا الوصف " راكب الثور Hausa " فكان أحدهم حينما يريد أن يذهب إلى مكان هذا الرجل هو وأتباعه يقول لجماعته : إنى ذاهب إلى " راكب الثور Hausa " وقد فعل هذا " راكب

(١) The New Encyclopaedia Britannica : Op cit. P 752.

(٢) فراج عطا سالم : مرجع سابق . ص ١٥٠ .

(٣) آدم عبدالله الاثوري : موجز تاريخ نيجيريا قاموس صغير يلقي الضوء على تاريخ هذه البلاد قديمه وحديثه . منشورات دار مكتبة الحياة . بيروت . ١٩٦٥ . ص ١٢٦ .

الثور Hausa " ولكثرة شيوع هذا التعبير واستخداماته أصبح علماً على جنس هذا الشعب وأيضا على لغته التي يتحدث بها خاصة وأن " أبا يزيد Bayajida " يقال إنه الأصل في تأسيس وإنشاء إمارات الهوسا^(١).

إن مدلول كلمة الهوسا مدلول لغوي، وليس جنسياً، فكل من يتكلم الهوسا يعتبر هوساوياً، ولا توجد قبيلة واحدة تعرف باسم " قبيلة الهوسا "، فمتكلمو اللغة عبارة عن مجموعة من القبائل والجماعات المنتشرة في غرب إفريقيا، وقد يوجد من هذه القبائل من لا يعرف إلا لغته الأصلية، وهى الهوسا، وقد يوجد من يتكلم لغة الهوسا إلى جانب لغة قبيلته الأصلية، وكثير من أبناء المتكلمين بلغتين لا يعرفون إلا لغة واحدة فقط وهى الهوسا، ويجهلون لغة آبائهم تماماً^(٢).

وتعد لغة الهوسا من مجموعة اللغات التشادية، وتتبع أسرة اللغات الأفروآسيوية^(٣). وقد تأثرت بالعديد من الكلمات العربية كنتيجة للتأثير الإسلامى الذى انتشر أثناء الجزء الأخير من القرن الرابع عشر من مملكته مالى وأثرت فى معتقدات الهوسا وتقاليدهم^(٤).

ولقد ارتبطت الهوسا بالثقافة العربية والإسلامية عدة قرون، فكانت تكتب بالخط العربى^(٥)، وتحتوى على عدد كبير جداً من الكلمات العربية المقترضة "قد تزيد على ١٢٠٠ كلمة"^(٦). وظلت تدون بالخط العربى إلى أن دخل الاستعمار إفريقيا وعدل بدوره نظام الكتابة لأهداف سياسية استعمارية، حيث استبدل

(١) صبرى إبراهيم على سلامة : صور من بلاد الهوسا . مرجع سابق . ص ١٢ .
(٢) مصطفى حجازى السيد حجازى : العربية والهوسا نظرات تقابلية . معهد اللغة العربية . جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية . ١٩٨٥ ص ٨ .
(٣) محمد محمود محمد أحمد : قصة الجسم المتحدث دراسة دلالية لقاموسها اللغوى . رسالة ماجستير . قسم اللغات . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ١٩٩٠ . ص ١ .

(4) The New Encyclopaedia Britannica : Op. cit. P. 702.

(٥) صبرى إبراهيم على سلامة : المصطلحات السياسية فى البرامج الموجهة بلغة الهوسا دراسة دلالية ومعجم لعام ١٩٨٩ م . رسالة ماجستير . قسم اللغات . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ١٩٩٢ . ص ١ .

(٦) مصطفى حجازى السيد حجازى : الهوسا لغةً وشعباً . مرجع سابق . ص ١١٢ .

نظام التدوين بالخط اللاتيني بدلاً من الخط العريى، وقد سار هذا النظام داخل المؤسسات الحكومية والمدارس وغيرها حتى وقتنا هذا^(١).

وتعتبر لغة الهوسا والسواحلية من أكبر اللغات الإفريقية وأوسعها انتشاراً فى قارة إفريقيا بعد اللغة العربية^(٢) وتنتشر لغة الهوسا فى مساحة واسعة من غرب إفريقيا، تمتد من المحيط الأطلسى غرباً إلى جمهورية السودان شرقاً، وإلى حدود ليبيا والجزائر شمالاً، أى أنها تغطى مناطق واسعة من جمهوريات النيجر، ونيجيريا، وتشاد، وتوجو، وداهومى، والكميرون، وغانا، حيث تسود لغة الهوسا فى تلك البلاد، حتى صارت لغة التفاهم فيها^(٣)، وتتعامل بها أيضاً جماعات أخرى فى مواقع مختلفة من مدن إفريقيا الغربية وإفريقيا الاستوائية^(٤).

وتنتشر القبائل الناطقة بلغة الهوسا فى شمال نيجيريا خاصة فى مناطق سوكوتو Sokoto، وكانو Kano، وزايا Zaria، وباوتشى Bauchi، وكانت هذه القبائل وثنية قبل اعتناقها الدين الإسلامى ابتداءً من القرن الثالث عشر الميلادى^(٥). والهوسا هى اللغة الرسمية فى شمال نيجيريا إلى جانب الإنجليزية، وذلك طبقاً لنص الدستور النيجيرى الذى صدر بعد الاستقلال فى عام "١٩٦٠"^(٦). ولا يمكن لأى لغة من لغات جنوب نيجيريا أن تحتل نفس المكانة التى للهوسا فى الشمال، ويرجع هذا إلى أن الشمال كان يعتنق الإسلام قبل ظهور الأوروبيين، وبطبيعة الحال لم يكن هناك مجال أمام البعثات التبشيرية لتعمل فى الشمال^(٧).

وللغة الهوسا فى نيجيريا أربع لهجات هى :

- (١) صبرى إبراهيم على سلامة : المصطلحات السياسية فى البرامج الموجهة بلغة الهوسا دراسة دلالية ومعجم لعام ١٩٨٩ م . مرجع سابق . ص ١ .
- (٢) مصطفى حجازى السيد حجازى : الهوسا لغةً وشعباً . مرجع سابق . ص ١١٢ .
- (٣) مصطفى حجازى السيد حجازى : الهوسا لغةً وشعباً . مرجع سابق . ص ١١٢ .
- (٤) صبرى إبراهيم على سلامة : المصطلحات السياسية فى البرامج الموجهة بلغة الهوسا دراسة دلالية ومعجم لعام ١٩٨٩ م . مرجع سابق . ص ١ .
- (٥) عبدالله عبدالرازق إبراهيم : الإسلام والحضارة الإسلامية فى نيجيريا . مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة . ١٩٨٤ . ص ٧ .
- (٦) هالة محمد العيسوى : الكلمات ذات الأصل العريى فى لغة الهوسا دراسة لغوية . رسالة ماجستير . قسم اللغات . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ١٩٨٦ . ص ٣ .
- (٧) محمد عبدالغنى سمودى : قضايا إفريقية . مجلة عالم المعرفة . الكويت ١٩٨٠ . ص ١٤٩ .

اللهجة الشمالية : وهى التى يتكلم بها سكان " كتسينا Katsina " و " هطيجا Hadija " وأقصى الشمال، ومن المحتمل أنها أقل لهجات الهوسا تأثراً بغيرها من اللهجات المجاورة .

لهجة زاريا Zariya : وهى أكثر لغات الهوسا تأثراً باللغات النيجيرية الجنوبية نظراً لموقعها الجغرافى .

لهجة سوكوتو Sokoto : ولم تكن " Sokoto " إحدى إمارات الهوسا السبع التى تتحدث بلغة الهوسا، ولكنها دخلت نطاق الهوسا اللغوى بانتصارات الشيخ "عثمان ابن فوديو" فى بداية القرن التاسع عشر، وقد تركت سلالته لغتها الأصلية، وهى الفلاتا واتخذت الهوسا لساناً لها، لذلك نجد اختلافاً واضحاً بين هذه اللهجة واللهجات الأخرى .

لهجة كانو Kano : وهى أكثر لهجات الهوسا انتشاراً، وتعتبر هذه اللهجة هى اللهجة القياسية Standard، للغة الهوسا، وتم بناء عليها معظم الدراسات فى لغة الهوسا^(١).

اللهجة الشرقية : وتوجد فى مدن هاديجا، آزار، كاتاجوم .

اللهجة الغانية : وتوجد فى غانا .

اللهجات غير الأصلية : وتوجد فى بنين، توجو^(٢).

وقد ساعد على انتشار لغة الهوسا الواسع، طبيعة المتكلمين بها، فالقبائل التى تتحدثها تشتغل بحرفتى الرعى والتجارة، ومن شأن الرعاة والتجار التجول

(١) أشرف محمد الهادى السعيد العزازى : أنماط التركيب الاصطلاحيه فى لغة الهوسا، رسالة ماجستير قسم اللغات معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ١٩٩٤ . ص ٢، ١ .

(٢) شوقى صلاح نوح الفرماوى : كتاب «مَنْ يتزوج جاهلة؟» للكاتبه الهوساوية Balaraba (دراسة دلالية معجمية) . رسالة ماجستير قسم اللغات . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ٢٠٠٤ . ص ١ .

والترحال، ولذلك كون المتكلمون باللغة فى غرب إفريقيا، وخاصة على الساحل، ما يشبه المستوطنات يقيمون فيها للتجارة^(١).

كما كان لطبيعة الشعب وتدينه أثر كبير فى نشر هذه اللغة فكثير من المسلمين كانوا يقصدون حج بيت الله الحرام راجلين، وقد يأخذ الرجل زوجته وأولاده، ويتجه شرقاً قاصداً مكة المكرمة، ويقضى السنين الطوال فى هذه الرحلة، وغالباً ما يستقر به المقام فى الطريق، سواء فى الذهاب أو الإياب، لذلك نجدهم منتشرين فى الطرق التى كانت تسلكها القوافل قديماً فى غرب إفريقيا^(٢).

وقد كانت للهوساويين السيادة السياسية لبضع مئات من السنين شملت معها بعض الأقليات من غير متحدثى الهوسا، ولقد اضطرت هذه الأقليات لتبنى اللغة الهوساوية كلفة ثانية إلى جانب لغاتهم الأصلية كما كانت لعملية الهوسوة أثر كبير فى القضاء على ثقافات أخرى كثيرة^(٣).

وقد حافظ الهوساويون بل وعمقوا من تميزهم الاجتماعى والثقافى بكونهم مازالوا محافظين على استخدام لغتهم الهوساوية كلفة تعامل على مستوى الأفراد والمجتمعات^(٤). والجدير بالذكر أن انتشار لغة الهوسا أصبح كاسحاً وذا أهمية خاصة حالياً فى غرب إفريقيا^(٥). حيث يزداد عدد المتحدثين بلغة الهوسا يوماً بعد يوم .

(١) مصطفى حجازى السيد حجازى : الهوسا لغةً وشعباً، مرجع سابق . ص ١١٢ .
أنظر أيضاً : عبدالفتاح مقلد الغنيمى : حركة المد الإسلامى فى غرب إفريقيا، مكتبة نهضة الشرق .
جامعة القاهرة . بدون تاريخ . ص ١٦٧ .

(٢) مصطفى حجازى السيد حجازى : العربية والهوسا نظرات تقابلية . مرجع سابق ص ٨ .
(3) Nttle Daniel: "Linguistic Diversity", Oxford University Press, New York, USA, 1999, P. 74 .

(4) Hodder, Rupert: "Routledge. Contemporary Human Geography series Development Geog-
raphy" . Routledge. London, 2000- GB, P.46.

(٥) فاروق عبدالجواد شويقة : دراسات أيكولوجية إفريقية وحوض النيل، الطبعة (٢)، دار روتابرينت.
القاهرة. ١٩٨٦. ص ١٣٢ .

٦- تأثير الثقافات الوافدة على مجتمع الهوسا .

إن كل الثقافات تؤثر وتتأثر ببعضها البعض وقد تأثرت ثقافة الهوسا بالثقافة الإسلامية أكبر تأثير أما الثقافة الإنجليزية فهي لم تؤثر في ثقافة الهوسا بشكل كبير نظراً لأن مجتمع الهوسا مجتمع إسلامي .

أما عن تأثير الثقافة الإسلامية العربية فكان لها أكبر الأثر على ثقافة الهوسا لسهولة ويسر الدين الإسلامي منذ دخوله بلاد الهوسا .

١ - تأثير الثقافة العربية الإسلامية

يمكن القول إن قيام الدولة الإسلامية في أرض الهوسا، كان عاملاً قوياً في انتشار اللغة العربية والثقافة الإسلامية في هذه المنطقة من إفريقيا.^(١) فاللغة العربية تالية للدين الإسلامي في الانتشار بهذه البلاد^(٢).

وكان من أهم الآثار الثقافية التي تركها العرب في هذه البلاد كتابة الهوسا بالخط العربي المغربي، الذي ظلت تكتب به حتى وصل الاستعمار البريطاني إليها فأنشأ داراً للنشر في مدينة زاريا، واستعمل الحرف اللاتيني بدلاً من الحرف العربي^(٣)

ورغم ذلك فلغة الهوسا بها كلمات كثيرة مقترضة من اللغة العربية^(٤). ويمكن القول إن الظهور الحقيقي إلى حيز المعرفة للأدب الهوساوي كان بعد دخول اللغة العربية والإسلام إلى تلك البلاد^(٥). ومنذ القرن الثاني عشر ومع إمبراطورية مالي

(١) ماجده فتحى رفاعة : مرجع سابق . ص ٢٢٦ .

(٢) مصطفى حجازى السيد حجازى : ظواهر صرفية مشتركة بين اللغة العربية والهوسا . مجلة مجمع اللغة العربية . الجزء (٥٥) . القاهرة ١٩٨٤ . ص ١١٩ .

(٣) مصطفى حجازى السيد حجازى : الهوسا لغةً وشعباً . مرجع سابق . ص ١١٣ .

(٤) مصطفى حجازى السيد حجازى : دراسة دلالية للكلمات العربية المقترضة في لغة الهوسا . مجلة مجمع اللغة العربية . الجزء (٥٠) . القاهرة ١٩٨٢ . ص ٧٧ .

(٥) صبرى إبراهيم على سلامة : صور من بلاد الهوسا . مرجع سابق . ص ١٦ .

(١٢٣٨ - ١٤٨٨ م) إلى القرن السابع عشر كانت اللغة العربية لغة العلم والأدب،
ففيها وضعت أهم المؤلفات التاريخية والفكرية لهذه البلاد^(١).

ويمكن القول إن اللغة العربية حتى سيطرة الاستعمار الأوروبي على هذه البلاد
كانت هي اللغة الرسمية السائدة في غرب إفريقيا، فقد كانت لغة التفاهم إذا
اختلفت اللغات وعز التفاهم، وكانت لغة المراسلات بين الملوك والأمراء وبها تكتب
المعاهدات والمواثيق، كما كانت وسيلة الاتصال الوحيدة التي كان يستعملها القادة
العسكريون في الحرب العالمية الأولى مع الجنود الأفارقة . ولو تركت اللغة العربية
وشأنها لتعربت هذه البلاد تمامًا شأنها في ذلك شأن السودان في عصر " محمد
على "، والجزائر بعد الاستقلال، ولكن الاستعمار وقف لذلك بالمرصاد، رغبة منه
في تقطيع أواصر الصلة بين المشرق العربي والمغرب الإسلامي . وكانت بداية هذه
الحركة هي محاولة القضاء على الخط العربي باستعمال الخط اللاتيني، إلا أنه
لم ينجح إلا لفترة وجيزة، فقد ظهرت حركة إعادة الخط العربي مرة أخرى، على
يد جماعة من أساتذة جامعة " أحمدو بللو " بزاريا، إلى جانب ظهور الجمعيات
الإسلامية التي تعمل على تشجيع التعليم الإسلامي^(٢).

ب - تأثير الثقافة الإنجليزية

كانت إنجلترا تدعى أن سبب استيلاءها على نيجيريا هو القضاء على تجارة
العبيد واعتبرتها مستعمرة بريطانية^(٣).

والواقع أنه لم تكن لنيجيريا حتى أوائل القرن العشرين حدود سياسية واضحة
المعالم، بل كانت المنطقة تضم العديد من الممالك والإمارات التي لم تلبث أن تفكك
معظمها لأسباب مختلفة، كالحروب والغزوات وتجارة الرقيق، ولم تأخذ نيجيريا

(١) صبرى إبراهيم على سلامة، عمر السيد عبدالفتاح : مرجع سابق . ص ٤ .
(٢) مصطفى حجازى السيد حجازى : الأثر العربى فى لغة الهوسا « نموذج من تأثير الأمثال العربية »،
مجلة مجمع اللغة العربية الجزء (٥٢) . القاهرة . ١٩٨٣ . ص ٨٦ .
(٣) عبدالمنعم الصاوى : دليل الدول الإفريقية . إشراف: حلمى شعراوى . الجمعية الإفريقية . مطبوعات
الجمعية الإفريقية القاهرة . ١٩٧٥ . ص ٢٧٢ .

صورتها الحالية كوحدة سياسية إلا بعد أن استقر فيها الاستعمار البريطاني ووضع مختلف أجزائها تحت وصاية حاكم بريطاني واحد عام (١٩١٤م)^(١).

ولقد أحدث دخول الاستعمار انقطاعاً بائناً في التطور العفوي للقارة الإفريقية في جوانبها الاقتصادية والسياسية، كما أحدث خللاً في نسيجها الثقافي، ومع دخول الاستعمار بدأت الإرساليات والحملات التبشيرية تشق طريقها لإفريقيا بهدف غزوها ثقافياً واقتصادياً وعقائدياً، فأخذوا يدرسون اللغات الإفريقية المحلية، ووضعوا لها معاجمها^(٢). ففي عام (١٨٤٣ م) وضع (ياكوب شون Jacob F. Schon) قاموس للغة الهوسا^(٣).

٧- النظام الاجتماعي والسياسي عند الهوسا

هناك ثلاث مراتب سياسية واضحة لدى الهوسا وهي :

الحائزون على مناصب وراثية " Masu Sarauta Na aSali "

الحائزون على مناصب حكومية " Masu Sarauta Na Cafka "

أفراد عامة الشعب " Talakawa "

فالنظام الاجتماعي والسياسي للهوسا قائم على التمايز الطبقي، ومعايير هذا التمايز تقوم على مدى القرابة من البيت الحاكم، ويتدرج النظام الاجتماعي للهوسا على النحو التالي:

الطبقة الأرستقراطية العليا، وتشمل الأمراء وأعضاء الطبقة الحاكمة، وكبار موظفي الدولة تليها الطبقة الأرستقراطية الأقل، وتشمل المعلمين والأثرياء والتجار

(١) أحمد صقر سيد نجم : مرجع سابق . ص ٢ .

(٢) صبرى إبراهيم على سلامة : صور من بلاد الهوسا . مرجع سابق . ص ١٦ .

(٣) المرجع السابق : ص ١٦ .

والسياسيين غير المنتمين إلى الطبقة الحاكمة، ثم تليها طبقة العامة وتنقسم إلى قسمين، أولهما - الطبقة الوسطى وقوامها أهل الحرف الذين يشكلون عصب الصناعة والتجارة والنقل، والمتعلمون الذين يشكلون الهيئة الدينية والإدارية والكتابية فى الجهاز السياسى والحكومى، ولكن هذه الطبقة الوسطى قليلة الأهمية فى الأحداث السياسية، والقسم الثانى - ويتكون من الطبقة الدنيا وتشمل الفلاحين والحرفيين، ثم تلى ذلك طبقة المعدمين " Classless "، والحمالين والغرباء^(١).

وشعب الهوسا يدين بالطاعة لحكامه، ويرى الشماليون أن طاعتهم لحكامهم إحدى الواجبات التى طالبهم بها الإسلام^(٢).

إن التوتر الدينى جعل من الصعب على الهوسا/ فولانى أن يحققوا التحالف السياسى مع نخب الأقليات الشمالية^(٣).

ونستطيع القول إن نيجيريا قد تعرضت لكثير من الانقلابات العسكرية وذلك نتيجة لعدم استقرار الأوضاع فى البلاد - حيث كان هناك خلافات دائمة بين الشمال والجنوب - وقد تمت محاولات كثيرة فى التوحيد بين الشمال والجنوب لكنها فى معظم الأوقات كانت محاولات فاشلة ولقد مرت البلاد بعدد من المراحل فى الحكم بين الحكم المدنى تارة وبين الحكم العسكرى تارة أخرى.

(١) لمزيد من الاطلاع انظر:

— ماجدة فتحى رفاعة : مرجع سابق . ص ١٠٤ . ١٠٥ .

- The New Encyclopaedia Britannica. Op. Cit, P.752.

(٢) محمد مصطفى الشمينى : مرجع سابق. ص ١٩٢ .

(3) Forrest, Tom: "African Modernization And Development Series -Politics And Economic Development In Nigeria". Westview Press Colorado - USA, 1993. P.115.

٨ - أنماط الحياة الاجتماعية والثقافية لقبيلة الهوسا

١ - القرابة :

لقد ميز علماء الأنثروبولوجيا بين نوعين من الروابط التي تربط بين الأفراد - العلاقات القرابية - وهى أولا - الروابط التي تنشأ عن طريق " الانحدار Descent" فتظهر الروابط العائلية، وبخاصة الأسرة الصغيرة، وثانيا - الصلات التي تنشأ عن طريق الزواج وتظهر من خلالها " المصاهرة Affinity"، وفى الحقيقة إن كلا النظامين هو سبب ونتيجة فى آن واحد^(١).

إن نظم العائلة والزواج فى مجتمع الهوسا نظم تعتمد من حيث انحدارها على مبدأ الخط الأبوى " Descant Agnatic" أى القرابة العاصبة التي ينتظمها خط الأب.

إن الأسرة الصغيرة هى نواة للنسق القرابى كله، إذ تنشأ عنها العلاقات القرابية المباشرة بين الأفراد فى الأسرة والعائلة، وهى علاقات تتحدر عن طريق الدم، وتنشأ عنها أيضا علاقات المصاهرة عن طريق الزواج .

وتعرف قبيلة الهوسا نظام الأسرة البسيطة أو الأسرة التي تتكون من رجل وامرأة وأولادهما، وهو أبسط أشكال العائلة فى أى مجتمع من المجتمعات الإنسانية، غير أن هذا الشكل ليس هو الشكل الأساسى أو الشكل الشائع للعائلة التقليدية، إذ حين يكبر الأبناء ويتزوجون فإنهم يأتون بزوجاتهم وأولادهم ليعيشوا معاً، ومن ثم يظهر شكل ثانٍ من أشكال العائلة هو العائلة الممتدة " Extended Family"^(٢).

(1) Radcliffe - Brown, A.R.and Forde, Daryll. : "African Systems Of Kinship And Marriage".

Oxford University Press, London - GB , 1950 , P. 4.5. بتصرف

(٢) محمد على نوبل : ألفاظ الحياة الاجتماعية فى لغة الهوسا . دراسة دلالية لكتاب Zaman Mutum

da Sana>Arsa . رسالة ماجستير . قسم اللغات . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة

القاهرة . ١٩٩٣ . ص ٣ .

وتعتبر الأسرة هي أصغر وحدة قرابية يعرفها نظام القرابة لدى مجتمع الهوسا وإن كان السائد عند الهوسا هو الأسرة الممتدة التي تتكون من الرجل وزوجته وأبنائه وأحفاده إلى غير ذلك .

إن الأسرة هي النظام الاجتماعي الذي يتم فيه انتقال التراث الثقافي للمجتمع إلى الجيل الجديد (بواسطة العملية التي تسمى فنيا بالتثنية الاجتماعية)، ولا يمكن أن تتم هذه العملية المهمة والحيوية دون أن تكون العلاقة القائمة بين الآباء والأبناء مبنية بالتبادل على السلطة والاحترام^(١).

لقد ترتب على اعتناق بلاد الهوسا للإسلام - أن في الأسرة - احتراماً متبادلاً، فالصغير يحترم الكبير، وتجد الأبناء يحترمون آباءهم ويسمعون كلامهم من منطلق أن من لا يسمع كلام والديه سيلعن في الدنيا والآخرة، ولذلك إذا أراد الولد دخول المدرسة ورفض أهله لرغبتهم في أن يعمل - بحرفة ما - فعالباً ما يوافق الولد دون أي اعتراض . وكذلك فإن قبيلة الهوسا تفرق في المضاجع بين الذكور والإناث عند بلوغهم سن السابعة من العمر^(٢).

ب - الزواج

شغلت دراسة الزواج اهتمام علماء الأنثروبولوجيا فهو ظاهرة تلازم كل المجتمعات البشرية ولا خلاف على وجوده في كل المجتمعات التقليدية والحديثة، الفقيرة والغنية، المتخلفة والمتقدمة، إلا أن الخلاف الأساسي يكمن في كثير من الأمور المرتبطة بالزواج مثل طريقتيه، وعدد الزوجات والمراسم والطقوس المتبعة في إجرائه، والواقع أن الزواج يمثل المقدمة الأساسية لتكوين الأسرة، وبالتالي فالعلاقة وثيقة بينهما إلى حد كبير . فكلاهما مكمل للآخر ولا تقوم له قائمة بدون^(٣).

(١) لوسى مير : الأنثروبولوجيا الاجتماعية : ترجمة: علياء شكرى، وحسن الخولى . تقديم: محمد الجوهري . دار المعرفة الجامعية . الاسكندرية . ١٩٩٤ . ص ١١٦ .

(٢) محمد على نوفل : الفاظ الحياة الاجتماعية في لغة الهوسا . مرجع سابق ص ٤ .

(٣) على محمد المكاوي : الأنثروبولوجيا الاجتماعية . دراسة التغير والبناء الاجتماعي « سلسلة علم الاجتماع المعاصر . الكتاب ٨٢ » . مكتبة نهضة الشرق . القاهرة . ١٩٩٠ . ص ٨٧ .

ولقد قال تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ
بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٥)

وقد عرف الزواج بأنه ارتباط بين رجل وامرأة بحيث يعترف بالأولاد الذين يولدون للمرأة كأبناء شرعيين لكل من الوالدين، والزواج يخلق علاقات اجتماعية جديدة وحقوقاً متبادلة بين الزوجين وبين كل منهما وأقارب الآخر، كما يحدد حقوق الأطفال ومكانتهم عندما يولدون . ولكل مجتمع إجراءات معترف بها لقيام مثل هذه العلاقات والحقوق وإعلان قيامها^(١).

ويعد الزواج من أهم العادات والتقاليد الاجتماعية، ومن خلاله تتكون القرابة بنوعيها^(٢). ولكل مجتمع عاداته وتقاليدته في الزواج التي تتفق مع الظروف الاجتماعية والثقافية ويمكن القول إن عادات الزواج تعكس إلى حد كبير معايير وقيم المجتمع بما تتطلبه من شروط وما تضعه من إجراءات عند تكوين الأسرة، ولذلك فهي تزخر بقدر هائل من الميراث الثقافي الذي تكون جيلاً بعد جيل ورسم الممارسات والإجراءات التي تتبع منذ التفكير في الزواج حتى إنجاب الأطفال^(٣).

فبمجرد أن يصبح الولد رجلاً يتزوج، وبذلك يلقي احتراماً من الكبير والصغير، ويصبح مسئولاً عن تصرفاته، وإذا لم يتزوج الإنسان مبكراً يطلق عليه عدة أسماء غير مستحبة مثل " Tuzuru " أى الأعزب، وكذلك إذا طلق يكره أن يقال عليه "Gwauru"، وأن البنت عندما تتزوج تصبح أهلاً لمشهورة أمها . وللزوج الحق في الزواج من امرأة إلى أربعة على قدر حالته - حسب الشريعة الإسلامية -^(٤)

(*) سورة الروم آية ٢١ .

(١) لوسى مير : مرجع سابق ص ١٢٢ .

(2) Falola Toyin: "Culture and customs of Nigeria", Greenwood press, connecticut - USA , 2001, p . 119 .

(٣) توفيق الحسيني عبده : مكانة الجمل في الفولكلور الصومالي . مجلة الدراسات الإفريقية . العدد (١٥) . القاهرة . ١٩٩٣ . ص٤٨ .

(٥) محمد على نوفل : الفاظ الحياة الاجتماعية في لغة الهوسا مرجع سابق ص ٤١ .

ويكون الإنفاق عليهن وعلى أولادهن مسئوليته، وأن مستلزمات البيت مطلوبة منه، وأنه سيد البيت وأوامره مطاعة، وأن للمرأة الحق في التصرف في أمور البيت وتربية الأولاد^(١).

وتتميز العائلة في مجتمع الهوسا بصفة السكن في بيت عائلة الزوج الأصلي، فالبنات إذا تزوجت تغادر بيت أبيها، وتقيم حسب التقاليد الاجتماعية الهوساوية في بيت أهل زوجها، ولعل هذا النمط من الإقامة الأبوي يتفق مع سلطة الرجل وسيادته، إذ هو رئيس العائلة والمسئول عنها .

وسن الزواج بالنسبة للفتاة عندما يكون زواجاً مبكراً يكون السن ١٦ سنة أما الولد عندما يتزوج في سن مبكرة يكون سنة من ١٩ إلى ٢٠ سنة، أما بالنسبة للسن الطبيعية للزواج في مجتمع الهوسا هو بالنسبة للفتاة ١٨ سنة، أما الفتى ٢٥ سنة. وفي معظم بلاد الهوسا نجد أن الزواج المبكر هو السائد . وهدف مؤيدي الزواج المبكر أن الفتاة إذا تزوجت في سن صغيرة فسوف تتعلم أن تكون محبة ومخلصة لزوجها وبذلك يزداد ارتباطها به كلما كبرت وظلت معه في حياة واحدة^(٢).

وبعد انتشار الإسلام في بلاد الهوسا اعتبر الإسلام شرطاً أساسياً للزواج من المسلمين. ويجوز للرجل المسلم أن يتزوج بكتابية، ولكن في الأعم الأغلب تعتق الإسلام بعد الزواج .

ونظراً لأن الزوجة هي التي تقوم في الغالب بإحضار الجهاز اللازم لمنزل الزوجية فإنه معروف سلفاً أن كل ما في البيت هو ملك لها، وبالتالي ليست هناك مدعاة أو ضرورة إلى تسجيل هذا الجهاز فيما يعرف بـ " قائمة جهاز الزوجية " كما هو متبع عند بعض الشعوب الأخرى^(٣).

وفي العادة يقوم الرجل بالإنفاق على زوجته، وهي تتولى شئون البيت والأولاد ولكن هذا لا يعني أن المرأة لا تعمل، فالواقع أنها تساعد زوجها وتعمل النساء

(١) المرجع السابق : ص ٤٠، ٤١ .

(2) Madauci Ibrahim, Isayahaya. and Daura, Betto: «Hausa Customs». Northern Nigerian Publishin, Company, Zaria-Nigeria, 1982. p. 1819-.

(٣) صبرى إبراهيم على سلامة : بعض معتقدات الهوسا وعاداتهم دراسة في الأدب الهوساوى . مرجع سابق . ص ١٠٠ .

خاصة في البيع والشراء في الأسواق، وقد تكون موظفة مثله خاصة في المدن إلى جانب عملها في البيت⁽¹⁾.

ولا يمكن للزوجة النيجيرية أن تسأل زوجها عن سبب تأخره، وليس من حقها أن تسأله لماذا تزوج عليها زوجة أخرى أو اثنين أو ثلاثة، بل تنتهز الفرصة من تعدد الزوجات في أن تقوم الزوجات الأخريات بالمساهمة في عمل المنزل وأعبائه⁽²⁾.

ج- تعدد الزوجات

يعتبر نظام تعدد الزوجات أحد الملامح البارزة لمجتمع الهوسا الإسلامي وبحسب الشريعة الإسلامية أصبح تعدد الزوجات أمراً مقبولاً ويمارس على نطاق واسع في مجتمع الهوسا فالإسلام يسمح بأربع زوجات كحد أقصى بشرط أن يكون الرجل قادراً على إعالتهم والمساواة بينهم .

ويرتبط تعدد الزوجات بكلمة " متضادات Opposites " وذلك يرجع إلى الخلافات والمشكلات الموجودة بين الزوجات . وعن لسان أحد رجال الهوسا يقول: إنه من الممكن أن يتزوج الهوساوى زوجة ثانية بعد زواجه من الأولى بوقت قريب، ولكن لا بد أن ينتظر عدة سنوات لكي يتزوج الثالثة والرابعة، لأنه ليس من العقل والحكمة أن يتزوج الثالثة والرابعة في الوقت نفسه، وذلك لأن الزوجتين تعدان معارضة متوازنة من الممكن أن تكون كلاهما معادية للأخرى، وهذا يتيح للزوج راحة أفضل، بالمثل أربع زوجات، زوجتان ضد زوجتين يجعلان الزوج يعيش في راحة . ولكن إذا تزوج ثلاثة زوجات دون الرابعة المعادلة، في هذه الحالة زوجتان ضد زوجة واحدة - أي الثالثة - وهنا يتغير حال الزوج لأنه يكون في حالة اضطراب في المنزل⁽³⁾.

إن أهم العوامل التي تساعد على تعدد الزوجات عند الهوسا انخفاض تكاليف

(1) فراج عطا سالم : مرجع سابق . ص 107، 108 .

(2) Mitchison, Lios : Op. Cit, P. 20.

(3) Murphy Robert E.: "An overture To Social Anthropology" , Prentice, - Hall, New Jersey, U.S.A, 1979, P.66 - 76.

المعيشة، وكذلك انخفاض تكاليف الزواج، وفي الأسرة القائمة على الزواج التعددى يكون لكل واحدة من زوجات الرجل يوم تقوم فيه بخدمة زوجها أثناء فترة زيارته لها، وعلى الرغم من أن الزوج يمكن أن يفضل إحداهن على الأخرى، فإنه يحاول جاهداً ألا يظهر هذا ويحاول أن يكون واعياً بالأثر ليديهن مظاهر الغيرة والكراهية التي يمكن أن تؤدي إلى الطلاق . فإن المرأة الهوساوية تتفاضى عن أشياء كثيرة قد يفعلها الرجل لكن عندما تشعر أن زوجها يفضل عليها إحدى زوجاته الأخرى، تثور وقد يؤدي هذا إلى طلبها للطلاق .

د - الخطبة

نظراً لقدسية عقد الزواج وأهميته، ولما يترتب عليه من آثار ونتائج فقد جعل الدين الإسلامى له مقدمة هي الخطبة - ووضع لها أحكاماً مفصلة - لما لها من الأثر الصالح فى بناء الحياة الزوجية على أساس الألفة والمحبة، وهى تعتبر تمهيداً من الطرفين لإجراء العقد وإنشائه فى المستقبل، والخطبة تعبير واضح عن الرغبة فى الزواج، وهى خطوة وإن كانت غير ملزمة فهى مهمة فى طريق الإلزام ولهذا ينبغى أن تكون عن رغبة صادقة واقتناع بصير، فبها يتسنى لكل من الرجل والمرأة اللذين يريدان الاقتران التعرف على صاحبه حتى إذا ما أقدم على الزواج بعد ذلك كان عن رضا واطمئنان فتدوم العشرة بينهما .

ويتم الزواج الآن عن طريق الحب والتقاء الفتى بالفتاة فى مكان يسمى "المضيقة Dandali" أى - مكان الملتقى - قبل معرفة الأهل ثم يكلمها مباشرة بأنه يريد خطبتها أو يقوم بذلك أحد أصدقائه، وبعد الاتفاق هناك ما يسمى " Nema " أى الخطبة التي بموجبها يتضح لأهل الفتاة صدق النوايا فى طلب ابنتهم . وبعد ذلك يذهب بعض من أهله وغالباً ما يكونون من كبار السن ليطلبوا يدها ويتحدد ذلك عن طريق رد أهل العروس ما إذا كانوا موافقين أم لا، وبعد ذلك يستمر العريس فى زيارة العروس مرة أسبوعياً ويقدم لها هدية تسمى " Toshi "، وترسل هذه الهدية بعد التأكد من قبولهم لبعض، وكان يرسل قديماً علاوة على ذلك بعضاً من المال وثنوباً وطرحه، وبعد ذلك يبدأ فى إعداد أدوات الزينة والمكياج كالقرط، والسلسلة ثم توضع جميعها فى طرحة، وترسل للعروس فى منزلها، وبعد إرسال

كل هذه الهدايا تتضح نوايا العريس، ويرسل العريس هذه الهدية المسماة " Toshi " في كل عيد للعروس، وبعد أن يتأكد العريس أيضا من موافقتهم، هناك نوع آخر من الهدايا يبدأ العريس في إرساله يسمى " zance " وكانت توضع هذه الهدية أيضا في طرحة وترسل للعروس، ويقوم أهل العروس بدورهم بالمرور على بيوت الأهل والأصدقاء لتفريجهم على الهدايا، وهذا نوع جديد من الهدايا توضع معه أدوات للمكياج زيت وأحمر شفاة وصابون وصابغ روج وقرط وسلسلة وغير ذلك من الهدايا^(١).

هـ - المهر

يعتبر المهر من الموضوعات التي حظيت باهتمام علماء الأنثروبولوجيا وهو من الأحكام المتعلقة بعقد الزواج والمصاهرة والقراة والمرتبة عليه وهو حق من حقوق الزوجة على زوجها، الأصل فيه أنه هدية للزوجة وتكريم لها، وهو دليل على إخلاص الزوج وحسن نيته نحو زوجته .

وأيا كان "مقدار المهر" أو نوعه فهو الوسيلة الموضوعية الوحيدة لقيام علاقة شرعية يعترف بها المجتمع، كما أنه يعطى الأبناء مركزهم الاجتماعى نتيجة لهذه الرابطة الشرعية، ويعتبر تعويضاً لعائلة الزوجة التى تنازلت عن ابنتها لعائلة الزوج^(٢).

ويختلف شكل المهر من مجتمع إلى آخر، ومن قبيلة إلى أخرى، ففى بعض المجتمعات الإفريقية يأخذ أشكالا معينة مثل: الأقمشة والرماح والمحارات والأصداف والقضبان الحديدية وزجاجات البيرة ويوجد هذا النمط فى العديد من مجتمعات شرق وغرب إفريقيا والكونغو^(٣).

(١) محمد على نوفل : الفاظ الحياة الاجتماعية فى لغة الهوسا . مرجع سابق . ص ٣٠ .
(٢) أحمد أبوزيد : البناء الاجتماعى . «مدخل لدراسة المجتمع » . الجزء (٢) . الأنساق . دار الكتاب العربى للطباعة والنشر . بدون تاريخ . ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ .
(٣) يحيى مرسى عيد بدر : أصول علم الإنسان الأنثروبولوجيا . تقديم: محمد عباس إبراهيم . الجزء (١) . الطبعة (١) . مكتبة مطبعة الإشعاع الفنية . بدون مكان نشر . ٢٠٠٠ . ص ٢٩١ .

وبالنسبة للمهور لا توجد فى مجتمعات شمال نيجيريا مغالاة فيها، وتحكمها عدة اعتبارات مثل المركز الاجتماعى والمالى لكل من الرجل والمرأة، كذلك يختلف مهر الفتاة البكر عن المرأة الثيب .

ولكن المهم ليس المهر وإنما الهدايا المختلفة التى تشكل ظاهرة بارزة فى مجتمع شمال نيجيريا، ويطلقون عليها سلسلة من التسميات منها ما يلى :-

- Toshi . هدايا العروس .
- Kayan Salla . هدايا العيدين .
- Gaisuwar Yaye . نقود لوالدى العروس أو جديها .
- Nagani Inasu . نقود تعطى للفتاة لتوزيعها على الأقارب .
- Kudin Gaisuwa . نقود التحية .
- Kudin Addua . نقود الدعاء .
- Dukiyan Aure . نقود تحديد يوم الزواج .

الصداق (وهو المبلغ اللازم شرعاً عند كتابة العقد) Sadaki .

وبالنسبة لجهاز العروس فهو يختلف باختلاف المهر، فمثلا قد يكون الفراش عبارة عن سرير معدنى وقد يكون حشوية أو مرتبة لوضعها فوق مصطبة داخل الحجرة، وأما بالنسبة لمن يشتغلون بالرعى، فإن المهر يكون بعدد من الأبقار، يراعى فيه أيضا الاعتبارات السابقة⁽¹⁾.

ولا يعترف بالزواج رسمياً حتى يدفع الزوج المهر للزوجة، وأدنى قيمة للمهر هى ربع دينار - وهى القيمة التى حددها الدين الإسلامى -، والتى تساوى حوالى خمسة شلن، لكن لا يوجد حد أقصى للمبلغ الذى يمكن دفعه، فالمبلغ الذى يتم دفعه " Affluence " للزوجة المرتقبة أو على المبلغ الذى يحدده والد العروس، أو وليها " وهو أحد أقرب الأقارب الذى يتم اختياره للترتيب لزواج الفتاة"⁽²⁾ . والمبلغ المحدد للمهر يختلف من القرية عن المدينة.

(1) محمد مصطفى الشمينى : مرجع سابق . ص ١١٩ . بتصرف .

(2) Madauci Ibrahim, Yahaya Isa, Bello Daura : Op Cit, P.13.

وإذا قُبل المهر تتم الخطبة، وإذا لم يقبل فهذا دليل على أن أهل العروس قد غيروا رأيهم وإذا قُبل يبدأ فى إعداد نوع ما من الهدايا يسمى " Lefe " وفى بعض الأماكن بعد قبول أهل الفتاة للمهر يرسلون لأهل العريس بموافقتهم إعطائهم إياها . وكانت ترسل هذه الهدايا قديماً فى طست أو طبق كبير أو حقيبة سفر، أما الآن فترسل الهدايا فى شىء ما يشبه البرميل^(٩) ولا يوجد مثل هذه الهدية المسماة بـ " Lefe " فهى أعلى أنواع الهدايا، وهى عبارة عن ثياب خلص متراسة بعضها فوق بعض وثوب طوله ستة أمتار، وفى ذلك الوقت كان لزاماً على العريس إرسال نوع من الثياب يسمى " Atamfa " ونوع آخر عبارة عن جزئين وغطاء للرأس من لون واحد مضافاً إلى بقية الأشياء التى اشتراها العريس^(١٠).

وأخيراً : إن هذه الدراسة الأنثروبولوجية لهذا المجتمع كشفت عن أهمية المهر وألقت الضوء على الوظيفة الحيوية التى تساعد على استقرار الحياة الاجتماعية واستمرارها . فالمهر يضمن جدية العلاقة الزوجية فى الحياة الاجتماعية ويؤكد استمرارها واستقرار الأسرة نتيجة لذلك .

وهناك بعض الشروط التى يجب أن تتحقق قبل أن يسمح للزوجين بالزواج وهى على النحو الآتى :

موافقة كلا الطرفين بالزواج .

أن يقبل الزوج مسئولية إطعام الزوجة .

أن يقبل الزوج إيواء الزوجة .

أن يقبل الزوج كساء الزوجة .

(*) ولا أعرف ماذا يقصد الدكتور «محمد نوفل» بالبرميل على أية حال بالرجوع إلى بعض الناطقين اللغويين : الأستاذ / يهوذا سليمان إمام، والأستاذ / حافظ إبراهيم عبدالله . تبين أن المعروف لدى شعب الهوسا الآن أنهم يقدمون الهدايا فى صناديق مثل حقيبة السفر « بلاستيك » لها أرجل ويوضع فيها هذه الهدايا .

(٢) محمد على نوفل : ألفاظ الحياة الاجتماعية فى لغة الهوسا . مرجع سابق ص ٢٤ .

الشروط الثلاثة الأخيرة يلتزم الرجل بتحقيقها فى حدود إمكانياته المتاحة .

موافقة الولى ضرورية قبل الزواج .

لابد من وجود شهود على الزواج^(١).

و- المسكن

إن الدراسات الأنثروبولوجية تهتم اهتماماً بالغاً بدراسة المسكن لدى المجتمعات التقليدية وسنحاول الآن تقديم نبذة سريعة عن شكل المسكن لدى قبيلة الهوسا . لأن المسكن يشكل أحد عناصر التكيف الثقافى للظروف والأوضاع البيئية السائدة عند أى قبيلة من القبائل، ولذلك تختلف أماكن السكن ويختلف شكلها ومحتوياتها باختلاف البيئات الثقافية .

ويعيش الهوساويون الآن فى مدن (ذات شكل أوروبى مثل كانو) لكن الأغلبية العظمى من السكان كانوا ريفيين . المزرعة النموذجية كانت تتكون من اثنين أو أكثر من الرجال وعائلاتهم مجمعين فى حوائط من الطين أو سيقان النباتات، ومطوقة من بعض ١٠٠ قدم مربع، ويشتمل على حجر مستطيلة أو دائرية ولها أسقف ظهرها بالقش وحجرة كبيرة مستطيلة فى مركز المزرعة لرئيس هذه المجموعة^(٢). إن أهم ما يميز مدن الهوسا، الحائط الذى كان الأهالى يسورون به مدنها وقراها، وتوقف بناء هذا الحائط الآن، ولكن ظل القديم على ما هو عليه^(٣).

ويتم بناء المسكن فى القرية باستخدام أعواد (عيدان) الذرة الشامية أو الدخن وتنصب هذه الأعواد فى شكل دائرى، وبعد ذلك يتم تغطية هذه العيدان بالطين، ثم يوضع عليها سقف مصنوع من الأعشاب، وبعد أن يتم بناء المسكن يحاط بسور من عيدان الدخن أو بالأعشاب^(٤).

ويوجد فى القرى لدى الأغنياء شكل آخر من المسكن، فهؤلاء بينون مساكنهم بالطوب الأحمر، ولكن على نفس الشكل السابق ويتم دهان الغرف . والجدير

(1) Madauci Ibrahim, Isa Yahaya, and Daura, Bello . Op. Cit. P.13

(2) The New Encyclopaedia Britannica : Op. Cit. P. 752.

(٣) محمد على نوفل : الفاظ الحياة الاجتماعية فى لغة الهوسا . مرجع سابق . ص ١٥٢ .

(٤) المرجع السابق : ص ١٥٢ .

بالذكر أن المساكن فى القرى ليست ملاصقة بعضها ببعض، وإن كانت متقاربة، أما المدن الصغيرة والكبيرة فأشكال المباني تختلف بشكل واضح عن الأشكال الموجودة فى القرى، فمعظم المدن الكبرى ليس لأحد حق فى البناء كيف يشاء إلا بعد الحصول على رخصة من الجهات المسئولة عن تنظيم المدن . وأيا كان الأمر فالمباني عامة تبنى على الشكل المستطيل، ويأخذ السقف شكلين أحدهما الشكل المسطح، والآخر أن يكون على شكل هرمى وهو المنتشر الآن إذ يساعد هذا الشكل على صرف ماء المطر بسهولة، وعلى الرغم من أن المباني ملاصقة بعضها ببعض فإن كل منزل يكون محاطاً بسور، ويتوقف نوع السور على مدى ثراء صاحب المنزل، ولكن السور دائماً يكون مرتفعاً حتى لا يرى أحد من فى داخل المنزل^(١).

والبيت عند الهوساويين يتكون من عدة غرف مبنية من الطين ملصقة على بعضها وتحاط الغرف بسور طويل من الطين أيضاً ويوجد مساحة وسط الغرف التى تعتبر ساحة البيت.

وبجانب ذلك توجد بعض المنازل مبنية على الطريقة الحديثة . وهذا تفصيل عن بناء مسكن الهوسا :

الدھليز الأول والثانى.

غرفة متوسطة داخل الدھليز للضيوف.

فناء (متوسط - ضيق - واسع) .

غرف خاصة لعدد أفراد الأسرة والمتزوجين .

غرف نوم متوسطة للبنين وأخرى للبنات .

المطبخ.

الحمام بنوعيه .

حظيرة للحيوانات الأليفة^(٢).

(١) المرجع السابق : ص ١٥٢ ، ١٥٣ .

(٢) المرجع السابق: ص ١٥٤ . بتصريف .

وإذا كان للرجل امرأتان بنى لكل واحدة منهما حجرة . وكثيراً ما يبنى الزوج لنفسه حجرة خاصة به وهى التى يلجأ إليها إذا أراد أن ينفرد بنفسه، وفى العادة يكون الدخول محظوراً فى هذه الحجرة إلا لمن أذن له^(١).

ولكل مسكن مدخل خاص، ويبنى عند المدخل حجرة تكون بمثابة الصالة لاستقبال الضيوف، وقد يكون هناك أكثر من صالة، وعلاوة على استخدام هذه الحجرة كحجرة لاستقبال الضيوف إلا أنها تستخدم ليلاً لينام فيها الأولاد الذكور^(٢).

ويدعرب البيت ضيوفه ذوى المكانة إلى المضيئة الداخلية، أما الضيوف الأقل أهمية فلا يتعدون الدهليز أو المدخل؛ حيث يجلس رب البيت غالباً بجوار كتلة كبيرة من الخشب حيث يتناول طعامه منفرداً أو مع رفقائه، وفى هذا المكان أيضاً يسمر مع أصدقائه، ويزاول حرفته^(٣).

وغالباً ما يقوم الزوج عند تناول الطعام بدعوة أصدقائه من المنازل المجاورة فيأكلون مع بعضهم البعض، وفى اليوم التالى يتجمعون عند شخص آخر، أما أهل البيت فتأكل النساء مع الأبناء داخل المنزل^(٤).

وعندما يكون لرب البيت أبناء أو أقارب ذكور يعيشون معه، فإن داخل البيت يقسم إلى أقسام بسور من الحشائش أو الحصير . ونادراً ما يسمح للرجال غير الأقارب بالدخول إلى داخل البيت أما النساء والفتيات فيسمح لهن بالدخول إلى داخل البيت، وكذلك يسمح للأولاد حتى سن البلوغ^(٥).

وللحصان - إن وجد - مربط إما أن يكون فى الفناء الأمامى إما الفناء الخلفى وكذلك يوجد فى أغلب البيوت مكان للطهى وسط البيت لاستخدامه أثناء موسم المطر، وحوله تنتشر حجرات الزوجات^(٦).

(١) المرجع السابق : ص ١٥٢ . يتصرف .

(٢) المرجع السابق . ص ١٥٣ .

(٣) محمد مصطفى الشعبينى : مرجع سابق . ص ١٠٩ .

(*) هذا الكلام على لسان الأستاذ / حافظ إبراهيم عبدالله .

(٤) محمد مصطفى الشعبينى : مرجع سابق : ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٥) المرجع السابق : ص ١٠٨ . يتصرف .

ويوجد فى المسكن غرفة خاصة تستخدم كمخزن فى حفظ فيها الحبوب وكذلك يوجد مكان لوضع الآلات المستخدمة فى الزراعة . ويتبع المسكن طرازاً شائعاً فى نيجيريا يعرف باسم " Compound " ويمكن أن يطلق عليه المركب السكنى لاحتوائه على وحدات سكنية، ويبلغ متوسط مساحته بين ٥٠٠ - ٦٠٠ م^٢ ويؤوى أكثر من أربعة عشر شخصاً معظمهم أقرباء من عائلة واحدة، أو ما يطلق عليه العائلة الممتدة " Extended Family " (١).

والواقع أن هذا تخطيط عام لأغلب المساكن، ولكن المساكن تختلف حسب ثراء أصحابها، وأهم مظاهر الاختلاف تتضح فى المدخل، فبعض المداخل تكون حجرة كبيرة من الطين، أو بيت من الأسمنت المسلح مكون من طابق أو طابقين ويزين المدخل بالنقوش. ولا بد من وجود دورة مياه ويتر داخل بيوت الأغنياء ومتوسطى الدخل، ذلك أنه لا يسمح بخروج الزوجات سافرات (٢).

لقد ظهر تأثير البيئة جلياً وواضحاً فى طبيعة بناء المساكن والمواد المستخدمة فيها، ومظهرها العام والخاص، مما أعطى تلاؤماً بين الإنسان والبيئة، فبناء المساكن كان يعتمد على مواد البناء المتوافرة والمنتشرة فى البيئة وهى كلها مواد طبيعية قد تعتبرها بعض المجتمعات المتقدمة مخلفات الطبيعة.

ز - عقد القران والزفاف

إن عقد القران يتم على نهج الشريعة الإسلامية التى يتبعها مجتمع الهوسا الإسلامى، ولهم فى ذلك بعض العادات والتقاليد الشعبية التى تتبع بصفة خاصة عند الهوسا وهى كالتالى :

يتم عقد القران على مذهب الإمام مالك ويلاحظ أن هذا العقد لا يدون فى أوراق رسمية، أى ليس لدى مجتمع الهوسا ما يعرف بـ " قسيمة الزواج " (٣).

ويتم عقد القران فى حضرة العلماء وولى العريس والعروس والشهود بالإضافة إلى المهر وهذا النوع من الفاكهة المسمى (Goro) أى ثمار الكولا، ويشهد الجميع

(١) محمد على نوفل : ألفاظ الحياة الاجتماعية فى لغة الهوسا . مرجع سابق . ص ١٥٣ .

(٢) محمد مصطفى الشيبينى : مرجع سابق . ص ١٠٩ . بتصريف .

(٣) صبرى إبراهيم على سلامة : صور من بلاد الهوسا . مرجع سابق . ص ٣٩ .

من ذلك الوقت بأن فلانه أصبحت زوجًا لفلان، ثم يوزع (Goro) على الحاضرين . وعقد القران يتم فى بعض الأماكن قبل يوم الفرح، وفى أماكن أخرى لا يعقد إلا فى يوم الفرح (الزفاف) . وقبل أن يحدد موعد الزفاف فهناك هدية تسمى هدية تحديد يوم الفرح يرسلها العريس وهى لا يغالى فيها، فهى على الأكثر تكون أدوات مكياج، وهذا النوع من الفاكهة تسمى (Goro) تعد وترسل إلى منزل العروس . وبعد رؤية أهل العروس لهذا النوع من الهدايا يعدون ابنتهم ليوم الزفاف، فيحددون موعد الفرح معاً، ويحدد كل واحد اليوم الذى يختاره إلى أن يتفقا على موعد يناسب الطرفين، وبعدها تتطلق الزغاريد^(١).

وبعد أن يتفق الطرفان على تحديد موعد الزفاف ويأتى مواعده، فإنه يتم ويكون أحياناً بشكل مبالغ فيه، ويزف كل من العروسين بمفرده، ويجمعهما اللقاء فى بيت الزوجية، وهى الحقيقة يبدأ الاحتفال عند أهل الزوج قبل دخوله بزوجته بحوالى أسبوع فى الأغلب، ويكون بنظام السمر فى ساحة بيت الزوج أو بالقرب منه فيجتمع المحبون ويتناولون أشهى الأطعمة وأطيبها، وكثيراً ما يمارسون بعض الألعاب ويظلون على هذا الحال حتى يوم الزفاف . وفيما يتعلق بـ " العروسة Amarya " فإنه يحتفل بها من قبل يوم الزفاف بثلاثة أيام أو أربعة على الأكثر، وخلالها تقوم بعض النساء القريبات للعروس بوضع الحناء فى يديها وعلى قدميها، وذلك إذا كانت العروس بكرًا . وفى يوم الزفاف - تتزين الفتيات - بأدوات الزينة، وقد لبسن خواتم كثيرة فى أيديهن، كذلك تقوم بعض النساء المشاركات فى حفل العروس بإعداد حمام العروس، وبعد أن تستحم تعطر بالعطور والروائح الطيبة، وترتدى ملابس الزفاف " فستان الزفاف " ويصطحبها النساء والفتيات المشاركات فى حفل جميل إلى منزل الزوجية، فى موكب تشد فيه الأغاني الجميلة وتعلو فيه أصوات الزغاريد وذلك حتى تلتقى بزوجها^(٢).

وبصفة عامة فإن عادات قبيلة الهوسا تقضى ألا ترى العروس زوجها إلا يوم الزفاف.

(١) محمد على نوفل : الفاظ الحياة الاجتماعية فى لغة الهوسا . مرجع سابق . ص ٣٥ ، ٣٦ .
(٢) صبرى إبراهيم على سلامة: بعض معتقدات الهوسا وعاداتهم «دراسة فى الأدب الهوساوى» مرجع سابق . ص ١٠٠ ، ١٠١ .

وفى " كانو " اذا كانت العروس بكرًا يرسل لها أهلها نوعًا من الهدايا يسمى " Kunshi " ونوعًا آخر يسمى " Alibidi " - وهو عبارة عن حلة لحمية بالشورية - ترسل إلى العريس من أصدقائه يوم الأربعاء وهناك نوع آخر يسمى " Gara " يتناوله العريس والعروس ويفسلان أيديهما ويأتى أهل العروس يوم الأربعاء ليلاً ليحضروا هذا الاغتسال . وفى يوم الخميس بين العصر والمغرب تصطحب العروس عجوزًا ما حتى منزل الزوجية، وفى هذه الليلة يجتمع أهل العريس وأصداؤه ثم يمسون بالعريس ويجتمعون فى مكان ما كالمضيقة، وتذهب النساء فى تلك الليلة لإحضار العروس ولكن فى الحقيقة تكون عروسًا مزيفة، لأن العروس الحقيقية تكون فى ذلك الوقت قد وصلت بيت الزوجية، وتصطحب هذه العروس بالطبول والزغاريد وكأنها العروس الحقيقية، والذى لا يعرفها يقسم أنها العروس الحقيقية . وتجتمع النساء يوم الجمعة ويقمن بطهى الأطعمة والحلوى وباقى أكالات الفرح حتى العصر، ثم يذهبن وقت العصر إلى مكان يسمى " Ajo " ، وهو مكان يذهب إليه العريس هو وأصداؤه ليتزينوا ويخرجوا بأحسن مظهر ويجلسون فى فناء واسع يجتمعون النقطة، وبعد الانتهاء من جمع النقطة وانصراف المدعويين إلى منازلهم، يقوم أصدقاء العريس بعد النقطة - أى النقود التى جمعوها - وتوزيعها وتجهيز جزء منها لشراء هدية للعروس تسمى " Kayan Sayen Baki " وجزء للمداحين^(١).

وفى نفس يوم الجمعة أيضا تجهز حجرة العروس بنصب السرير وتعليق الزينات بحيث تصبح جميلة جدًا، وأن أهل العروس هم المتكفلون بشراء كل الأمتعة حتى السرير وعلى حسب حالة أهل العروس المادية على قدر ما يصنع لها من جهاز، وكان السرير قديمًا يصنع من الطين، أما الأثرياء فكانوا يشترون سريرًا من الخشب يسمى " Tukurwa " ، وبعد ذلك ظهر نوع آخر يسمى " Bedi " وبعد ذلك ظهر نوع آخر يسمى " Gadon Katako Gadonna " ، وهو نوع من الأسرة المحلى بالنحاس ومزود بمرآة، وهو يجذب أنظار الجميع، أما الآن فهو سرير مصنوع من الحديد ذو أعمدة وهو سرير غالى الثمن لا يقدر على شرائه إلا الأغنياء .

(١) محمد على نوفل : أفاض الحياة الاجتماعية فى لغة الهوسا . مرجع سابق . ص ٤٦ .

وبانتهاء الفرح عصرًا ينصرف أهل العروس والمدعوون، ثم يدخل العريس المنزل هو وأصدقائه، وفي بعض الأماكن يمكنهم معه حتى الساعة العاشرة مساءً، وفي أماكن أخرى حتى الساعة السابعة مساءً، ويدخل العريس هو وأصدقائه على العروس بهدية تسمى " Kayan Sayen Baki " وهي غالبًا ما تكون أدوات مكياج وحلوى وثمار الكولا وبعض المال، ويقوم أصدقاء العريس في ذلك الوقت بعمل أعمال بهلوانية لكي تضحك العروس فإذا ضحكت يعودون بهداياهم، أما إذا لم تضحك فسوف تحظى بهذه الهدايا، ويترك العريس معها حتى الغد. وفي العادة يترك مع العروس فتاة صغيرة تساعد في أعمال المنزل لعدة أيام، ثم تعود إلى منزل أهلها بعد أن تكون العروس قد تعودت على منزل زوجها^(١).

وفي مساء يوم السبت يركب العريس هو وأصدقائه الخيول أو الدراجات وغالبًا ما يكون هناك طعام معد يدعى إليه الناس فيتناولون الأطعمة والمشروبات ثم ينصرفون، وفي صباح يوم الأحد يجتمعون لعمل جولة لتقديم الشكر لأهل العريس والعروس على ما بذلوه من جهد، وكل منزل يذهبون إليه يعطيهم نقطة، وبذلك يكون الفرح قد انتهى، وفي بعض الأماكن بعد الانتهاء من أمور الفرح يرسل للعروس والعريس أطعمة كثيرة تعرف باسم " Gara "، ولكن المؤكد هو جوال من الدخن وآخر من الذرة ونوع ما يشبه مرققة الدجاج والسمن وزيت النخيل الأحمر وزيت الفول السوداني وأشياء أخرى^(٢).

ح - الولادة

إن الولادة حدث مهم في حياة الإنسان وينظر إليها بمنظور مختلف من مجتمع إلى آخر ومن قبيلة إلى أخرى، فالمجتمع الهوساوي على سبيل المثال لا يؤمن بعملية تحديد النسل، فإن كل ما أعطاهم الله فهو رزق لهم، ويشكرون الله على ذلك . وعلى الرغم من أن الولادة كلها شيء واحد فإن الولادة الأولى تكون ذات طابع خاص، ولقد جرت العادة على أنه عند الحمل الأول تذهب المرأة إلى منزل أهلها

(١) المرجع السابق : ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٢) المرجع السابق : ص ٤٧ .

وذلك عندما يصل الحمل إلى الشهر السابع، وتمكث في منزل أهلها حتى تتجب، ولا تعود إلى منزل زوجها إلا بعد أن تفتسل غسل النفساء، وقبل أن تذهب الحامل لمنزل أهلها يشتري لها الزوج حمالة للمولود وثياب تحاك لها^(١).

وبمجرد ظهور بوادر الولادة يسرعون في إحضار امرأة تسمى "Ungozoma" أى القابلة^(٢) وهى غالباً ما تكون امرأة عجوز يسر الله لها معرفة التصرف فى أمور الولادة، وعلى الرغم من وجود المستشفيات، فإنه يوجد إناس لا يرسلون الحامل للمستشفى ويكتفون بالقابلة . وما إن تتجب الحامل حتى تقوم القابلة بقطع السرة، وغسل الطفل، وكل ما اتسخ من جراء الولادة، وتنظيف حجرة النفساء تماماً حتى تكون مهيأة للزوار، وفى بعض الأماكن بمجرد أن تتجب المرأة يذهب زوجها للسوق، ويشتري كثيراً من اللحم، ويطهى لها جيداً ثم يضاف إليه بعض التوابل وتستمر فى أكل طعام من هذا النوع حتى تسترد صحتها، وإلى الآن القابلة هى التى تشرف على تسخين الماء الذى تفتسل به النفساء، ولا بد أن يكون ماءً ساخناً، وبعد أربعة أيام من الولادة يشتري أهل الزوج نوعاً من الطعام يسمى كوارع " Kauri "، ويرسل إلى النفساء لتأكله^(٣).

وبعد إتمام عملية الولادة تبتهج الأسرة فرحاً بقدوم صغيرهم، ويعدون للاحتفال بيوم السبوع أى اليوم السابع لولادة الطفل، ويقدمون فيه أشهى الأطعمة للأحباب والمقربين، كذلك يختارون فيه " اسم " المولود الذى سيسمى به، ويدعون له الله بأن يطيل فى عمره ويوسع له فى رزقه فيقولون " Allah Ya Raya " أى أحياء الله فيردد أهله قائلين : " Amin " أى آمين^(٣).

ط - التسمية

(١) المرجع السابق . ص ٥١ .

(*) القابلة : غالباً ما تكون من أسرة المرأة التى سوف تتجب وغالباً ما تكون من أسرة أمها مثل خالتها أو جدتها وإذا لم يكن للأُم قريبات فمن الممكن أن تقوم الأم بدور القابلة.

(٢) المرجع السابق : ص ٥٢ . بتصريف.

(٣) صبرى إبراهيم على سلامة : بعض معتقدات الهوسا وعاداتهم دراسة فى الأدب الهوساوى . مرجع

سابق . ص ٩٤ .

كانت التسمية قديماً تعتمد على المناسبة التي ولد فيها المولود، فعلى سبيل المثال إذا أنجبت المرأة يوم الاثنين يسمى ابن الاثنين، وينادى عليه بهذا الاسم من يوم التسمية وأن يوم التسمية هو يوم سعيد لدى أهل المولود وخاصة لدى النساء والأولاد . - وعلى الرغم من ذلك فقبيلة الهوسا تهتم بتسمية الطفل باسم حقيقى مع اسم اللقب الذى سُمى به- . ويشترى خروفاً لعمل العقيقة علاوة على ثمار الكولا والحلوى وكل الأطعمة التى يحتاجون إليها للاحتفال بهذه المناسبة، وكان للإسلام أثره فى كل العادات بعد ذلك فكانوا يوم التسمية أول ما يدعون العلماء ؛ لأنهم على علم بما يحدث من قواعد إسلامية فى ذلك اليوم، وكذلك الجيران لحق الجيرة، والأقارب لحق القرابة^(١).

وعند الإعداد للاحتفال بيوم السبوع تعطى الأسرة بعض الأطفال الفاكهة التى تسمى " Goro " لكى يوزعوها على المدعوين للحفل - وهى تعتبر بمثابة كرت دعوة - لمن سيحضرون الاحتفال بيوم التسمية.

ويستشار العلماء فى تحديد اسم للمولود حتى لا يحددون عن القاعدة، وأن معظم الأسماء أصبحت إسلامية وذلك لتأثرهم بالدين الإسلامى فإذا سمعت هوساوياً مسلماً ينادى على ابنه باسم آخر فهو لقب وليس اسمه الحقيقى لأنهم يختارون معظم الأسماء التى ذكرت فى القرآن الكريم كأسماء الملائكة والأنبياء والرسل والصحابة وأسماء الرحمن كعبدالله، وعبدالقادر، ومازال يدعى الحلاق يوم التسمية لعمل الوشمة المتعلقة بالقبيلة. - وهى عبارة عن تشريط فى الصدغين أو فى خطوط أفقية بين الحاجبين - ثم يعلن العلماء فى هذا الوقت اسم المولود الذى تم اختياره^(٢).

ى - مفهوم الرضاعة

إن الرضاعة حدث بيولوجى مهم لدى المجتمع الإنسانى، ولبن الأم فى هذه الفترة هو أهم طعام للمولود، ولا يبدأ فى إعطاء المولود أى نوع من الطعام إلا بعد ستة شهور حتى يبلغ ثمانية أو عشرة أشهر وهناك نوع من الأعشاب ينقع فى الماء

(١) محمد على نوفل : ألفاظ الحياة الاجتماعية فى لغة الهوسا . مرجع سابق . ص ٢٦٤ .

(٢) المرجع السابق : ص ٢٦٤ .

ويعطى للمولود كشراب، وبعد ذلك يعطى نوعاً آخر غير حامٍ، ويعطى شيئاً فشيئاً حتى يبدأ فى الأكل وحده^(١).

ويعد ارتباط الطفل بأمه أقوى فى المجتمعات الموجودة بها تعدد الزوجات عن الموجود بها وحدانية الزوجة، وذلك لأن اهتمام الأب متوزع على الزوجات والأبناء، بينما الأم كل اهتمامها بأبنائها الذين تعطيهم كل وقتها^(٢).

ك - الختان

الختان سلوك معروف لدى مجتمع الهوسا الإسلامى شأنه فى ذلك شأن الكثير من المجتمعات الإفريقية الأخرى، فهم يمارسونه للذكور دون الإناث.

فعندما يبلغ الطفل سن الختان يُخبرُ الأهلُ بأنه ستجرى له عملية الختان، ويبدأ الأهل فى إعداد الأشياء التى تتعلق بعادات الختان وهذه العادة هى إحضار كثير من الأولاد لكى تجرى لهم عملية الختان فى آن واحد. والشئ الغريب فى ذلك هو أن الذى يتحمل نفقات أولاد الأقارب والجيران الذين لا يقدرّون على تحمل نفقات الختان هو كبير الأسرة أو من هو أكثر دخلاً، ويتراوح عدد هؤلاء الأطفال الذين يتم لهم عملية الختان معاً من عشرة إلى عشرين - وهذا حسب حجم الأسرة - وكالعادة فإن لكل أسرة حلاقاً، فإذا حدث ودُعى حلاق غير حلاق المنزل لإجراء عملية الختان أو أى شئ فلا يجرو هذا الحلاق على عمل أى شئ دون أن يستأذن حلاق المنزل لأنهم يعتقدون أنه بإمكانه إفساد أى شئ يتم بدونه ومن عادات قبيلة الهوسا عند الختان أن يدعو الأقارب والجيران، وتقام لهذه المناسبة حفلة عظيمة . وبعد إتمام عملية الختان بثلاثة أيام يرسل كبير الحلاقين أحد أتباعه للاطمئنان على عملية الختان، ويستمر هكذا إلى أن يشفى الطفل تماماً، وهناك نوع ما من الهدايا يسمى " Kari " يعطى للأم بمناسبة السلامة بالإضافة إلى بعض من المال كمساعدة، والبعض يأتى ببعض من الأرز والدجاج واللحم . وما إن يتأكد الحلاق بأن الختان أصبح على ما يرام حتى يخبر الأهل بذلك فيبدءون فى إعداد حفلة

(١) المرجع السابق : ص ٢٦٥ .

(2) Murphy Robert E.: Op. Cit. P.67.

لسلامة ابنهم، وهذا يوم مهم للولد فيغتسل فيه الولد، ويرتدى أحسن الثياب التي تكون في الغالب ثياباً جديدة ثم يطوفون بالولد على الأقارب لتحيتهم فيحيونه ويعطونه بعضاً من المال وهذا النوع من الفاكهة المسمى " Goro " (١).

ل - الطلاق

الطلاق هو ترتيب نظامى لإنهاء علاقة الزواج، والسماح لكل طرف بحق الزواج مرة أخرى . ويشير هذا المصطلح إلى انتهاء رابطة الزواج، أو إصدار إعلان قانونى ببطان هذه الرابطة(٢).

وقد شرع الإسلام الطلاق -على كراهته - كمنفذ أخير لحل مشكلات الأسرة متى تفاقمت هذه المشكلات واستعصت على الحل وامتعت أمام كل جهود التوفيق والإصلاح والتحكيم، وقد جعل الإسلام الطلاق بيد الرجل - دون المرأة - لأنه بمقتضى عقله واستعداده الفطرى أصبر على احتمال المكاره، وأشد تثباً فى الأمور، وأبعد نظراً فى العواقب من المرأة، فلا يسارع إلى الطلاق فى كل غضبة طارئة ولأى سبب تافه، يضاف إلى هذا أنه أحرص على بقاء الزوجية التى أنفق فى سبيلها المال .

إن الطلاق فى مجتمع الهوسا الذى يتبع تعاليم الدين الإسلامى كان فيما سبق يعد نادراً أو شبه نادر، وذلك لأن المرأة كانت تطيع زوجها طاعة عمياء، حتى إذا ما تزوج بغيرها ثانية، وثالثة، ورابعة فهى أيضاً راضية قانعة لا تطلب الطلاق، ولا تسعى إليه، كذلك فإن بساطة البيئة الإفريقية التى تحدثنا عنها فيما سبق جعلت المرأة الإفريقية مستسلمة لزوجها، أما فى الآونة الأخيرة، فقد تعقدت الأمور، وزادت المشكلات، وكثرت المطالب، وخرجت المرأة إلى التعليم، وإلى مشاركة الرجل العمل فى دوائر الحكومة والشركات، وزاد الاختلاط بين الجنسين فى جميع سبل الحياة تقريباً، كل ذلك جعل الطلاق، لا نقول إنه سائد أو غالب لكنه أصبح ظاهراً، وقد يكون سببه الزواج بأخرى، أو عدم الاتفاق بين الزوجين، أو عصبية الزوج أو

(١) محمد على نوبل : ألفاظ الحياة الاجتماعية فى لغة الهوسا . مرجع سابق . ص ٢٦٥، ٢٦٦ .

(٢) محمد عاطف غيث : مرجع سابق . ص ١٢٩ .

الزوجة، أو إهمال المرأة لزوجها وبيتها، أو قد تميل الزوجة إلى رجل آخر غير زوجها فتطلب الطلاق إلى غير ذلك من الأسباب^(١).

وإذا كان سبب الطلاق الزواج بأخرى فهذا يحدث بشكل نادر جداً عند الهوسا لأن المرأة الهوساوية هي عادة مستسلمة لمسألة تعدد الزوجات، وإذا طلبت الطلاق من زوجها لأنه تزوج بأخرى تعتبر خارجة عن عرف المجتمع الهوساوى الذى يسلم بمسألة تعدد الزوجات التى أباحها الدين الإسلامى الذى يتبعه مجتمع الدراسة، وعادة تكون المرأة الخارجة على هذا المبدأ ضمن السيدات المتعلمات اللاتى يردن تغيير من هذا الوضع الذى فرض على المرأة الهوساوية، ولكنها فى الغالب لم تجد من يشجعها على ما تفعل؛ لأنها تعتبر خارجة عن عادات المجتمع وتقاليده.

والطلاق تم وضع قواعده بواسطة القانون الإسلامى وهو متكرر عند الهوسا^(٢).

وقد جعل الإسلام الطلاق من حق المرأة إذا اشترطت ذلك فى العقد، والإسلام لم يجعل الطلاق من حق المرأة بدون هذا الشرط؛ لأن المرأة غالباً هي أسرع من الرجل غضباً، وليس لديها أى مقدره على الاحتمال فمن الممكن أن تسرع بالطلاق إذا ما حدث أى شئ .

وإذا كان الزوج هو الذى يرغب فى الطلاق فيجب تعويض الزوجة بإعطائها صداقها وحقوقها الشرعية، أما إذا كانت المرأة هي التى تريد الطلاق، فيجب تعويض الزوج برد المهر الذى دفعه وجزء من الهدايا^(٣).

م - الوفاة

إن الوفاة تختلف عن الزواج والطلاق وما إلى ذلك، من حيث أنها إجبارية وليست اختيارية بالمعنى الكافى لأن الذى يحكمها هو القدر فقد يتسبب البعض فى حدوث وفاة لأحد الأشخاص ولكن لا يستطيع درء الوفاة أو تأجيل حدوثها عندما يحين القدر.

(١) فراج عطا سالم : مرجع سابق . ص ١٧١ .

(2) The New Encyclopaedia Britannica : Op. Cit, P. 52.

(٣) محمد مصطفى الشعبينى : مرجع سابقة. ص ١٢٥ .

والوفاة فى أى مجتمع من المجتمعات الإفريقية لها بعض الطقوس والعادات الاجتماعية التى تمارسها القبيلة والتى يقرها المجتمع ذاته، بل ويفرض على أفراد المجتمع ممارسة هذه الطقوس .

وفى حالة حدوث وفاة فى المجتمع الهوساوى يقوم أهل المتوفى بإبلاغ الجيران والأقارب، وبعد ذلك يتولى أحد الذين هم على دراية بما يحدث فى مثل هذه الحالات - تغسيل الميت - " Wanda. Yamutu أو Mamaci " ثم يكفن، ثم يصلى عليه ثم يدفن فى المقابر ثم يذهب المشيعون إلى بيت المتوفى لتقديم العزاء لأهله، وفى أثناء تشييع الجنازة يذكر المشيعون الله جهراً حتى يصلوا إلى المقابر، وبعد أن يدفن المتوفى يجلس الإمام والمشيعون حول القبر ويدعون له بالرحمة والمغفرة . ومن العبارات التى يقولها المواسون أو المعزون لأهل المتوفى، ما يلى^(١):

" Allah Yaji Kan Rai أو Allah Yaji Kansa "

وذلك بمعنى "رحمه الله"، ويرد أهل المتوفى بقولهم " أمين - Amin " .

وفى اليوم الثالث والذى يسمى بـ " يوم الصدقة Ranar Sadaka " أو "يوم الدعاء Ranar Adduaa " يجتمع الناس أمام منزل المتوفى ويقودهم " إمام الحى أو البلد " وخاصة الذى أم الناس فى صلاة الجنازة، ويتوجهون إلى الله بالدعاء للميت والأموات المسلمين أجمعين كذلك يدعون لأهل البلدة بالخير، ثم يقومون بتوزيع الصدقات - وهى من مال أهل المتوفى - على جميع الحاضرين حتى ولو كانوا من أثرياء القوم . والأموال التى يتم توزيعها صدقة على روح المتوفى قد يسهم فيها أصدقاء المتوفى وأحباؤه، ويحدث كل هذا فى مجلس الرجال، ومثله فى مجلس النساء الذى يكون داخل البيت. وفى نفس اليوم " يوم الدعاء Ranar Adduaa " يتم توزيع الأطعمة على الحاضرين، ومن الأطعمة " Gumba " وهى نوع يصنع من الدخن، وأل " Funkasau " وتشبه البقلاوة، وال " Kosai " وهى تشبه

(١) صبرى إبراهيم على سلامة : صور من بلاد الهوسا . مرجع سابق ص ٤٤ .

الطعمية، ثم توزع أيضا على الحاضرين من النساء كذلك الجيران، وأن ما حدث فى اليوم الثالث يتكرر فى اليوم السابع، ثم يتكرر فى اليوم الأربعين، ثم بعد مرور السنة الأولى فى نفس يوم الوفاة، ثم لا يتكرر بعد ذلك أبداً^(١).

ويرى "رادكليف براون" أن وظيفة الشعائر الجنائزية ما هى إلا وسيلة عامة يلجأ إليها المجتمع لكى يتغلب على "الأزمة" التى اعترضت مجرى الحياة الاجتماعية والتى نشأت بحدوث الوفاة. فهى تهيئ للمجتمع الفرصة لأن يتقبل تدريجياً الوضع الذى ظهر بعد الوفاة ويدرك أنه سوف يستمر فى الوجود بدون ذلك الشخص المتوفى. أى أن الشعائر الجنائزية وفترة الحداد تساعد المجتمع على أن يتكيف مع الظروف الجديدة وتسهم بالتالى فى حفظ المجتمع واستمرار الحياة الاجتماعية^(٢).

ن - الميراث

بعد انتهاء مراسم الوفاة، يتوجه أهل المتوفى إلى شيخ القبيلة ليطلبوا منه أن يتولى بنفسه مسألة توزيع الميراث على الورثة الشرعيين وفقاً لمقتضيات الشريعة الإسلامية التى تنص على: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّانِ﴾^(٣) فإذا كان المتوفى ترك وراءه عقاراً أو أرضاً زراعية أو ثروة حيوانية أو نقدية أو غير ذلك يوزع هذا بين الورثة بما أوصت به الشريعة الإسلامية^(٤).

(١) صبرى إبراهيم على سلامة: بعض معتقدات الهوسا وعاداتهم دراسة فى الأدب الهوساوى. مرجع سابق. ص ١٠٣.

(٢) أحمد أبو زيد: البناء الاجتماعى. مدخل لدراسة المجتمع. الجزء الأول. المفهومات. الطبعة (٨). المكتب الجامعى الحديث. الأسكندرية. ١٩٨٢. ص ٨٦، ٨٧.

(*) القرآن الكريم: سورة النساء. آية (١١).

(٣) لمزيد من الاطلاع انظر:

- فراج عطا سالم: مرجع سابق ص ١٧٣.

- ماجدة فتحى رفاة: مرجع سابق ص ١٨٩.

س - الأعياد

ولقد ترك الإسلام أثرًا واضحًا على كل مظاهر الحياة والنظم الاجتماعية فى أرض الهوسا، ويتضح هذا الأثر بصفة خاصة فى الأعياد والمواسم الدينية، فمسلمو الهوسا النيجيريون يحتفلون بثلاثة أعياد هى عيد الفطر المبارك، وعيد الأضحى المبارك، والمولد النبوى الشريف، وفى عيد الفطر والأضحى تقام احتفالات كبيرة فى المدن الكبرى حيث يفد إليها الناس من كل المناطق المجاورة وهم فى أبهى حللهم المزركشة بالفضة والذهب وينتظرون فى ساحة كبيرة فى انتظار وصول أمير الإقليم، وبعد وصوله يؤذن المؤذن للصلاة ويكبر لصلاة العيد، أما فى احتفالات المولد النبوى الشريف فيجتمع الناس ليلة القدر فى ساحة كبيرة أمام المسجد أو بيت شيخ الطريقة التيجانية أو فى حلقات شيخ الطريقة القادرية، ويكتمل الجمع تقريباً حوالى العاشرة مساءً ويخرج الشيخ ويهتئ الحاضرين بالمولد، ثم يبدأ الاحتفال بقراءة القرآن الكريم وأحاديث الرسول الكريم، وفى هذه الاحتفالات الدينية الثلاثة يقوم الأغنياء بنحر الذبائح والتصدق على الفقراء^(١).

ع - المعتقدات

المقصود بنسق المعتقدات أو ما يطلق عليه عمومًا فى الكتابات الأنثروبولوجية "النسق الأيديولوجى" Ideology هو تلك المعتقدات التى تفسر طبيعة علاقة الإنسان بالكون والممارسات والشعائر المتصلة بهذه المعتقدات . ويعتبر الدين أهم مكونات هذا النسق ثم يأتى السحر بعد ذلك حيث يودى دورًا مهمًا فى الحياة البدائية " والتقليدية"^(٢).

أولاً: الدين

إن نيجيريا كانت تنتشر فيها الأديان المحلية والمعتقدات البدائية، كمعبادة الأصنام، والتماثيل المنحوتة من الخشب والطين، وكانت الذبائح والقرابين تقدم لهذه الأصنام،

(١) نجوى عبدالنبي شحاتة : مرجع سابق. ص ٢٠١ .

(٢) أحمد أبو زيد : البناء الاجتماعى. الأنساق . مرجع سابق . ص ٥٢٠ .

وكان منهم من يعبد الرعد والبرق والنار وبعض الأنهار والأشجار، وتوجد الطوطمية كذلك فى بعض نواحي نيجيريا، كما تعبد أرواح الأجداد والتماسيح والشعابين والأفيال، ومن أعيادهم الدينية عيد الفول، وفيه يتكرون داخل جلود السباع، وكانت تنتشر فى نيجيريا عبادة النار، وعلى هذا فالوثنية بسائر أنواعها كانت الديانة الأولى بنيجيريا وكان للوثنية كهنة يرشدون إلى تأدية الطقوس ويقودون إلى خدمة هذه الآلهة التى يصنعها الإنسان^(١).

وبينما كانت نيجيريا تعيش فى هذا الظلام، إذ دق الإسلام بابها واتخذ طريقه إليها، فبعث بها النور والحضارة، وسكب فى أرجائها المدنية والعرفان، ويرى علماء نيجيريا أن الإسلام دخل هذه البلاد فى أواخر القرن الأول الهجرى الذى فتح المسلمون فيه شمال إفريقية وجزءاً من غربها، ويرون أن الإسلام اندفع إلى نيجيريا من منبعين أولهما - من مصر عبر السودان الغربى ودارفور وباجرمى وبرنو، وثانيهما - من شمال إفريقية عبر الصحراء، ثم جاءت إمبراطوريات غربى إفريقية وحركة عثمان دان فوديو الإصلاحية - الحركة التى جددت الإسلام فى المنطقة - فتمكن الإسلام بالشمال وانتشر به انتشاراً واسعاً، ومن الشمال انساب نحو الغرب وبخاصة فى عهد إمبراطورية الفولانى . وهكذا شمل الإسلام مناطق الهوسا بشمال نيجيريا مما جعل بعض المؤرخين يعتقدون أن هذه المناطق الشاسعة تتبع دين الإسلام بنسبة ١٠٠ ٪ أو أقل قليلاً^(٢).

إن دراسة الدين فى كل المجتمعات الإنسانية موضع اهتمام علماء الأنثروبولوجيا فلم يخلو منه مجتمع من المجتمعات؛ الإنسانية سواء التقليدية أو المتحضرة، فالدين شئ فطرى وعام لدى جميع المجتمعات البشرية قديمها وحديثها مهما كانت طبيعتهم وأوضاعهم الاجتماعية لأنه يعتبر حجر الزاوية فى كل أنواع النشاط الاجتماعى والسياسى والاقتصادى وفى كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية، كالزواج، والخطبة، والمهر، وتعدد الزوجات، والطلاق، والميراث والولادة وما إلى ذلك . ويعتبر الدين الإسلامى الذى تعتنقه قبيلة الهوسا هو المصدر الرئيسى لقانون الأحوال الشخصية.

(١) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية . مرجع سابق ص ٥٨٧ .

(٢) المرجع السابق : ص ٥٨٧ ، ٥٨٨ .

ويعد الدين المصدر الأساسى وأحد الروافد المهمة التى تؤثر فى حياة الفرد والجماعة ؛ فهو يقوم سلوك الفرد ويرقى بحياته الاجتماعية.

ويسهم الدين الإسلامى فى تنظيم السلوك بين أعضاء العائلة، وبالذات بين الأبناء والآباء، مما يجعل علاقتهما أقرب إلى التآلف فى المجتمع الإسلامى . وأهم وظائف الدين هو الضبط الاجتماعى للمجتمعات البشرية، فالدين باعتباره النظام الرائد يمثل أهم النظم التى لها فاعليتها فى ضبط وتنظيم سلوك الأفراد والجماعات.

وكان انتشار الإسلام يعزى إلى أنه دين التجار الذين خصصت لهم أحياء فى المدن فألفوا سكانها وعاداتهم . وقد وصل النفوذ الإسلامى إلى بلاد الهوسا أيضا عن طريق مرور الحجاج والعلاقات التجارية بشمال إفريقيا^(١) وعن طريق الاندماج بالزواج .

أما عن طبيعة انتشار الإسلام فى تلك الجهات فقد أجمع المؤرخون والرحالة والأوروبيون، على أن السلم والأقناع كان الطابع الأساسى لنشر الدعوة الإسلامية مما جعل الإفريقيين يقبلون على اعتناق الإسلام إقبال شديدا، فلم يشهر حملة لواء الدعوة السيف إلا فى الحالات الدفاعية التى خلفها تكتل الوثنية، وكان الداعى يعقب الفاتح ليدخل الطمانينة فى النفوس، وليقرب العقيدة الجديدة، نشط الدعاة كما نشط التجار فى نشر الإسلام، والتفوا حول الملوك وحببوا الدين إليهم وشرحو لهم أحكامه^(٢).

وعلى العموم، فقد كان انتشار الإسلام خلال هذه الحقبة مرتبطاً أساساً بالنخبة الحاكمة وبمجموعات التجار^(٣).

و يذكر المؤرخون ذلك أنه كان الإسلام لا يمكن أن يدخل إلى قطر من الأقطار إلا إذا اعتنقته الأسرة الحاكمة فى تلك الأقطار أو إلا إذا دخل بطريق الفتوحات^(٤).

(١) مصطفى حجازى السيد حجازى : الإسلام ونشأة الكتابة فى بلاد الهوسا . مجلة مجمع اللغة العربية . الجزء (٦١) . القاهرة ١٩٨٧ . ص ٧٢ . بتصرف .

(٢) مصطفى حجازى السيد حجازى: أدب الهوسا الإسلامى . مرجع سابق ص ١٧ .

(٣) مهدي آدمو : مرجع سابق ص ٢٩٦ .

(٤) شيخو أحمد سعيد غلادنت : حركة اللغة العربية وآدابها فى نيجيريا من سنة ١٨٠٤ إلى سنة ١٩٦٦ دار المعارف . مصر بدون تاريخ ص ٣٠ .

وقد دخل الإسلام إلى بلاد الهوسا - كما ذكر سابقاً - عن طريق التجار، وليس من المعقول أن يقال إن الإسلام لم يدخل بهذه الطريقة وبهذه الوساطة . وقد يكون التاجر الأجنبي المسلم صداقة وصلة بأحد الأمراء، أو من ينتمى إلى الأسرة الحاكمة فيهديه الله ويقبل الإسلام فيكون وسيلة لنشره في ولايته وقد يعتقد أحد الملوك الإسلام هو والطبقة الحاكمة ويبقى سواد الشعب على وثنيته^(١).

والمهم أن الدول الإسلامية التي نشرت الإسلام والعلوم الإسلامية فضلاً عن النظم السياسية والاجتماعية في بلاد الهوسا لم يكن لهذه الدول أى سيطرة أو سيادة سياسية من أى نوع من أنواع الإشراف أو الحماية أو الوصاية على تلك البلاد، بل تركتهم يتمتعون بكل استقلالهم وسيادتهم وحريةهم يمارسون كل شئون حياتهم وحقوقهم في مجتمعاتهم حسب عاداتهم وتقاليدهم . كذلك يسر انتشار الإسلام أنه دين الفطرة سهل التناول لا لبس فيه ولا غموض ولا تعقيد، لم ترتبط به صور مقدسة أو أيقونات Icons، فهو لا يتطلب من الشخص لإعلان إسلامه أكثر من النطق بالشهادتين، ثم أداء الفروض في بساطة ويسر^(٢).

والواقع أن الذى ساعد في نشر الإسلام هو طبيعته من حيث إنه عقيدة بسيطة ليس فيها تفرقة عنصرية ولم يكن الإسلام ديناً فحسب بل كان ديناً وثقافةً فما إن يدخل الفرد في الإسلام حتى يتعلم القراءة والكتابة، ويتعلم الفرد القراءة والكتابة ترتفع مكانته في المجتمع^(٣).

وعندما قام الحكم البريطانى في نيجيريا حمل الهوسا لواء الإسلام ونشروه تحت الحكم البريطانى، وكان من صالح الاستعمار أن يترك الإسلام ينتشر، فقد كانت المناطق الإسلامية تمتاز بالنظام والأمن والاستقرار، وقد نشر الهوسا الإسلام كذلك على ساحل غينيا وفي بلاد اليوروبا، وانتسب كثير من أبناء الهوسا

(١) المرجع السابق : ص ٢١، ٢٢ . بتصريف.

(٢) مصطفى حجازة السيد حجازى : أدب الهوسا الإسلامى . مرجع سابق . ص ١٨ .

(٣) محمد مصطفى الشمينى : مرجع سابق . ص ١٤٢ . بتصريف.

إلى الطريقة التيجانية، وراحوا بها ينشرون الإسلام بين الوثنيين بسرعة فائقة^(١). إن الهوسا لم يتحرروا تماماً من معتقدات أسلافهم القديمة، حيث ظلوا يمارسون الكثير من العادات الوثنية، وبدأ الأمر وكان هناك محاولة للتوفيق بين العقيدتين الإسلامية والوثنية، ولكن مع مرور الوقت وانتشار الإسلام في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وخاصة بعد إعلان الشيخ "عثمان دان فوديو" الجهاد، وما ترتب على ذلك - فقد تراجعت العبادات الأخرى^(٢). ومن آثار الإسلام في الحياة الاجتماعية لقبيلة الهوسا أنه أقام فيها نظاماً مالياً وقضائياً على أساس أحكام الشريعة الإسلامية^(٣).

وظهر أثر الإسلام الجلى أيضاً في جعل القرابة الدموية من ناحية الأب بدلاً من سيطرة السلطة الأمومية في تلك المجتمعات، وقد دعا الإسلام إلى التآخي بين القبائل في وحدة إفريقية فالإسلام كان ولا يزال وسيلة للوحدة وريابطاً ثقافياً مهماً. وساعد الدين الإسلامي أيضاً على الاستقرار النفسى، وفي إقبال الناس على أعمال الخير والقيام بأداء الواجبات التي يملئها عليهم الدين الإسلامى، والالتزام بأحكامه، بإقبال الناس على الكسب الحلال، ومن ثم ممارسة المهن الشريفة، وكان تحريم الإسلام للرق قد ساعد على صون القوى البشرية في الدولة^(٤).

كما أسهم التجار المسلمون في عملية التبادل التجارى بين هذه الشعوب والعالم الخارجى وبذلك أصبح الدين الإسلامى أداة للتطور الاقتصادى فى الدولة، كما وسع الإسلام من مدارك الإنسان ورفع من مستواه الفكرى، وخلع عليه العزة واحترام النفس^(٥).

(١) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية : مرجع سابق . ص ٧٠ .

(٢) ماجدة فتحى رفاعة : مرجع سابق . ص ٢٢٢ . بتصرف .

(٣) محمد السيد غلاب وآخرون : البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة فى العالم المعاصر . راجعه وأضاف إليه مادة تاريخية : محمد فتحى عثمان . المملكة العربية السعودية . وزارة التعليم العالى . كلية العلوم الاجتماعية . الرياض . ١٩٧٩ . ص ٥٠٢ .

(٤) عبدالله عبدالرازق إبراهيم : دولة سوكونتو منذ عام ١٨١٧ م حتى ١٩٠٣ م . مرجع سابق . ص ٢١٢ . ٢١٣ . بتصرف .

(٥) عبدالله عبدالرازق إبراهيم : الإسلام والحضارة الإسلامية فى نيجيريا . مرجع سابق . ص ٢٠٢ .

ومقام البحث لا يمكننا من الاستطراد فى إبراز محاسن الدين الإسلامى وإظهار مميزاته، التى عملت على إسعاد الفرد والأسرة والمجتمع الهوساوى فى الدنيا والآخرة . ومجمل القول إن الدين الإسلامى يأمر بكل معروف وينهى عن كل منكر مردول، ويرقى بالإنسان ويسعده، ويحقق أمانه ويسير به إلى الأمان والطمأنينة . ولا شك أن هذه الصفات الحميدة التى يتميز بها الدين الإسلامى هى التى لفتت أنظار قبيلة الهوسا وشجعتها على الدخول فيه والتأثر الشديد بكل تعاليمه العظيمة .

لذلك يعد الدين الإسلامى فى حياة المجتمع الهوساوى من أهم النظم الاجتماعية التى تحقق الضبط الاجتماعى، ويمتد تأثيره إلى تنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية جميعاً، فالدين يؤدى وظيفة مهمة وهى استقرار التنظيم الاجتماعى.

ثانياً - السحر

يحتل السحر مكانة بارزة بين المعتقدات الشعبية ويظهر ذلك جلياً فى وسائل تلك المعتقدات وغياتها . وللسحر دوره المهم فى المجتمعات الإفريقية فهو ظاهرة اجتماعية منتشرة فى هذه المجتمعات وخاصة المجتمعات القبلية وإن اختلفت طقوسه وممارساته من مجتمع إلى آخر حسب الظروف الاجتماعية لكل مجتمع، ومجتمع الهوسا شأنه شأن جميع المجتمعات الإنسانية له مقومات حياتية فهو كباقى الشعوب يعتقد ويفكر ويحافظ على طقوسه ومعتقداته ويمارسها فى أوقاتها ومناسباتها .

ويعتقد الهوساويون والفولانيون اعتقاداً شديداً فى السحر والجن، وهم يعزون كثيراً من الظواهر إليها مثل : العقم والمرض والموت المفاجئ، وهم يتقون تأثير هذه الكوارث قبل وقوعها بالتمائم والتعاويذ والأحجبة، وعند ظهور أثر هذه الأفعال، فإن الشخص يلجأ إلى العراف ليعرف الشخص الذى أراد أن يلحق به الضرر، ويتوقف انتشار هذه الظواهر على المستوى الاقتصادى والثقافى، فكلما انخفض

مستوى الناس اقتصاديا انتشر الفقر الذى يمنح الناس من التعليم، فينتشر الجهل الذى يدفع الناس للتعلق بهذه القوى الغيبية، ويرجع السبب فى انتشار هذه المفاهيم المتعلقة بالسحر والجن إلى وجود مثل هذه المعتقدات بين المجتمعات الوثنية قبل اعتناقها الإسلام. ولما جاء الدين الإسلامى قضى على الكثير من هذه العادات الوثنية، ولكن ظلت بعض الجماعات تؤمن بهذه المظاهر الوثنية التى أخذت تزول تدريجياً مع انتشار التعليم، وترسيخ الثقافة الإسلامية بين جموع السكان . ويحاول المسلمون استبعاد أثر الجن بقراءة "القرآن الكريم" وكتابة آيات منه واستخدامها كأحجية وتمائم^(١).

وإذا نظرنا لمجتمع الهوسا نجد أن الغالبية العظمى من الذين يذهبون إلى العرافين هم من النساء؛ لأنه غالباً ما يكون للزوجة ضرة فهى بذلك تحاول أن تلفت أنظار زوجها إليها بكل الوسائل ولذلك تذهب إلى أحد العرافين . وقد يكون هدف المرأة أن تسيطر على زوجها مثل ما حدث فى حكاية " إن المعروف لا يضيع"^(٢).

ويعتقد الهوساويون الموجودون فى غانا ونيجيريا أنه إذا ذهبت المرأة إلى زوجها وهى مازالت ترضع طفلها من المعتقد أن يصبح طفلها نحيفاً وأضعف وأقل صحة^(٣).

ومن المعتقدات التى كانت سائدة بين المجتمع الهوساوى أن الهوساويين حينما يبدؤون مجالس السمر للاستماع إلى الحكايات الشعبية يقوم كل منهم بنزع شعرة من أهدابه ويضعها على رأسه خوفاً من أن يصاب بالحيرة أو التية^(٤).

(١) عبدالله عبدالرازق إبراهيم : دوله سوكونو منذ عام ١٨١٧ م حتى ١٩٠٢ م . مرجع سابق ص ٢١٩ .

(٢) انظر الرسالة : ص ١١٨ .

(3) Arycety – Attoh, Samuel : "Geography of Sub - Saharan Africa", Prentice Hall, New Jersey – USA, 1997, P.131.

(4) Habib Alhassan, Usman Ibrahim Musa : Op. Cit. (هوسا)

قام بترجمة هذا النص للغة العربية الأستاذ / حافظ إبراهيم عبدالله .

ف - بعض عادات الهوسا وتقاليدهم

من أوضح مظاهر النظام القبلى الأخذ بمجموعة من العادات والتقاليد تكون أساساً من أسس الترابط بين أفراد القبيلة أو المجتمع المحلى، وترتبط هذه العادات والتقاليد بكل النظم الاجتماعية الأخرى وتتكامل معها وتنتشر فى المجتمع موضوع الدراسة الكثير من العادات والتقاليد، هذه العادات والتقاليد محصلة قوى عديدة ونتاج تفاعل عديد من الثقافات والتيارات الحضارية التى تسالت إلى مجتمع شمال نيجيريا فى مختلف العصور والأزمان، والتى تفاعلت بدرجة قلت أوزادت مع الثقافة الوثنية الأصلية^(١).

ولذا تعد العادات والتقاليد ذات اعتبار كبير فى مفهوم الثقافة التقليدية إذ أنها تعتبر عصاره تجارب لمجموعة من الأفراد، ثم ينتشر التعرف عليها وسط المجموعة، ومن ثم يتم قبولها والتمسك بها والإصرار على تنفيذها، فتصبح بذلك تقليداً تتوارثه الأجيال، وقد يصل الاعتقاد فيها لدرجة لا يستطيع القانون الرسمى نفسه أن يحول الأفراد عنها.

وطبقاً للنظام القبلى كان لكل قبيلة زعيمها الذى تكون فى يده كل السلطات والمسئوليات من توزيع الأرض على أفراد القبيلة وقض الخصومات والمنازعات بينهم بالإضافة إلى مكانته ودوره الدينى . وكان طبيعياً إزاء أهمية هذه الأدوار أن يقدم له أفراد القبيلة كل فروض الطاعة والولاء فى حياته، وبعد مماته^(٢).

ورغم اعتناق كثير من الهوسا للإسلام، فإنهم ظلوا يمارسون كثيراً من العادات والشعائر الوثنية، مثل إيمانهم بقدرة الكاهن على معالجة الأمور، وكذلك القدرة على تغيير مسار الطبيعة والاعتقاد بإمكانية تحول الإنسان إلى حيوان، كما تقام الاحتفالات فى بداية شهر رمضان وفى نهايته من خلال شعائر وثنية تدل على سيطرة عبادة البورى الوثنية، حتى بعد دخول الإسلام، وكان الهدف من جهاد

(١) محمد مصطفى الشيبينى : مرجع سابق. ص ١٢٧ .

(٢) نجوى عبدالنبي شحاتة : مرجع سابق. ص ٢٠٠ .

الشيخ "عثمان ابن فوديو" هو السعى نحو تخليص العقيدة الإسلامية مما شابها من بدع وتقاليد ارتبطت بالديانة الوثنية^(١).

إلا أن هذه المعتقدات بدأت فى هذه الآونة تتوارى أو تأخذ فى الأفول بسبب التقدم وزيادة الوعى الدينى والمعرفى لدى الهوساويين .

ومن غرائب الأمور لدى المجتمع الهوساوى فى هذه المناسبة - يوم السبع - أن يأتى حلاق الأسرة ليقوم بحلق شعر رأس الطفل، ويقوم بقطع جزء من " لسان المزمار " للطفل وذلك ظناً منهم بأن هذه العملية تجنب المولود مستقبلاً أى ألم يمكن أن يحدث له، وذلك لأنهم يعتقدون أن هذا العضو " لسان المزمار " قد يطول مستقبلاً فيتسبب فى إعاقة دخول الطعام إلى الجوف، أو يحدث احتكاكاً ينشأ عنه حدوث التهاب يضر بحلق المولود أو شيئاً من هذا القبيل^(٢).

ويعاب على الشخص فى مجتمع الهوسا أن ينادى أخاه الأكبر باسمه مجرداً ولكن يفرض المجتمع على الأخ الأصغر أن ينادى أخاه الأكبر بـ "أخى الكبير" وهذا تأكيد على احترام الصغير للكبير وتوقيره .

وينتشر فى مجتمع الهوسا كثير من العادات التى أسهمت فى توافق الأفراد مع بعضهم البعض، كما قدمت تسهيلات لتوافق الفرد مع بيئته، مما أكسبها قوة وسيطرة فى توجيه وتنظيم السلوك بين الأفراد والجماعات، ومن تلك العادات على سبيل المثال لا الحصر : عادات التعاون فى أوقات خاصة كمناسبات الزواج، أو مواسم الحصاد، أو الدعوات إلى الولائم والاحتفالات المختلفة أو مشاركة الآخرين حل مشكلاتهم والوقوف معهم، ومساعدتهم فى الأزمات التى تحل بهم مثل : " أزمة المرض، أو الحاجة للمال، أو الوفاة" .

ولا شك أن كل ما سبق ذكره من عادات له تأثير كبير فى توثيق الصلات بين الأفراد والأسر فیسود الانسجام والتآلف بين الأفراد فى علاقاتهم الاجتماعية

(١) ماجدة فتحى رفاعة : مرجع سابق ص . ٢٢٥ . بتصريف.

(٢) صبرى إبراهيم على سلامة : بعض معتقدات الهوسا وعاداتهم دراسة فى الأدب الهوساوى . مرجع سابق . ص ٩٥ .

والاقتصادية ومما ذكر يتضح أن هناك تكاملاً بين الدين والقيم والعادات والتقاليد في تحقيق الاستقرار، وتوجيه وتنظيم السلوك داخل المجتمع .

ص - دور المرأة في مجتمع الهوسا

إن المرأة نصف المجتمع الإنساني، فهي الأم والأخت والابنة والزوجة والخالة والعمة والجددة إذا صلح أمرها صلح المجتمع كله، ولقد خصها الإسلام بالتكريم وأحاطها بالإجلال، وشملها بالرعاية، وأنزلها المكانة الجديرة بها، وأعاد إليها ما هو حق لها كمخلوق كريم، يلد الأطفال حتى يصبحوا رجال، ويمنح الحنان، ويسهم في تحقيق السعادة للمجتمع، ويؤدي وظيفة سامية في الكيان البشري .

إن نساء الهوسا ماهرات، ولهن دور في المجتمع بجانب الرجل وأصبحن يتقلدن بعض الوظائف المهمة فممنهن المعلمة، وممنهن السياسية، وممنهن الأدبية، وأصبح لبعض السيدات أدوار في الناحية العسكرية لحفظ الأمن والأمان في جميع الأنحاء⁽¹⁾.

وتعتبر نساء الهوسا ماهرات في التجول في عملية البيع والشراء - وغالباً تكون السيدات اللاتي تعملن بالتجارة وخاصة في الأسواق من المطلقات والعجائز- .

وبالنسبة لعلاقة الزوجة مع زوجها، فإن تركيزها الأكبر يكون في الحصول على رضا زوجها، فهو بالنسبة لها السيد المطاع كلامه، والظل الذي تستظل به وكلاهما سكن للآخر⁽²⁾.

(1) Cohen, Abner: "Custom and politics in Urban Africa - A study of Hausa Migrants in Yoruba Towns", Routledge and Kegan paul, Landon- GB, 1969, P.51 .

(2) لمزيد من الاطلاع انظر :

- Hunter, Guy: "The New Societies Of Tropical Africa- A Selective Study" , Frederick A.

Praeger, Publishers, New York- USA, 1964. P.131.

-Cohen, Abner : Op. Cit. P. 51. : انظر ايضا :

ولذلك يقول علماء الاجتماع إن دور سيدات الهوسا بدأ يتزايد ويكرر فى بعض المدن والبلاد الإفريقية الأخرى أسوة بسيدات الهوسا وعلاقتهن الطيبة مع أزواجهن^(١).

- إن رعاية المنزل والأبناء لها الأولوية فى واجبات المرأة الهوساوية وفقاً للتعاليم الإسلامية - ونرى أن للدين الإسلامى أثره لدى قبيلة الهوسا، فنجد أن المرأة لا تخرج من بيت زوجها نهائياً إلا عند الضرورة، وغالباً ما تخرج المرأة ليلاً ليس لشيء إلا لصلة الرحم ولا تخرج إلا محجبة، ونجد أن المرأة لدى قبيلة الهوسا فى الغالب لا تعمل إلا فى المنزل وغالباً ما يكون هذا العمل فى حياكة الملابس والطرازة، وتحترم المرأة الهوساوية زوجها لدرجة أنها لا ترفع صوتها أمامه، والرجل هو صاحب الكلمة فى البيت . ولما كانت الحرفة الغالبة فى القرى هى الزراعة، فحياة المرأة القروية تختلف عن حياة المرأة القاطنة فى المدينة، ويتلخص هذا الفرق فى أنها فى القرية تساعد زوجها فى الحقل، علاوة على ذلك فهى تزاوّل ألواناً من الأعمال المنزلية التى قد تعتبر شاقة بالمقارنة بمثلتها فى المدن، أما المرأة الهوساوية القاطنة فى المدينة . لا يسمح لها بمخالطة الرجال مطلقاً، ولا تخرج لشراء الأشياء من الأسواق، بل يفعل ذلك الزوج أو الأبناء أو الخدم، بخلاف المرأة القروية^(٢).

وبالنسبة لمكانة المرأة فى المجتمع الإسلامى النيجيرى - لا تقل المرأة عن الرجل فى التدين - وتتمتع بحرية إلى حد كبير وإن كانت هذه الحرية تختلف حسب الأقاليم فالمرأة المسلمة - مثلاً - فى الإقليم الغربى أكثر حرية من أختها فى الإقليم الشمالى والسبب فى ذلك يرجع إلى أمرين :

أولاً - إن السفور عام فى الإقليم الغربى فى حين أن الحجاب لا يزال موجوداً فى الإقليم الشمالى .

ثانياً - إن عدد المتعلمات هناك أكثر من عدد المتعلمات فى الشمال، والسبب واضح وهو أنهم اتصلوا بالثقافة الغربية قبل الشمال بأكثر من خمسين سنة، أضف

(1) Ibid : 51.

(٢) محمد على نوفل : ألفاظ الحياة الاجتماعية فى لغة الهوسا . مرجع سابق . ص ٣ .

إلى ذلك أن عدد المسيحيات هناك أكثر أيضا، ولكن على الرغم من ذلك فالمرأة المسلمة حتى في الإقليم الشمالى قد بدأت تشارك الرجل فى عدة ميادين ولا سيما التدريس والإدارة، وقد قامت النساء بالأداء بأصواتهن فى الانتخابات العامة والفرعية فى كل من الإقليمين الغربى والشرقى دون الشمالى، ولكن لم ترشح إحداهن نفسها فى تلك الانتخابات مما يدل على قلة نشاطهن أو استعدادهن عموماً فى السياسة^(١) .

وبالنسبة للحياة الزوجية، إذا انتهت هذه العلاقة الزوجية بالطلاق، فإن الزوجة تحاول المحافظة على أسرتها بالقيام ببعض الأعمال للحفاظ على أولادها لفترة محددة حتى يشبوا ويعتمدوا على أنفسهم^(٢) .

٩- أنماط الحياة الاقتصادية لقبيلة الهوسا

للظروف والعوامل الاجتماعية أهميتها فى دراسة الحياة الاقتصادية فى المجتمعات التقليدية فعلى الباحث فى هذا الميدان عدم اغفال الظروف والعوامل الاجتماعية، فالنظم الاقتصادية تتداخل تداخلاً قوياً مع بقية النظم الاجتماعية، لذلك ينبغى علينا عند تفسير أى مظهر من مظاهر النظام الاقتصادى أن ندرس علاقته بالبناء الاجتماعى (الذى يسود مجتمع البحث) دراسة مستفيضة تشمل جميع جوانبه.

يحاول علماء الأنثروبولوجيا الذين ينهجون فى دراساتهم نهجاً بنائياً يحاولون التعرف على الوظيفة الاجتماعية للعمل الاقتصادى، وعلى نوع الإشباع الاجتماعى المباشر، الذى يتم تحقيقه عن طريق ذلك النشاط الاقتصادى بوصفه أحد عوامل التكامل والتماسك والتضامن فى المجتمع، فالعمل - على سبيل المثال - من هذه الناحية وعلى هذا الأساس هو نوع من النشاط الاجتماعى، وليس مجرد نشاط فيزيقى، نظراً لأن المجتمع ذاته يتوقع من كل شخص أن يقوم بعمل معين يرتبط

(١) على أبو بكر محمد : الثقافة العربية فى نيجيريا فى القرن التاسع عشر . رسالة دكتوراه . قسم اللغة العربية وآدابها . كلية الآداب . جامعة القاهرة . ١٩٦٥ . ص ١٥٤ .

(2) Cohen, Abner: Op. Cit., P. 51.

على العموم بشكل أو بآخر بنشاطات غيره من الناس، سواء أكانت هذه النشاطات كلها من نوع واحد، أم من أنواع مختلفة، كما أن المجتمع نفسه - وبخاصة المجتمع التقليدي - هو الذى يحدد طريقة تنظيم العمل وتقسيه وتوزيعه بين الأفراد، حسب قواعد دقيقة تؤلف جزءاً من النسق الاجتماعى الكلى، وعلى هذا الأساس فالفرد حينما يقوم بنشاط معين يتفق وقوانين المجتمع بقصد كسب العيش، فإن ذلك النشاط يعد " عملاً " ليس لأنه يؤدي إلى المحافظة على كيانه فحسب بل وأيضاً لأن المجتمع الذى ينتمى إليه ذلك الفرد يتوقع منه أن يقوم بمثل هذا النشاط حتى يكسب عيشه وقوته وقوت عائلته، ويحافظ بالتالى على بقاء المجتمع، فكأن من أهم صفات وخصائص " العمل " أنه نشاط يتفق ويتلاءم مع الدور الذى يجب أن يقوم به الشخص فى المجتمع الذى ينتمى إليه^(١)، وينطبق نفس الشيء على بقية الأنشطة الثقافية الأخرى.

وتعنى كلمة اقتصاد فى أبسط معانيها " توفير السلع المادية اللازمة لإشباع الحاجات البيولوجية والاجتماعية "^(٢).

ويلاحظ أن اقتصاد المجتمع الهوساوى يدور حول أربعة محاور : الزراعة، والرعى، والصناعات اليدوية التقليدية، والتجارة، وهذه المحاور الأساسية أضفت على المجتمع طابعاً خاصاً للنظم والعلاقات داخل البناء الاجتماعى، وهذا ما سوف يتضح فيما يلى :

أ - الزراعة

تعتبر مهنة الزراعة هى الحرفة الرئيسية لدى قبيلة الهوسا، لأن مجتمع الهوسا مجتمع زراعى بالدرجة الأولى فالزراعة هى النشاط الاقتصادى الأول فى بلاد الهوسا نظراً لوجود الأرض الزراعية الخصبة المتوفرة .

ولعناصر المناخ أثر عظيم على اقتصاد نيجيريا، فنجد أن المدى الحرارى له أثر على الغلات الزراعية، إذ أن بعضها يتأثر كثيراً باختلاف المدى الحرارى، وبعضها

(١) أحمد أبوزيد : البناء الاجتماعى . الأنساق . مرجع سابق . ص ٩٨ ، ٩٩ .

(٢) المرجع السابق : ص ٩٢ .

الأخر يستطيع أن يتحمل الاختلاف بين أعلى وأدنى درجة حرارة فى اليوم، كما نجد أن للحرارة أيضا أثرها فى تحديد مناطق وفصول زراعة بعض الغلات، وإن كان هذا الأثر لا يتأتى بمفرده، فدائمًا يرتبط أيضا بالمطر، كما نجد أن هذه العناصر لها أثر واضح فى الإنتاج الرعوى^(١).

وتتقسم السنة فى بلاد الهوسا إلى فصلين، فصل رطب وفصل جاف، من أبريل إلى أكتوبر تهب الرياح الجنوبية الغربية الرطبة، وهذه الفترة هى موسم الزراعة، كما سبقت الإشارة، وعندئذ يصبح تحرك السكان فى أقل درجاته، أما من أكتوبر إلى مايو فتهب الرياح الشمالية الشرقية الجافة المشبعة بالأتربة من الصحراء على أرض الهوسا وهذه الفترة مكرسة للتجارة والأعمال الحرفية، وكذلك تنقسم أرض الهوسا إلى قسمين، فيقع الجزء الجنوبى منها فى منطقة السافانا، أما الجزء الشمالى فهو نصف صحراوى مما أدى إلى تركيز أغلب الأرض الزراعية فى الجنوب حيث المطر الوفير، وتركز الرعى فى المنطقة الشمالية لعدم وجود ذبابة التسى تسمى المنتشرة فى الجنوب^(٢).

وتعد الأرض هى موضوع ووسيلة العمل فى آن، أما أدوات العمل المستخدمة فى الزراعة فهى أدوات بسيطة الصنع مثل: الجاروف والفأس والمعزقة، وهى ذات طابع شخصى أى ترجع ملكيتها للأفراد، ويعتبر الأفراد هم قوة العمل الوحيدة التى يمكن من خلالها القيام بالنشاط الزراعى، وقوة العمل هذه هى التى تقوم بزراعة الأرض المخصصة لها من خلال الجماعة القرابية ويكون ناتج هذا العمل ملكًا لها^(٣).

وقد اقتصرت الأعمال الزراعية على الرجال . وقد تقوم المرأة ببعض الأعمال الزراعية فى أضيق الحدود مثل: بذر الحبوب فى الأرض وغيرها من الأعمال الزراعية البسيطة، ويظهر من ذلك أن النشاط الزراعى فى مجتمع الهوسا يعتمد

(١) محبات إمام أحمد شرابى : نيجيريا الجديدة كنوزها واقتصادياتها . المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر . القاهرة . ١٩٦٤ . ص ١٦ .

(٢) ماجدة فتحى رفاة : مرجع سابق . ص ١٠٢ .

(٣) المرجع سابق ص ١٠٢ .

على نوع من تقسيم العمل الطبيعي حيث إن الزراعة فى مجتمع الهوسا تعتمد على أدوات بسيطة لا تحتاج إلى مستوى معين من التخصص، مما يجعل فلاح الهوسا فى حاجة دائمة إلى الاستعانة بأفراد جماعته القرابية فى بعض مراحل الزراعة، مثل تطهير الأرض من الأعشاب قبل زراعتها، وعزق الأرض وغير ذلك، وعادة ما تؤدى هذه الخدمات بالتبادل بين أعضاء الجماعة القرابية^(١).

ونستطيع القول أن اقتصاد الهوسا أقيم على الزراعة الكثيرة و "Sorghum" ومن المحاصيل الزراعية لدى الهوسا الكاكاو " محصول التصدير الرئيسى "، منتجات النخيل، الذرة، والأرز، اليام " نوع من البطاطا " والدخن، والقمح والشعير وال فول السودانى، والقطن وكذلك الموالح التى جاءت من أمريكا الجنوبية والوسطى والبحر المتوسط، وقصب السكر^(٢).

إن النظام الاقتصادى وعامل المنافسة بين المزارعين انتشر بطريقة عظيمة وعميقة وهذا الإتجاه بكل تأكيد سوف يعود على الزراعة بالنفع^(٣).

ولتحقيق زراعة مساحات كثيرة من الأرض كان الرجال والنساء كلاهما معاً والذنان ينتميان إلى نفس القبيلة أو العشيرة يعملان فى مجموعات موحدة منتقلين من مزرعة فرد إلى آخر، مثل هذه المجموعات العاملة تمثل مصدراً تقليدياً آخر للعمالة الريفية، وأفراد هذه المجموعات العاملة قد يكونوا أفراداً ينتمون إلى نفس العشيرة، كما هو الحال عند آل " جان دو " عند الهوسا^(٤).

(١) المرجع السابق : ص ١٠٢ . بتصرف .

(٢) لمزيد من الاطلاع انظر :

- The New Encyclopaedia Britannica : Op. Cit, P.752.

انظر أيضاً : محمد عتريس : معجم بلدان العالم . الطبعة (١). الدار الثقافية للنشر . القاهرة . ٢٠٠٢ . ص ٤٠٩ .

انظر أيضاً : ماجدة فتحى رفاعة : مرجع سابق . ص ١٠٢ ، ١٠٤ .

(3) Hunter, Guy: Op. Cit. P. III.

(4) Adepoju, Aderanti : « Family Population and Development in Africa » zed books , New Jersey – USA, 1997, P.101.

- ملكية الأرض

ملكية الأرض الزراعية كانت تقوم على أساس الجماعة القرابية العائلية، التي تكون أهم عوامل التماسك الاجتماعى، لأن العائلة بوصفها كياناً كلياً وتؤلف وحدة متعاونة للعمل والانتاج والاستهلاك تقوم بإستغلال تلك الأرض، وغالباً ما تكون تلك الأرض التي تستغل بهذا الشكل أرضاً زراعية موروثه، تتعاقب عليها الأجيال جيلاً بعد جيل .

وكما رأينا أن الأرض فى نيجيريا - بما فيها الهوسا - مملوكة للقبائل بحكم التكوين القبلى ولم يكن يسمح لأى فرد من غير أبناء القبيلة باستخدام أرضها فى الزراعة والرعى دون إذن خاص من زعيم القبيلة . ولقد كان طبيعياً أن ترتبط مسألة ملكية الأرض بالتطورات الاقتصادية، فحتى وصول الاستعمار البريطانى لم تكن هناك ملكية فردية خاصة، وإنما كانت الأرض ملكاً للقبيلة وحق إستغلالها معترف به لجميع أفرادها . وبعد قيام الأوروبيين طلبوا كلا من الأرض وقوة العمل اللازمة لتشغيلها، وكان حصول البيض على هذه الأرض أو قوة العمل الوطنية من أجل تحقيق الأرباح للأوروبيين يعنى تحطيم النظام القبلى كله^(١).

وكما رأينا أن الأرض الزراعية لها أهمية فهى أساس الحياة الاقتصادية فى مجتمع الهوسا وتدور حولها بقية الأنشطة الاقتصادية الأخرى، كما أنها تمثل مصدراً لا يستهان به من مصادر إمداد القبيلة بما تحتاجه من نباتات وحبوب، وملكية الأرض الآن ترجع إلى صاحبها وإذا ما توفى تنقل ملكية الأرض إلى الورثة.

ب - الرعى

يعتبر الرعى وتربية الماشية بجانب الزراعة، من الأسس المهمة فى اقتصاديات الدولة، وقد تركزت تربية الماشية حول العاصمة سوكوتو وكانو وكاتسينا، وتعتبر الأرض والماشية هما وسيلتا الإنتاج الرئيسيتان، وهما فى الوقت نفسه موضوع

(١) نجوى عبد النبى شحاتة : مرجع سابق . ص ١٢٩ .

ووسيلتا العمل فى نشاط الرعى، والأرض هنا تؤدى نفس الدور الذى تؤديه فى الزراعة، وعادة ما ترجع ملكية قطعان الماشية للعائلة ككل، وإن كان لكل فرد ما يخصه من الماشية والماعز والخراف، وتتركز قوة العمل الرئيسية فى الزراعة حيث ينفق الأفراد كل وقتهم فيها، ولا يتطلب نشاط الرعى فى مجتمع الهوسا / فولانى مهارة كبيرة نظراً لبدائية التكنيكيات التقليدية المستخدمة فى تربية الماشية فينحصر العمل فى نشاط الرعى بين الانتقال بالماشية من مكان إلى آخر بحثاً عن المرعى المناسب، وحراسة الماشية وحمايتها، وكذلك فى رعاية الماشية أثناء الحمل والوضع وهى عملية يكون تدخل الإنسان فيها بسيطاً، وعادة ما يعانى الرعاة من مشاق كبيرة، وخاصة فى فترة الجفاف لأنهم ينتقلون بماشيتهم مسافات طويلة بحثاً عن المرعى المناسب^(١).

ج - الصناعات اليدوية التقليدية

ينشأ الأطفال فى مجتمع الهوسا على أن يمتهنوا نفس مهنة أو حرفة الأب أو أقرب الأقارب، ومن هنا فإن مهمة الأب أو القريب تبدأ منذ مرحلة مبكرة من عمر الطفل، حيث يبدأ فى تعليمه مبادئ وأساسيات حرفته^(٢).

فطبيعة الحياة الاقتصادية فى المجتمع التقليدى كانت إلى وقت قريب تورث بجميع مظاهر نشاطها للأجيال المتعاقبة، فالآباء يعلمون أبناءهم منذ الصغر فنون المهنة، ويعملون على تدريبهم، واشتراكهم فى العمل، مهما كان نوع عمل العائلة، سواء فى المزرعة، أم فى أى مهنة أخرى، فإن حياتهم الاقتصادية كانت مرتبطة تمام الارتباط بحياتهم الاجتماعية.

وقد تغير ذلك الآن بسبب تطور المجتمع وتغير بعض المظاهر الحياتية لمجتمع الهوسا وأصبح من حق الفرد أن يمتهن مهنة أخرى غير مهنة العائلة أو غير مهنة الأب .

(١) ماجدة فتحى رفاة : مرجع سابق . ص ١٠٤، ١٠٥ .

(2) Onwucjeogwu, M. Angulu: "The Social Anthropology of Africa : An Introduction", Heinemann , London- GB , 1975, P.22.

والمحور الثالث الذى يعتمد عليه النظام الاقتصادى فى مجتمع الهوسا يتمثل فى الصناعات اليدوية التقليدية التى تعتمد على المواد الأولية اليسيرة فى البيئة المحلية لصنع السلع والأدوات والحاجات الضرورية لاستهلاك الناس .

وقد عرف شمال نيجيريا الصناعة التقليدية منذ عهد بعيد، واشتهرت مدن الشمال بالصناعات الجلدية والخشبية والمنسوجات وحياسة الثياب والزجاج والفخار والبناء والتعدين وصناعة الآلات الموسيقية وصناعة الحصر وصيد السمك والحيوانات وهناك أيضا صناعات معدنية تتمثل فى صناعة المعدات الزراعية والأسلحة وركاب الخيل . كما أن حرفة تشكيل النحاس والفضة كانت منتشرة بين الهوسا وبخاصة أولئك المقيمين فى كانو، وفى كثير من الحالات تقوم النساء بإعداد وبيع الأطعمة المظهية لحسابهن الخاص، كما يقمن بأعمال الغزل والنسيج وخاصة " الطواقى " وهى صناعة رائجة فى شمال نيجيريا لأن النيجيريين يفرمون بها غراماً شديداً . وقد أدت هذه الصناعات اليدوية التقليدية دوراً مهماً فى حياة الشماليين ولم يصبح نمو الصناعة اليدوية فى نيجيريا على درجة من الأهمية حتى النصف الأخير من القرن التاسع عشر، ومنذ ذلك الحين أخذت الصناعة تنمو نمواً مطرداً، فقامت بعض الصناعات التحويلية البسيطة التى تعتمد على رءوس أموال قليلة، وكانت هذه الصناعات البسيطة بداية لإنشاء صناعات أكبر^(١).

وكانت الصناعة اليدوية تحتل، بعد الزراعة، مكانة مهمة فى اقتصاد الهوسا قبل القرن الرابع عشر بكثير، وقد بلغ الصناع مستوى مرتفعاً نسبياً من الإنتاج بفضل تقييم العمل والتخصص^(٢).

ويشتغل الهوساويين بالدباغة منذ قرون مضت والذين يقومون بالدباغة يكون لهم فى العادة محلات صغيرة فى الأسواق يتم فيها صناعة جلود تغطى بها التمايم،

(١) لمزيد من الاطلاع انظر :

- ماجدة فتحى رفاعة : مرجع سابق . ص ١٠٦، ١٠٥ .
- نجوى عبد النبى شحاته : مرجع سابق . ص ١٧١ .
- محمد مصطفى الشعبيني : مرجع سابق ص ١١٢، ١١١ . وص ١٨٥ .

(٢) مهدي آدمو : مرجع سابق . ص ٣٠٠ .

ويصنع منها الأحذية وجراب السيف والسكين، كما يصنعون أنواعاً من الحقائب الصغيرة وأخرى كبيرة يحمل فيها الماء ويحفظ في الأخرى الحبوب من الدخن^(١).

أما صناعات الفخار فتوجد في كانو، وعادة ما يشتغل النساء بهذه الصناعة وتتوقف جودة الصناعة الفخارية إلى حد كبير على الطين "الصلصال" الذي تعتمد عليه صناعتها، ولقد اعتمدت صناعة النسيج في كل من كانو وشمال زاريا على توافر القطن الخام من المناطق المجاورة، حيث يزرع في منطقة تبدأ من زمفرا وجنوب كاتسينا في الغرب وتمتد عبر شمال زاريا لتشمل جنوب كانو والإمارات بين كانوا وبرنو . وتشتغل النساء بهذه الصناعات أساساً، وإن كان الرجال قد انضموا أيضاً إلى هذه الصناعة وعادة ما يقوم الرجال بالغزل على الأنوال الضيقة في حين تقوم النساء بالغزل على الأنوال العريضة^(٢).

وتعتبر القرية هي وحدة العمل الرئيسية في مجتمع الهوسا فولاني الزراعي والرعوي، وتنقسم القرية إلى أحياء، وعادة ما يشترك أبناء الحي في عمل واحد، حيث يوجد حي الصباغين، وآخر للنساجين وهكذا، وهناك علاقات متبادلة بين سكان هذه الأحياء تؤدي في النهاية إلى وجود وحدة عمل واحدة، وقد اعتمدت الحرف الصناعية أساساً على الغلات الزراعية والمحاصيل النقدية^(٣).

ويمكن القول إن هذه الصناعات الحرفية الموجودة في مجتمع الهوسا تتطلب شكلاً من تقسيم العمل الحقيقي القائم على التخصص، لما تحتاجه هذه الصناعات من مهارات تحتاج وقتاً لتعلمها والتدريب عليها^(٤).

وتعد ظاهرة تقسيم العمل حسب الجنس " ذكر وأنثى " من أبرز مظاهر النظام الاقتصادي، إذ كان له تأثير على الحياة الاجتماعية والعلاقات الأسرية، حيث يتبع هذا التقسيم مركز كل من المرأة والرجل في الأسرة والمجتمع، مما نتج عنه أن اتجه الرجال نحو الأعمال التي تتعدى حدود المنزل، بينما اتجهت أعمال النساء إلى

(١) محمد على نوفل : الفاظ الحياة الاجتماعية في لغة الهوسا . مرجع سابق . ص ١٢٥ .

(٢) ماجدة فتحى رفاة : مرجع سابق ص ١٠٦ .

(٣) المرجع السابق : ص ١٠٥ .

(٤) المرجع السابق : ص ١٠٦ . ١٠٧ .

داخل المنزل، إذ أن المرأة الهوساوية من شئونها تربية الأولاد والاهتمام بهم، والقيام بمسئولية المنزل من طبخ وتنظيف . وإطعام المواشى وحلبها، وكما رأينا قد تؤدي المرأة الهوساوية بعض الأعمال خارج المنزل والتي تتلائم مع طبيعتها . ويعاب على الرجل الهوساوى أن يمارس أى عمل من اختصاص المرأة حتى ولو فى مسكنه .

ويمكن القول أخيراً إن الصناعة فى بلاد الهوسا، كانت تعتمد على الموارد الأولية سواء الزراعة أو الرعى، لسد حاجات السكان أولاً، ثم لتصدير الفائض ثانياً، وقد عملت هذه الصناعات على تنشيط التجارة الداخلية والخارجية وأدت إلى إنشاء شبكة من الأسواق الداخلية، مما كان له أكبر الأثر على الازدهار الاقتصادى فى هذه المنطقة^(١).

د - التجارة

يستخدم معظم الأنثروبولوجيين مصطلح " التجارة " للإشارة إلى المعاملات التى بمقتضاها يتبادل الأفراد نوعاً واحداً من السلع فى مقابل نوع آخر، فضلاً عن المواقف التى فيها يتم تبادل السلع بالنقود . وهناك علماء آخرون - تأثروا بكارل ماركس - ضيقوا نطاق مصطلح التجارة بحيث يشير إلى المواقف التى فيها ينقل للفرد السلع التى يحتاج إليها فيتم التعبير عنها بمصطلح شامل هو التسويق^(٢).

لقد شكلت التجارة عصب الحياة الاقتصادية فى بلاد الهوسا، سواء فى عصر ما قبل الجهاد أو ما بعده، وذلك لعدة عوامل منها توافر فائض من المواد الزراعية، والصناعات المحلية مما أدى إلى ظهور شبكة من الأسواق المحلية النشطة، كما أدى هذا الفائض إلى ظهور التجارة البعيدة عبر الصحراء مع دول شمال إفريقيا، وكذلك مع الشعوب الإفريقية الأخرى جنوب الصحراء^(٣).

(١) المرجع السابق : ص ١٠٧ .

(٢) محمد الجوهرى : الأنثروبولوجيا . أسس نظرية وتطبيقات عملية . بدون دار نشر . ١٩٩٢ . ص ١٦٠ .

(٣) ماجدة فتحى رفاة : مرجع سابق ص ١٠٩ .

أما بالنسبة لعملية التبادل التجارى للتجارة الإقليمية بين الهوساويين وأهل الجنوب قديماً قبل مجيء الأوروبيين إلى نيجيريا، فكان الهوساويون يسافرون إلى الجنوب للتجارة، ومن أهم الأشياء التى كانت تجذبهم هى فاكهة الكولا، أما أهل الجنوب فكانوا يشترون من أهل الشمال الماشية من أبقار وأغنام وغير ذلك، وعلاوة على ذلك كانوا يذهبون إلى الجنوب بمحاصيل زراعية مثل: البصل والفلفل والبطاطس والبقول السوداني، والذرة الشامية، ويتم استيراد أشياء كثيرة من الجنوب مثل: فاكهة الكولا وزيت النخيل والأناناس وبعض أنواع من الثياب وغير ذلك^(١).

وتعتبر الملكة أمينة أول من أدخل الخصيان وثمار الكولا لمملكته وفى عهدها شهدت بلاد الهوسا أهم توسع اقتصادى وتجارى^(٢).

ويدون أدنى شك إن العملية التجارية تؤدي غالباً فى الأسواق وهذا ما سوف نشير إليه فيما يلى :

- السوق

هناك نوعان من الأسواق لدى قبيلة الهوسا : أسواق القرى التى تقام مرتين أسبوعياً، وأسواق المدن التى تقام يومياً - ويعرض فيهما مختلف أنواع السلع - ويصف الرحالة كلاپرتون Clapperton الذى زار مدينة كانو عام ١٨٢٤ م، سوق المدينة، والتى تعتبر من أكبر أسواق إفريقيا بما يمكن إيجازه فى الآتى : يصرح شيخ السوق بإقامة أكشاك للبيع، ويشكل عائد بيع هذه الأكشاك جزءاً من دخل الحاكم، ويحدد شيخ السوق أسعار كل سلعة، وله عمولة على كل سلعة تباع، وفى داخل السوق تخصص أماكن لكل نوع من السلع، فالخشب والحشائش الجافة والبقول والبازلاء والقمح يخصص لكل سلعة منها مكان معين، أما الماشية

(١) محمد على نوزل: ألفاظ الحياة الاجتماعية فى لغة الهوسا . مرجع سابق. ص ٧٩ .

(2) Berget, Iris And , White, E. Frances: « Women In Sub - Saharan Africa - Restoring Women To History », Indiana University Press , Indiana- USA. 1999 .P.67.

والماعز والأغنام والخيول والإبل فتوجد فى مكان آخر، كذلك يوجد مكان خاص للخضراوات والفاكهة^(١).

وينتظر أفراد مجتمع الهوسا " الموجودون " فى القرى هذا اليوم بلهف وشغف لشراء أغلب احتياجاتهم وخاصة الأشياء التى تباع بالجملة، وفى تلك الفترة يتمكن التجار من استيراد بعض السلع الضرورية .

والنتيجة التى نصل إليها من ذكر المحاور الأساسية الأربعة " الزراعة، والرعى، والصناعات اليدوية التقليدية، والتجارة " التى يعتمد عليها نظام العمل فى مجتمع الدراسة، هى معرفة مدى ارتباط المهنة بالمركز الاجتماعى حيث يتبين لنا منزلة أصحاب المهن المختلفة فى السلم الاجتماعى ومكانتهم النسبية بعضهم إزاء بعض.

فمثلا كانت طائفتا التجار والمزارعين تعدان فى مركز اجتماعى أعلى من المركز الاجتماعى لأصحاب الصناعات اليدوية التقليدية والرعى، أى أن العائلات التى تنتسب إلى الأفراد الذين يعملون بالصناعات اليدوية التقليدية والرعى يشغلون مركزاً اجتماعياً أقل من غيرها بالمجتمع، بصرف النظر عن كسبهم المادى وكثرة مواردهم.

(١) ماجدة فتحى رفاعة : مرجع سابق . ص ١١٠ ، ١١١ .

الفصل الثالث

الوظيفة الاقتصادية للحكاية الشعبية الهوساوية

• تقديم

أولاً - الحكايات الشعبية :

- حكاية : مزرعة الحيوانات .
- حكاية : الإقامة فى مكان واحد خطر .
- حكاية : كل من قلد غيره فقد شخصيته .
- حكاية : الإلحاح فى الطلب لا يحضر المطلوب .
- حكاية : التاجر والغلام .
- حكاية : زكزكى والكنوى .
- حكاية : اللعبة العقلية .
- حكاية : فليهتم كل بنفسه .
- حكاية : أحد الأشخاص وأولاده وزوجته Nagode.

ثانياً - الوظيفة الاقتصادية للحكايات الشعبية :

خاتمة

تقديم

الاقتصاد مثل القانون والسياسة فهو ناحية من التنظيم الاجتماعى، وفى الواقع يهتم الاقتصاد بالطريقة التى يدبر بها الناس مواردهم، (ومعظمها وليس كلها، مادية) وخاصة اختيارهم بين استخدامات هذه المواد وتوزيع الموارد المحددة بين الأغراض المتنافسة . وقد أطلق عليه ريموند فيرث وهو أحد كبار دارسى اقتصاديات المجتمعات الصغيرة . اسم ذلك الجانب العريض من النشاط الإنسانى الخاص بالموارد وقصورها، وفوائدها وتنظيمها، بحيث تتلائم مع الاحتياجات الإنسانية^(١).

حين يتكلم علماء الأنثروبولوجيا عن " أنماط الحياة الاقتصادية " فإنهم لا يقصدون وصف الأنشطة، أو الممارسات الاقتصادية، أو الوسائل والآلات، والأدوات المستخدمة فى الإنتاج بقدر ما يقصدون دراسة العلاقات الاجتماعية، ذات الطابع الاقتصادى والتى تكمن وراء هذه الأنشطة والممارسات، وكذلك دراسة العمليات التى تستخدم فيها تلك الوسائل والآلات والأدوات والأساليب الفنية والتى يمكن عن طريقها تنظيم العمل الإنسانى . وعلى ذلك، فإنه حين يعرض الباحث بالوصف للأنشطة والممارسات الاقتصادية، أو للأدوات والأساليب المستخدمة فى الإنتاج، فإنه يدرسها باعتبارها عناصر مهمة لإمكان تحليل وفهم العلاقات، أى أن دراسة أنماط الحياة الاقتصادية تتجاوز بالضرورة رصد الممارسات والأنشطة إلى البحث عن العلاقات والقيم والمعايير التى تتحكم فى تلك الأنشطة والممارسات^(٢).

(١) لوسى مير : مرجع سابق . ص ١٩٧ . بتصرف.

(٢) أحمد أبو زيد : المجتمعات الصحراوية فى مصر . دليل العمل الميدانى . الطبعة (٢) . المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية . القاهرة . ١٩٩٣ . ص ٢١ .

وأى مجتمع من المجتمعات الإفريقية له بعض القواعد والنظم والعادات ذات المغزى
أو الهدف الاقتصادية التي يسير عليها ويطبقها .

وسوف يتبين ذلك فيما يلي من خلال الحكايات الشعبية الهوساوية الاقتصادية .
والتي تم اختيارها لهذا الفصل .

أولاً - الحكايات الشعبية :

١- حكاية : مزرعة الحيوانات .

Hikaya : Gonan dabbobi-

ذات يوم جمع الفيل الحيوانات وقال لهم : " ليحضر جميعكم أيا كان إلى هنا لأننا سوف نقوم بعمل مزرعة " .

فقالت الحيوانات له : " هذا رائع " .

وقال لهم الفيل : " لا بد أن نعيش من عمل أيدينا، وأن نخطط لأعمالنا على مدار الأسبوع .

فاجابوا عليه " حسناً جداً " .

ذهب الضبع مع باقى الحيوانات وبدءوا فى تحديد مساحة المزرعة . وبالفعل شرعوا فى العمل بحماس، وبانقضاء هذا الأسبوع، قال الفيل إنه سيذهب كى يرى ما أنجزوه فى هذا الأسبوع، لكنه عندما وصل مكان المزرعة اكتشف أنهم لم يحددوا مساحة كبيرة، وأن الامتداد الذى حددوه لها يمكن لأى رجل عادى أن يجتازه ومعنى ذلك أن مساحة ما تم تحديده صغير جداً، مما جعل الفيل يغضب غضباً شديداً حتى أنه أخذ فى قطع الأشجار بنفسه حتى ظهرت ملامح المزرعة وأصبحت تمتد مسيرة يوم كامل فى كل اتجاه وعندما نزل المطر خرجت الحيوانات مرة أخرى وبدءوا يحفرون حفراً لتبذر فيها البذور الأمر الذى سبب مشكلات لفأر الحقل، فقد بدأ يقع كثيراً فى هذه الحفر التى لم يستطع الخروج منها مما جعله يصيح غاضباً : أيتها الحيوانات التى تحفر فى المقدمة، أوقفوا الحفر حتى لا تقع فى تلك الحفر . لم يعيروه أى اهتمام وظلوا يحفرون حتى بذرت البذور فى أرض المزرعة بالكامل، ثم ذهب كل واحد منهم إلى منزله، وحينما أتى وقت حرث الأرض، عادت الحيوانات للعمل مرة أخرى وحرثوا المزرعة كلها .

بعد ذلك عندما نضجت الثمار عادوا للعمل وقطعوها، ثم قاموا ببناء صومعة .
غلال كبيرة وضعوا فيها المحصول .

وقال لهم الفيل : الآن أيها الحيوانات تجمعوا حولي، لأننى أريد التحدث إليكم،
إننا الآن سوف نستمر فى أكل العشب، وسوف نترك المحصول مخزنًا فى الصومعة
حتى حلول الموسم الحار .

فقالت الحيوانات : " حسنًا " . وانصرف كل منهم لشأنه، لكن الأرنب قال فى
نفسه : إنه سوف ينام على الحشائش حتى يذهب الآخرون، وعندما أصبح المجال
خاليًا، عاد إلى صومعة الذرة، فتسلل إليها وأكل منها حتى الشبع ثم انصرف .
وبعد ذلك ذهب الأرنب إلى حيث يسكن الضبع وأخذ بعضًا من برازه ووضع فى
صومعه الذرة واستمر الأرنب فى عمل نفس الفعل حتى أتى وقت عودة الحيوانات
من هجرتهم بسبب موسم الجفاف، واجتمعوا مرة أخرى، وكان الأرنب الوحيد الذى
لم يحضر وظل راقدًا على القش .

أخذوا ينادون عليه صائحين " يا أرنب " ، فأجابهم بصوت خفيض، فبدأت
الحيوانات تتساءل فيما بينها قائلين : " لابد وأن الأرنب على مسافة بعيدة بدليل أن
صوته خفيض جدًا " ، وفى كل مرة كانوا ينادون عليه " يا أرنب " كان يجيب بصوت
خفيض، وفى النهاية أصبح يجيب بصوت قوى، ولما وصل إليهم أثار عليهم التراب
والرمل، ولاحظوا أنه كان يلهث كثيرًا مخرجًا لسانه من فمه .

فقال لهم الفيل : حسنًا، كلنا الآن موجودون .

فأجاب الجمل وقال : كلنا موجودون .

فقالت الحيوانات : إن الأرنب من المفروض أن يدخل إلى صومعة الذرة ليطمئن
عليها، لكن الضبع قال إنه سوف يذهب بدلًا منه . فتسلى الضبع الصومعة، وعندما
نظر بداخلها وجدها خالية إلا من بعض من برازه .

فقال فى نفسه : آه .. آه .. آه !

فقالت الحيوانات : " ما الأمر ؟ " .

فقال لهم الضبع : أقسم لكم أنه لم يكن أنا .

فقال الحيوانات : إن الأرنب يجب أن يذهب ليطمئن على المكان فتسلق الأرنب الصومعة ونظر بداخلها ثم قال لهم : " إن المكان ممتلئ ببراز الضبع " . فغضب الفيل بشدة وذهب لكى يفتح الصومعة ونظر بنفسه ليتأكد .

فقال لهم الضبع مرة أخرى : أقسم لكم أنه لم يكن أنا .

فقال الفيل : حسنًا جدًا أيا كان الفاعل، فأنا سوف أعرف، وأقبض عليه، ليذهب كل واحد منكم ويرتدى تنورة على وسطه، فذهبت الحيوانات وليس كل واحد منهم تنورة، وكانت تنورة الضبع تمتاز بالبساطة أما تنورة الأرنب فكانت تمتاز بجمالها وروعها، وأخذ الأرنب يرقص بهذه الثياب أمام الضبع .

وبدأ الضبع يقول للأرنب : بعض الناس لديهم كل الحظ . هل تقايضنى ؟

فقال له الأرنب : حسنًا خذها، وأعط الأرنب ثوبه الجميل الفاخر وأخذ منه الثوب البسيط .

فقال الفيل للحيوانات : الآن اذهبوا واجمعوا لى حطبًا كى نشعل النار، فذهبت الحيوانات وجمعوا الحطب وأوقدوا النار التى أضاءت المكان .

فقام الفيل بعمل حيله، فبعد إشعال النار قفز الفيل من فوقها ثم قال للحيوانات : " إذا فشل أحد منكم فى القفز من على النار سوف يكون هو الذى قام بهذا الفعل . وبالتالي كل الحيوانات قفزت من فوق النار، واحدًا تلو الآخر، فقفزت الزرافة، ثم البقرة، ثم الأرنب ،عندما جاء دور الضبع، أمسكت النار فى ملابسه التى كان يرتديها، فصرخت الحيوانات اضربوه، اضربوه ... وانهالوا عليها جميعًا بالضرب ظلمًا، ثم قام الفيل بلطم الضبع لدرجة أن اللطمة أجلسته القرفصاء (جعلته كسيحًا)⁽¹⁾ .

(1) Lumley , Frederick : (Nigeria – The Land , Its Art And Its People) Studio Vista ,London – GB,1977, p.p.116.117.

٢- حكاية : الإقامة فى مكان واحد خطر.

Hikaya : Zama Wuri Daya Tsautsayi .

كان فى إحدى القرى التى تسمى "Sankara" يوجد طفل يسمى "Galaba"، وكان كسلان، وحاول أهله منعه من الكسل لعمل شئ يفيد دون فائدة، وكان أبوه حدادا، فلم يتعلم الحدادة (سبق الخالق المرى)، وكان شغله الشاغل النوم فقط، مع أنه أكبر إخوته إلا أنه الأقل فائدة، ورغم ذلك كانت أمه تفضله على سائر أولادها - ولذلك قيل (أكثر الأولاد شقاوة أقربهم إلى القلب) -، وتحته على ترك الكسل، وتعلم أية صناعة ولكنه لم يستجب لها ولم ينصاع لنصيحتها ولذلك تركته ومرت الأيام ومرض والده ومات ودفن وانتهت مراسم التعزية والدعاء وقالت الأم لإخوته الصغار الذين تعلموا حرفة الحدادة بأن يشتغلوا فى محل الحدادة وقالت الأم ل Galaba : " هذا ما أخشاه لك لذلك طالما طلبت منك أن تتعلم صناعة والدك ولم تبالى بما طلبته منك، وهؤلاء اخوتك يستفيدون مما تعلموا، وهم الآن ورثة محل الحدادة وبذلك سيجدون ما ينفقونه فى قضاء حوائجهم وأنت لا شئ لك تستند إليه غير الحائط الذى يجمعكم " .

فقال لها Galaba : " لا شأن لى بذلك ولا أريد أن أكون حدادا واشتغال أخوانى بالحدادة شأنهم ويكفينى أن أقيم فى مكان واحد ما دام لا أجلس على رأس واحد منكم " فأجابته الأم قائلة : " يا بنى إن الإقامة فى مكان واحد خطر ويجب أن تحاول تغيير هذه الطبيعة لأنه لاخير فيها " . ولم يستمع إلى نصيحة أمه وتعلم طبيعة سيئة أخرى، وهى ذهابه إلى الأماكن التى يجتمع فيها اللصوص ولاعبى القمار لمشاهدتهم، وذات يوم دخل اللصوص بيت غنى وسرقوه ونهبوا ممتلكاته وقتلوه، وذهبوا إلى مخبأهم وخبأوا الأموال والنقود، ثم حملوا معهم بعض النقود إلى المكان ولم يعلم بمجيئهم فوضعوا سراويل^(*) الثرى الملتخ بالدماء بالقرب منه ولاذوا بالفرار قائلين نحن محظوظون بأن وجدنا هذا النائم ووضعنا عليه

(*) السراويل: هى لباس يغطى السرة والركبتين، والجمع سراويلات، المصدر: المعجم الوسيط، مادة (سرى).

السراويل وعندما يقبض عليه وقبل أن ينتهوا من التحقيق معه نكون قد بعدنا من المكان ولما وصل خبر السرقة إلى الأمير أمر بنشر الجنود للقبض على اللصوص وتوجه الجنود إلى مكان لعب القمار لأنهم يعرفون طبيعة هذا النوع من المكان وبنوعية الناس الذين يجتمعون في هذه الأماكن بمجرد وصولهم إلى المكان وجدوا Galaba حاملاً سراويل ملطخاً بالدم وقد أخذ السراويل بعد أن استيقظ من النوم ولم يجد أحد ظنا أن فيه مالا، وعندما رأى الشرطة حاول الهرب فتبعته الشرطة منادية: أمسكوا باللص، وهو يقول أنا لست لصاً، حتى وصل إلى منزله، وفر منهم وسألته والدته عما حدث فلم يرد عليها في حينه، وحين هدأ أخيرها بما حدث، فقالت له أمه : لقد حذرتك من قبل ولم تسمع كلامي، فما هي عاقبتك، ولو كانوا قبضوا عليك لأعدموك، فأسمع كلام والدتك، فندم الشاب وعزم على ترك الكسل واشتغل بحرفة والده، وأصبح مواطناً صالحاً.

ويقول المثل من لم يسمع الكلام اتركوه يعلمه الزمن⁽¹⁾.

٣- حكاية : كل من قلده غيره فقد شخصيته .

.Hikaya : duk wanda ya kwai kwayi wanin shi yarasa hakikaninshi

كان أحد الرجال يعيش في بلدة، وكان يفوق كل الناس جبناً، وغضباً، وحقداً، وتذمراً، وجحوداً، وكان دائماً يضايق زوجته، ويدعى أنها لا تبذل أقصى طاقتها، يقول : " اذهبي، جبانة، أنت لا تعملين عملاً مهماً، ومع ذلك لا تعملين للإنسان ما يريح نفسه، كل يوم أعمل هناك في الحقل منذ طلوع الشمس حتى غروبها، وحرارة الشمس فوق رأسي، حتى تغيب، أزرع وأحصد، وإذا نضج الزرع أحمله إليك وأنت جالسة تطهين فقط، هذا أقصى ما تفعلين " .

فتقول الزوجة " هذا كل ما تراه يا سيدي ؟"

(1) Hassana Umaru : Nuni Cikin Nishadi , Northern Nigerian Publishing Companr Limited, Zaria. 1980. P.P.78.80. / إبراهيم بللو /

يقول الزوج " إذا لم يكن هذا كل ما أراه فماذا تفعلين سوى الغناء والتطويل الذى تلحين به على؟" .

قالت : " يا سيدى، درس الحبوب دائما أقوم به كل صباح، والطحن للثريد، وفصل الحب لصناعة الثريد، كل هذا ليس عملا؟" .

قال رب البيت : " ما العمل فى كل هذا ؟، كل هذه الأشياء تتم وتنتهى قبل الضحى، ليس قلة عملك هو الذى يفضبنى، ولكن إذا فرغت من صنع الطعام تجعلين نصيبى مثل نصيبك، أمس كان الحساء أسود جداً، أما حساؤك فقد وضعت فيه السمن، حتى يمكنك رؤية وجهك فيه" .

قالت : يا سيدى انظر إلى هذا الطفل الذى أمامى، إنى أعانى كثيراً من حملة، وانظر إلى هذا الحمار، كل خدمتهم تتم بيدي " .

قال الزوج " كلام فارغ، أية خدمة لهذا الحمار، سوى أخذه للرعى، وتقديم الماء له؟ أما الطفل فمن الذى لا يستطيع حملة، إن الشخص الذى كان السبب الأول فى جعل النساء يعملن عمل المنزل والرجال يعملون فى الحقل قد أساء القسمة " .

قالت الزوجة : " هذا كل ما تراه الآن ؟ هل نسيت ورود الماء، وكنس المنزل ؟ قال رب البيت : " كفى عن هذا الكلام السخيف وإلا سأضربك ضرب الكلاب، هل هذا عمل ؟ هل يعمل الرجال فى المنزل وتعمل النساء فى الحقل، ويحك ألسنت ترين جسمى ؟، انظرى لجسمك كم هو ناعم، وانظرى لجسمى الخشن كم هو خشن، ومشقوق، ومتسلخ من العمل، أعجب كيف لا تتعبين من الراحة " .

قالت الزوجة : " يا سيدى هل أنت صادق فى كلامك هذا ؟، أم هذا الكلام للمزاح فقط ؟، إذا كان للمزاح ينبغى أن تكف عنه فإن كلامك قد زاد عن حده " . غضب الزوج لأن كل هذا الكلام الذى قاله تظنه مزاحاً، فزجرها، وقال : " أنت امرأة فاسدة عابسة أ يكون المزاح هكذا ؟، أعمل كل يوم فى الحقل ولا أتركه حتى أعرق وأتعب " .

نظرت إليه الزوجة وركمت وقالت : " اغفر لى إذا كان كلامى أغضبك، من أنا حتى أجادلك ؟، ولكن كل ما أريده هو أن نغير العمل غداً، تنتظر أنت فى المنزل

وتعمل كل الأعمال التى أقوم بها، وأنا أذهب إلى الحقل، وأكمل الزراعة والعزقة الأولى التى بدأتها اليوم، وإذا شعرت بالتعب الذى تعانيه، حينئذ أجعل نصيبك من الطعام ضعف نصيبى .

مص الزوج شفتيه وقال : " امرأة رقيقة جداً مثلك، مالك أنت والزراعة، إن والديك دلالك، لو ربياك تربية النساء الريفيات اللاتى يسابقن أزواجهن فى المزرعة ما صار فيك أمر سيئ " .

قالت الزوجة : " لا بأس اتركنى أعمل " .

قال الزوج : " أين أتركك تأتين وتفسدين على اليوم كله عبثاً، وتجعلين الجيران يتفوقون على ؟"

قالت الزوجة : " لقد قلت لك اتركنى وسترى نشاطى، إن المثل يقول : من يقول لك إنه يستطيع أن يبتلع الفأس جريه بيدها، لا أذهب إلى الحقل لإحضار شيء منه ولكن لأذوق ما تذوق فأشفق عليك، وأضع لك طعاماً أكثر من طعامى، وإذا ضايقتنى أمر يوجد كثير من الناس يساعدوننى، ويعلموننى كيف أعمل " .

قال الزوج : " نعم، إن الذين يحدوننا من جهة الشرق والغرب أناس طيبون، ستجدين مساعدتهم إذا طلبت ذلك، ولكن إياك أن تخطئى، وتطلبى مساعدة من الذين يحدوننا من الجنوب، إنه جار ظالم، لا يعمل شيئاً سوى الغيبة والجور على الحدود، وسترين أمراً غريباً، إنه يخرج منذ صلاة الفجر، ولا يعود إلا الظهر، ومع ذلك زراعته أفضل من زراعتنا قليلاً، أنا الذى أقوم وقت الضحى " .

قالت الزوجة : " لا يضايقك هذا، انتظر أنت واسترح إذن، وقم بعملى، فأذهب أنا وأقوم بعملك، ولكن لا تنسى أن تطهى لى الطعام، وتذكر أنه عندما تغرف، أغرف لى أكثر منك، لأنك اليوم تستريح، وسأقوم أنا بالعمل " .

قال الزوج : " إذا كان على الطعام، لا يقلقك هذا، سأنتهى قبل أن ينتصف النهار وسأتى وأدعوك " .

قالت الزوجة : " لا تتعب نفسك وتنادينى، عندما أرى الشمس تتوسط السماء، سأتى كما تفعل أنت عادة " .

قال رب البيت : " لا ، لا تأتي، انتظري حتى أناديك، وإلا ستكررين الذهاب والعودة ولا تجيدين عمل المنزل ولا الزراعة .

قالت الزوجة : " ما كنت أتى لأدعوك، بل عندما كنت تشعر بحرارة الشمس قبل منتصف النهار كنت تعود، الآن الأمر قد عاد إلى، تقول إننى يجب أن أستم إلى منتصف النهار؟"

قال الزوج : " لا أريد أن تأتى الظهر، ولا أريد أن تأتى قبل أن أنتهى، حتى لا تضايقيني بقولك أعمل كذا، أعمل كذا، أريد أن أعمل حاجتى بنفسى، ستذوقين حساء لم تذوقى مثله من قبل، واعلمى حتى فى الطهى لا توجد امرأة تفوقنى " .
قالت الزوجة : " وهو كذلك، سأفعل ما قلت، غداً استعد لشرب الحساء اللذيذ وليس مثل حسائى غير اللذيذ " .

قال الزوج : " إن شاء الله، وهذا الولد الصغير سأردف، وسأعد له الطعام من الضحى، ولن أتركه حتى ينتصف النهار، ولا يضايقنى بالبكاء، وأنا لا أحب بكاء الأطفال، وإذا رأيته قد استيقظ أعطيه إناء صغيراً يلعب به " .

قالت الزوجة : " لا بد أن تستطيع تربيته هكذا، ولكن أفضل أن أذهب به إلى المزرعة حتى لا يضايقك " .

قال الزوج : " لا، لا تأتى به، إذا ذهب به من يمسكه لك، ومن يفلح الأرض لك؟، أنت تقصدين عدم العناية به " .

قالت الزوجة : " لا، سأذهب به، وأنيمه فى الظل عندما أعمل، وإذا سمعته يبكى، أتى وأرضعه، وسأذهب بكلينا الأسود ليرقد بالقرب من الطفل إذا وضعت، ولماذا تشغل نفسك بهذا ؟، وعليك أنت أن تهتم بالعمل " .

قال الزوج : " يبدو أنك لا تريدين أن تتركى هذا الولد معى، ولا تعلمين أننى أكثر منك اهتماماً به، ولكن طالما أنك تريدين الذهاب به، وهو كذلك، أحياناً الله إلى الغد " .

عندما طلع النهار، استعدت المرأة للزراعة، وخرجت، وتركت الزوج يغط فى نوم عميق؛ لأنه يرى أن العمل قليل فى المنزل، ولما وصلت المرأة إلى الحقل، وضعت

الطفل أسفل شجرة التمرهندي، وتركت الكلب راقداً بالقرب منه، وذهبت لتبدأ الزراعة، ولما رآها الناس تفلح الأرض، قالوا : " أين زوجك، هل هو مريض ؟".

قالت الزوجة : " هو طيب جداً، ولكن تبادلنا الأعمال لأنه دائماً يضايقني، بحجة أنني لا أعمل شيئاً في المنزل سوى النوم، وهو كل يوم هنا يعاني من حرارة الشمس، ويقول إنني لا أجعل طعامه أكثر من طعامي، لأنني لا أشعر بالمشقة التي يعانيها، لذلك قلت له أن يمكث في المنزل، ويؤدي العمل الذي أقوم به، وآتى له إلى المزرعة ".

انفجر الناس في الضحك، وقالوا : " ما العمل الذي يضايق الناس هكذا، كم حزمة من الذرة رُبطت العام الماضي ؟".

قالت الزوجة : " لقد اجتهد العام الماضي، وربط أربع حزم من الغلال وثلاث من الدخن ".

انفجر الناس في الضحك وقالوا : " هكذا قال لك ؟، إنه يكذب، لقد ربطت حزمتين فقط من الغلال، وواحدة وقليل من الدخن، والباقي ساعدناه فيه، لأنه كان يحضر لنا الماء إذا شعرنا بالعطش، ولكن طالما الأمر كذلك، اذهبي أنت واستريحي في الظل، لأن العمل القليل الذي كان يعمل كل يوم نحن نعمل لك ضعفه الآن "، وفي الحال ساعدوها، رحمة بها.

وصاحبنا الآخر لم يستيقظ من النوم إلا بعد أن توسطت الشمس السماء، فلما استيقظ شرب الثريد، ودخن التبغ، وهو يقول : " إن النساء يتمتعن بحياتهن كلها، أستريح حتى يزول النوم من الجفون، ثم أقوم في الضحى، وأنهى العمل المطلوب. وبعد قليل حان وقت الضحى، فقام وأخذ إناء الحبوب وراح يزن عيارين، وذهب إلى المطحن وأصلح الحجر وأخذ يطحن، وقد شعر بلذة الراحة، وهو في الظل، وأخذ يمرح ويفنى .

وكلما تعب من أغنية انتقل إلى أخرى، واستمر يفنى. حتى غنى حوالى اثنتي عشرة أغنية مختلفة، ولكن لم يطحن ولو قدحاً، حتى أتعب يديه وكنتفيه وركبتيه التي يركع عليها، ولس الدقيق الذي طحنه فوجده لا يصلح للثريد؛ لأنه ما زال

خَشْنَا، وقد تصبب العرق وأخذ يلهث، فقال فى نفسه، أكون هذا الأمر الذى رأيتَه يسيرا بهذه الصعوبة؟ هيا أعمل حيلة، لا أصنع ثريداً، أعمل فرا تكفيناً، لأنه ماذا يحدث إذا لم تأكل ثريداً لمدة يوم واحد؟، وترك الطحن وأخذ إناء ليحضر فيه الدخن .

ولما وصل إلى الحجرَة تذكر أنه ترك الإناء مفتوحاً عندما ذهب لإحضار الحبوب، فدخلت الماعز وبعثرتها، وأكلت بعض الدخن وبعثرت باقى الغلال، فتألم وراح يضرب الماعز، فخرجت تجرى، فأخذ المكنسة وكنس الحجرَة تماماً، وأخذ باقى الفرا التى كانت فى الإناء، ووقعت على الأرض، جمعها ورمهاها، وعاد يقول: "ها هى الحجرَة عادت نظيفة كما كانت، وستأكل الماعز باقى الحبوب، ولكن لا بأس، لقد كاد ينتهى، الفم الذى خلقه الله لا يمنع عنه الطعام " وذهب إلى الرحا .

فلما رآه حماره أخذ ينهق، ليأخذه إلى المرعى، فقال : " لك حق، لقد أنسيك"، وذهب وأخذ الحبل التى يقيده به، وفكه، ووقف يفكر فى المكان الذى يربطه فيه، وقال فى نفسه أين أحسن مكان أربط فيه هذا الحمار ؟ المستقع بعيد سيضيع الوقت فى الذهاب والعودة، وحتى الآن لم أعد ما سنأكله، وقد بدأت أشعر بالجوع، وقد بعثرت الماعز الملعونة الثريد الذى أعددتَه، وإذا تكلمت يقولون إننى ثرثار، وما جعلنى أحقد عليها هو أننى لا أملك مثلها، ولولا أنه بعيد لأخذته إلى النهر، وإذا تركته هنا لا أدرى ما يصيبه ؟، ووقف يفكر فى نفسه، ورغم أن هذا الرجل لم يكن ثرياً كان لمنزله سقف، وليس من العشب .

وعندما كان ثرياً كان منزله مكوناً من حجرتين، والآن بعد أن تحول الحال عجز عن إصلاحها كلها حتى انهارت إحدى الحجرتين، وخلق هذا الإنهيار مكاناً كالسلم استطاعت الماعز أن تصعد فوق السقف بسهولة، وقد نبت العشب فوق سقف الحجرَة المنهارة بسهولة وكثرة، وكان هذا الجزء المنهار سليماً من الخلف .

وقف الرجل يفكر فى المكان الذى يربط فيه الحمار، فلم يجد، وفى النهاية فكر فى هذا المكان فسحب الحمار، واستدار به وبحث عن المكان الذى يربطه فيه، فتعذر الأمر عليه، فلا توجد شجرة فى هذا المكان، ولا أثر له، لذلك ألقى الحبل

من النافذة، ودار ودخل الحجرة وأمسك الحبل وربطه فى أحد الأعمدة، الذى يحمل سقف الحجرة خشية أن ينهار .

ولما أدرك أنه وجد مكاناً ليربط الحمار فيه، قال : لا شك أن حيلة كثيرة، وعاد إلى طحن الحبوب، ولشدة التعب الذى عاناه ترك الغناء، أخذ يعمل مرغماً، وهو يلهث والعرق يتصبب من جبهته فيمسحه، ثم سمع حركة فى الخارج، فجذب الحبل الذى ربط الحمار فيه، ثم رأى دعامة السقف تتحرك، فترك الطحن فى الحال وفك الدعامة حتى لا يجذبها الحمار بشدة من الخارج، فتسقط الدعامة وينهار السقف، ولعلك تعرف أنه لم يكن قويا، ولا سيما أنه فى فصل الخريف .

فك الرجل الحبل وأمسكه فى يده، ولم يعرف أين يربطه، ورأى أنه لو ظل ممسكاً به فى يده لا يجد فرصة للعمل، لذلك فكر فى حيلة، وربطه فى قدمه، ولما عمل هذه الحيلة، قال : " والله أنا فى غاية الذكاء، أرأيت أفكارى المتنوعة ؟ "، ونظر إلى الحبوب فوجد أنه لم يطحن حفنة واحدة حتى الآن، فضلاً عن الطحنة الثانية، فأعد إناء ليضع ثريداً وحساء، وأدرك أن الشمس توسطت السماء، فقال : " لى حيلة، إذا انتهيت من صنع الثريد لا أصنع حساء وأعمل عسيبة، من أراد أن يأكل ليأكل ومن أبى لا أبالى "، ثم عاد إلى طحن الحبوب .

وأثناء انشغاله فى العمل، ملأ إناء من الطحنة الأولى، فشعر أن كتفه أخذ يؤلمه، ولا يستطيع أن يتم العمل، لذلك جمعه وقال : " لماذا تصنع المرأة نوعاً واحداً من الطعام كل يوم، فتصنع ثريداً كل يوم دون أن تغير نوع الطعام، سأصنع اليوم حساء ولا أبالى بمن يرفض الشرب " .

ولس بعض الدقيق الذى طحنه فوجده خشناً لا يصلح، فقال : " هيا أستريح قليلاً وأطحن بسرعة، فقد كادت الشمس تتوسط السماء ولم أعمل شيئاً، تكرار الطحن ليس مشكلة، أستريح قليلاً ثم أعمل " .

وبعد أن استراح، قام وعاد للعمل، وأثناء العمل، أغرى العشب الذى خلف الدار الحمار فجذبته حتى وصل إلى سقف الحجرة المربوط فيها، دون أن يشعر رب البيت، المشغول فى الطحن، ودون أن يدرك ما فى الأمر، فشعر أنه يجذب ويسقط

من فوق النافذة فتشبث بحجر الطحن، والإناء الذى وضعته زوجته لتعجن فيه العجين، ولكن دون فائدة فوقع زرع بصل : رأسه فى الأرض ورجلاه إلى الأعلى، وقد ربطت إحداها فى النافذة، وقد جرح فمه وأنفه ورأسه، وأخذ الدم يسيل منها، وتلوث جسمه وثيابه بالعجين، عندما جذبه من القدر، إذ كان يتشبث بما يقع تحت يديه .

والسبب فى هذا الحادث عندما هم الحمار ليرعى ما فوق السقف، رأى بعض العشب، قد تسلق فوق الحائط، فمد عنقه ليأكله، وما أدراك ما كبير الحجم، ومد عنقه أكثر حتى سقط خلف المبنى، ولشدة السقوط انجذب رب البيت، حتى وصل إلى النافذة وظل معلقاً، ورأسه أسفل، الآن الحبل المربوط فى رجل الحمار مربوط فى رجل صاحبه من الناحية الأخرى، ولم يكن الحبل طويلاً حتى يصل الحمار إلى الأرض، فظل معلقاً يتدلى، ولما كان الربط فى أرجل الحمار الأمامية، كانت رأس الحمار إلى أعلى وليس أسفل كراس صاحبه .

كان الرجل ورأسه فى الأرض، فحاول أن يمسك الحبل ويربطه ولكن لم يستطع، لأن يده لا تصل فتعب وصبر على هذا الوضع، وظل معلقاً وقد برزت عيناه من التعب وهو يشعر وكأن أمعاءه ستخرج من فمه، ورأسه فوق الموقد مباشرة، فملأ الدخان أنفه، وأخذ الدمع ينساب من عينيه ويبكى من شدة الدخان .

وقبل أن تتوسط الشمس السماء، انتهى من العمل كل الذين يساعدون المرأة فى الحقل، وتركوها تنفض العشب الذى زرعه، ولما رأت الشمس مالت عن سمتها ولم يأت الزوج، قالت لجيرانها الذين ساعدوها : " سأذهب إلى المنزل، لأرى لماذا لم يأت زوجى حتى الآن بالطعام ؟ " .

قال الناس : صدقت، إنه قد تأخر فى المنزل حتى الآن، ولكن انتظري نحضر لك الطعام الذى جئنا، كلى منه، حتى لا تحرمى من الأكل هنا وفى المنزل، ولكن إذا كان على زوجك فاصنعى له الطعام، ربما لم يطه الطعام حتى الآن " .

ولما منعها الحياء ألحوا عليها أن تتوقف لتأكل، وترعى الطعام لكلبها دنا حتى يأكل، فلما شبعوا، أخذت الفأس وحملت الطفل، وتبعها الكلب، وهمت بالسير

فقال لها الناس : " هيا نتبعك، لنرى كيف ركع وأخذ يشعل النار "، ونفضوا
فئوسهم، واتبعوها حتى المنزل .

ودخلوا الحجرة مرة واحدة، وظنوا أنهم سيرون رب البيت يطهى الطعام، فلم
يروه، وسمعوا كأن صوتاً من السماء من ناحية النافذة يقول لهم : " الحمد لله،
جئتم، بسرعة خلصوني " .

عندما سمعوا هذا الصوت أصابهم الرعب، وتراجعت الزوجة إلى الخلف،
ونظروا، فرأوا الزوج تتدلى رأسه على الأرض، وتلوث بالعجين، والدم يسيل من أنفه
وفمه، وفوقه الذباب، ودمعه يسيل ويبكى، فانفجر الناس فى الضحك العالى، وبدأ
على المرأة البكاء، ودقت صدرها وقالت : " سبحان الله، ماذا أصابك يا سيدى " .
قال الزوج : " كفى عن الثرثرة، وخلصينى " .

وجمعت هؤلاء الناس الذين بعثهم الله ليخلصوا زوجها، وهى تقول : " خذوه
برفق حتى لا يسقط منكم فتزداد جراحه "، فقال الناس : " فليمت ولا نبالى " .

ومدت الزوجة يدها وفكوا الحبال من حول قدميه، وتركوه يسقط برأسه فارتطم
أنفه بالأرض، ونزل صامتاً من ألم السقوط، فأخذته الزوجة وعانقته وهى تبكى،
وكانت سقطت الزوج شديدة، ثم سمع الناس شيئاً يسقط خلف الحجرة، فأسرعوا
ليروا ماذا حدث، فرأوا حمار الزوج قد سقط لأنهم فكوا رجل صاحب المنزل، وكان
ثقل الحمار هو الذى يمنع الزوج من السقوط .

عندما أسقط الحمار أخذ يجرى، وجرى الناس إلى رب البيت وهم يضحكون،
وعندما رأت الزوجة أن زوجها أفاق، ركعت أمامه وهو ملطخ بالدماء وقالت :
"سلامتك يا سيدى كيف حدث هذا ؟"

فنهرا صاحبنا، وقال : " إذا لم تغلقى فمك هذا الآن، سأنهال عليك ضرباً "،
إذا كنت تشعرين بقله الأدب فإنى أكثر منك، ما شأنك أنت وما قد حدث ؟، لا أحب
الكلام الكثير، من اليوم انتظرى لتعملى عمل المنزل الذى تعودت عليه، واتركينى
لعملى فى الحقل، امرأة فاسدة، وإلا سأشبعك ضرباً، امرأة عابثة " .

خرج الجيران، وهم يضحكون، ويقولون : "بالله عليكم انظروا كيف يريد أن يشفى غليله منها، هل هى التى أمرته أن يتعلق " .

ولم تجد المرأة ما تقوله، فقامت وأكملت الطحن لتصنع له الطعام .

أسمعت ما أصاب رب هذا البيت، ومنذ هذا اليوم تحسن طبعه، وترك كل طباعه السيئة، وصار زوجا صالحا، وكأنه ليس هو^(١) .

٤- حكاية : الإلحاح فى الطلب لا يحضر المطلوب .

Hikaya : Zafin nema ba ya kawo samu

كان يوجد رجل فقير جداً، لا يملك إلا فأساً وحمارين، وكانت حرفته هى الذهاب كل يوم إلى الغابة وقطع الأخشاب، ويضعها على الحمارين ويذهب بها إلى السوق لبيعها . ويشترى الحبوب التى سيأكلها فى نفس اليوم، لم يخلق الله هذا الرجل كسولاً، ولو ليوم واحد، لم ينقطع عن العمل سواء فى فصل الجفاف أو المطر، مهما كان المطر، ومهما كان البرد، إذا انقطع ماذا سيأكلون؟ ها هى الأطفال صغار، والأولاد إذا كبروا هموا بمساعدته، ولكن مع كثرتهم واجتهادهم لم يجمعوا شيئاً يذكر، فهو يعيش فى بؤسه .

وذات يوم تعب ويئست نفسه، فجلس صامتاً فى حيرة مما يدخل الراحة على نفسه فى هذه الحياة الدنيا، فقال : " لقد تعبت من هذا الشقاء بلا فائدة، الإنسان يتعب سنوات وسنوات، ومع ذلك لا يملك شيئاً ؟، غداً إن شاء الله أكف عن الذهاب إلى الغابة لقطع الأخشاب، وأنام فى البيت، وإذا شاء الله أن أنال الرزق وأنا راقد فوق السرير سيأتيني " .

وفى اليوم التالى رقد فى المنزل، حتى حان وقت ذهابه إلى الغابة، ومضى ولم يقم، وقامت زوجته وأنهت كل أعمال المنزل، ولم تسمع حركة تدل على أن رب البيت قد استيقظ، فدخلت الحجرة لترى، ربما يكون مريضاً، فلما دخلت وجدته ممدداً

(١) الحاج أبو بكر إمام : الكلام رأسمال . ترجمة: مصطفى حجازى السيد حجازى . وتقديم: محمود فهمى حجازى . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة . ٢٠٠٠ . ص ٥٦٩ : ٥٧٧ .

على السرير، فقالت له : " يا سيدى هل أنت اليوم مريض ؟ ألم تشعر أن النهار قد طلع منذ مدة ؟، يجب أن تقوم، وتذهب للبحث عما سنأكله ."

فلم يرفع رب البيت رأسه لينظر إليها، ثم قال : " ويحك يا سيدتى، أقوم لماذا، ماذا أفعل لك ؟" .

قالت : " اليوم أئن تذهب إلى الغابة ؟" .

قال : " لن أذهب، ما فائدة كل هذا التعب الذى عانيته سنوات وسنوات، رغم أننى أخرج مبكرًا جدًا وأذهب إلى الغابة، هل أجد ما تقتاتون به إلا بصعوبة ؟" .

قالت : " وهو كذلك يا سيدى، هذا ما قدره الله، يجب أن نتحرك حتى نجد ما نأكل، كل من تراه فى هذه الدنيا يفعل ذلك، لا أحد ينام فى السرير، كيف نحصل على الأكل ؟" .

قال رب البيت : " ما أقوله لك الآن هو أننى تعبت من هذا السعى وراء الرزق بلا فائدة، إذا كان لى نصيب فى الرزق مستقبلاً، سيأتينى فى سريرى، ولكنى تركت هذا السعى غير المفيد للأبد ."

انحنى ربة البيت وقالت : " ويحك يا سيدى، لا تجعل البؤس يجتلك، من الذى رأيتة فى كل هذه الدنيا، ينام ويجد الرزق يأتية إلى سريره، إن لم يقم ويبحث عنه؟، قم واحمل فأسك وأخرج حفاريك إلى الغابة، واعمل ما تعودت أن تفعله، واحمد الله الذى وهبك القوة والعافية، قم، ليس عندنا اليوم ولا حبة غلال فى المنزل ."

نهرها الزوج وقال لها : " هل قلت لك إننى لم أحمده الله ؟ أغرى عن وجهى، عندنا حبوب أو ليس عندنا هذا لا يعنينى، اذهبنى لشأنك، لا تتعبى نفسك بلا فائدة، ليس فى هذه الدنيا من يحملنى على الخروج لقطع الأخشاب ، عبثًا حاولت زوجته كثيرًا، فلم تثته عن عزمه، حتى تعبت من ثرثرته، فانصرفت ."

لم يمض وقت طويل على انصرافها حتى جاء أحد جيرانهم يسمى سمبو واستأذن، خرجت الزوجة وتبادلا التحية، فقال لها :، لقد جاء يبحث عن الرزق لدى

زوجها، هل يوافق أن يعيره حماريه، فليده عمل ويحتاجهما، وإذا كان رب البيت لديه عمل سيأتى ويساعده فيه .

دخلت الزوجة البيت وقالت : " شخص يستأذن على باب المنزل " ، التفت الزوج فى غضب وقال : " سبق أن قلت لك إنه لا يوجد فى كل هذه المدينة من يخرجنى من السرير، مهما كان، من أراد أن يرانى فليدخل " .

عادت الزوجه وقالت لسمبو، فدخل وكرر الكلام الذى قاله للزوجه، ولكن الزوج رد قائلاً : " يا إلهى، لقد سبق أن أقسمت ألا أقوم من هنا، ولا يوجد من يجعلنى أغير كلامى " .

قال سمبو : " وهو كذلك، إذا لم تذهب، أعرنى حماريك، وإذا عدت سأساعدك بما تشتري به الطعام " .

قال رب البيت : " ويحك، إذا كان هكذا، اذهب بهم، ثم عد " . أخذ سمبو الحمارين ووضع عليهما الغبيط وخرج، لقد طلب سمبو الحمارين؛ لأنه رأى بعض اللصوص يخفون المال فى حقيبة فى كهف فى بطن الجبل، وكان يظن أن هذا المال ملك لأمير المدينة، لأن بعض اللصوص سرقوا خزائن الأمير، ولم يمض على هذا الحادث أكثر من ثلاثة أيام، ومازال البحث جارياً على هذه الخزائن، لذلك يريد أن يستولى على هذا المال كله قبل أن يعثروا عليه، فلما وصل إلى المكان أخذ يصب المال فى الغبيطين، وأخذ ما يمكن أن يحمله الحماران، ويحث عن قطعه قماش وغطى بها الغبيطين، حتى لا يرى أحداً ما فيهما، واتخذ طريقاً قصيراً ليعود إلى المنزل .

وأثناء السير رأى من بعيد اثنين من شرطة الأمير، وما أدراك ما الكذاب، لقد خشى أن يعرفوا ما فى الغبيطين، فإذا أمسكوه يذهبان به إلى القاضى، فيحكم عليه بالإعدام، لذلك جرى وترك الحمارين، فسارا فى الطريق الذى تعودا أن يسيرا فيه إذا عادا من قطع الأخشاب، وقصدا المنزل، ولم يتوقفا إلا فى مربطهما .

وكانت ربة البيت فى هذا الوقت خارج المنزل تقطف بعض النباتات، فرأت الحمارين بما يحملان من متاع، يجران أرجلهما بصعوبة، فذهبت مسرعة ونادت زوجها ليخرج ليرى الحمارين قد عادا يحملان شيئاً ثقيلاً .

عندما رأى رب البيت أنها ضايقته بالنداء، قال : " ويحك بالله لقد قلت لك ألا تضايقيني، كم مرة قلت لك إننى لن أخرج ؟" .

فلما رأت أن زوجها يرفض الخروج، ذهبت إلى الحمارين وفتحت الغبيطين فرأت المال أكواما، والشلنات حمراء، تأخذ بالأبصار، فلما رأت ذلك أسرعت وذهبت إليه وقالت له : " بالله عليك أخرج مسرعا، صدقت عندما رفضت أن تخرج اليوم لقطع الأخشاب، وانتظرت الرزق يأتى إليك حتى السرير، هاهما الحماران قد عادا يحملان المال، أقسم بقبر والدى أنه لا يوجد اليوم فى هذه المدينة من هو أغنى منا " .

عندما سمع صاحبنا ذلك، هب قائمًا من السرير، وقصد مكانًا واحدًا وهو مريط الحمارين، فأمسكت الزوجة الحمارين، وأخذ ينزل الغبيطين ويفتحهما، ونزل الدمع من عينيه من شدة السرور، وحمله وذهبا ووضعاه فى إناء كبير، ونظر إلى زوجته وقال : " يا سيدتى هل علمت الآن أن ما قلته لك كان حقًا؟" .

الرزق شيء لا تعرفين له كيفية، إذا كنت تبحثين عنه لا يأتيك مسرعًا، ولكن إذا تركتيه يأتيك مسرعًا، ويبحث عنك حيثما تكونين . " قالت الزوجة : " والله وافقت على كلامك، صدقت يا سيدى " وما كاد يأتى الظهر حتى جاء سمبو، سأل رب البيت عن المتاع الذى حملة الحماران، فلما أدرك أن هذا المال ليس ملكًا لسمبو، وأنه لا بد أن يكون احتال للحصول عليه، قال " لقد وهبني الله هذا المال وأنا راقد فى السرير، ولن يوجد من يأخذ كل هذا المال منى، إذا كنت تشعر بشيء فارفع شكوى " .

وكان سمبو يعرف أن هذا مال الأمير، وأنه إذا شهد بأنه رآه سيقتل، لذلك قال : اذهب، لقد رزقك الله، ولكن كما رزقك الله، إذا كنت تحبه ساعدنى " ، دخل رب البيت وأحضر عشرين جنيهاً وقدمها لسمبو، فأخذها وانصرف^(١).

(١) الحاج أبو بكر إمام : مرجع سابق : ص ٢٦٥ : ٢٦٨ .

٥- حكاية : التاجر والغلام .

. Hikaya : Farke da Yaro

قابل أحد التجار غلاماً فسأله الصعبة للتجارة وطلب منه أن يصحبه للتجارة، وعندما نعود سأعطيك شيئاً لأكل اللحم . فذهبا معاً وعندما عادا من تجارتهما، اشترى التاجر سكيناً بنصف " Kwabo " وأعطاهما له وأذن له أن ينصرف، فخرج الغلام وهو يبكي فاشتكى إلى القاضي فاستدعى القاضي التاجر وقال له : هذا الغلام يقول إنك لم تعطه أجره .

فقال التاجر : لقد أعطيته، فقال الغلام هذا كذب لم يعطني شيئاً إلا هذه السكين الصغيرة، فسأل القاضي التاجر قائلاً : هكذا صحيح ؟

فقال التاجر : نعم هذا صحيح لأنني سابقاً قلت : إننا عندما سنعود سأعطيه شيئاً لأكل اللحم وها هو لقد أعطيته، فقال القاضي : حسناً، لقد فهمت وعندئذ أمر بأن يحضر لحمًا، فقال القاضي : " أيتها السكين كلي اللحم "، فلم تأكل "السكين اللحم" .

حسناً، لقد رأيتم أن السكين لم تأكل اللحم، إلا بالأسنان . فتقلع أسنان التاجر وتعطى للغلام "هكذا قال القاضي"

فأمسك بالتاجر حتى بدئ " في خلع أسنان التاجر " . فعندما شعر بالألم قال : " توقف يا رجل، كل ما أمرتني أن أعطيه سوف أعطيه " .

فقال القاضي : حسناً، لقد أنقذت أسنانك وكل واحد منكما يعطى Fan - عملة مثل الشلن - فحسبت أموال التجارة فبلغت اثنين وثلاثين " Fan " فألزم التاجر بالدفع . وأخذ العشر وأعطى الولد الباقي^(١).

(1) Malam Mohammodu Ingaw , Jean Boyd : "Ka yi ta Karatu Sabuwar Hany", The Northern Nigerian Publishing Company, Zaria , 1977 , P.2 , 3 (هوسا) .

قام بترجمة هذا النص للغة العربية الدكتور / صبرى سلامة .

٦- حكاية : زكزكى والكنوى .

Hikaya : Dan Zazzau da dan kano

قام زكزكى ما ليذهب إلى كانو ليشتري حصانا وعندما أراد الخروج من البيت، قال له أخواه : ينبغي لك أن تصطحب أحد الكنويين كي يكون معك لأن الكنويين مخادعون، فقال : حسناً، فاستعد وذهب إلى كانو وبحث عن السكن ونزل به فلما استراح، قال لصاحب السكن : جئت لأشتري حصانا، فقال للضيف : حسناً ولما حان وقت العصر، خرج بنفسه وذهب إلى السوق وجلس في سوق الحصان - مكان بيع الأحصنة - يستمع إلى المساومات حتى سمع السعر الذى يناسبه فزاد على السعر ووافقوا على السعر الذى قاله فدفع لهم "السمسرة" فقال لهم : لتأتونى إلى سكنى غداً لتأخذوا الثمن .

فكان الحصان معيباً، فسحب الحصان إلى منزله فلما وصل، قال له صاحب المنزل : أين كنت ؟ وكنت فى انتظارك وقت العصر ؟ فأنت ذهبت بنفسك .

فقال : حسناً ها هو اشتريت الحصان قال صاحب المنزل : لنذهب لأراه فذهبا فلما رأى صاحب المنزل الحصان قال : ياه !! هذا الذى اشتريت ؟ إنه معيب وقد مكث عشرة أيام فى السوق دون أن يشتريه أحد .

فقال الضيف : ماذا أفعل الآن وكيف أردته ؟

فقال صاحب المنزل : لا حيلة لك طالما اشتريت ودفعت السمسرة .

وقال الضيف : أنا أعرف ماذا أفعل لأرد لهم حصانهم وأخذ سمسرتى فلما كان من الغد، فإذا بسماسرة جاءوا ليأخذوا النقود، فلما رآهم الضيف قام ودخل البيت فأخذ سراويله وعلقه على عنقه وركب الحصان وخرج وقال لهم : هل جئتم لتأخذوا ثمن الحصان ؟ فقال حسناً إذا تعالو معى، فقالوا له : إلى أين نذهب ؟

فقال لهم : زاريا، وهل يمكن لى أن آخذ حقيبة النقود وأسلك طريق الغابة،

فيأخذها منى أحد اللصوص ؟

فبدءوا يسبونهُ ويقولون له : من أى نوع من الناس أنت ؟
يا زكزكى الأبله، خذ سمسرتك، وأعطنا حصاننا، فرموا له نقوده، ورفض أن
يأخذ وهو ينازع، وهم يشدون الحصان، وهو الآخر يشد قائلاً : لا أحد يحول بيني
وبين هذا الحصان، فتدخل بينهم صاحب المنزل ليصلح بينهم .
لذلك يقال : إذا أسأت إلى زكزكى يغفل عنك وليس عجزاً عن الانتقام (١٧١).

٧- حكاية : اللعبة العقلية .

Hikaya : Wasa Kwakwalwa

ابن زعيم السمع وابن وزعيم البصر وابن زعيم التعداد .
خرج ثلاثة أشخاص ذات يوم للتجارة وهم ابن زعيم السمع وابن زعيم البصر،
وابن زعيم التعداد . أحدهم يحمل كيساً للذرة، والآخر كيساً للأرز، والثالث كيساً
للسمس، وكل واحد منهم جعل كيسه على حماره وساروا حتى وصلوا إلى نهر كبير
ولابد من قارب للعبور . ولذا طلبوا من أصحاب القوارب أن يعبروا بهم النهر
مع الأكياس والدواب، وعندما أصبحوا فى وسط النهر قال ابن رئيس السمع :
انتظروا .. أنا سمعت وقوع حبة ذرة فى النهر، فقال ابن رئيس البصر : حقاً فقد
رأيت شيئاً كحبة ذرة سقطت من هذا الكيس إلى النهر، فقال ابن رئيس التعداد :
ينبغى أن نقوم بتعداد حبات الذرة التى فى الكيس لنعرف ما بقى، ولما عبروا النهر
أفرغوا جميع ما فى الأكياس وعد ابن رئيس التعداد كيس الأرز فوجده كاملاً،
وهكذا وجد كيس السمس، ولما عد حبات الذرة اكتشف نقصان حبة واحدة فقال
ابن رئيس البصر : سأغوص فى النهر وأحضر الحبة، وغاص فى النهر وبحث فى
الرمال وأخيراً رأى الحبة وأحضرها (١٧٢).

(1) Malam Sidi Sayudi Mohammed : "Karamin Sani". Na Daya , Sabuwar Hanya , The North-
ern Nigerian Publishing Company . Zaria . 1973, P.P.25:28 (هوسا) .

قام بترجمة هذا النص للغة العربية الأستاذ / بهودا سليمان إمام .

(2) Ibrahim Yaro Yahaya : "Labarun Gargajiya" . Littafi Na Biyu , University Press Limited
Ibadan , Ibadan , 1982 , P. 49.50. (هوسا)

قام بترجمة هذا النص للغة العربية الأستاذ / حافظ إبراهيم عبدالله

Hikaya : Kowa Tasa Ta fissa shi

خرج أحد العلماء ذات يوم فى جولة فالتقى بصياد ومصارع، وسأله الصياد والمصارع عن وجهته، فأجابهما المعلم، ثم طلبا منه أن يصحباها فأجابهما بالإيجاب، وبعد أن قطعوا مسافة قليلة إلتقوا ببائعة الهوى جالسة فى جانب الطريق، وسألتهما عن وجهتهما، فأجابها الصياد والمصارع على أنهما يرافقان المعلم فى رحلته، ومن هنا قامت وأخذت خمارها وذهبت معهم .

وساروا - وهم أربعة - حتى وصلوا إلى بحر كبير، وقد قطع الطريق وتهد المعلم وقال : فليعرض كل واحد صناعته التى يجيدها لينقذ نفسه " لقد قيل : إن فى إتقان السباحة إنقاذاً للنفس " ثم قرأ المعلم بعض الأدعية وأخرج أوراقاً من حقيبته وجعل يفرشها على الماء ويمشى عليها حتى عبر البحر .

ثم قام الصياد وأخرج سهمه ثم أطلقه حتى وصل إلى الجانب الآخر من البحر وأخذ بمؤخرته وجعل يمشى فى ببطء حتى وصل إلى حيث كان المعلم .

ولما رأى المصارع ذلك قام وجعل يضرب برجله على الأرض ثم أمسك بعضا فى يده وجعل يصارعه، ثم وثب وثبة شديدة فإذا به فى الجانب الآخر من البحر .

ولما رأت بائعة الهوى ذلك لم تقل شيئاً، ولكن قامت وأحضرت الصابون والماء، ثم استحمت واحسنت الاستحمام ثم جاءت بكرسى وجلست عليه وأحضرت أدوات زينتها من مكياج وحمرة الشفاة، وتزينت، ثم أخرجت الليمون والفحم ونظفت أسنانها، ثم قامت وتوجهت إلى البحر، وابتسمت للبحر وحركت له رموشها وعينها فى دلال، وسرعان ما انقسم البحر إلى نصفين تتوسطهما اليابسة ودخلت بائعة الهوى وجعلت تمشى فى دلال حتى وصلت إلى الجانب الآخر^(١).

(1) Muhammad Kabir Mahmud Galadanci : "An Introduction to Hausa Grammar", Longman Nigeria . Kano, 1976. P.P. 56 : 58. (هوسا)

قام بترجمة هذا النص للغة العربية الأستاذ / حافظ إبراهيم عبد الله

٩- حكاية : احد الأشخاص واولاده وزوجته Nagode.

. Hikaya : Wani mutun da'ya'yansa da matarsa sunata Nagode

ذهب أحد الأشخاص ذات يوم إلى السوق، واشترى الكوارع وجاء بها لزوجته لتطهيتها وبعد أن انتهت الزوجة من طهى الكوارع، وانتظرت زوجها ولم يأت حيث إنه كان مع أصدقائه فى الصالون، وهم يريدون أن يأكلوا نصيبهم والزوج ليس موجوداً حتى يقسم بينهم .

فقالَت الزوجة : من الذى يذهب ويخبر الزوج بأن الكوارع قد نضجت بحيث لا يدرك من معه ؟

فقال أصغرهم : أنا الذى أذهب .

فقالَت له : اذهب وأخبره بأن الكوارع قد نضجت، وذهب وأدرك أباه بين الجماعة الكثيرة .

فقال له : تحت يا أبى إن الرأس قد طار .

فقال الأب : فى الحقيقة أنتم الأربع كل واحد يذهب برجليه و " Nagode " - زوجته - تحمل الأمتعة ولو بدون "حواية"، والسمع والبصر والكلام يكفينى أنا .

معنى هذا الكلام أن الأب يقصد أن أبنائه الأربعة كل واحد منهم يأخذ رجلاً واحدة، وأمهم تأخذ المخ، وهو يترك له الأذن والعينين واللسان^(١).

ثانياً - الوظيفة الاقتصادية للحكايات الشعبية :

تعد حكاية : (مزرعة الحيوانات) ضمن الحكايات الخرافية الحيوانية وهى تصور مظاهر البيئة الإفريقية البسيطة المتمثلة فى الغابات وما تحتويه من حيوانات ونباتات مختلفة .

(1) Labaru Na Da Da Na Yanzu : "Second Edition", The Northern Nigerian Publishing Company Ltd, Zaria, 1968, P.47 (موسا)

قام بترجمة هذا النص للغة العربية الأستاذ / حافظ إبراهيم عبدالله .

وفى الحكاية دعوة إلى اتخاذ أرض جديدة لجعلها بيئة جديدة صالحة لكافة الأنشطة اليومية فى الحياة، وخاصة لكى تستوعب الإزدىاد السكانى الهائل، وتشير الحكاية إلى ضرورة زيادة الرقعة الزراعية حتى يتم تزويد السكان بحاجتهم من الطعام بالإضافة إلى ذلك ضرورة زيادة مساحة الأرض التى يسكنونها، وتودى الأرض دورًا هامًا ورئيسيًا فى النشاط الاقتصادى لدى مجتمع الهوسا .

وقد أبرز راوى الحكاية الشعبية أهمية التخطيط فى العمل الجماعى بإرادة قوية وإخلاص وأشار إلى المراحل المهمة بالنسبة للزراعة فأكد على أهمية المطر بالنسبة للأراضى الزراعية، وعزق الأرض وموسم نمو المحاصيل ثم جمعها، وتقسيم المحاصيل فمنها ما يؤكل ومنها ما يتم تخزينه وطريقة تخزين المحاصيل وأسلوب بناء مكان خاص لتخزينها. وتؤكد الحكاية أيضًا على أهمية الولاء للوطن وحب الخير لأبناء الوطن والتعاون معهم والحفاظ على المال العام .

وتحاول حكاية مزرعة الحيوانات أن تعلق سبب كون الضبع يبدو وكأنه يجلس القرفصاء حتى ولو كان واقفًا، وذلك لأنه اتهم بسرقة المحصول الذى زرعه الحيوانات وعلى رأسهم الفيل وعاقبته الحيوانات من أجل ذلك وارتطم به الفيل وهذا ما أدى إلى كونه كذلك .

أما حكاية : (الإقامة فى مكان واحد خطر) تبين أن العلاقة بين الأب وأبنائه داخل الأسرة الصغيرة هى ما يميز شكل العلاقة فى المجتمع .

وفى مجتمع الهوسا قد يرث الابن حرفة الأب من خلال تلقين الأب لابنه هذه الحرفة عن طريق التنشئة الاجتماعية .

ومن خلال تحليل تلك الحكاية الشعبية يمكن أن يتضح أن التنشئة الاجتماعية لهذا الابن لم تكن فى شكلها الصحيح على عكس الإخوة الآخرين الذين تأثروا بأسلوب تنشئتهم لمهنة الأب، فالطفل لابد وأن يتعلم فى مراحل حياته الأولى بعض الأمور المتعلقة بقيمة العمل المنتج، واحترام الوقت كأساس للتقدم، ورفض العادات الاستهلاكية القائمة على الترف والبذخ .

إن الأب لقن الأبناء قيمة العمل، وتقسيم العمل يقوم على الجنس " بين الذكور " من خلال تعليمهم حرفة، إلا أن هذا الابن خرج من هذا الإطار " قيمة العمل " عن الخط الأبوي سواء فى العمل أو حتى أسلوب الحياة، والخروج عن المألوف وعدم طاعة الكبار يعرض الأبناء للخطر .

وتدعو الحكاية إلى مكافحة البطالة لأنها قد تؤدي إلى ارتكاب بعض الجرائم كما حدث لـ Galaba، كما تدعو أفراد قبيلة الهوسا إلى عدم الكسل وتؤكد على أهمية قيمة العمل وتشير إلى عاقبة من لا عمل له، وهذا ما أكدته الأم من أن الإخوة قد برعوا فى تعلم حرفة أبيهم، وتشير الحكاية إلى الدور الحاسم الذى تؤديه الشرطة من خلال السلطات الممنوحة لها .

(كل من قلده غيره فقد شخصيته) يذهب "دور كايم" إلى حد القول بضرورة وجود تقسيم فعلى للعمل فى المجتمع حتى يستطيع الناس أن يدركوا فائدته ويشعروا بالحاجة إليه . فالتفاضل الاجتماعى - إذأ - هو العامل الأساسى - إن لم يكن العامل الوحيد - الذى يؤدي إلى تقسيم العمل والتخصص الذى يتطلب بالضرورة اختلاف الأفراد فى الميول والاستعدادات . فازدياد المنافسة من أجل الحياة نتيجة لتركز المجتمعات هو الذى يجعل الأمور صعبة أمام الأفراد الذين لم يتخصصوا فى مهنة معينة بالذات، ومن هذه الناحية فقط يمكن القول بأن غريزة حب البقاء لها أثر فى توجيه الناس نحو التخصص ونحو تقسيم العمل^(١) .

إن مجتمع الهوسا مجتمع زراعى يعتمد فى حياته على تقسيم العمل بين الجنسين وهذه الحكاية تبين اختلاف طبيعة الجنسين، فكل منهم له طبيعته الخاصة، فقد خلق الله كل إنسان مهياً لمهنة معينة، وعمل المرأة فى معظم المجتمعات الإفريقية يختلف عن عمل الرجل، ومن يستهن بمهنة أى إنسان فجزاؤه عند الله شديد، لأن لكل مهنة متاعبها، وفى هذه الحكاية دعوة إلى الاهتمام بالعمل واتخاذ مهنة لكل إنسان يعيش من خلالها .

(١) أحمد أبو زيد : البناء الاجتماعى . المفهومات . مرجع سابق . ص ٢٧ ، ٢٨ .

وتبرز الحكاية أهمية وظيفة المرأة الهوساوية داخل المنزل فهي تقوم بأعمال المنزل يومياً، وهذه الأعمال متنوعة وكثيرة ويعتقد البعض أنها أعمال خفيفة غير مرهقة، وفي الحقيقة إنها لا تقل قيمة عن عمل الرجل خارج المنزل، وإذا نظرنا للحكاية نجد المرأة الهوساوية تقوم بالعمل المنزلى كله ثم تذهب لعمل آخر وهو احضار الطعام لزوجها فى الحقل.

وتلك الحكاية تدعو الأزواج أن يهتموا بزوجاتهم ولا يستهينوا بهن أو بالأعمال المنزلية التى يقمن بها . وتؤكد الحكاية أيضاً على أن وظيفة المرأة الأساسية فى مجتمع الهوسا هى أنها ربة بيت وأم عيال وليس أكثر من ذلك إلا فى بعض الحالات.

وتشير الحكاية أيضاً إلى ضرورة اختيار زوجة صالحة تساعد زوجها وتعينه على إتمام عمله، وتكشف الحكاية كذلك عن مكانة المرأة الهوساوية فى حياتها الأسرية .

وتؤكد الحكاية على أن قبيلة الهوسا تقدر الأرض وتهتم بالعمل الزراعى وتدعو الجميع إلى العمل بجدية من أجل الحصول على إنتاج زراعى كبير، وتشير إلى أن الإهمال يؤدي إلى الفشل .

وتدور أحداث حكاية : (الإلحاح فى الطلب لايحضر المطلوب) حول الفقر ومشكلاته المختلفة والتطلع إلى الغنى عن طريق العثور على كنز . وهذه الحكاية تؤكد على قيمة العمل وتحث على القيام بعمل يكفل للإنسان قوت يومه فى كرامه واحترام، كما أن الحكاية فى الوقت نفسه تشير إلى الفرق بين التوكل والتوكل فالرجل الفقير قد تعب إلى حد اليأس، فتحول من المتوكل إلى المتوكل، ولكن زوجته ظلت تتصحه وتسرى عليه وتبين له قيمة العمل، وبأن الرزق لا يأتى بنفسه هكذا فلا بد من العمل والكد فى الحياة فهذه هى سنة الحياة، ولأن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، قد يتبادر إلى الذهن أن الرجل نجح فى اعتقاده بأن رزقه سيأتيه يجلس على سريره ولكن إذا أمعنا النظر ندرک غير ذلك فالرجل قد استأجر حماره لجاره وهذا الاستئجار يعد نوعاً من العمل، غير أن الحكاية تتسم بنوع

من التناقض وعدم المنطقية، إذ إن الزوجة التي هي رمز للإيمان بالعمل والتوكل عادت أخيراً عن إيمانها بذلك وتحولت إلى الاعتقاد بما يعتقد زوجها وبإمكاننا أن نلاحظ أن الرجل الفقير لم يكن يؤمن بالتواكل من البداية وإنما الذي أنشأ فيه هذا الاعتقاد هو اليأس، هذا اليأس الذي يحدثه طول السعى والكد بلا طائل ذى بال، وعلى الرغم من ذلك تظل هذه الحكاية تشير إلى اعتقاد قبيلة الهوسا بقيمة العمل والسعى فى الحياة .

وتتطلق الحكاية من مفهوم إسلامى راسخ عند الهوسا وهذا المفهوم هو أن الرازق هو الله وما على الإنسان إلا أن يسعى بعمل، وما العمل إلا سبب، وهناك ارتباط إلزامى بين الدين والعمل، حيث إن الدين الحنيف يحث على العمل ويدعو إليه.

وأخيراً تؤكد هذه الحكاية الشعبية على أن انتماء الفرد إلى القبيلة والمجتمع يقتضى أن يساهم فى حياة مجتمعه بصورة إيجابية أى يجب أن يعمل ويدعو غيره للمشاركة فى العمل الصالح لخير المجتمع وألا يقف سلبياً فيجب أن يسود الحياة الاجتماعية والإنسانية حب الخير ودرء الأذى وتحمل المسؤولية، والتكافل والتضامن بين الناس والبعد عن السلبيات فينتج عنه المساواة بينهم واحترام حريتهم وتقديسها .

وحكاية : (التاجر والغلام) توضح هذه الحكاية كيفية العلاقة بين العامل ورئيسه فى العمل ومن يقع تحت إمرته، وضرورة إعطاء الحقوق لأصحابها وعدم الظلم وأخذ حق الغير، وتحث هذه الحكاية على إعطاء الأجير حقه مقابل ما قام به من عمل، وعدم النقصان منه.

وتبين الحكاية أيضاً أن الحق لا بد وأن يعود إلى صاحبه وذلك من خلال ذكاء القاضى العادل الذى أعاد الحق للغلام .

وخلاصة القول : إن تلك الحكاية تؤكد على أهمية مهنة التجارة وتدعو الحكاية للعمل وكسب الرزق الحلال، وتؤكد على أى رئيس عمل أن يعطى الأجر لمن يعمل عنده لكي يحصل على اتقان عماله فى العمل وعدم إهمالهم مهما كانت الظروف،

وتدعو الحكاية أيضاً إلى أهمية الحكم بين الناس بالعدل والصدق فى القول وعدم الخداع والاستغلال والكذب وإعطاء كل ذى حق حقه .

أما حكاية : (زكزكى والكنوى) فقد تعرضت إلى أهمية التجارة وقيمة الثروة فى حياة القبائل الإفريقية عامة والهوساوية خاصة، وتبين الحكاية أيضاً بعض السلوكيات السيئة، مثل: الغش فى البيع والشراء، وتوضح بعض أساليب البيع والشراء مثل السمسرة أو المساومة وما إلى ذلك . وتعتبر هذه الأمور من السلوكيات الاجتماعية التى تحدث فى أى مجتمع . وتدعو الحكاية إلى المعاملة الحسنة فى البيع والشراء، وعدم الغش ؛ لأنه من العادات السيئة التى يرفضها المجتمع، وهذا بالتأكيد انعكاس طبيعى لمجتمع يؤكد بناؤه القيمى على قيمة الأمانة فى البيع والشراء وغرسها فى نفوس أبناء المجتمع .

وباختصار، فإن أحداث هذه الحكاية الشعبية التى بين أيدينا تدور حول التجار ومغامراتهم، وما يحدث معهم من الغش والمكر والخداع وغير ذلك، وهذا بالتأكيد يعود إلى جو المدينة الذى تكثر فيه التجارة والحركة اليومية .

إن أبرز القيم التى ظهرت فى حكاية : (اللعبة العقلية) هى المحافظة على قيمتى العمل والجد حيث إن قيم تنشئة أبناء القبيلة تتجه إلى تدريب أفرادها على الاعتماد على النفس والإخلاص والدقة فى العمل . وتعتبر هذه الحكاية ضمن الحكايات المرححة، وهى تشير إلى أن التجار أو أى صاحب عمل لابد أن يتصف بصفات معينة وهى الدقة فى السمع والبصر والاحصاء لأنه أحرص الناس على ماله الذى يتاجر به .

وتعد حكاية : (فليهتم كل بنفسه) ضمن حكايات المأزق وهذه الحكاية تؤكد على أهمية اتخاذ كل إنسان لمهنة يستطيع من خلالها إنقاذ نفسه، وتشير الحكاية إلى ضرورة استخدام العقل وإعمال الذهن فى التخلص من المأزق أو المشكلات حتى يعيش محترماً معززاً فى المجتمع ؛ حيث إن كل واحد من الأربعة استخدم مهارته وهى فى الغالب المهنة التى يعيش من خلالها فى إنقاذ نفسه لكى يستطيع أن يعيش .

إن حكاية : (أحد الأشخاص وأولاده وزوجته Nagode) تشير إلى حسن التصرف في مثل هذه الأمور الاقتصادية، فنظرًا لعدم إحراج الضيوف، ولعدم إحراج أهل البيت؛ لأنه ليس لديهم سوى ما يكفيهم من طعام اليوم فقط .

إن فكرة تقسيم الطعام وخاصة اللحوم ظاهرة منتشرة بين معظم المجتمعات الإفريقية، وخاصة عند العائلات والأسر ذات الدخل المتدنى، وهذا حرصًا من الأسرة على ألا يزيد نصيب فرد عن الآخر، وظاهرة تقسيم الطعام في المجتمعات الإفريقية غالبًا ما يقوم بها الأب نظرًا لأنه الأكبر في الأسرة ولأنه يمتلك السلطة في كل شيء داخل الأسرة .

خاتمة

لاشك أننا إذا نظرنا إلى بناء الثقافة وعلاقته بالمجتمع بشكل عام، فسوف نجد أن بناء المجتمع ينقسم إلى مجموعة من الأنساق والنظم الاجتماعية، وبناء الثقافة والقيم يتسم بنفس المنطق أيضاً، ومثلما أن هناك مجموعة من الوظائف والقيم التي تنظم الحياة السياسية، فهناك مجموعة من الوظائف والقيم الاجتماعية الدينية التي تنظم الحياة في المجال الديني، وأيضاً هناك مجموعة من الوظائف والقيم الاجتماعية القرابية التي تنظم الحياة في المجال القرابي وكذلك هناك مجموعة من النظم والقيم الاقتصادية التي تنظم الحياة في المجال الاقتصادي . وتتوحد تلك الوظائف والقيم الاقتصادية من حيث أنماطها الأساسية وهذا ما تبين للباحثة من خلال دراسة تلك الحكايات الشعبية الهوساوية التي تم الاستعانة بها في هذه الدراسة.

و تؤكد تلك الحكايات الشعبية على ضرورة اتخاذ أرض جديدة لجعلها بيئة صالحة لكافة الأنشطة اليومية، وضرورة التخطيط في العمل الجماعي، كما تشير هذه الحكايات إلى أهمية الزراعة بالنسبة لتلك المجتمعات القبلية التي تعتمد في نشاطها الاقتصادي بالدرجة الأولى على الزراعة، وتؤكد أيضاً على أهمية العمل، ومكافحة البطالة . وتدعو هذه الحكايات الشعبية أيضاً إلى أهمية قوة العمل الرئيسية وخاصة في الزراعة وفي الأعمال التي تحتاج لأيدى عاملة كثيرة، وتشير الحكايات كذلك إلى قيمة الاتحاد والعمل الجماعي وأن مجتمع الهوسا من المجتمعات التي تهتم بتقسيم العمل بين الجنسين لاختلاف طبيعة الجنسين، ولذلك فإن الحكايات الشعبية تشير إلى ضرورة تقسيم العمل، و إلى أهمية وظيفة المرأة

داخل وخارج المنزل، وخاصة الأعمال المنزلية لأنها لا تقل أهمية عن أعمال الرجل خارج المنزل.

وتحث الحكاية على ضرورة القيام بعمل يكفل للإنسان قوت حياته وتؤكد على التوكل على الله وليس التواكل وتوضح أيضاً تلك الحكايات كيفية العلاقة بين العامل ورئيسه فى العمل وتدعو إلى عدم الظلم وإعطاء الأجير أجره قبل أن يجف عرقه، كما يدعو الدين الإسلامى .

وتشير الحكاية إلى بعض أساليب البيع والشراء، مثل: الغش والسمسرة، وتدعو إلى البعد عن تلك العادات السلبية السيئة التى يرفضها مجتمع الهوسا، إن قيمتى العمل والجد تعد من أبرز القيم التى يحث عليها المجتمع التقليدى فى حكاياته الشعبية وضرورة أن يتخذ كل إنسان مهنة يقات منها .

الفصل الرابع

الوظيفة القرابية للحكاية الشعبية الهوساوية

● تقديم

أولاً - الحكايات الشعبية :

- ١ - حكاية : إن المعروف لا يضيع .
- ٢ - حكاية : اذهب يا بطن إلى حيث عرفت .
- ٣ - حكاية : عود واحد لا يكنس .
- ٤ - حكاية : الزرع الذى يحبه الله سوف ينبت ولو بدون ماء .
- ٥ - حكاية : ماء الشفاء .
- ٦ - حكاية : أربع بنات عجيبات .
- ٧ - حكاية : ما يزرع الإنسان يحصده إن خيراً فخير وإن شراً فشر .
- ٨ - حكاية : أسوء الأمور أن يفضب الابن والديه .
- ٩ - حكاية : كل من يحاول أن ينال أكثر مما كتبه الله له هلك .
- ١٠ - حكاية : التعايش فى الدنيا مهارة .

١١ - حكاية : البخل على الغير كالبخل على النفس .

١٢ - حكاية : إلا خمسة .

١٣ - حكاية : كيف قتل أوتا دودو .

١٤ - حكاية : الولد البطل والأرواح .

ثانياً : الوظيفة القرابية للحكايات الشعبية :

● خاتمة

تقديم

تعالج القرابة فى الدراسات الأنثروبولوجية على أنها « نظام اجتماعى بحت، ينظم العلاقات الاجتماعية بين أفراد معينين فى المجتمع، يعرفون بأنهم «أقارب»، وإن لم توجد بينهم صلات بيولوجية»^(١).

ويذهب كثير من العلماء إلى أن أفضل وأنجح وسيلة لدراسة البناء الاجتماعى هى تحليل نظام القرابة^(٢).

فالنظام القرابى يعتبر من أهم النظم التى يتكون منها البناء الاجتماعى ويتضمن نظام القرابة العلاقات القرابية والقواعد التى تؤدى دوراً هاماً وحيوياً بالنسبة لنظم البناء الاجتماعى، التى لا يزال علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية يركزون على دراستها فى المجتمعات البسيطة، والنظام القرابى يوجد فى كل مجتمع إنسانى وفى كل مستوى حضارى، وبالتالي يعتبر نظاماً عالمياً إذ لا يوجد مجتمع إنسانى يخلو من نظام يحدد العلاقة القرابية بين أفرادهِ^(٣).

فالقرابة هى - باختصار - نوع من الترتيب الذى يتيح لأعضاء المجتمع أن يعيشوا معاً ويتعاونوا فى حياة اجتماعية منظمة^(٤).

(١) عادل على مصطفى : «العلاقات القرابية فى إفريقيا دراسة فى الأنثروبولوجيا الاجتماعية» (ص ١٠٢) . فى الموسوعة الإفريقية . المجلد الرابع . الأنثروبولوجيا . اليوبيل الذهبى لمعهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ١٩٩٧ .

(٢) إبراهيم محمد مدحت غيث : مرجع سابق . ص ١٠٦ .

(٣) المرجع السابق : ص ١٠٧ .

(٤) عادل على مصطفى : مرجع سابق . ص ١٠٧ .

ويمكن القول بأن القرابة تتحد في إحدى معانيها في ضوء العوامل البيولوجية، فالفرد يرتبط بأبيه وأمه بسبب مولده، كذلك يرتبط الأب والأم بعضهم البعض بسبب معيشتهم المشتركة، واشتراكهما في إنجاب الأطفال، ونجد في النهاية أن أطفال نفس الوالدين يرتبطون بعضهم ببعض لانتمائهم جميعاً إلى سلالة نفس الزوجين^(١).

وتتمثل وظيفة النسق القرابي في شكلها التكاملى بالنظر إلى تفاعل النظم القرابية وترابطها في النسق ذاته^(٢).

تعتبر دراسة نسق القرابة في المجتمعات الصحراوية والمجتمعات القبلية بوجه عام خير مدخل لفهم أبنية هذه المجتمعات نظراً لتشعب الموضوعات التي يتفرع إليها ذلك النسق واتصالها اتصالاً قوياً بالأنساق الاجتماعية السائدة في تلك المجتمعات . ومن هنا يحتل موضوع القرابة وما يتصل به من مشكلات تتعلق بالزواج والأسرة من ناحية وبالتنظيم القبلى والعشائرى من الناحية الأخرى مركزاً رئيسياً في الكتابات والبحوث الأنثروبولوجية التي تعنى في المحل الأول بدراسة المجتمعات التقليدية^(٣).

إن الأسرة الممتدة في المجتمعات الإفريقية عامة والهوساوية خاصة أكثر فاعلية من العائلات الصغيرة في غرس معايير الضبط الاجتماعى، وذلك لاحتواء هذا النمط الأسرى لأنماط عديدة من الأدوار التي تتولى المساهمة في تنشئة الطفل، وغرس معايير الضبط في أبنائه، فكثافة عدد الأدوار (الأجداد، والأعمام، والعمات .. إلخ) يؤدي إلى تعميق غرس معايير الضبط الاجتماعى في الأطفال .

ومن الواضح أن الأسرة والجماعة تحتلان مكانة أساسية وبارزة داخل المجتمع القبلى، نظراً لطبيعة شبكة العلاقات القرابية التي يجد الفرد نفسه مشاركاً فيها، بحيث تشكل هذه العلاقات الإطار الذى ينمو من خلاله الفرد اجتماعياً وسيكولوجياً .

(١) راف ل. بيلز : مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة . الجزء الأول . ترجمة: محمد الجوهري، والسيد محمد الحسينى . دار نهضة مصر . القاهرة . ١٩٧٦ . ص ٤٦١ .
(٢) أحمد أبوزيد : المجتمعات الصحراوية في مصر دليل العمل الميدانى . مرجع سابق . ص ٥١ .
(٣) إبراهيم محمد مدحت غيث : مرجع سابق . ص ١٠٦ .

تعتبر الأسرة من أهم الأركان التي يعتمد عليها المجتمع في تنشئة وتطبيع الطفل حيث إن للأسرة أهمية واضحة فهي النواة الأولى في تشكيل تنشئة الطفل اجتماعياً^(٥) فالأسرة لها تأثير حيوي وأساسى في تكوين البناء الأساسى للشخصية، إذ يتحدد في إطار هذا البناء وفي نطاقه ترجمة الناشئ للقيم والمعايير والخبرات الجديدة التي يتعرض لها في مستقبل حياته.

وتعتبر الأسرة هي الإطار العام الذي يبلور تصرفات أفراد المجتمع وهي التي تشكل حياتهم وتضفي عليهم خصائصها وطبيعتها فهي مصدر العادات والتقاليد والآداب العامة وقواعد السلوك وهي التي تدعم الدين وطقوسه ووصاياه، وهذا يتم عن طريق أعضاء الأسرة، فهم أول من يتصلون بالطفل اجتماعياً في أعوامه الأولى التي تكون حاسمة في ارتقائه الاجتماعى وغالباً ما يتم نقل عادات وتقاليد المجتمع من خلال رواية الحكايات الشعبية التي يعتبرها بعض العلماء أنها الأساس في بنية ثقافة أية أمة .

فالإنسان بطبعه كائن اجتماعى، يألف العيش في ظل الجماعة، وفي هذا الظل تنشأ بعض العلاقات الاجتماعية، وهذه العلاقات الاجتماعية تأخذ عدة أشكال، من بينها روابط صلة الرحم والمصاهرة والجيرة والصدافة وتتخذ أشكالاً اجتماعية كثيرة كالزواج والطلاق وتعدد الزوجات والميلاد والوفاة وما إلى ذلك من أحداث ومناسبات يتم الاحتفال بها في كل مجتمع حسب عاداته وتقاليد، وحسب طريقة تفكيره فطرق التعبير والاحتفال تختلف من مجتمع إلى آخر ومن قبيلة إلى أخرى والحكايات الشعبية هي خير مثال يطلعنا على عادات وتقاليد ومعتقدات ومثل المجتمعات التقليدية والمتحضرة، فالحكايات الشعبية هي التي تحدثنا عن تقاليد القبائل الإفريقية في حياتها اليومية وهي التي ترسم الحدود الاجتماعية بدقة متناهية

(١) التنشئة الاجتماعية - كما يرى علماء الأنثروبولوجيا - هي تكيف الفرد مع ثقافته ومجتمعه وهي عملية معقدة وتستمر طوال حياة الفرد منذ مولده حتى نهاية حياته.

وتعتبر الحكايات الشعبية ضمن الأشكال الأدبية التي تقدم للكبار والصغار والتي تشبع رغبتهم فى حب الاستطلاع والتشوق للأحداث الغامضة التي تتحدث عنها، والحكاية تقوم بوظيفتها التربوية عندما يتم توجيه أفراد المجتمع من خلالها إلى السلوك المرغوب، وما ينبغى أن يقوموا بممارسته من عادات وتقاليد المجتمع . فالحكاية تعد حلقة وصل بين أفراد المجتمع والعالم الخارجى الذى تصوره وتنقله بما تشتمل عليه من تصوير للعالم الذى يحيط بأفراد المجتمع بكل ما فيه من حقائق وخيالات .

وسوف يتم فيما يلى عرض الحكايات التي تم اختيارها لهذا الفصل :

أولاً: الحكايات الشعبية:

١- حكاية : إن المعروف لا يضيع .

. Hikaya : Alheri danko Ne, ba ya faduwa kasa banza

هناك امرأة لا تحب شيئاً أكثر من أن تسيطر على زوجها . وفى أحد الأيام خطر على بالها أن تذهب إلى أحد العرافين، وفعلاً ذهبت إلى أحد العرافين وسلمت عليه، ثم قالت له : أريد أن تعطينى شيئاً أستطيع أن أسيطر به على زوجى بحيث لا يستطيع أن يرفض لى طلباً، فقال لها العراف : أستطيع أن أساعدك حقيقة ولكن يجب أن تحضرى إلى لبن بقرة وحشية ؛ لأنه من مكونات الدواء، وفكرت كثيراً، ثم سألت العراف عن كيفية الحصول على لبن البقرة الوحشية، فقال لها : الأمر متروك لك، إنما المهم أن تحضر له هذا اللبن فرضيت بالواقع وذهبت .

وعندما وصلت إلى البيت، أحضرت الذرة والفلو ونظفتها ثم قامت بطحن الذرة، وحزمت أمتعتها وتوجهت إلى الغابة بحثاً عن لبن بقرة وحشية، وبينما هى تتجول فى الغابة، رأت سرباً من الأبقار الوحشية فى المرعى ومن هنا أخرجت ما أحضرته من طعام لإغراء هذه الأبقار الوحشية ووضعته فى مكان، ثم تتحت قليلاً وجلست، وبينما كانت جالسة، إذ ببقرة وحشية مع رضيعها وهى تحيط رضيعها

بكل رعاية حتى لا يمسه شيء، وبمجرد أن رأتها هذه البقرة هجمت عليها بوحشية واستولى الخوف والجزع على المرأة وأطلقت رجلها للريح وأنقذت نفسها بصعوبة شديدة، وأما البقرة الوحشية فرجعت وأكلت جميع ما أحضرته هذه المرأة ثم واصلت مسيرتها داخل الغابة .

وعندما هدأ روع هذه المرأة رجعت إلى المكان الذى هجمت فيه هذه البقرة الوحشية عليها فوجدت أن البقرة قد أكلت كل شيء ولم يبق إلا الإناء الفارغ، وعندما رأت ذلك أخذت إناءها ورجعت إلى بيتها، ولما رجعت إلى البيت لم تنتظر إلى الغد حتى أعدت مثل ما أعدت بالأمس من ذرة وفول وكل ذلك لإغراء البقرة الوحشية وبعد أن ودعت زوجها مساء اليوم التالى توجهت أيضاً إلى الغابة حيث الأبقار الوحشية، ولما وصلت إلى الغابة وضعت الطعام فى نفس المكان الذى وضعته بالأمس ثم تتحت قليلاً وجلست وبعد فترة وجيزة خرجت هذه البقرة الوحشية ذاهبة إلى المرعى وبمجرد أن رأت الطعام وقفت وبدأت تأكل حتى شبعت ولم تهاجم المرأة كما حدث بالأمس وهكذا كانت تفعل هذه المرأة كل يوم حتى حدث نوع من الألفة بينها وبين البقرة الوحشية وكان كل منهما ينتظر الآخر إذا تأخر، ولما لاحظت هذه المرأة أن الألفة قد اشتدت بينهما وبين هذه البقرة الوحشية أخذت إناءً صغيراً ذات يوم وهى ذاهبة إلى الغابة لتقديم الطعام إلى البقرة الوحشية، وعندما وصلت إلى الغابة قدمت الطعام للبقرة الوحشية ثم قامت وأحضرت الإناء الصغير وبدأت تحلب اللبن والبقرة تأكل، وقبل أن تنتهى البقرة من الأكل كانت المرأة قد ملأت هذا الإناء الصغير ووضعته جانباً آخر .

وعندما وصلت إلى البيت أخذت هذا الإناء المملؤ باللبن وذهبت به إلى العراف، وتعجب العراف جداً عن كيفية حصولها على اللبن، ثم سألها عن ذلك فقالت له : الاحترام والاحسان والعشرة الطيبة هم أسباب حصولي على هذا اللبن .

فقال العراف : حسناً إذا جربت هذا الأسلوب الذى حصلت به على لبن البقرة الوحشية مع زوجك فستسيطرين عليه، وإذا سيطرت على البقرة الوحشية بهذه

الأشياء فما بالك بزوجك الذى هو إنسان وليس وحشياً، ورضيت المرأة بهذه الفكرة ورجعت إلى بيتها وبدأت تجرب هذه الأشياء، ولم يمض وقت طويل حتى علم أهل القرية كلهم أن هذه المرأة قد سيطرت على زوجها⁽¹⁾.

٢- حكاية : اذهب يا بطن إلى حيث عرفت .

. Hikaya : Ciki Ja ka Inda Aka Sanka

كان يوجد فى الماضى تاجر يسمى Gujaba وكان يملك عدداً من الحمير والبغال لتسخيرها فى تجارته وهو متزوج من بأربع نساء، وكان من ضمن حميره حمار يسمى Duna وهو أحب إليه من الباقين، وكان يتفائل به بحيث إذا سافر بدونه لا يوفق ولا يريح ربحاً كثيراً ولذلك أطلق عليه لقب جبهه المال وكان إذا خرج للتجارة فى السفر بعيداً حيث يصل إلى الغابة Gurguzu لاستخراج وتصدير الأملاح والكحل، ويستورد البخور مثل : السندل وغيره من الأبخرة والتوابل والزنجبيل ولعب الأطفال، وكان من بين نسائه الأربع واحدة ذات بصيرة وشفقة ومهتمة بالجميع وهى الوحيدة التى لم يرزقها الله بالولد .

ولكن الضيف إذا دخل عليهن لا يستطيع أن يدرك ذلك ؛ لأنها كانت تقرب إليها أولاد ضرائرها وكأنها أهمهم وتقدم لهم الطعام والشراب وترعاهم وتهتم بهم هى التى تقوم بكل ذلك على حين أن أمهاتهم لا يعرفن كيف يأكلون وكيف يشربون ولا يعرفن من يهتم بنظافتهم وهى التى تهتم بحيوانات زوجها، وعلى الرغم مما تتسم به هذه المرأة من الطيبة فإن ضرائرها يكرهنها ولا يقدرن كل ما تقوم به، وكان زوجها لا يقوم بأى شئ فى الحياة إلا بعد مشورتها، وهى لا تكثر بهن ولا تهتم بغيرتهن وكانت تكنس مريط الحمار « Duna » لأنها لاحظت أن زوجها يحبه كثيراً ثم تتظف حظيرة الحيوانات وتطعمهم وتسقيهم ثم تتحول إلى خدمة الأولاد والأعمال المنزلية وبعد أن تنتهى من هذا كله ترجع إلى غرفتها لغزل القطن، ولكن النسوة كن يعيرنها بأنها ليس لها ولد، وكل ما تقوم به سيذهب سدى ويقلن أيضا

(1) Muhammad Kabir Mahmud Galadanci : op.cit., p.p.37.38.

قام بترجمة هذا النص للغة العربية الأستاذ حافظ إبراهيم عبدالله.

أنها تفعل ذلك لكى تضمن بقاءها فى البيت، ولا تكثر بكل ما قلن ولا تهتم إلا بعملها فى المنزل ولا تأبه بسخريتهن، وكلما تمر الأيام كلما يزيد الزوج حباً لحماره لشدة صبره وتحمله؛ لأنه كان يحمل الأحمال مهما بلغ ثقلها لا يكل ولا يشتكى حتى يبلغ مقصده، من أجل هذا كله فقد كان صاحبه لا يحب أن يصيبه أى مكروه، ولا يرضى التاجر بأن يوجه أحداً مكروهاً إلى حماره حتى إذا كان هذا الشخص أحد أبنائه بحيث إذا ضرب أحد أبنائه الحمار يشعر التاجر كأنه أزهق روحه ؛ لذلك تهتم الزوجة الأولى بالحمار ولا تدعه من غير طعام ولا شراب وترعاه رعاية شديدة، وتعتنى بنظافة مربيته، وكل يوم يزيد هذا الحمار جمالاً وبهاءً وسمنة وكأنه لا ينام على التراب .

وبمرور الأيام أصيب هذا الحمار بمرض شديد وقدم له كثير من الأعشاب الطبية إلا أنه لم يشف وكل يوم يزيد هزالاً وحتى بدأ يقضى حاجته وهو راقد وظهرت عليه القروح وبدأت رائحة كريهة تقوح من جسده ولا يستطيع أحد أن يبتلع ريقه من شدة هذه الرائحة الكريهة وإذا دخل البيت أو أحس بالعطش تجرى منه سائر الزوجات وهن يغطين أنوفهن هرباً من هذه الرائحة، وأما الزوجة الأولى لا تنفر منه ولا تشمئز وهى التى تهدئه وتلمسه وتقدم له الماء وكانت تقول له « إن المرض لا يعلم مكان الروح إن كان للعمر بقية » وظلت تداويه وتطيبه حتى وإن رفض تناول الطعام، وبمات الحمار للشفاء بمرور الأيام ولم تعد الرائحة الكريهة تنبعث من جسده ورجع إلى عهده الأول، وحدثت ألفة حميمة بين الزوجة والحمار لا يفترقان إلا للنوم، وكان الحمار يضجع بجانبها عندما كانت تقوم ببعض الأعمال المنزلية، وكان إذا أحس بالجوع أو العطش يأتى إلى باب غرفتها وينهق إن كانت نائمة لكى تستيقظ، وكانت تقدم إليه ما يحتاج بمجرد أن تسمع صوته، وتتفجر ضرائرها ضحكاً قائلات لها : لك الشكر يا أم الحمار .

وكان يلاحظ الزوج كل هذه الأشياء ولم ينطق بأى كلمة تراجمت تجارة التاجر منذ أن أصيب الحمار بالمرضى ولذلك توقف عن السفريات التجارية إلى أن يتحقق من حالة الحمار الصحية، وقد سبق أن قلت لك أن التاجر كان يتفائل بهذا الحمار ويسميه جبهة المال .

وعندما اطمئن التاجر على شفاء الحمار اعتزم السفر للتجارة معه ولكن من غير أن يحمل عليه أية امتعه إلى أن يرجع إليه كل قواه البدنية ؛ لأنه يعتقد أن مجرد اصطحابه في السفر سيوجب له الريح وقد كان يسافر بسائر الحمير والبغال حين كان الحمار Duna مريضاً لكنه لم يريح كثيراً، وقبل سفره جمع نساءه وأمرهن أن تطلب كل واحدة منهن شيئاً يحضره عند عودته، وذكرت الزوجات الثلاث ما يردنه وأما الزوجة الأولى "سكينة" فلم تطلب شيئاً سوى أن يهتم بالحمار؛ لأنه ضعيف ولا يحمله شيئاً ودعت له بحسن الحظ، فانفجرت الزوجات ضاحكات قائلات :
ألا تسمعن كلام أم الحمار .

استيقظ التاجر Gujaba في الصباح الباكر بمجرد صيحة الديك وفك رباط الحمير والبغال وحمل عليهم الأمتعة ولم يُحمل Duna إلا شيئاً خفيفاً وخرجت الحمير والبغال إلا Duna رفض أن يخرج وتوجه إلى باب غرفة سكينة ونهق لدى الباب وهو بذلك لا يريد أن يسافر من غير أن يودعها، وعندما سمعت سكينة صوت الحمار علمت أنه قد آن وقت السفر ولذلك خرجت ورأته واقفاً أمام الباب ولمست رأسه قائلة له : أرفضت أن تسافر من غير أن تودعني يا Duna ؟ ثم قالت : أعادك الله سالمًا وحفظ طريقك وبمجرد أن قالت ذلك انصرف الحمار Duna وخرج حيث وجد باقى الحمير والبغال Gujaba في انتظاره ثم تقدمهم وهم ساروا وراءه وضحك Gujaba؛ لأنه علم منطلق الحيوانات، فقد سمع Duna يقول لأصحابه إننى سأكون مجلباً للخير لمولانا في هذا السفر ولكنى سمعت هؤلاء السيدات الزوجات السيئات يطلبن أشياء كثيرة إلا أمنأ هي التي لم تطلب شيئاً ولى خطة سأنفذها إن رجعنا سالمين وستعلم فائدتى، إنهن يظنن أننا حيوانات لا نعلم من يحبنا ممن يكرهنا لأننا لا نملك عقلاً بشرياً إنهن لا يعلمن أنه حتى الدابة تعلم من يحبها ويحسن إليها وقالت الحيوانات صحيح ما تقول فقد قيل : " أحب من يحبك " .

وسمع Gujaba كل هذا الحوار وسكت وابتسم واستمروا في المسير إلى أن أشرقت الشمس على الغروب ثم توقفوا للراحة في قرية تسمى الأطلال Kufai، وارتحلوا من هذه القرية في الصباح الباكر وواصلوا السير، وكان Gujaba يدعو

الحيوانات يشربون ويأكلون كلما وجدوا مرعى أو بئراً فى الطريق إلى أن وصلوا إلى غابة "Girgiza" بعد صلاة العصر؛ حيث نزل فى بيت الضيوف وأطعم دوابه وسقاهم ثم جئ له بطعام وأكل وشبع ثم بدأ يتسامر مع أصحابه التجار حتى انتصف الليل ثم ناموا واستيقظوا فى الصباح وغسلوا وجوههم ثم أفضروا وساقوا دوابهم متجهين للسوق الكلى يحمل تجارته ولما وصلوا إلى السوق اجتمع حولهم تجار الجملة للبيع والشراء وباع Gujaba كل بضائعه وما زال التجار يطلبون منه المزيد وريح ربحاً شديداً وأشتري عدة بضائع ليبيعهما إذا رجع إلى دياره ثم بدأ يشتري الهدايا لزوجاته من ذهب وفضة وحلى وأساور وخواتم وغيرها من أدوات الزينة وعدة أنواع من الأقمشة، وعندما لاحظ الحمار Duna أن سيده أنهى من شراء الهدايا أقرب منه ومنع تحميل شئ من هذه الهدايا على أية دابة غيره هو وضعك سيده لأنه ما زال يتذكر حوارهم مع أصحابه فى الطريق ولذلك لم يحمل سيده شيئاً مما اشتراه لزوجاته إلا على Duna ثم ساق دوابه إلى منزل مضيفه واستودعه وأعطاه عمولته ثم توجه إلى بلده حتى وصلوا إلى المكان الذى استراحوا فيه فى طريقهم إلى السوق، وباتوا ليلتهم هناك .

وارتحل هو ودوابه فى الصباح ولما قرب من بلده سمع Duna يقول لأصحابه الدواب إن أمى اليوم لمحظوظة لأن كل ما على من الهدايا سيكون لها وسأوصل كل شئ لباب غرفتها، وإذا حاول سيدي أن يعطى شيئاً لواحدة من زوجاته سيكون هناك شئ من شئئين إما أن أموت بحيث يفقد سيدي كل هذه الأرباح إما يموت هو وأنا أسكن معها؛ لأنه يعلم لو لا وجودى لما استطاع أن يدير تجارته .

وعندما سألته الدواب عن سبب ذلك قال لهم أنسيتم ما قلته لكم عندما كنا ذاهبين إلى التجارة كما أن عليكم أن تتوجهوا كذلك إليها بكل ما تحملوه من الأمتعة، أفلا تذكرون حين كنت مريضاً الكلى يشمئز منى حتى أنتم فكيف بزوجة سيدي! فهى الوحيدة التى كانت تقوم بتمريضى ورعايتى حتى شفيت نبئونى من الذى ينظف مرابطكم ويقدم لكم الطعام والشراب اليست هى ؟ واذكروا أنها هى التى تتظف طعمنا من كل ما يضرنا قبل أن تقدمه لنا وحتى الماء لا تقدمه لنا إلا إذا كان نظيفاً وإذا رأيت أن ذباباً وقع فيه تأتينا بغيره ولذا فكل من يقوم بهذا الدور

من أجلك فله الفضل ولذلك إذا لم يتوجه البطن إلى حيث عرف فقد تمرد وكفر
بالنعم .

ولما انتهى من كلامه وافقوه الرأي قائلين له : نحن أبناء الحلال ولذلك سنتوجه
بكل حملتنا إليها وإذا كان سيدنا يريد بضائعه يجب عليه أن يذهب إليها ليفديها
من عندها وسمع Gujaba كل هذا الحوار وسكت واكتفى بالابتسامة وواصلوا
السير حتى وصلوا إلى البيت .

وبمجرد وصولهم إلى البيت تجمعت النسوة مرحبات بزوجهن مسرورات ووقف
Gujaba ليرى ماذا سيحدث، ولم يلتفت Duna إلى أي أحد واستمر يمشى ووراءه
سائر الحيوانات إلى ان وصل إلى باب غرفة سيدته ولما وصلوا قعدوا هنالك
ونهبوا ولما خرجت إليهم اشار إليها Duna بأن تنزل ما عليه من الهدايا .

وبدأت سكينه تنزل الأمتعة والبضائع والهدايا وجاء سيد البيت مع زوجاته
الثلاث وعندما رأى Duna أن سيده أقبل إلى المكان ومعه سائر نساءه وقف ليترى
من تستطيع أن تمد يدها للهدايا ولم تنزل سكينه تنزل الهدايا من على الحمار
واقترب Gujaba وقال جبهة المال جاء البطن إلى حيث عرف وحرك أذنيه وكأنه
أجاب سيده دون نعم وقال Gujaba دعني أساعد أمك على إنزال الهدايا فلما
حاول أن يمد يده رفسه Duna بكلا رجليه وتحاشاه Gujaba وفهم أنه لو حاول
أن يمد يده مرة ثانية سيجرحه ولذلك تركه وبعد أن فرغت سكينه من إنزال
الأشياء من على الحمار اقترب منه سيده وقال له لقد قدمت إلى سيدتك كل ما
أحضرت لها ولأن أرجو أن تسمحلي بأن تذهب سائر الدواب إلى حين أريد حيث
أنزل باقى الأمتعة والبضائع وحرك Duna اذنيه وجسمه إشارة للرفض فقال له
Gujaba : حتى الآن لم تغير رأيك على أنه يجب أن أفدى هذه الأمتعة والبضائع
وكيف يكون ذلك يا Duna وأنت تعرف أن هذه البضائع هي كل رأس مالى وطريقة
كسب عيشي⁽¹⁾.

(1) Muhammad Kabir Mahmud Galadanci : op.cit., p.p.37.38.

قام بترجمة هذا النص للغة العربية الأستاذ حافظ إبراهيم عبدالله .

٢- حكاية : عود واحد لا يكتس.

. Hikaya : Tsintsiya Daya Ba Ta shara

يوجد شخص اسمه Bulaki وهو متزوج بأربع نساء وله ستة عشر ولداً وكلهم ذكور وكان يعمل بالصيد، وكل هؤلاء الأولاد من فراش الزوجية أنجبت له زوجته الأولى ستة منهم وأنجبت الثانية خمسة أولاد وأنجبت الثالثة اثنين والرابعة لهما ثلاثة أيضا .

وحين رأى Bulaki أن كل ابنائه الذين وهبهم الله له من الذكور رسم الخطة التي تمكنه من أن يجعلهم متحدين حتى لا يكونوا مختلفين بعد بلوغهم ولذلك كان يحاول أن يجعلهم مقربين من بعضهم منذ صغرهم وكان يشتري لهم جميعاً نوعاً مماثلاً واحداً، وإذا قسم بينهم شيئاً يقسمه بالتساوي، وكانوا يأكلون في مائدة كبيرة واحدة وإن لم يشبعوا يزداد لهم الطعام على نفس المائدة وبنى لهم غرفة كبيرة واحدة ينامون فيها ولكل واحد منهم سريره الخاص به، وقد فعل هذا ليكبروا متحدين مترابطين محبين لوصل الرحم .

وبمرور الأيام بدأ الأولاد يفهمون الأشياء التي حولهم ولا يكادون يميزون بين أمهاتهم؛ لأنهم كانوا يدخلون الغرف معاً ويفعلون كل شيء معاً ولم يسمح Bulaki لآية واحدة من نسائه أن تميز بين أولادها وسائر الأولاد .

ولما شبوا عن الطوق بدءوا يتعلمون الصناعات المختلفة، منهم من كان يصاحب والده في رحلة الصيد ويتعلم منه، ومنهم من اتجه إلى عمل الصباغة ليتعلموها ومنهم من اتجه إلى صناعة الخشب ومنهم من فضل صناعة الفخار، وهكذا اتجهوا إلى مختلف الصناعات حتى أتقن كل منهم صناعته، وحين بلغوا مرحلة الزواج زوجهم والدهم على الترتيب وبنى لهم السكن حيث أصبح كل وزوجته في أمن وسلام، ولم يحدث أي شجار بين الزوجات لأنهن وجدن أزواجهن متحدين مترابطين.

وفى هذه الحال ذهب Bulaki يوماً ما للصيد وحالفه الحظ واصطاد أسماكاً كبيرة ورجع بها إلى البيت وساعده أبنائه على تجفيفها واستعد لحملها إلى سوق

Mai Kusunbi وبمجرد وصوله إلى هذه البلده اجتمع حوله الناس وتجار الجملة يشترون وفي لحظة قصيرة باع Bulaki كل ما معه من الأسماك .

واحصى Bulaki نقوده فوجدها أربعين قطعة من النقود ولذلك قرر أن يذهب لشراء الحبوب والحنة لزوجاته .

وفي طريقه التقى بأحد الأشخاص Zabiya الذى جاء من ضفة البحر ليرى كيف تسير الأمور فى السوق وليتعرف على كيفية البيع والشراء . وحينما رآه هذا الشخص أوقفه وسلم عليه، ورحب Bulaki بهذا الشخص وكأنهما متعارفان من قبل، واستمرا فى السير حتى وصلا إلى المكان الذى يشتري فيه Bulaki كل احتياجاته ولما انتهى من الشراء قال لصاحبه :

أنا راجع إلى بلدى لأنى لست من هنا أنا من الشمال، وقد بعث كل ما جلبته إلى هنا، وأخذ يصفحه فقال له : Zabiya إن قلبى مطمئن لك جداً ولو ترضى لرافقتك إلى بلدك لأشاهده وقد كنت اسمع خبره من زمن بعيد ولكنى لا أعرف ولكنى لا أعرف أين هو هذا البلد، فقال له Bulaki لا بأس بذلك فلنذهب إذن لأن الضيف له حرمة ولا مانع أن تسكن معى هنالك تبعاً لقوانين بلدنا وهنالك سأرحب بزيارتك .

ورحب Bulaki بالضيف Zabiya وخصص له مسكناً فى داره وتولى Bulaki كل خدمات الضيف وكان يقدم له الطعام والشراب ويغسل له ملابسه ويكويها، وكان يذهب إلى السوق ويشتري له الدجاج والبط والبيض والدجاج البرى والسمنة البقرى، وعاش Zabiya فى رغداً من العيش وبدا عليه علامات الراحة والمتعة وقد انتفخ من السمنة، وهكذا استمرت الأيام ولم يتعب Bulaki من ضيفه ولم يتوقف عما كان يقوم به .

وفى أحد الأيام كانا جالسين بعد الغداء زل لسان Zabiya وقال لـ Bulaki يبدو أنكم فى بحبوحة من العيش ولا ينقصكم شئ ولا تشتكون من شئ، ولكم أشياء كثيرة يمكن أن يستفيد منها الإنسان ليكسب قوت يومه، وقال أيضا أرجو أن تسمح لى بأن أحضر أهلى واستقر منها لأمارس بعض الأنشطة التجارية لأنى لاحظت أن

أسباب العيش هنا كثيرة وسأقوم بشراء البضائع من هنا وأصدرها إلى بلدى وأنا متأكد من كسب الرزق .

من هنا قال Bulaki إن كنت تريد الإقامة هنا فلا بأس فى ذلك ولا أحد يكره الضيف، وفرح لسماع ذلك وأعطاه الهدايا ليقدمها لأهله ومعارفه ورافقه إلى ضفة البحر ثم ودعه وركب Zabiya القارب ورجع Bulaki إلى بيته وواصل نشاطاته .

ولما وصل Zabiya إلى بلده أخبر إخوانه عما شاهد من خيرات بلد Bulaki وأخبرهم أيضا عن كرم Bulaki ودماثة أخلاقه وما اتفقا عليه من الإقامة لديه، وممرت الشهور ولم يرجع Zabiya ولم يسمع Bulaki خبره حتى يئس Bulaki من رجوعه، وفى أحد الأيام رآه Bulaki وأهله فجأة فى الظهيرة ورحب به وبنى له غرفة خاصة وجهازها تجهيزاً كاملاً وسكن فى هذه الغرفة وبدأ ممارسة التجارة.

واستمر Bulaki فى ممارسة صناعة الصيد و Zabiya يمارس التجارة يشتري الجلد وغيره من البضائع ويصدرها إلى بلده ويبيعها إخوانه هناك ويرسلون النقود ونجح نجاحاً باهراً فى تجارته وكان يشتري جوالاً وأحياناً جوالين فما لبث أن بدأ يشتري مائتين من الأجولة ويرسلها إلى بلده وبمجرد أن يرسلها يبيع إخوانه كل شئ ويرسلوا له ثمنها، وبدأ Zabiya يقتنى المبانى والدكاكين فى بلده وجعل إخوانه يديرون تجارته فى بلده وكسب هو وإخوانه ثروات طائلة من خيرات تجارته، ولما اطمئن Zabiya على ثروته أحضر إخوانه إلى بلد Bulaki ليقوموا أيضا بالتجارة حيث يشترون البضائع من بلد Bulaki ليقوموا بالتجارة ويصدرونها إلى بلدهم .

وازدهرت تجارتهم وسيطروا بتجارتهم على المدن والقرى، ولاحظ أبناء Bulaki بأن هؤلاء الناس سيطروا على كل شئ وسيكونون سبباً فى إفلاس والدمهم فذهبوا إلى أبيهم وكلموه سراً وقالوا له إنهم لا يفهمون ما يجرى هنا كيف يسمح لهذا الضيف أن يسيطر على كل شئ هكذا، وقالوا يجب على هذا الضيف أن يجد لنفسه مسكناً ويترك دار أبيهم خوفاً مما سيحدث بعد وفاته وحتى لا تكون هناك

مشكلة حول المسكن، وسكت Bulaki يفكر فيما قال له أولاده وأخيرا تنهد وقال لأبنائه أوافقكم الرأي لأنه رأى سديد ولكن لا بد أن نتصرف بهدوء، وحتى لا يظن Zabiya أننا نحسده من أجل ثرائه .

كان Bulaki و Zabiya يتسامران في أحد الأيام فقال Bulaki لـ Zabiya أنا لم أكن محظوظًا في هذه السنة لأن سوق الأسماك قد أصابه نوعًا من الكساد وأنا لا أعلم أية صناعة غيرها وأحيانًا أجد صعوبة في الإنفاق على أهلى فقال له : Zabiya ولماذا لا تبيع لى حقلك الذى فى طرف البلد ؟ وبذلك يمكنك أن تزيد من رأس مالك وتسطيع أن تشتري أدوات صيد متطورة وكبيرة وإذا وفقت فى اصطياد كثير من الأسماك سأشتريها وأرسلها إلى بلدى لصناعة الزيت، ورضى Bulaki بهذه الفكرة وذهب إلى عمدة البلد وأرسل معه شهودًا ليشهدوا عملية البيع، واشترى Zabiya الحقل وسلم النقود لـ Bulaki وأعطى العمولة للشهود، وكل هذا حدث من غير أن يقول Bulaki لأبنائه شيئًا مما حدث .

ولما جاء فصل المطر أخذ أولاد Bulaki أدوات الزراعة وذهبوا إلى حقل أبيهم وأشتغلوا من الصباح إلى المساء، وفى اليوم التالى خرجوا صباحًا وذهبوا إلى الحقل واستكملوا ما بدءوه بالأمس وبدءوا يزرعون الحبوب المختلفة وكل ذلك لا يعلمون أن والدهم قد باع الحقل لـ Zabiya واكمل الزرع وجاء وقت حصاد المحاصيل ولم يقل لهم Bulaki شيئًا ولم يسألهم Zabiya عن سبب زراعة أرضه .

جاء وقت حصاد المحاصيل وحصد الأبناء محاصيلهم من القطن والذرة وغير ذلك من المحاصيل وحملوها إلى بيوتهم، ورأى Zabiya أنهم قد أخذوا كل محاصيلهم ولم يقل شيئًا ولما لاحظ Zabiya أنهم عازمون على أخذ محاصيلهم إلى السوق اتفق مع إخوانه على أن يعترضوا طريقهم إلى السوق ويسلبوا منهم المحاصيل ويرسلوها إلى بلدهم للبيع، وهكذا استمر Zabiya يتحايل على Bulaki حتى أنتزع منه كل ما يملك وهو لا يدري .

وفى هذا الحال اهتم الأولاد بما يحدث وكانوا على وعى بما حدث أخيرًا ولذلك اجتمعوا فيما بينهم بدون والدهم وانفقوا على أن والدهم قد كبر فى السن

ولا يدرك حقيقة صاحبه ولذلك يجب أن يذهبوا إلى عمدة البلد ويشكون إليه ما يعانون من أمر هذا الضيف، ويطلبوا من العمدة أن يحول بين والدهم وهذا الضيف، واتفقوا أن يخفوا الأمر عن أبيهم لأنه لو أطلع على الأمر فلا يرضى بذلك أبداً لأنه يثق بصاحبه وذهبوا إلى العمدة وحكوا له كل ما يحدث فصدقهم وشكرهم على رجاحة عقلهم ووجه إليهم سؤالاً عن كيفية تعاملهم معه وقال لهم : إن تعامله بينه وبين والدهم Bulaki قديماً جداً وأذكر أنهما جاءا هنا في العام الماضي ليشهدان على عقد بيع الحقل الذي في طرف البلد وأرسلت الشهود للشهادة على عقد البيع، وسمعت بأنه قد بنى بيوتاً في المكان الذي خصصه له والدهم وأحضر اخوانه من بلده واشترى عدة أراضٍ ودكاكين أيضاً في البلد .

والآن كيف نأخذ منه هذه الأشياء وسكت الأولاد لأنهم فوجئوا بخبر بيع والدهم حقله لـ Zabiya ومن هنا قالوا للعمدة : يجب ألا نقول شيئاً لوالدنا لأننا كما ترى ستة عشر نفرًا شبان أقوياء ونستطيع أن نسترد حقوقنا ما دمنا متحدين لأن الاتحاد قوة وسنحدثك عن الموضوع إذا حصلنا على ما نسترد به حقوقنا لتقدم لنا يد المساعدة لإعادة النظر في إقامة Zabiya في بيتنا .

ووعدهم العمدة بمساعدتهم وودعوه ورجعوا إلى بيوتهم وكل منهم كرس جهده في صناعته وأسسوا صندوقاً واستودعوه عند كبيرهم وكلما كسب أى واحد منهم شيئاً من المال يضعه في ذلك الصندوق وبعد عدة شهور امتلأ الصندوق وأسسوا صندوقاً آخر للتوفير حتى ملأوا سبعة صناديق، وبعد ذلك اتفقوا على الاجتماع في مكان معين وفتحوا الصناديق واحصوا المال فوجدوا أنهم قد وفروا ريعمائة قطعة نقدية واتفقوا على الذهاب إلى العمدة لاسترداد أرض أبيهم، ولكن قال كبيرهم أرى ألا تستعجل ما دام قد وفرنا المال، يجب أن نستشير والدنا أولاً حتى لا يقول إننا تصرفنا من غير مشورته وهو لم يخطرنا ببيعه للأرض وذهب الأبناء إلى والدهم وحيوه، ثم قالوا له يا أبت إننا نسمع الأحاديث التي تؤكد بأنك قد قمت ببيع أراضينا التي في طرف البلد لـ Zabiya وأندش Bulaki عن كيفية سماعهم لهذا الخبر فقال لهم إن هذا صحيح واستمر قائلاً : كنا نتسامر يوماً ما فشكوت له ضعف رأس مالى فأشار إلى بأن أبيع له الأراضى حتى أتمكن من شراء معدات

جديدة للصيد وبهذا أستطيع أن اصطاد كثيرًا من الأسماك ووعدنى بشراء ما اصطاده من الأسماك ليقوم بتصديرها إلى بلده، ووافقته على هذه الفكرة ومنذ أن عقدنا هذا الاتفاق كنت أبيع له الأسماك بقيمة أربعين درهماً كل شهر وحتى الآن لم ينقطع رأس مالى وسكت الأبناء ويعد فترة من الزمن قال أحدهم يا ابي لم تفكر يوماً وأنت واثق فى هذا الضيف أنه سيكون سبباً فى فقرك ألا تلاحظ أنه قد استنزف كل مواردك لصالحه، إلا أنه قد أثرى بلده واخوانه والآن يريد أن يطردك من بيتك وأملاكك ويستولى عليها وصار كل شىء ملكه وأنت لا تدري .

نحن لا يمكن أن نرضى بذلك ما دام الله قد من علينا بالفهم والبصيرة سنسترد منه الأراضى وسنطرده من بيتنا وليسكن فى مكان آخر، وغضب Bulaki وقال لهم : كيف تحصلون على مائة درهم وعشرة دراهم عمولة لتستردوا هذه الأراضى فأجابوه بقولهم : من رب العالمين الذى يجيب دعوة العباد ويعينهم على تحقيق آمالهم كل يوم، وهو الذى أمر العبد بالسعى وكفل له العون والتوفيق، وقام الأبناء وتركوا والدهم وتوجهوا إلى بيت العمدة، وألقوا السلام فأذن لهم بالدخول وحيوا العمدة وقالوا له إنهم جاءوا بخصوص مسألة استردادهم لأراضيتهم وطرد Zabiya من بيت أبيهم، وطلب العمدة حضور Zabiya وحينما حضر وجد أبناء Bulaki هناك، وسمح العمدة لأبناء Bulaki بالإفصاح عن مطالبهم وبعد أن سمع Zabiya كل ما يريدون قال : لا يمكن أى إعادة نظر فى مسألة الأراضى لأننى اشترت الأراضى بعقد مشروع وبحضور وكيل العمدة وتم الإتفاق بين الطرفين أما بخصوص البيت، فيمكننى أن اغادر البيت لأنى ما اشتريته، وأما إن كانوا يريدون أن يشتروا الأراضى منى بعقد جديد فبأستطاعتي أن أفعل ذلك فقال لهم العمدة : سمعتم كلام zabiya فما قولكم . فقال كبيرهم : يمكننا أن نشترى فقال Zabiya أريد مائة وخمسين درهماً لأنى أعرف أنكم زرعتم الأراضى فى السنة الماضية من غير إذننى، ولم يلبث أبناء Bulaki أن أخرجوا المال وقدموه للعمدة وقدم العمدة النقود لـ Zabiya وطلبوا منه أن يغادر بيت والدهم، وأرسل العمدة وكيله معهم ليضمن مغادرة Zabiya من غير حدوث أية مشكلة، وأستلم Zabiya النقود وقام وتبعه أبناء Bulaki مع وكيل العمدة، ولما وصلوا جهز Zabiya كل امتعته مع مساعدة اخوانه وحملوها إلى القارب وأبحروا إلى بلدهم .

وأثرت هذه الأحداث في نفسية Zabiya ولذلك عقد عزماً على أن يفرق بين أبناء Bulaki ويشئت اتحادهم لأنه لاحظ أيضاً تراجع ثروته منذ مغادرته إلى بلاده، وهكذا لا يستطيع أن يعيش في رغد ورفاهية كما تعود أن يعيش في بلاد Bulaki لأن بلده صغير والأرض ليست صالحة للزراعة، ولذلك جعل Zabiya يحسن إلى بعض جيران Bulaki حتى ملك عليهم أمرهم، ولما رأى ذلك بدأ يخبرهم عن مراده ورسم لهم الخطة لتنفيذ ذلك .

الخطة الأولى هي تفريقهم وإيقاع الإختلاف فيما بينهم، وقال لحلفائه يجب أن تعلموهم أنهم ليسوا من أم واحدة وإنما هم من أمهات مختلفة وحرصوهم على كراهية بعضهم البعض حتى يدب الشجار بينهم .

حاول هؤلاء الناس إقامة صداقة مع أبناء Bulaki وقد نجحوا في ذلك واقاموا صداقة متينة مع الأبناء ولما رأوا أنهم قد نجحوا في ذلك بدءوا يطلقون الوشاية بين الأولاد قائلين لهم إنهم ليسوا من أم واحدة وسيعلمون ذلك بعد وفاة والدهم، وواصلوا نشر مزاعم باطلة بين الأبناء حتى بدأ بعض من الأبناء يقتنع بكلامهم وحدثت خصومة وشجار بينهم حتى تفاقم الأمر وافترقوا وتشتتوا، اتجه هذا غرباً واتجه ذلك شرقاً والآخر اتجه جنوباً .

واشتد الأمر بينهم وبلغت العداوة مبلغها وحدثت قطيعة بينهم، واشتد الأمر على Bulaki لأنه يرى أن ما بناه لعدة سنوات ينهار أمامه، ولذلك بدأ يفكر في كيفية تدارك الأمر وهو على قيد الحياة، رأى Bulaki في ليلة الجمعة فيما يرى النائم أن Zabiya وجنوده هاجموا بيته ولما حاول الهروب هاجمه ثعبان أسود ومن هنا أطلق صرخة فرأى أبناءه - حاملين الرايات - وهاجموا الثعبان حتى قتلوه .

استيقظ Bulaki مسرعاً وجسمه يرتعد من الخوف ولما أصبح اشترى طعاماً وتصدق به وتوجه إلى بيت شيخه خائفاً وسلم عليه ورحب به الشيخ وحكى له Bulaki قصة الحلم ودخل الشيخ بيته وأحضر كتاب تفسير الأحلام ونظر فيه ثم قال لـ Bulaki إن هذا الحلم إشارة إلى الخيانة التي دبرها Zabiya وجماعته للتفريق بين أبنائك وإحداث خصومة وقطيعة بينهم من أجل ما فعلوه به، ولكن

قتلهم للشعبان إشارة إلى أن الغلبة لهم ما دمت ستقول لهم ما يحدث وتحاول إصلاح ذات بينهم .

ورجع Bulaki إليهم وجمع أعيان الحارة ودعا أبناءه وقال لهم يجب ألا تسمحوا للحساد أن يفرقوا بينكم «فعود واحد لا يكنس» حتى يضم عدة عيدان فى حزمة واحدة⁽¹⁾.

٤- حكاية : الزرع الذى يحبه الله سوف ينبت ولو بدون ماء.

. Hikaya : Dan Tsiron Da Allah ke so, ko ba Ruwa zai Tohu

هناك شخص يسمى « Sako » وله زوجة تسمى « Tulku » وهى امرأة صالحة صبورة ومحبة للناس ومشفقة عليهم ومطبعة لزوجها، وبمرور الأيام دعت الله وأنجبت بنتاً جميلة رائعة وكأنها جنية ولها شعر أسود طويل مسترسل على ظهرها، ولها عيون كبيرة بيضاء كالحليب الصافى ورموش عينيها جميلة جداً، وجاء يوم التسمية بعد سبعة أيام من الولادة فسمها والدها « Badabaki » .

وحينما بلغت «Badabaki» عامين أصيبت أمها بمرض وتوفيت، وحنن زوجها حزناً شديداً على فقد زوجته الصالحة، وبعد عام تزوج «Sako» لأنه لا يستطيع أن يقوم برعاية «Badabaki» وحده .

وتزوج بامرأة تسمى «Barsu» وأقيم حفل كبير وحضر الطبالون والراقصون الشعبيون وأحضر عدة أنواع من المأكولات والمشروبات، وبعد الحفلة انتشر الناس وذهبوا إلى بيوتهم .

ولم يمضى وقت طويل حتى حملت الزوجة وأنجبت بنتاً سميت «Tafi» ولما رأت «Barsu» أنها ولدت هذه الأبنة بدأت تسمى معاملة ابنة الفقيدة ولا تقدم لها الطعام الكافى وأجبرتها على القيام بكل الأعمال المنزلية على حين لا تقوم ابنة

(1) Hassana Umaru : op. cit. p.p 28 : 34.

قام بترجمة هذا النص للغة العربية الأستاذ / حافظ إبراهيم عبدالله

”Barsu” بأى عمل . وكانت تحسن إلى ”Badabaki” فى حضور أبيها وتدللها أمامه حتى لا يفهم ما يحدث حقيقة .

وهكذا ظلت تعاملها والزوج لا يعلم شيئاً، وكان يظن « Sako » أنها تحسن معاملة البنت فى غيابه كما كانت تفعل فى حضوره . ولم تشك ”Badabaki” إلى أبيها ما تعانيه من اضطهاد وكراهية، وكانت تنزوى فى مكان واحد وتزرف الدموع، وإذا وجدتها زوجة أبيها باكية تأخذها إلى خارج البيت حيث قبر أمها وتقعدها هناك وتقول لها هذا مكان أمك واصلى البكاء ستخرج لك الآن، فتكف ”Badabaki” عن البكاء وتقول ما دام الله موجودا فلا بأس .

وفى أحد الأيام طبخت « Barsu » طعاما قليلا ولم تقدم شيئاً لـ «Badabaki» وقالت لها انتظري حتى انتهى من الأكل ثم تآكلى الباقي ومن هنا خرجت ”Badabaki” متسللة إلى مكان قبر أمها وجلست هناك باكية وبعد فترة رأت امرأة وكأنها نزلت من السماء ثم تبين لها أن المرأة هى أمها فهدأتها المرأة ومسحت دموعها وقدمت ثريدا مع السمنة البقرى واللحم وأكلت ”Badabaki” الطعام وشبعت، ثم قدمت لها الماء وشربت ثم أمرتها بتنظيف يدها وفمها والكف عن البكاء، ثم طلبت منها المجئ إلى هذا المكان كلما أحست بالجوع .

ولما عادت Badabaki وكانت Barsu قد انتهت من الأكل وبقيت فضلات من الطعام غير نظيفة جعلت تنادى ”Badabaki” قائلة يا شقية تعالى وكلى هذه البقية، فقالت ”Badabaki” أنا شبعانة يا أمى فقالت : ”Barsu” تمردك هو الذى سيقتلك وتلحقى بأمك، ولا ينبغى أن تغضبى منى لأننى لست من قتل أمك، ولم تقل البنت شيئا وكانت تذهب إلى قبر أمها كلما أحست بالجوع أو اسىء إليها فتخرج أمها وتهديها وتقدم لها الطعام الذى تشتيه وتقول لها اصبرى وسوف يأتى يوم يعوضك الله فيه من كل هذا العذاب والشقاء وهكذا توالى الأيام وقرب وقت الزواج وقد كان هناك ملك يسمى Bangu أعلن أنه يريد أن تجتمع البنات فى ساحة كبيرة قرب بيته لأن ابنه يريد أن يختار من سيتزوج بها، وأقيمت وليمة كبيرة فى هذه الساحة وفرشت بساطات فاخرة وغالية وأعدت مأكولات متنوعة وأطعمة مختلفة ومشروبات متنوعة وحضر الطبالون والراقصون وأصحاب الفنون الشعبية .

واجتمعت البنات من القرى والأرياف والمدن كل واحدة فى أبهى زينتها حاملات الورود وتزين بألوان مختلفة من الخضاب والصفائر ولبست ألواناً مختلفة من الأقمشة والحريز كل بنت تتمنى أن تكون المختارة ويوح لها ابن الملك بحبه، ولما انتهت الاستعدادات وقفت البنات فى طابور يتحركن بخطوات بطيئة يستعرضن جمالهن ومؤهلاتهن حتى يميز ابن الملك من تعجبه ويتزوج بها وبدأت البنات يمشين فى دلال وتمايل وكأنهن لا يأكلن من شدة الرشاقة والدلال .

وأما زوجة والد Badabkai فقد زينت أبنيتها وألبستها أقمشة ذات ألوان زاهية، فى حين أعطت Badabaki ثوباً بالياً وأمرتها بارتدائه والذهاب إلى الساحة، ورات Badabaki أختها قد خرجت بكامل زينتها أما هى فلم تحصل إلا على ثوب بالٍ، فحملت الثوب وذهبت به إلى قبر والدتها باكية، وبعد فترة ظهرت الأم وقالت لها : لا تبك عيناك فإنى على علم بما حدث، فابتلعتها الأم ثم قذفتها فإذا هى جميلة بيضاء فقالت الأم : حتى الآن لم تكونى كما أريد، ثم ابتلعتها ثانية ثم قذفتها فإذا هى أجمل خلق الله وكأنها خلقت نفسها كما تريد، وسارت Badabaki جميلة جدا وكأنها البدر يوم تمامه، ولها وجه مشرق وكأنه الندى الساقط على أوراق الشجر فى يوم مشمس وكلما خطت خطوة تكاد الأرض تتشق لها من شدة هيبتها وجمالها .

ولما رأت الأم أن ابنتها قد بدت فى غاية الجمال قالت لها اسمعنى جيداً ولا تنسى ما سأقوله لك الآن ثم قالت : غادرى مكان الحفلة قبل الانتهاء منها مهما يكن من أمر حتى وإن اختارك ابن الملك حاولى أن تخرجى من الساحة أثناء الحفلة وأنا هنا فى انتظارك وسأقوم بالأعمال المنزلية نيابة عنك وسأعطيك الملابس البالية التى أعطتها لك زوجة أبيك وتلبسيها حتى تراها عليك زوجة أبيك بعد عودتها من الحفلة، ولا تقولى لها بأنك ذهبت إلى الاحتفال واحترميها ولا تكرهى أختك ولا تحاولى القيام بالانتقام واتركيها مع رب الجزاء فهو الذى سيجازيك بأحسن مما تظنين اسمعت ما قلته لك ؟

وأجابت Badabaki بنعم ثم ذهبت إلى الحفلة ووجدت أنه قد تم اختيار بعض البنات وخصص لهن مكان لإجراء جولة ثانية من الاستعراض، وهكذا تستمر

الجولات الاستعراضية حتى تفوز واحدة من المشتركات ويتزوجها ابن الملك وبمجرد وصول Badabaki اضاء المكان وكأنها حجر الماس فى ليلة حالكة الظلام وتوجهت إليها الأنظار، واندھش ابن الملك وجعل يقول سبحان الله لم تكن هناك بنت قبل الآن!

من هذه البنت الجميلة ؟ وكأنها جنية هذه هى التى تستحق أن تكون لابن الملك وليس هناك من تستطيع أن تنافسها فما لبث ابن الملك أن اقترب منها وضمها إلى صدره لشدة حبه لها وأخذ بيدها وأجلسها بجواره على كرسى من ذهب وأمر بوقف الاستعراض وبمواصلة الاحتفال واختار ابن الملك Badabaki وبعد فترة أقبل عليها ابن الملك وقبلها فانهالة صيحات الناس بالتصفيق وارتفعت أصوات الطبول والمزامير والآلات الموسيقية على اختلاف انواعها وامتلأ الجو بروائح العطور حتى انتصف الليل من غير أن يشعر أحد بذلك .

وبعد فترة من الزمن لاحظت Badabaki أن الاحتفال على وشك الانتهاء فاستأذنت ابن الملك بالذهاب إلى الحمام ولما أذن لها خرجت مسرعة حتى فقدت أحد حذائها من شدة الجرى وهى لا تعلم وبعد مدة قصيرة افتقدتها ابن الملك وذهب بنفسه للبحث عنها ولم يجدها هناك ولكنه وجد أثرها فأقتفى هذا الأثر مسرعاً وراها ملتفتاً يميناً وشمالاً لعله يجدها ولكن دون جدوى !

وبعد برهه من الزمن عثر على أحد حذائها فأخذه واستمر مهرولاً حتى تعب ولم يعثر عليها فرجع غضبان أسفاً كاسف البال محزوناً مهموماً واسودت الدنيا فى عينيه، ولما رجع إلى مكان الاحتفال أمر بوقف كل شىء، وساد المكان الهدوء التام فتناول النعل وقبله وانتشر خبر اختفاء البنت وتم الإعلان عن رصد جائزة قيمة لكل من يعثر عليها وانتهى الاحتفال وذهب كل واحد إلى بيته وانتشر الباحثون عن البنت وظل الناس يتساءلون عن سبب هروبها وقال بعضهم : نحن على يقين بأن هذا النوع من الجمال لم يكن جمالاً آدمياً ولم يوجد مثل هذا الجمال إلا فى عالم الجن ورجع ابن الملك إلى بيته وهو مريض وصار هزيباً من الحب والحنين إلى البنت، وقلق الملك جداً عليه لأنه ابنه الوحيد ولذلك أرسل الملك عبيده وجنوده للبحث عنها وحذرهم من العودة بدونها أو بدون خبر عنها وجمع العلماء والعرافين

وطلب منهم الدعاء بالتوفيق من أجل العثور على البنت وأعطاهم مالا كثيرا لينقذ ابنه من الهلاك .

وانتشر الجنود والعبيد يبحثون عن البنت فى المدن والقرى والأرياف وإذا دخلوا قرية يذهبون إلى العمدة أو رئيس الحى أو شيخ القبيلة ويحكون له ما حدث وهو بدوره يأمر بنشر الخبر فى كل الأنحاء ويأمر بإحضار الأحرار والإماء ولكن لا توجد واحدة منهن تظاهيها فى جمالها ومرت الأيام حتى وصلوا إلى قرية Badabaki واخبروا رئيس القرية عن الأمر الذى جاءوا من أجله .

وأمر رئيس الحى بنشر الخبر وجعلت الأمهات يحضرن بناتهن وإذا حضرت كل واحدة تقيس الحذاء التى تركته Badabaki وراعاها ولم تصلح أى قدم لهذا الحذاء، وحين عزم الجنود والعبيد بالإنصراف قال أحد جيران Sako إننى لم أشاهد بنتى Sako ومن هنا أرسل رئيس القرية من يحضرهما، ولما وصل الرسول أخبر Sako بأمر رئيس القرية فدخل Sako البيت وأمر امرأته بأن تهيئ البنيتين للقاء رئيس القرية .

ولكن كانت Badabaki هربت من الاحتفال وذهبت إلى قبر أمها مباشرة وخرجت الأم وقالت لها : بارك الله فيك لأنك امتثلتى لما أمرتك به سلمينى هذه الملابس وخذى ملابسك والبسيها والزمى الصمت ولا تقولى لإمرأة أبيك عن حضورك هذا الاحتفال وإنك قد قمت بكل الأعمال المنزلية، وبعد وصول Badabaki إلى البيت بوقت قليل وصل أبوها وزوجته وابنته ووجدوا كل شئ كما ينبغى فى البيت، وقد أعدت الطعام فقالت لها Barsu ألم تذهبي إلى الاحتفال ؟ لأنى لم أرك هناك وأراك الآن قد انتهيت من كل الأعمال المنزلية ولا يمكن أن تقومى بمثل هذه الأعمال - مهما بلغت من السرعة - بعد رجوعك من الاحتفال فقالت Badabaki أنا لم أذهب فقالت Barsu الأناك احتقرت الملابس التى أعطيتها لك لأننى أعلم أنك غير مؤدبة، ولكن هذا شأنك وقد فاتك منظر جميل ولا أظن أن أحد يعلم بحضورك حتى ولو ذهبت إلى هناك، واللائى أحسن منك لم يعلم أحد بحضورهن ولم تكن اختك من المختارات .

ولما علمت Barsu بأمر رئيس القرية خرجت وسألت الرسول عن سبب ذلك حتى تكون على استعداد بما يقتضيه الموقف، فقالت له: أرجو خيرًا ؟ أرجو ألا يكون أحد قد وشا بهما فقال لها الرسول : الأمر ليس كما تظنين وإنما هناك حذاء تقيسه كل البنات حتى نعلم من صاحبة هذا الحذاء؛ لأنها هي البنت التي اختارها ابن الملك زوجة له في الاحتفال الذي أقيم في العام الماضي، ولما سمعت، Barsu ذلك قالت إن Badabaki لم تحضر هذا الاحتفال ولكن اختها هي التي حضرت ولذلك فلا داعي للذهاب معها .

وأحضر الرسول Tafi إلى رئيس الحى وقاست الحذاء ولم يلائم قدمها وسأل رئيس القرية عن الأخرى، فقال له الرسول إنها لم تذهب إلى الاحتفال وهي بنت صغيرة فقال رئيس الحى فلتحضر مهما يكن الأمر وأخبر Sako بأمر رئيس الحى، ودخل Sako على زوجته وقال لها : لماذا لم ترسلى Badabaki مع أختها، أتريدين أن يقال أنتى خالفت أمر الملك إرسالها فوراً وأعطت Barsu "Badabaki" إزاراً بالياً ولم تزينها إطلاقاً وأرسلتها هكذا وكأنها امرأة في فترة حداد، وذهب معها رسول رئيس الحى إلى هناك فلما وصل قاست الحذاء فلائمها وكأنه مصنوع من أجلها فقط وفرح العبيد والجنود وأخذوا Badabaki إلى بيت أبيها، ولما وصلوا استأذنوا وخرج Sako وأخبروه بأن ابنته هي التي خرجوا للبحث عنها ولم يوفقوا إلا اليوم، ولذلك يجب أن يستعد لیسافر معهم إلى الملك فطلب منهم Sako أن يدخل البيت ليودع أهله، واستأذنت Badabaki للذهاب إلى الحمام وذهبت إلى قبر أمها وذهبت الأم وأخبرتها Badabaki بما حدث وطلبت منها الأم أن تذهب معهم ولا تخاف ووعدها بأن هذا آخر معاناتها، وأعطتها زادا كان عبارة عن خاتم سحرى وأمرتها ألا تفارقه أبداً وهو الذى سيحميها من كل شر أو مكروه بإذن الله تعالى ومدت Badabaki يدها اليمنى إلى أمها وألبستها الأم الخاتم فى سبابتها وقالت لها هذا آخر لقائنا فى الدنيا وتذكرى أن تتصدقى باللبن كل يوم خميس وليلة الجمعة من أجلي، ولما رجعت للبيت رمتها زوجة أبيها بالملابس ولبست وسافرت مع أبيها وجنود الملك وعبده .

وبعد عدة أيام وصلوا إلى المدينة وانتشر الخبر ودخل أحد الأشخاص بيت ابن الملك ليبشره بالخبر ونهض ابن الملك وأهدى من بشره حصاناً وجيه وذهب ابن الملك إلى البيت يرتعد وكأنه ميت رجع إلى الحياة وبمجرد أن رآها قبلها وضمها إلى صدره وتهد ثم دخل الغرفة واقترب منها وكأنه فقد عقله وفرح أبوه وأعطى اللذين عثرا على البنت مبلغاً كبيراً وأحصنة وجمالاً وعبيداً واستضاف الملك والد Badabaki فى بيت كبير وأحضر العبيد والإماء للقيام بخدمة Badabaki والقيام بكل ما تشتهيهِ وبعد أن استراحوا طلب الملك يد بنت Sako لأبنه ووافق Sako وتمت الخطبة وتحديد الموعد لعقد القران وأعطاه الملك مبلغاً كبيراً من المال وجاء موعد عقد القران وذبحت الأبقار وتم الزواج وأقيم احتفال كبير وزفت العروس إلى بيت عريسها وبعد فترة ظهرت عليها علامات الحمل ؛ بحيث أشرق وجهها وامتلأ ثدياها، وحينما طاب لها المقام رفض الملك أن يسمح لأبيها بالرجوع إلى بلده وأهداه منزلاً كبيراً ومالاً كثيراً وأرسل الملك رسولا إلى بلد Sako ليحضر له أهله وسافر الرسول وأحضر "Barsu" و "Tafi" أخت Badabaki الصغرى ولما رأت Barsu ما فيه Badabaki من النعم اشتد حقدُها وبدأت تفكر فى الخلاص منها لتتبوء مكانها لأنه يجوز أن يتزوج ابن الملك ب Tafi بعد وفاة Badabaki إن أراد ذلك .

واهتمت Badabaki بأختها Tafi وكانا لا يفترقان إلا وقت النوم وكانا يأكلان على مائدة واحدة ولا تعرف زوجة الأب ما يحدث بينهما وبدأت زوجة الأب تحاول الاقتراب من Badabaki حتى تتمكن من تنفيذ مرادها ومن هنا طلبت من الطباخين أن يتركوا لها أمر الطبخ فردوا عليها بعدم إمكانية ذلك لأنها حماة ابن الملك، ولكنها أصرت وتركوا لها الاهتمام بأمر الطبخ وأصبحت هى المسئولة عن الطعام فى بيت ابن الملك وقد علمت Barsu أن للحوامل شهية لمأكولات معينة ولذلك أعدت لها طبقين من طعام شعبى ودست سماً ناقعاً فى الطعام ودخلت بهذا الطعام على Badabaki يا أميرتى لقد أعددت لك طعاماً أرجو أن يعجبك ولما كشفت Badabaki الغطاء عن الطعام سال لعابها، وقالت لزوجة أبيها لقد عملت خيراً يا أمى وإننى لاشتتهى هذا الطعام منذ زمن بعيد وفرحت Barsu بسماع ذلك وخرجت من الغرفة وتوجهت إلى بيتها تفكر فى نجاحها فى قتل Badabaki وكانت تحمد الله على هذا النجاح لأنه بمجرد وصول هذا السم إلى بطنها سيقضى

عليها ويقضى على الجنين أيضا وبهذا تفوز Tafi بأبن الملك وبعد ذهاب Barsu نادى Badabaki إحدى خادمتها وأمرتها بإحضار Tafi وكانت تلعب مع أترابها فى غرفة جارية من جواري الملك ولما حضرت قالت لها Badabaki تعالى نأكل هذا الطعام الذى أعدته أنا قبل الانتهاء من العشاء فجلست Tafi وأمسكت بالطبق لأنه جرى عادة أن يمسك الصغير الطبق إذا كان يأكل مع من هو أكبر منه وهو الذى سيكون الأخير على المائدة وحاولت Badabaki أن تأكل ولكن كلما أخذت اللقمة اختلقت اللقمة من يدها فتذكرت الخاتم الذى أعطتها إياه أمها ولذلك تركت الطعام وقالت لأختها كلى واتركى لى بعض الطعام سأكله فيما بعد، أما ترين أن كلما أخذت لقمة سقطت منى ؟

انتهت Tafi من الأكل وحاولت أن تقوم لأترابها لتلعب معهن ولكنها أحست بوجع شديد فى بطنها وسقطت على الأرض ترتعد وبعد فترة قصيرة انتفخ بطنها وأصببت بقى وإسهال شديدين ولم يمض وقت طويل حتى توفيت وأحست Badabaki برعب شديد وضمت أختها إلى صدرها تبكى وامتلأ البيت بالناس وكل من حضر يراها فى حزن أختها الصغرى تبكى وأصيب الجميع بذعر شديد وهرع الناس إلى بيت زوجة الأب وقالوا لها ما حدث ولما حضرت الأم فهمت أن ابنتها أكلت من الطعام المسموم ووقعت على الأرض باكية صارخة وبعد فترة من الزمن سكنت فظن الناس أنها نامت ثم تبين أنها توفيت أيضا وأخبر Sako بما حدث فحضر ووجد جثتين ممدودتين على أرض البيت فلما سأل Badabaki أخبرته بكل شئ وأشارت إلى التأم، فلما شم Sako الطعام أحس برائحة سم وفهم ما قصدته زوجته لـ Badabaki من مؤامرة فصاح قائلاً (على الباغي تدور الدوائر) وإن كنت فاعلا فأفعل الخير لتجنى خيراً وشيع الناس جنازتهما ودفنا جنباً إلى جنب وبعد مرور أربعين يوماً زوج الملك Sako بإحدى جوارية وتوالت الأيام وأنجبت زوجة ابن الملك ولدا وجاء يوم التسمية فسمى المولود « المبارك » وأقيم احتفال كبير وهكذا عاشا فى أمن وسلام وهدوء وحينما كبر الملك فى السن وضعف بصره تنازل عن العرش لصالح ابنه زوج Badabaki⁽¹⁾.

(1)Ibid. p.p. 81 : 90 .

٥- حكاية : ماء الشفاء .

. Hikaya : Ruwan Bagaja

ها هي هنا، ها هي هنا موجهة إليكم :

كان هناك أحد الرجال وكان قد تزوج بامرأتين بورا "Bora" وموا "Mowa" وكانت لكل واحدة منهما بنت . وكانت بورا هي التي تعد الثريد كل يوم، أما «موا» فلم تكن تفعل شيئاً . وإذا أعدت «بورا» الثريد، تجمعها كله وتحمله إلى «موا» . وأما «بورا» فتجلس دون أن يكون لها نصيب منه إلا الفتات .

وظل الحال هكذا، حتى ذات يوم من الأيام تبولت ابنة «موا Mowa» فوق الإهاب^(١) Kirgi

وعندما انقشع الليل « أى انبلج النهار وأشرق الشمس » قيل إن ابنة «بورا Bora» تبولت، وقيل : عليها أن تذهب لتغسل الإهاب فى ماء الشفاء .

وعندئذ استعدت ابنة «بورا Bora» وحملت الإهاب وذهبت، وفى أثناء سيرها تقابلت مع نهر ثريد الذرة والمرقة والسمن واللحم وعندئذ قالت :

يا نهر، يا نهر، هل أنت ماء الشفاء ؟

شفاء جماعة أو صحبة أبناء الملك ؟

لأجل الإهاب أرسلت .

لأجىء وأغسله فى ماء الشفاء .

(١) الإهاب Kirgi هو : الجلد من البقر والغنم والوحش مالم يديغ، والجمع القليل منه « أهبه»، والكثير «أهب» - . والجلد المديوغ فى لغة الهوسا هو « Buzzi » وهو الذى تجوز الصلاة فوقه .

- معنى الكلمة السابقة منقول من نفس مصدر الحكاية .

فأجاب النهر « كلا يا فتاة » لم أكن أنا نهر الشفاء، أنا نهر ثريد الذرة، والسمن،
واللحم . إذا كنت تريدين فأجلسي وكلي .

أجابت الفتاة، كلا . لن أكل . أنا شبعانة فقال : حسناً، امضي في سيرك، نهر
الشفاء هناك إلى الأمام .

وعندئذ ذهبت . وفي أثناء سيرها وصلت حيث نهر ثريد الأرز والسمن واللحم
وعندئذ قالت:

يا نهر، يا نهر وأنت نهر « ماء » الشفاء ؟

شفاء جماعة أو صحبة أبناء الملك ؟

لأجل الإهاب أرسلت .

وجئت لأغسل في ماء الشفاء .

وعندئذ أجاب النهر « كلا، يا فتاة . أنا لست نهر الشفاء . أنا نهر الأرز والسمن
واللحم . إن شئت اجلسي وكلي» . .

فعندئذ قالت : « كلا، لن أكل . أنا شبعانة » فقال : حسناً وهو كذلك يا فتاة،
امضي إلى الأمام، ستجدين نهر الشفاء » .

وهكذا استمرت الفتاة ماشية . وفي أثناء سيرها، ذهبت حتى نهر الأرز
المطهى بالسمن واللحم، فسألته أهو نهر الشفاء؟، فأجابها هو الآخر بأنه ليس هو
فاستمرت تمشي بثبات حتى وصلت إلى نهر متنوع الطعام، فها هو عسل النحل،

وها هو الكمك^(١) وها هو الفطير^(٢)، وها هي الحلوى^(٣)، وها هي البقلاوة^(٤)، فقد تجاوزت كل هذا، وفي كل مرة أيضًا كانت تدعى للأكل، ولكنها كانت تجيب بأنها لن تأكل .

وهكذا الحال . وفي أثناء سيرها ذهبت حيث نهر الشفاء، ثم قالت :

يا نهر يا نهر يا نهر أ أنت ماء الشفاء ؟

شفاء جماعة أو صحبة أبناء الملك ؟

لأجل الأهاب أرسلت،

لأجىء وأغسل فى ماء الشفاء .

وعندئذ قال النهر، نعم يا فتاة، أنا نهر « ماء » الشفاء، يا فتاة ضعى إهابك واغسله».

وضعت إهابها هكذا وهى تغسله، وإذا بعاصفة قد هبت وبشدة، وتجمعت معها سحب كثيفة، تبعها مطر غزير .

لقد نظرت إلى الأمام، وإلى الخلف، فلم تر بيتًا .

وعندما عاودت الالتفات، إذ بها وقد رأت عشة صغيرة وعندئذ قالت « فى نفسها » : أم م م م « صوت بلا معنى » هيا لأذهب إلى تلك العشة الصغيرة لأختبىء فيها من المطر والعاصفة « وهكذا كان، ثم ذهبت إلى العشة الصغيرة، وعندما وصلت هناك، قالت : « بالإذن » .

(١) الكمك alkaki : وهو عبارة عن كمك مملوء بالحلوى وطعمه مثل طعم بلع الشام .

(٢) الفطير waina : وهو نوع يصنع من عجينة الأرز، ثم يدهن بزيت الطعام، ثم يطهى على الموقد البلدى .

(٣) الحلوى nakiya : وهى نوع من الحلوى الشهيرة وطيبة الطعم والمذاق .

(٤) البقلاوة funkaso : وهى تصنع من الدقيق والزيت والسكر .

- معانى الكلمات السابق ذكرها منقولة من نفس مصدر الحكاية .

وعندما استأذنت، إذ بها وقد رأت عظمة وكلبًا . ثم قالت العظمة : « كن كن » (صوت بلا معنى ولا يفهمه أحد من البشر)، فإذا بالكلب وقد قال « للفتاة » : يعنى أنه قد رحب بك .

وعندما دخلت الفتاة، قالت العظمة : « كن، كن » أى صوت غير مفهوم فقال الكلب : « أكنت فى المدينة ثم جئت إلى هذا المكان ؟ » .

وعندئذ أخبرتهم الفتاة بأنباء كل ما حدث . فعاودت الفخذ (ساق إنسان) مقولتها « كن، كن » .. أى الصوت غير المفهوم . فقال الكلب : يعنى أنها قالت عليك أن تخرجين، ثم تذهبين حيث مكان القمامة، وخذى حبة أرز واحدة وعظمة واحدة . قالت الفتاة : حسنًا .

عاودت الفخذ قائلة : « كن، كن » فقال الكلب : « يعنى عليك أن تغسلى الأرز والعظمة ثم تطهين » .

قالت الفتاة : « حسنًا » .

وعندئذ « الفتاة » طهت « حبة الأرز والعظمة »، فرأت أن حبة الأرز الواحدة هذه وهذه العظمة الواحدة ملأتا الإناء « القدر » عن آخره .

فحدثت الكلب قائلة، « لقد أنهيت الطهى » . فقالت العظمة « كن، كن » - أى الصوت غير المفهوم » . فقال الكلب : « اغرفى لك وكلى واتركى الفائض فى القدر « الإناء » .

وهكذا . غرفت الفتاة وأكلت وشبعت وأدخرت . وهكذا الحال، كل يوم، وذلك لمدة ثلاثة أيام . وعندئذ قالت الفتاة: « سأذهب لأغسل الإهاب لأعود أيضًا إلى البيت اليوم » .

وعندئذ قالت الفخذ « ساق الإنسان » للكلب : « آهرة » أن يذهب « هو » ويغسل الإهاب ثم يحضره لها . ثم قالت الفخذ « كن، كن » فقال الكلب : « يعنى تعال هنا » فذهبت الفتاة إلى حيث تكون الفخذ، فأعطت الفتاة بيضتين، واحدة كبيرة، والأخرى صغيرة، وقيل : لها أن تختار واحدة منهما . فاختارت الصغرى .

وهكذا الحال . ثم قيل لها : أن تذهب بالذى اختارته . وإذا وصلت إلى مكان آخر تقول : « هل أكسر البيضة ؟ » وذلك بصوت عالٍ قوى، فإذا سمعت بأن قيل : « اكسرى اكسرى لنشرب البيض ! » فلا تكسر وعليها أن تذهب إلى حيث لا يكون أحد على الإطلاق ثم تكسر « البيضة » .

لقد شكرت لها « الفتاة »، وأخذت بيضتها وإهابها ثم انصرفت .

وفى أثناء السير، وعندما ذهبت إلى مكان آخر قالت « أكسرى؟ » وذلك بقوة وبصوت عالٍ . فكانت تقول وكانت تسمع، « اكسرى اكسرى لنشرب البيض » . فكانت تمشى إلى مكان آخر (دون أن يكسر البيضة) .

لقد قالت هكذا كثيرًا إلى أن ذهبت إلى مكان آخر لا يوجد به أحد، فقالت : « أكسرى ؟ » ثلاث مرات فلم تسمع شيئاً سوى السكون، فكسرت « البيضة » .

وعندما كسرت « البيضة » رأت أناسا قد تزينوا بالحلى وقد ركبوا الخيل، وعزفت المزامير وأخذوا يمدحونها . ثم حملت على ظهر حصان واصطحبت حتى البيت . لقد فاحت روائح العطور الطيبة وعلت دقات الطبول وأصوات المزامير فى جميع أنحاء المدينة . لقد كانت أمها « بورا Bora » فى استقبالهم وأنزلت « من فوق ظهر الحصان » فى البيت .

وعندما رأت “موا Mowa” هذا الموكب العظيم الذى عمل لابنة بورا Bora أخذها الحقد الشديد والغيرة القاتلة « Nunkufurci » وغضبت غضباً شديداً ta bata rai . وعندئذ أمرت ابنتها أن تتبول فوق الإهاب وتذهب فى اليوم التالى Kashegari لتغسله فى ماء الشفاء، من أجل أن تحظى هى الأخرى بمثل هذا النوع من المديح وهذا الموكب .

لقد كان الأمر هكذا . وعندما اضطجعت إذ بها قد تبولت فى نومها فوق الإهاب . وعندما انقشع ظلام الليل وانبلج النهار أخذت الإهاب وذهبت لكى تغسله فى ماء الشفاء .

وفى أثناء سيرها، تقابلت بنهر الثريد، فقالت بسرعة وبسخرية:

يا نهر يا نهر، أنت ماء الشفاء ؟

شفاء جماعة أو صحبة أبناء الملك ؟

لأجل الإهاب أرسلت،

وجئت لأغسل فى ماء الشفاء .

وعندئذ قال النهر : « كلا، يا فتاة، أنا لست ماء الشفاء . أنا نهر تريد الأرز

والسمن واللحم والمرقة . إذا كنت تشعرين بالجوع، اجلسى وكلى » .

قالت « أنت أيها النهر الساخر . كيف أرى الثريد واللحم ثم أدعهما دون أن

أكل ؟ » .

لقد جلست وأكلت وشبعت وسدت رمقها، وقامت ومضت فى سيرها تبحث عن

ماء الشفاء . تقابلت مع نهر اللحم المحمر، والشعرية، وكعك الحلوى، وعسل النحل،

وفطير الأرز، والحلوى، وكلهم على الطريق . وكانت إذا دعاها أى نهر (كانت تسأله)

للطعام، كانت تأكل حتى تشبع ثم تتصرف .

وعندما وصلت إلى نهر الشفاء قالت :

يا نهر، يا نهر، أنت حقاً ماء الشفاء ؟

شفاء جماعة أو صحبة أبناء الملك ؟

لأجل الإهاب أرسلت،

لأجىء وأغسل فى ماء الشفاء .

فقال النهر، « نعم، يا فتاة أنا نهر ماء الشفاء، ضعى إهابك واغسلى . وفجأة

هببت عاصفة قوية، فنظرت إلى الأمام وإلى الخلف، فلم تجد بيتاً تحتمى فيه،

وعندما التفتت هكذا إذ بها قد أبصرت كوخاً صغيراً، فأسرعت جرياً إلى حيث

يكون الكلب والفخذ « ساق لإنسان مبتورة » بداخله لقد أدخلت رأسها (أطلت) دون

أن تستأذن وإذ بالساق (الفخذ) تقول « كن، كن » صوت بلا معنى فقال الكلب :

فما الذى أتى بك إلى هذا المكان ؟ فقالت الفتاة : من أى نوع هذه الساق (الفخذ)

درجة أنها تتكلم ؟ وما شأنكما بالذى أحضرني ؟ قالت الفخذ : كن كن صوت بلا معنى فقال الكلب : أى عليك أن تذهبي فوق القمامة وتأخذى حبة أرز وعظمة واحدة ثم تطيهما قالت الفتاة : كيف سيقال أن آخذ حبة أرز واحدة وعظمة واحدة مثل طعام الحسود البخيل ؟ .

لقد ذهبت وأخذت « حبة الأرز والعظمة »، ثم طهت وأكلوا ثم شبعوا، لقد مكثت ثلاثة أيام، ثم قالت : إنها ستذهب «تعود إلى البيت» .

وهكذا الحال . ثم أعطت بيضتين، واحدة كبيرة، والأخرى صغيرة وقيل لها أن تختار واحدة «منها» فعندئذ اختارت الكبيرة .

لقد قيل لها : « وهى عائدة إلى المنزل » أن تذهب إلى مكان آخر وتقول : «أكسر البيضة» ؟ وذلك بصوت عالٍ قوى . فإن قيل « اكسرى اكسرى »، لنشرب البيضة « فلا تكسر ثم تذهب إلى مكان آخر حيث لا يكون هناك أحد ثم تكسر .

قالت الفتاة : أوه، ما الذى سيمنع إن كسرت « البيضة » فى مكان به ناس ؟ أتريدون أن أكسر فى مكان ليس فيه ناس ؟ أتريدون أن أكسر فى مكان ليس فيه أحد فيذهب بى لأقتل، وينهب منى متاعى ؟ ثم ذهبت وشأنها .

وفى أثناء سيرها وصلت إلى مكان آخر فقالت : أأكسر ؟ وذلك بصوت مرتفع وقوى . فسمعت ما يقال «اكسرى اكسرى لنشرب البيض» ثم كسرت البيضة .

وبينما هى تكسر « البيضة رأت جمعاً من المصابين بالجزام والعمى والمعوقين مبتورى السيقان وقد ركبوا الحمير وحملوها فوق حمار وزفوها، والذباب يتبعهم بصوته المقرز . وعندما وصلوا إلى المدينة، إذ برائحة كريهة والذباب وضجيج المجزومين قد ملأ المدينة» .

وعندما رأت أمها "موا Mowa" هذا انفجرت فى البكاء قائلة ومرددة : لماذا ذهبت ابنتها وقد جمعت لها صحبة من العاجزين والمكفوفين والمعوقين هكذا ؟ لقد جلسوا فى حزن شديد، أما "بورا Bora" وابنتها فقد اغتيتا وجلستا فى سعادة

بالغة وهكذا انتهت الحكاية^(١).

٦- حكاية : أربع بنات عجيبات .

. Hikaya : Yammata Hudu Masu Abin Mamaki

هناك أربع بنات يسرن حتى وصلن إلى باب قصر الملك، فقالت كبراهن : لو علم الملك بقدمي لتزوجني وأنا بدوري سأنجب له توأم أحدهما له سرّة ذهبية والآخر سرّة فضية وقالت وسطاهن : لو علم الملك بقدمي لأعطاني حصاة واحدة وأنا أرمم له المدينة كلها ثم قالت صفراهن : لو أعطاني الملك كيلة أرز سأطبخ طعاماً يكفى أهل المدينة كلهم، وقالت الأخيرة : إذا أعطاني الملك - فرعاً من مقشّة - لكنست له المدينة كلها وحتى قراها، وذهب شخص وأخبر الملك بكل هذا، واستدعاهن الملك وكررن ما قلن أمامه، ورضى بذلك، وتزوج الأولى وهى كبراهن وأعطى الثانية فرعاً لتكنس المدينة، وأعطى الثالثة كيلو أرزاً لتطعم أهل البلد كلهم، وأعطى الرابعة حصاة واحدة لترمم المدينة كلها، وبعد فترة حملت الأولى من الملك ومرت عليها تسعة أشهر فأنجبت توأمين الذكر والأنثى أحدهما بسرّة ذهبية والآخر بسرّة فضية ولما خرجت للاستحمام أخذت ضررتها التوأمين ورمتهما خارج البيت وجاءت "بعظائيتين"^(٢) وجعلتها فى فراش الوالدة . ولما جاء الملك وسأل عن المولود قيل له : « عظائيتان» فقال لها الملك : كيف ذلك ؟ وقد أنجزت كل واحدة من أخواتك بما وعدن به إلا أنت، وأمرها الملك أن تذهب إلى الحمام وتقعدهن هناك لأنها أنجبت عظائيتين وبعد فترة جاءت عجوز لتجمع أوراق الملوخية خلف قصر الملك فرأت رضيعين أحدهما بسرّة ذهبية والآخر بسرّة فضية فحملتهما وذهبت بهما وقامت برعايتهما حتى كبرا وذات يوم قالا : إنهما ذاهبان إلى أبييهما .

وزينتهما العجوز وارتديا ثوباً واحداً واشترت لهما حصانين وركبا وتوجها إلى قصر الملك ونزلا من على جواديهما، فقال أحدهما : تم إخراجنا من هذا القصر

(١) صبرى إبراهيم على سلامة : عمر السيد عبدالفتاح : مرجع سابق. ص ٣٦ : ٤٤ .

(٢) العطاء : هى حشرة موجودة فى نيجيريا تشبه «السحلية فى مصر».

لشدة الغيرة، فسمعه أحد الرجال وذهب وأخبر الملك بالأمر، وجاء الملك مع حاشيته ليسمع بأذنه وكررا ما قالاه أمام الملك .

ومن هنا تبسم الملك وقال لهما : تعالا تعالا وطلب منهما أن يرى سرتيهما فرفضنا ذلك وقالوا : نحن أبناء هذه العجوز، هي التي قامت برعايتنا ولا نعرف أحداً غيرها، وبعد أن تم تهدأتهما رضيا ورفعا ثوبيهما، ولما رأى الناس سرتيهما قالوا : لقد أنجزت وعدنا هي الأخرى ولكن الضرة هي التي رمتها خارج البيت، وأمر الملك بعض خدامه بمرافقة الولدين إلى البيت ولكنهما رفضا ذلك، وأخيراً رضيا، ولما وصلوا إلى البيت ورأت المرأة العجوز الولدين فى مرافقة حشد من الناس خافت ولكن أحدهم قال لها : لا تخافى إن الملك يستدعيكى، وهذا جواد فلتركبى معنا إلى قصر الملك .

وعندما وصلوا سألها الملك : أنت التي أنجبت هذين الطفلين ؟ وأين أبوهما؟ فقالت المرأة للملك كيف أنجب هذين الطفلين وأنا عجوز كما ترى : وإنما جئت يوماً ما لأجمع أواني الملوخية فرأيت هذين الطفلين يبكيان فأخذتهما وقمت برعايتهما إلى أن أحياهما الله كما ترى إلى الآن وأنا لم أنجبهما وإنما وجدتهما وراء هذا القصر، وفرح الملك بسماع هذا الخبر وأقعدها فى قصره وأعطاهما هدية ثمينة وكان يلبي كل طلباتها، ومعها خدام يخدمونها ليلاً ونهاراً⁽¹⁾.

٧- حكاية : ما يزرع الإنسان يحصده إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

Hikaya : abinda mutum ya shuka shi ya kan girba in hairi ko sharri

فى يوم من الأيام كان يوجد رجل لم يرزقه الله الابن ولا الحفيد، فأخذ كل عقاقير أدوية الدنيا لينجب، فلم يشأ الله، حتى تعب فصبر .

وبينما كان يجلس أمام باب منزله، رأى رجلاً أمسك ابنه وانهاه عليه ضرباً مبرحاً، فقال « الله أكبر واحد رزقه الله الابن فينهال عليه ضرباً، وأنا أبحث عن

(1) Ibrahim Yaro Yahaya : op. Cit.P.P.32 :35

قام بترجمة هذا النص للغة العربية الأستاذ / حافظ إبراهيم عبدالله .

الابن فلا يشاء الله، لو كان الله وهبني هذا الابن، ما ضريرته مهما كان عقوقه، إذا كان الابن عاقًا، أو غير عاق سواء، ولكن سوء بصيرة من الناس» .

ومرت الأيام وشاء الله أن تحمل زوجة هذا الرجل، وبعد تسعة أشهر أنجبت طفلًا ذكرًا، وأقيم السبوع وسمى المولود هفرو، ونشأ الطفل مدللا، مهما يفعل لا يقول له الأب شيئًا، حتى وصل الأمر إلى عقوق الأب وعدم مساعدته، بل إن حب الأب للولد جعله يأكل معه في إناء واحد، بل إن الأثنين بعد الزواج لم ينفصلا عن بعضهما أثناء الطعام .

ولما بلغ الأب سن الشيخوخة أخذ الابن يتضجر من الأكل مع أبيه، فإذا أكلا معًا منع الابن أباه أن يمس الطعام الذي أمامه ويدعى أن أباه شديد القذارة، ويترك المخاط ينزل من أنفه دائما يكح ولعابه يسيل، فلا يقول الأب له شيئًا، وكانت يده ترتعش فيقع الأكل من يده في الإناء، فيزجره الابن، ويجذب إناء الطعام من أمامه، ويقول إنه سيقدم الطعام لأبيه بعد أن يأكل .

وذات يوم وهم على هذه الحال، قال هفرو إن أباه لا يلعق الإناء، ويتركه قذرًا، ويلوثة بلعابه، لذلك أحضر لأبيه إناء خشبيًا وأخذ يضع فيه الطعام وذات يوم كان يأكل فارتعشت يده وسقط الإناء منه وانصب الثريد، فجاء هفرو وزجره، لرعشه يده، وذهب إلى السوق واشترى له مزودًا، كالذي يوضع فيه طعام البقر، وأحضره إلى المنزل وأخذ يقدم له الطعام فيه، ويقول: « اقلبه أيضًا، لنرى » .

لم يفعل الأب شيئًا، إلا أن الأمر ضايقه وأخذ يبكي ويقول : « هذا ذنبي لأنى لم أحسن تربيته وهو صغير، ولكن لا بأس، الله ينتقم لى » .

ومرت الأيام وشاء الله أن تحمل زوجة هفرو، وولدت طفلًا ذكرًا، وسمى إشيًا، وعندما بلغ سن الرابعة، ونما عقله، صار لا يلعب ولا يأكل إلا مع جده، وحاول أبوه منعه من الأكل معه، ولكن الطفل رفض حتى كان يحمل السمن واللحم، وكل ما يناله من الطعام يذهب به إلى جده .

واستمر الحال على ذلك حتى بلغ إشيًا سن السادسة، وذات يوم خرجوا إلى المزرعة وكان يمسك له قرية الماء، وعندما وصلوا أخذ الأب يعمل في الحقل حتى

توسطت الشمس السماء، إذا بزوجه أم الطفل تأتي بالطعام، فترك عمله، وجلس ليأكل، وجلست زوجته بالقرب منه، فأخذ الطفل فأسا صغيرة ودخل المزرعة وأخذ يقطع قطعة من الشخب، وعندما رآه أبوه قال له : « ماذا تفعل ؟ أترك هذا العمل الذى لا فائدة منه، وتعال كل الطعام، دائما تفعل هذا حتى تجرح قدمك، وتترك الناس يمرضونك».

عندما سمع الطفل ذلك، قال لأبيه « كل أنت، واترك طعامى، وسأبقى هنا أقطع هذه الخشبة، أريد أن أصلح هذا الفرع، لأصنع به مزوداً صغيراً، وأذهب به إلى المنزل وأحفظه حتى تشيخ فأضع لك الطعام فيه».

عندما سمع والد الطفل ذلك شعر بالندم، وتعجب « حقاً ما يقوله الناس ما تزرعه تحصده » .

ولم يتم هفرو عمله فى المزرعة، فقام وجمع متاعه، ودفعوا الطفل أمامهم وعادوا إلى المنزل، وعندما وصلوا المنزل أخذ هفرو يد ابنه، وذهب به إلى جده، وركع وقص على أبيه ما قاله الطفل فى المزرعة، وركع مرة أخرى وأخذ يسأل أباه المغفرة وهو يبكى ندماً على ما فعله، والطفل ينظر ولا يدرك ما يحدث أمامه، فقال الجد « كل ما حدث أنا السبب فيه، أذهب قد غفرت لك فى الدنيا والآخرة » .

قام هفرو مسروراً، ومنذ هذا اليوم لم يعد يحتقر أباه، حتى شاء الله أن يموت بين يديه وافترقا على الخير، وكان هفرو إذا رأى ابنه، وتذكر الكلام الذى قال، يتعجب ويقول : «أبناء هذا الزمان عقلهم أكبر من عمرهم»^(١).

٨- حكاية : أسوأ الأمور أن يغضب الابن والديه .

Hikaya : Mafi munin Abu shine da yasa yasa mahai fian shi suyi

fushi

فى أحد الأيام عقد لبعض التلاميذ اختبار، وكان من بينهم ابن إمام المدينة، وكان اسمه، إيلو، لا يهتم بعمله مطلقاً، وكان يلعب كلما شرح لهم المدرس الدرس،

(١) الحاج أبو بكر إمام: مرجع سابق، ص ٨٩، ٩٠.

لذلك عندما عقد لهم هذا الاختبار لم ينل درجة واحدة، مما أغضب معلميه فهو ابن أحد كبار المدينة، ومع ذلك فسد، لذلك ذهب المدرس وأخبر الإمام عن حال ابنه، حتى لا يؤاخذهم بعد ذلك .

عندما قال المعلم للأب غضب، ونادى ابنه وطلب منه أن يجتهد، ونهره وقال له : إن لم يجتهد ويتعلم القراءة والكتابة، لن ترجى فائدة منه وسيجعله يحمل اللحم المجفف على رأسه ويبيعه فى السوق .

قام الولد غاضباً من كلام الأب، كيف يقول له إنك إذا لم تجتهد سأرسلك إلى القصاب لتبيع اللحم الجاف فى السوق، وعاد إلى الممر الضيق فى المنزل وجلس غضبان . ولما جاء وقت الطعام جاء أخوه الأصغر إبراهيم يدعوه للطعام، فنظر إليه إيلو غاضباً وقال : " اذهب كل أنت، أما أنا فلن أكل " .

انفجر إبراهيم ضاحكاً وقال له : " هل تظن أن أحداً يهتم بأمرك، أكلت أم لم تأكل ؟ اذهب واسترح " وذهب وأخبر والديه .

قال الإمام : " غضبان لأنى نهرته ؟، وهو كذلك، اتركه، بجوعه، قالت الزوجة: " مثل البنت التى ترفض العريس الغنى " وتقول الأم هذا ومع ذلك كان قلبها مع إيلو، وغافلت الإمام وذهبت إلى الولد تستعطفه ولكنه رفض تناول الطعام، وحاولت كثيراً فنظر إليها وقال : « ما شأنك بى، إذا كنتم تقولون إنه لا فائدة منى، إلا أن أبيع اللحم ؟ ما ذنبى إذا كان المعلم لا يحببنى ولا يوجد فى الفصل عشرة أفضل منى » .

قالت الأم : « هيا أواجهك به » .

قال الولد : « لماذا تواجهونى به ؟ حتى لو واجهتمونى به لن أتناول الطعام، ماذا تفعلون مع بائع اللحم المجفف؟ » .

عندما نظر الإمام ولم يجد الزوجة، ظن أنها عند إيلو، لذلك نادى إيلو قائلاً : قم تعال كل، لا تكن غيباً .

قال إيلو : « انا لست غيبياً، انا أذاكر، وأنا بائع لحم، كيف ساكل معكم ؟ »

قال الإمام : « ولد فاسد، عنيد، لعن الله أولاد هذا الزمان » .

قال إيلو : « وصرت كذلك ولذا فاسداً، بعد أن كنت صبي قصاب » .

نظر إبراهيم إلى أبيه وقال : « لقد غضب، يا أبتى » .

سمع إيلو هذا الكلام فقال : « وأنت الآخر ما شأنك - فغضب إبراهيم، وقديماً قالوا : « الأرنب لا يغضب ممن سلخه ولكن ممن أمسكه، فقال : « من الذى طلب منه الكلام حتى يتكلم، وأنت تعرف أن إبراهيم يحتقرنى » . وقام ودخل حجرة نومه، فلما دخل وجد سراويل إبراهيم على سريره فألقاه خارج الحجرة قائلاً : « يكرهنى ويضع سراويله على سريري، لينتقل القمل إلى «، وصعد سريره ونام، وقد أخذ الجوع يشتد عليه .

وبينما هو راقد، يتهيأ للخروج إذ بابراهيم يأتى ويقول له : « جاءك ضيف » .

نهزه إيلو وقال : « اخرج واتركنى » .

ابتسم إبراهيم وقال : « صديقك جاء » .

قال إيلو : « قلت لك أخرج واتركنى بالتى هى أحسن » .

خرج إبراهيم يقول : « أعرف أن الجوع يثير غضبك، ولكن لا بأس » .

لقد كان إبراهيم صادقاً، قام إيلو وتحير من شدة الجوع، وفكر أن يعود ويطلب الطعام الذى قدم له، ولكنه خشى أن يسخروا منه، لذلك تحمل، وقرب العصر شعر أنه لا يمكن الصبر على الجوع، فأخذ سراويله، وتسلس ليذهب إلى السق فشعر بحركة والده فى الممر، فأدرك أنه إذا رآه سيضره، لذلك عاد ودخل من سور الحطب وخرج، وقصد السوق حيث بائعى الملابس المستعملة، فوجد خياطاً فقال له : « هل تشتري سراويل؟ » .

أخذ الخياط السراويل ونظر إليه وقال « خذ سراويلك، هذا ليس قماشاً، بل فضلات قماش، لا يبيعونه فى إنجلترا ولكن يرمونه، أو يعطونه صدقة، ولكن لا بأس بكم تبيعه ؟، لأضعه فى الجزء الخلفى لبردعة حمارى » .

قال إيلو : « كم ستدفع ؟ » .

قال الخياط : « أربعة قروش، هل اشتريته غاليا ؟ » .

قال إيلو : « قالوا لى لا تبعه بأقل من ثمانية قروش » .

فتح الخياط فمه كأنه سيتثأب، وأعطى إيلو السراويل وقال « إذا طفت به السوق لن تجد من يشتريه بشلن، أنظر إليه كيف هو جديد ؟ » .

لاحظ إيلو أنه يسخر منه، فسلمه السروال وقال « أربعة قروش » .

دفدفع له نقداً، فقبض الثمن ودخل السوق يشتري طعاماً وعندما اقترب المغرب وتفرق الجميع، ولم يتبق أحد فى السوق، قصد بائعى الكباب وجلس عندهم وطلب منهم بعض اللحم المدهن بأربعة قروش، وأخذ يأكل حتى شبع، وطلب ماء وشرب، وقصد المنزل وهو يقول : « طالما أنهم يلوموننى، فسأبيع ملابسى لأكل، ولن أكل طعامهم مرة أخرى إلا إذا جاءوا واسترضونى » .

ولما عاد إلى المنزل وجد أمه قد أرسلت إليه ثريداً بالعسل فى حجرته، ففتحه، ونظر فيه، واغترف قليلاً منه بالمغرفة وذاقه، فوجده حلو المذاق، قال : « ها أنا أحب هذا الثريد ولكن إذا شريته سيسخرون منى ومع ذلك فلاأشرب ثلاث ملاعق، فلن يشعر أحد بها، وجلس وشربها، وما كاد ينتهى حتى دخل أخوه الصغير فقال : « أين ذهبت، ها هى أمى طلبت أن أحضر لك الثريد ؟ »

قال إيلو : « ما شأنك بما ذهبت إليه ؟ وماذا أعطيت لى ؟ خذ الثريد لن أشرب شيئاً، أنا غبى، ولد فاسد، ما شأنكم بى، فلاذهب وأموت » .

ما كاد يخرج إبراهيم بالثريد حتى أخذ إيلو يتلوى من المغص الذى أصابه من اللحم المدهن، ويخرج ما فى بطنه ويتأوه على السرير .

عندما سمعت الأم نادى إبراهيم ليسرع ليعرف ما حدث، فوجده يتقيأ وقد غارت عيناه، فسألوه عما أكل فقال : « لحم » .

فى الحال طلب أبوه إحضار تمر هندى، فأسرعت الأم، بينما إيلو يصرخ ويتلوى، وعجز عن النوم أو القيام، وعندما أحضرت الأم التمر هندى نفعوه فى الماء وصبوه له فشرب وأخذ يفرغ ما فى جوفه، وقبل العشاء تم له الشفاء . وقبل الفجر شفى تماماً، فذهب إلى والديه، وطلب منهما المغفرة، فقال : « لن يعارضهما من اليوم » .

وسيؤدى واجب المدرسة، وسيسمعون خيرا إذا أجرى له الاختبار مرة أخرى، ومن هذا اليوم أصبح ولدًا طيبًا وليس له مثيل فى فصله»^(١).

٩- حكاية: كل من يحاول أن ينال أكثر مما كتبه الله له هلك.

Hikaya : duk wand yake kokarin samun abinda Allah bai Rubuta
. mashiba yahalaka

كان يعيش فى بلدة كتكو نجار، وله طفلة فى الخامسة عشرة من عمرها اسمها حليلة، وإذا كان المعروف أن الصبى يجب أن يسأل عن كل شىء يسمعه أو يراه، فإن حليلة تجاوزت هذا الأمر إلى حد بعيد .

ذات يوم كان أبوها جالسًا يصلح إحد الكراسى، فدخلت حليلة وقالت له : « بابا ماما رأت القطة فقالت لها هرة، هل هى لا تعرف اسمها أم تعرف ؟»

وقبل أن يشرح لها أن القطة هى الهرة، سألته مرة أخرى، وقالت : " بابا يقولون إنه يوجد فيل يتجول فى السماء، وهو الذى يتبول فى الخريف، فنقول إن السماء تمطر، هل هذه حقيقة ؟ » .

انفجر الأب فى الضحك، وهم أن يبين لها أن هذا ليس حقيقة، فقالت : « بابا هل ماما التى ولدتك ؟ » .

رأى الأب أنها ستمنعه من العمل بثرثرتها، فقال لها : « اخرجى، والعبي مع الأطفال وإذا انتهيت من عملى عودى » .

فقامت مسرعة وخرجت، فرأت الأطفال يتبعون قزمًا ويقولون : « أيها الطويل أيها الطويل » .

جذب الفضول انتباه حليلة، وعند رؤيته وقفت على مدخل الباب وقالت : أيها القزم تعال، بابا يناديك » .

(١) الحاج أبو بكر إمام : مرجع سابق ص ٨٩، ٩٠ .

عندما سمع القزم ذلك قصد باب المنزل، فجرت حليلة إلى أبيها، واحتضنته وهى تبكى، تظن أن السلة الصغيرة التى يعلقها القزم خلف ظهره ليس فيها إلا أطفال صغار مثلها، فلما وصل القزم وركع أمام النجار قال : « ها أنا، فتاتك الصغيرة قالت إنك تريدنى » .

أحضر النجار بعض الطعام وثمار الكولا والقروش وقدمها له صدقة، وقال : « طالما أن حليلة قد نادتك، فلا بد أن أعطيك شيئاً، فشكره القزم وفتح السلة وأخرج منها نوعاً من الكعك الذى يأخذه صدقة وقدمه إلى حليلة، ولكنها رفضت أخذه ؛ لأنها لأول مرة تراه » .

ومنذ ذلك اليوم كان إذا مر على هذا المكان يأتى إلى مدخل هذا المنزل فإذا رأى حليلة خارج المنزل قدم لها بعضاً مما يتصدق الناس به، فتجربى، ويوماً بعد يوم تعودت عليه وألفته وبدأت تقف وتأخذ ما يقدمه إليها .

وكان عندما يراها يجلس فتصعد على رجليه وتلعب معه، وإذا أخذت تسأل الأسئلة التى اعتاد أن يسألها الأطفال كان يجيب بما ينبغى أن يقال لمن فى عمرها فإذا سألته ماذا فى سلتك؟ يرد عليها قائلاً : « تريد ولجم وسكر » فإذا قالت أين أمك؟ « يشير إلى النسرة أو الحدأة ويقول « هاهى تطير » ثم يضحكان، وكانت هذه الطفلة إذا رأت نسراً أو حدأة تقول :

« ها أم القزم » وكانت تنظر إلى أمها وتقول : « أمى ألا تستطيعين الطيران مثل أم القزم ؟ فكانت الأم لا تعيرها اهتماماً إذا أخذت تسألها هذه الأسئلة .

وكان هذا القزم ساحراً ولكن لم يعرف هذا السر أحد، واستمر الحال على هذا الأمر، وذات يوم جاء إلى النجار وهو يحمل كل متاعه وقال : « لقد نويت أن أعود إلى بلدى اليوم، ولكن إذا سألتك حليلة عن مكانى فقل لها إننى عملت أجنحة وطرت كأمى حتى لا تبكى، وكل يوم أخبروها أننى سأعود غداً .

حزن النجار لأن ابنته فقدت رفيق لعبها، فدخل المنزل وأحضر بعض الثياب القديمة وأعطاهها لحليلة لتقدمها للقزم عند الباب، فأخذت الطفلة الملابس وجرت وقدمتها له، وهى منتشية من السرور .

نظر إليها القزم وعيناه تفيضان بالدمع للفراق، وأقام حتى المغرب، وبعد الصلاة تناول الطعام ونادى النجار وذهبا خارج المدينة، وسارا حوالى نصف ساعة فى الغابة، حتى وصلا إلى جبل، فنظر القزم إلى النجار وقال : « أنت تعرف أنهم يقولون المحبة توحد الدم، أليس كذلك ؟ » .

قال النجار : « هكذا » .

قال القزم : « منذ أن جئت هذه المدينة، لم أر أحداً أحببته مثل ابنتك، حليلة منذ كانت تخاف منى، حتى أصبحت لا تحب أن ترى أحداً سواى، أى شىء تأكله تحجز نصيبى، وأنت كذلك قدمت إلى ما استطعت من خير، لذلك سأجازيك وإذا كنت ترانى هكذا فقيراً فذلك لأختبر الناس لا تجد فى كل هذه المدينة من يكون على علاقة بالجن مثلى » وجلس وجمع بعض الأعشاب والأوراق من فوق الجبل وأحرقها كالبخور .

فغر النجار فاه عندما رأى العجب، فلما ارتفعت النار نظر القزم إلى الجبل وقال : « فيو افتح جبل المال » فانشق الجبل فى الحال، فأخذ مصباحاً صغيراً كان معلقاً فى الجبل وأشعله، فنظر النجار داخل كهف الجبل، فلم ير إلا النقود الحمراء داخل إحدى القدور، ففغر فاه متعجباً .

قال القزم : « سأعطيك كل ما فى هذا الجبل ولكن بشرط واحد، عندما تأتى لا تأخذ أكثر من جنيه واحد فى المرة الواحدة، أعرف أن جنيهاً واحداً يكفيك يوماً واحداً، من اليوم حتى تموت لن ينقص هذا المال، وإذا بلغت حليلة سن الزواج جهزها جيداً، هذه مساعدتى التى أقدمها لك » .

انحنى النجار شكراً له، ويسأله المغفرة إذا كان قد أساء إليه يوماً ما، وتبادلا المغفرة، قال القزم :، كل يوم تأتى وتأخذ ما تحتاج، ولا تخش من رؤية الناس لك. إذا جئت بالليل وخرجت أطلق بخور هذه الأوراق، تأكد أنه لم يخفك شىء، لقد رأيت ما فعلته عندما جئت ليس أمراً صعباً، فليس عليك إلا أن تأتى بهذه الأوراق من فوق الجبل وتطلق بخورها أسفل الجبل، وتقول « فيو افتح جبل المال » فإذا دخلت تشعل هذا المصباح، إذا جئت بالليل . وإذا جئت نهاراً فلا شأن لك بها .

وكن مطمئناً فأنت لا تسرق مال الجن وتخش شيئاً، إلا إذا أخذت أكثر من جنييه واحد .

نظر إلى النجار وقال : « أبداً من اليوم » انحنى النجار وأخذ يعد الجنييه، وخرجا، قال القزم « جرم، اغلق جبل المال » فانطلق الجبل .

نظر القزم إلى النجار وقال : « حسناً، يجب أن نودع بعضنا، سأمضى » وأستأذنا. ومضى القزم، وعاد النجار إلى منزله يتهلل فرحاً، وقص على زوجته كل القصة، إلا ما يقوله للجبل لينفتح ففرحوا كثيراً .

وطلع الفجر، ولما حان المغرب، ذهب وطلب جنيهاً، وأخذ يفعل ذلك كل يوم، وقبل مضى ثمانية أيام بنى سوراً لمنزله من الطين بدلاً من الحطب، وأقام اثني عشر ممرًا قبل دخول المنزل، وأدواراً عليها، وجمع كل أدوات التجارة وأحرقها .

وخلال أسبوع واحد تزوج ثلاث زوجات، وضمهم إلى زوجته فصرن أربعة، وصارت الحياة حلوة والنساء الجميلات يتحركن في البيت، ونسى الناس لقب الكرساتي، يلقبونه رب البيت، وإذا طلب شيئاً هب الجميع لقضاء مطلبه، وحيثما دخل تسمع الخدم يقولون له : « أحسن الله إلى رب البيت » .

ولم يمض عام إلا وكان في إصطبله اثنا عشر حصاناً لا تعمل شيئاً، إذا ركب أتبعه الخدم كالأمير، وتعجب الناس من مصدر هذا الرزق، فهو لا يبيع ولا يشتري، ومع ذلك ثراؤه يزداد يوماً بعد يوم، حتى أخذ حاكم المدينة وبعض الناس يحسدونه ويفتابونه، فلما رأوا أنهم كلما حسدوه زادت نعمته، أخذوا ينافقونه .

لم يتكبر بذلك من قبل، ولكن المداحين والطبالين ملاًوه غروراً، حتى أخذ يتعالى ويتفاخر، ولا سيما أنه رأى أن جبل المال لا ينتهى .

وذات يوم كان يجلس على الكرسي، فقال في نفسه : « لقد أضناني الذهب كل يوم إلى جبل المال، إنى أكبر من أن أذهب إلى الغابة كل يوم من أجل جنييه واحد، ولم يعد شيء أبغض إلى من الذهب، لذلك سأحاول أن أجمع ما أستطيع من مال، غداً سأخذ جنيهين وأنظر ماذا سيحدث، ربما القزم لا يتركني لارتاح، ولكن ما فائدة أن يقوم رجل مثلى ويدخل الغابة من أجل جنييه واحد ؟ » .

وعندما حان المغرب ذهب إلى جبل المال وأخذ جنيهين وخرج، وقال : « إنى أعرف أن هذا المال خصصه لى القزم، وطالما أنه ملكى ما الذى يجعله يقيدنى بجنيه واحد ؟

وظل حوالى شهرًا يأخذ كل يوم جنيهين وذات يوم قال : « ما الذى يجعلنى أتعب نفسى من أجل جنيهين فقط ؟ إننى لا أسرق، جسناً، ألا أحضره إلى المنزل ليرتاح الجميع وربما نفسى تهدأ ويزداد وزنى، من الذهب إلى الغابة ودخلها كل يوم كأننى أحد أفراد الشعب ؟ » .

وأحضر عدة أكياس ملح وجهزها وقال : « غداً أذهب بها وأملأها وأعود بها إلى المنزل حتى أجمع المال كله، وارتاح من البرد كل يوم » .

وطلع النهار وجاء المغرب، فجمع الأكياس وقصد الجبل وهو يخال كأنه ذكر البط، لأن العام والنصف الذى مضى زاد وزنه فيها حتى صار كالجوال من كثرة النعم فقد أخذ يصبغ شعره حتى تحول لونه الأبيض إلى الأسود وأخذ لون بشرته يلمع .

عندما وصل الجبل جلس ليستريح، وأخذ يفكر فى نفسه فيما سيفعل ليجمع المال كله ويحلم بتغيير مبنى البيت، وأن يطلق نساءه جميعهن، لأنهن مكثن أكثر من عام ونصف فى منزله .

وعندما انتهى من التفكير فيما سيفعله قام ودخل الكهف بأكياسه، ووضعها على جانب، وأخذ واحداً منها ليملأه بما يستطيع، ويحمله إلى المنزل ثم يعود، فما كاد ينحنى ويمد يده ليأخذ المال وقعت القدر على الأرض واختفت واختفى الجبل وجلس النجار يقلب كفيه ويندم حيث لا ينفع الندم، فأخذ أكياسه وعاد إلى المنزل حزيناً .

لم يكن فى حاجة لجمع المال، لم يمض ثلاثة أشهر حتى نفذ ما فى يده من مال، وباع خيوله، ولما رأى الخدم سوء حاله انفضوا من حوله، ولما نفذ ثمن الخيول التى باعها، باع بيته بثمن بخس واشترى الحبوب للطعام، وقبل مضى عام نفذت

هذه الحبوب فهجرته الزوجات الصغيرات، وتركته مع الزوجة العجوز، وصدق المثل القائل : «الحصان العجوز يبقى لصاحبه» .

لم يمض عامان حتى عاد النسر إلى شجرة التمر هندی أو كما يقولون : «رجعت ريمة لعادتها القديمة» هل سمعت ما يفعله الطمع، كل من يحاول أن ينال أكثر مما قسمه الله له لا بد أن يخسر^(١) .

١٠- حكاية : التعايش فى الدنيا مهارة.

. Hikaya : Zaman duniya Iyawa Ne

فى بلد ما وجد رجل غنى مع زوجته، وكل ما لهذا الغنى لافت للأنظار، حتى السرير الذى ينام عليه سرير كبير جداً، وله بطن كبير وكأنه يستهلك كل طعام البلد بمفرده، وفى سرير هذا الغنى وجد برغوث مختبئ فى أطراف بطانيته، ولأن هذا البرغوث ماهر جداً وجد مكاناً بعيداً بحيث لا يمد هذا الغنى يده إليه بسرعة حتى ولو أحس بالألم وظل يمتص دمه، وإن شبع يسرع بالدخول إلى مخبئه ولم يلاحظه هذا الغنى ظناً منه أنها شوكة صغيرة تزعجه .

وذات يوم خرج هذا البرغوث يتفسح فرأى قملة تمر فسألها عن وجهتها فقالت له : " هى جائعة جداً ولذلك خرجت طلباً للطعام وعندما لاحظت القملة ضخامة جسد البرغوث نتيجة للراحة سألته عن الطريقة التى تجد بها قوتها فأخبرها عن حاله مع الغنى، ودعاها إلى أن تشاركه فى طعامها لعلها ترتاح أيضاً، ولكن ما ظنك بمن لا يحسن التعايش فى الدنيا، ولما جاء الليل لم تستطع القملة أن تهدأ نفسها لأن هذا أول يوم لها فى هذا المرعى الدسم وقال لها البرغوث : انتظرى أشير إليك بما ينبغى أن تفعله، ولكنها لا تستطيع الانتظار، ووجدت مكاناً دسماً فى سرية الغنى ومدت فمها وقرصته وعندما أحس الغنى بذلك أمر زوجته أن تحضر المصباح وعندما أضاء المصباح وجد القملة فى سرتة - الغنى - تمتص دمه فقتلها .

(١) الحاج أبو بكر إمام: مرجع سابق. ص ٩٧ - ١٠٠ .

وفى الصباح أمر بإخراج كل ما فى الغرفة ونشره فى الشمس، وهناك مات
البرغوث أيضاً .

لعن الله القملة فقد أهلكت نفسها، وحرمت البرغوث من النعمة التى كان فيها،
وكل ذلك من أجل عدم المهارة فى التعايش فى الدنيا⁽¹⁾ .

١١- حكاية : البخل على الغير كالبخل على النفس .

. Hikaya : Hana Wani Hana Kai

كان هناك تاجر غنى جداً ومحفوظ بحيث إنه إذا باشر تجارة يظن أنه لا يوجد
أحد يتقنها مثله، إلا أن المشكلة التى يعانى منها هذا الغنى هى شدة البخل، بحيث
إذا وقع ذباب على طعامه يأخذه ويمتص ما عليه من طعام ثم يلقيه على الأرض،
وزيادة على ذلك عندما لاحظ أن الناس يحاولون الاستفادة منه هاجر إلى غابة
وبنى فيها بيتاً، بحيث لا يستطيع أحد أن يصل إليه وإن استعد للأكل التفت يميناً
وشمالاً حتى يطمئن أنه لا يوجد أى إنسان بجانبه وكل ذلك خوفاً من أن يشاركه
أحد فى طعامه .

وذات يوم وصل خبر هذا الغنى البخيل إلى زعيم الطماعين ووعد هذا الأخير
أن يتغذى من مائدة هذا البخيل رغم بخله، وخرج زعيم الطماعين وتوجه إلى غابة
قريبة واحتطب - أى جمع الحطب - ثم حملة على كتفه وتوجه إلى باب هذا الغنى
البخيل، وعندما وصل إلى باب البخيل ألقى الحطب من على كتفه وأحدث صوتاً
مزعجاً وخرج البخيل من بيته مسرعاً ورأى هذا الشخص واقفاً أمام بابيه، وسأله
عن سبب قدومه فى هذا الوقت، فأجابه رئيس الطماعين قائلاً : أنا تائه ولا أعرف
الطريق إلى المدينة، ومن هنا ساعده البخيل على حمل الحطب وسار أمامه حتى
وصلا إلى طريق المدينة ثم تركه ورجع، وما إن دخل البيت حتى سمع صوتاً مزعجاً
كالسابق وخرج سائلاً عما حدث، فقال له رئيس الطماعين : أن ما إن رجعت

(1) Muhammad Kabir Mahmud Galadanci : An Introduction to Hausa Grammar. op.cit, p.p. 44 : 45 .

قام بترجمة هذا النص للغة العربية الأستاذ / يهوذا سليمان إمام .

وتركنتى حتى انشق الطريق أمامى إلى نصفين ولا ادرى أيهما أسلك .

فقال البخيل فى غضب شديد : تعال أرشدك إلى الطريق، وقد أوشكت الشمس على الغروب ولذلك سلكا طريقاً قصيراً حتى وصلا مشارف المدينة وبدت لهما مبانى المدينة ثم ودعه البخيل ورجع .

. ولم يمض وقت قصير حتى سمع صوت رئيس الطماعين أيضاً، وخرج فى غضب شديد وهو يلفظ بالشتم وسأله ما الذى جاء بك هذه المرة ؟ وقبل أن يجيبه قال له : تعال أوصلك إلى المدينة، وسارا حتى وصلا إلى بيت رئيس الطماعين ثم ودعه ورجع، ولم ييأس رئيس الطماعين ورجع أيضاً، ولما سأله البخيل هذه المرة فقال إنه : عندما وصل لم يستطع أن يتعرف على باب بيته ولذلك رجع، فقال له البخيل يجب أن تنام هنا، وأشار إلى مكان، وفى الصباح أوصلك إلى بيتك .

ودخل البخيل البيت وقال لزوجته : إن له ضيفاً وطلب منها ألا تحضر له طعامه إلا بعد أن ينام الضيف، ولم يعرف أن الضيف قد سمع هذا الكلام، وبعد فترة ذهب النوم بهذا الغنى البخيل نتيجة تعب ألم به من محاولة توصيل رئيس الطماعين إلى المدينة، وعندما رأى ذلك رئيس الطماعين أقرب من زوجة الغنى وغير صوته وقال لها :هات الطعام فقد نام الضيف، وناولته زوجة الغنى الطعام وانحنت قليلاً احتراماً له، وخرج وأكل الطعام كله ثم توجه إلى بيته وقد نجح فيما وعد، وبعد فترة استيقظ البخيل وطلب من زوجته أن تعطيه طعامه ولكن كيف السبيل إلى ذلك وقد أكل رئيس الطماعين الطعام كله . وهكذا بات البخيل جائعاً وكل هذا من أجل ألا يأكل رئيس الطماعين طعامه .

١٢ - حكاية : إلا خمسة .

.Hikaya : Saura Biyar

كان فى سالف الزمان يوجد خمس فتيات صديقات، وكان يجمعهن هم واحد وهو عدم الزواج، فلم يتقدم لهن أى خطيب ولو مرة مما جعلهن يطلبن الحل لهذه المشكلة من العرافين، والحكماء، والسحرة دون جدوى، وأصبحن يستغرقن

فى التفكير عن الوسيلة التى يمكن أن يبلغن عن طريقها مرادهن، وأثناء ذلك بلغهن خبر وجود عالم كبير فى بلدة نائية تسمى "Rugu" فقررن الذهاب إليه وأعدت الفتيات الماء والزاد اللازم لسفرهن واستغرق السفر يومين، يواصلن السير حتى إذا أحسسن بالتعب واسترحن ثم يواصلن السير بعد ذلك، حتى وصلن إلى بلدة العالم ونزلن فى بيت امرأة عجوز، وبتن ليلتهن، وعندما طلع النهار سألتهن العجوز عن المكان الذى أتين منه، ولم حضرن إلى ذلك البلد، فأخبرنها، فقالت : إنه يوجد حقاً عالم كبير فى غرب المدينة وشاع بين الناس أنه من أولياء الله الصالحين، ويأتى الطلاب إليه من كل مكان، ليتعلموا منه العلم ويستظلوا بشجرة كبيرة فى داره فطلبن من العجوز أن توصلهن إلى مكانه، ووافقته وجلسن جميعاً يتناولون الطعام فلما فرغن، أمرتهم العجوز بارتداء غطاء الرأس وذهبن إلى منزل العالم، ولما وصلن إليه قالت العجوز : اجلسن فى ذلك الكوخ فهو يقابل فيه الضيوف وسوف انصرف وأعود إلى المنزل وسأنتظر حتى تأتيني، ودخلت الفتيات الكوخ وجلسن ينتظرن العالم، ورحب بهن العالم، وسألهن عن سبب مجيئهن إليه، فأنحت الكبرى وقالت : جئنا للفتوى، فنحن قد وصلنا إلى سن كبيرة ولم نتزوج بعد، ولم يتقدم لنا ولا خطيب واحد، وقد تحيرنا وبذلنا مجهوداً كبيراً فى البحث عن شىء يساعدنا فى الحصول على أزواج لنا ولكن بغير جدوى وقالت : أخرى، وأنا عندما يئست من الزواج قدمت نفسى هبة لمن يقبل الزواج بى فما قبل أحد، ولم أوفق فى الزواج كذلك، وسكت العالم ونظر فى السماء، وطلب منهن أن تقول كل واحدة منهن حقيقتها وعادتها الدائمة وعندما تقول كل واحدة منهن ذلك سوف يحدد لهن طريقة العلاج ويقدم المساعدة .

ثم قال : أريد أن أعرف عادة كل واحدة منكن فقالت إحداهن: إن من عادتها الشجار، وأن أحداً لا يتفوق عليها فيه، وقالت الأخرى : إن من عادتها الكذب، لدرجة أن الناس أسموها ملكة الكذب، وأردفت الثالثة، وأخبرت العالم أن عادتها عدم النظافة فى نفسها أو بيتها فالحشرات تملأ رأسها وبيتها، وقالت الرابعة : إن أشهر عادة فيها هى السرقة، بينما قالت الخامسة والأخيرة : إن عادتها النميمية والغيبة، فانزعج العالم منها أكثر من الأخريات، وأمرها أن تذهب إلى غرفة أخرى

حتى يأتى إليها، ثم جاء للعالم أربعة رجال واستأذنوا العالم فى الدخول، فأذن لهم وأجلسهم وجعل الفتيات تختار كل منهن واحداً منهم يكون زوجها لها، على أن يشرح هو لكل واحدة منهن من يناسبها، وكان الرجال منهم الأعمى، والأخرس، والأبكم، والثرى ثراءً فاحشاً، ونادى الفتاة التى تتصف بعدم النظافة فأجابته فعقد عليها للأعمى، ودعا ملكة الكذب فعقد عليها للأخرس، وعقد على الثالثة ملكة السرقة إلى الثرى، وأما ملكة المشاجرة فعقد عليها للأبكم، وقال لهم جميعاً : حافظوا على ما وهبكم الله، وشكروا العالم وانصرفوا، كل رجل مع زوجته، وأما التى تسعى بالنميمة فقد أرسل إليها العالم تلميذه يبلغها أن ترجع إلى بيتها، وتعود إليه فى الغد، فرجعت، ثم ذهبت إلى العالم الصالح فى اليوم التالى فعندما رآها قام من جلسته وتركها ثم فعل كما فعل بالأمس، وكررت ذلك لمدة أربعين يوماً، تأتى ولا يقابلها، وفى اليوم الأربعين قابلها، وأمرها بالصبر لأن الناس جميعاً يستعيذون بالله منها ولا يدرى ماذا يكون أمرها فى الآخرة ؟، فحزنت وندمت على ما فعلت.

وأما الفتاة التى تهوى الشجار فكانت تقتعل المشاجرة وتصرخ بينما زوجها لا يدرى بشىء، مما تقوله فيظل صامتاً، ثم يذهب فيحضر لها احتياجاتها حتى خجلت من نفسها، وحاولت أن تكف عن ذلك الخلق، لأنها لا يمكن أن تتشاجر مع نفسها، فعاشت سعيدة مع زوجها وأطفالها .

أما القذرة فعاشت مع زوجها الأعمى كما هى إلى أن كرهت ذلك الوضع خاصة أن زوجها لو كان مبصراً، ما صبر عليها، وقررت أن تصبح نظيفة وعاشت بعد ذلك حياة صحية مع زوجها .

وأما ملكة الكذب فظلت تسرد على الأصم الأخرس أكاذيب كثيرة ولم تلاحظ عليه أى انتباه لها ولا حتى مجرد الرد عليها فستمت وظنت أنه يعتبرها مجنوننة فعزمت على ترك الكلام كما يفعل هو فعاشا سعيدين .

وأما ملكة السرقة فقد أعطاهما زوجها مفاتيح خزانته . فجعلت تسرق من نقوده وتذهب بها إلى غرفتها وتخفيها ورأت أن زوجها يظل صامتاً لا يحاول أن يتكلم معها فى ذلك بل سرقت أيضاً معظم ممتلكاته من الديباج واللؤلؤ والمرجان

وغيرها من الأشياء الثمينة إلى أن قالت لنفسها : ماذا أفعل بكل ذلك ؟ كما أن ثروته لا ينقص منها كثير كما أن الرجل يكرمنى ويعطينى ما أريد، يجب أن أمتنع عن ظلمه وردت جميع ما سرقته منه، وطلبت منه أن يسامحها، فسامحها، وعاش معها حياة هائلة حتى مات، وأما النمامة فعندما رجعت إلى بلدتها ظلت تستغفر ربها حتى ماتت⁽¹⁾.

١٣- حكاية : كيف قتل أوتا دودو ؟

Hikaya : Ya ota Yakashe dodo ?

« دودو Dodo هو غول أسطوري عملاق، يستطيع أن يزدرد أى عدد من الناس أو من الحيوانات . وقد يصور على هيئة تمساح أو ثعبان ماء، وله القدرة على التشكل فى صورة إنسان أو حيوان أو غير ذلك، كما أن وصف حاسة شمه بالقوة يشير إلى صفته الحيوانية » .

أقبل دودو إلى المدينة يتحدى أن ينازله أحد من أهلها، لكنهم خافوا جميعاً، وحين أقبل الليل اختبأوا فى أجران حبوبهم جبنًا وفزعًا . لكن شابًا معينا اسمه أوتا (أوتا معناه شخص شديد الضالة) قبل التحدى، وكمن له فى مدخل بيت امرأة عجوز، وتهيأ لذلك بالتقاط سبع قطع من حجارة وضعها فى نار أشعلها لذلك، وحين جاء دودو إلى بيت العجوز وانحنى ليدخل، ألقم أوتا فمه .. حجرًا، فأبتلعه، ثم ارتد واقفًا، وأخذ يتحدى ثانية قائلاً : « من ند لى فى هذه المدينة ؟ » ويعلن أوتا أنه ذلك الند، ويحاول دودو ولوج مدخل دار العجوز ليبتلهم أوتا، لكن أوتا يلقم فمه حجرًا آخر، فلما ابتلعه ارتد وانتصب واقفًا يردد التحدى .. وتتكرر العملية، حتى أفرغ أوتا حجارتها السبعة فى جوف دودو، ويتوقف دودو بباب العجوز ويظل واقفًا طوال الليل . وعند الفجر يخترق قتيلاً، ويخرج أوتا ليقطع ذيله ويحتفظ به .

(1) Hassana Umaru : Op.Cit, P.P 35: 40.

قام بترجمة هذا النص للغة العربية الدكتور / إبراهيم بللو .

وفى الصباح، وعندما خرجت النسوة من دورهن متجهات إلى الغدير، وشاهدن دودو قتيلا، وضعن أيديهن على أفواههن وأطلقن صيحات إنذار (يو - يو - يو).
وحين تنهى الخبر إلى مسامع الملك، أمر ضاربي الطبول بقرع طبولهن لتجميع الناس، كما أمر جنده بالذهاب إلى حيث يوجد دودو للتأكد من أنه قتل، والبحث عن قاتله ليمنحه مكافأة على شجاعته . وأخيراً يتم العثور على أوتا، ويساق إلى الملك ومعه ذيل دودو بوصفه دليلاً على قتله إياه . فيمنحه الملك عشرة من عبيده، ويزوجه ابنته ويقيم له داراً يتزوج فيها، ويعيش مع امرأته^(١).

١٤- حكاية : الولد البطل والأرواح.

. Hikaya : gwar zon yaro da dodanni

ذات مرة فى زمن غير بعيد كان هناك ولد صغير من نيجيريا دائماً ما كان أصدقائه ينادونه بالولد البطل، وكان هو الابن الوحيد لرجل ثرى ذى ثروة عظيمة كان الأب الثرى يعطى ابنه كل ما يطلبه كما طلب من ابنه ألا يقوم بأى عمل، فكان الولد البطل يقضى كل أيامه جالساً على قارعة الطريق المار بالقرية؛ حيث كانت الحافلات وسيارات النقل المتجهة للمدينة تمر فى هذه المنطقة .

وكان الولد يجلس ويحكى الحكايات للمارة أو فى أوقات أخرى يتسكع بين الأدغال يروى النكات عن اصدقائه الكادحين .

وكانت القرية التى يعيش فيها هذا الولد البطل ذات أكواخ تظللها الأشجار وكانت طرقاتها ضيقة وتمتد عبر أدغال استوائية كثيفة ومظلمة . وكانت جداول المياه الرقراقاة تتساب خلالها فى عذوبة .

وأيضاً كانت هناك العديد من الأرواح تسكن هذه الأدغال بعضهم يساعد الناس والبعض الآخر يؤذيهم .

(١) محمد عبد الواحد محمد : خرافات الهوسا وعاداتهم . مجلة الفنون الشعبية . عدد (٥٢) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٩٦ . ص ١٠٦ .

وفى الوقت الذى كان يجلس فيه هذا الولد البطل الذى لا عمل له كان أقرانه من الأطفال الصغار مشغولين بأعمالهم كآبائهم، ففى الأوقات التى لا دراسة فيها كان الأطفال يجمعون بعض ثمار الكولا ويقشرونها لآبائهم ليذهبوا بها إلى السوق ويبيعونها والبعض الآخر كانوا يساعدون آباءهم فى تقطيع جريد النخل ويصنعون منه سلالات تباع فى الأسواق، وكانوا يضعون البلح وكذلك الموز والفاكهة الأخرى التى تنتجها أسواق القرية فى سلالات عديدة تحمل إلى الأسواق ليبيعونها، كما كان البعض الآخر من الأطفال يذهبون مع آبائهم ليساعدوهم فى أعمال الأرض .

أما الفتيات فى هذه القرية فكن يحملن الملابس ويقمن بغسلها فى الجداول والعيون وينشرونها على الأشجار حتى تجف فى الهواء الطلق .

يقول الراوى فى الوقت الذى أحكى لكم فيه هذه الحكاية فقد كانت كل القرية مشغولة فى عملها فيما عدا شخص واحد هو الولد البطل فهو فخور جداً بنفسه وبثروته وبحياته السهلة، وفى يوم من الأيام جاء والده المنزل قادماً من المدينة حاملاً معه الهدايا منها رداء أزرق جديداً ذا اكمام طويلة وقميص بنفسجى اللون وسراويل، كما أعطته والدته طاقيّة ذات ألوان جميلة يغطى بها رأسه الأحمق مما جعله أكثر فخراً بنفسه .

ارتدى الولد البطل تلك الملابس الجميلة وخرج إلى أطفال القرية مع البنين والبنات الذين يكدون فى أعمالهم الصعبة ويرتدون الملابس البالية حتى يريهم ملابسه الرائعة فلما رآه الأطفال جروا واختبئوا، وعندما لم يجدهم هذا الولد استمر فى مشيه بين الأدغال وبينما هو سائر فى طريقه مر تحت شجرة (Ukpaka) الظليلة فسمع صوتاً غريباً ينادى عليه ويقول : أنا روح الطائر العظيم أيها الولد البطل إننى سوف أكلك وعندما سمع الولد هذه الكلمات ارتعدت فرائسه كالأشجار التى تتمايل مع الهواء ثم قال الولد البطل : من فضلك لا تأكلينى أيتها الروح وإذا لم تأكلينى سوف اعطيك طاقيتى الجميلة المذهبة فردت الروح : حسناً أترك طاقيتك تحت شجرة Ukpaka ثم اخرج من هذه الغابة بأقصى سرعة ممكنة فوضع الولد طاقيته ثم انطلق بسرعة، حين إذا ظهر الطائر واتجه إلى الطاقيّة وخطفها واختفى .

وعندما عاد الولد إلى القرية ثم انطلق بسرعة، حين إذا ظهر الطائر واتجه إلى الطاقية وخطفها واختفى .

وعندما عاد الولد إلى القرية حكى لأصدقائه ما جرى وقال لهم لقد حاولت أن انتزع ريشة من جناح هذا الطائر ولكنه كان سريعاً جداً وفى اليوم التالى أراد هذا الولد البطل أن يرى ملابسه الجميلة للناس الموجودين فى السوق فارتدى ملابسه بدون طاقية فوق رأسه وعندما رآه الأولاد فعلوا ما فعلوه فى المرة السابقة وجروا واختبئوا منه مرة أخرى، وعندما لم يجدهم الولد البطل أخذ يمشى اتجاه الأدغال، وعندما كان يمر فى ظل الأشجار سمع صوتاً يقول له : أنا روح الثور الهائل وسوف آكلك وعندما سمع الولد البطل هذه الكلمات ارتعدت فرائضه ثم قال للروح من فضلك لا تأكلينى أيتها الروح، وإذا لم تأكلينى سوف أعطيك ردائى الأزرق الجميل فردت الروح قائلة : حسناً أترك ردائك تحت شجرة (Mimasa)، ثم ابتعد عن هذا المكان وأخرج من هذه الغابة بأسرع ما يكون فخلع الولد رداءه وتركه بجوار الشجرة وجرى خارج الغابة بأقصى سرعة ممكنة، وعندما عاد الولد البطل إلى القرية سأله أهل القرية : أين رداؤك الأزرق فأجابهم الولد قائلاً لقد خرج لى ثور ضخم وأخذت أصارعه لكنه كان أقوى منى فمزق الرداء عن جسدى، هنا رد عليه أهل القرية هذا رائع وصافحوه وهم يهنتونه على شجاعته .

وفى اليوم التالى قرر الولد البطل أن يطلع للفتيات اللاتى يغسلن الملابس عند النهر ليريهن قميصه الوردى وسراويله البنفسجى وخرج فى طريقه إلى مكان الغسيل فرأته البنات قادماً فجروا واختبأوا، وعندما لم يجد الولد البطل أى أحد عند مكان الغسيل رجع عائداً من طريق الغابة حتى وصل إلى بقعة تميل فيها أشجار النخيل على الماء، وبعد ذلك حدث "Plop" - صوت الماء - شىء ما وقع مخترقاً سكون السطح الهادئ لمياه البركة مكونة أمواجاً ظلت تتهادى حتى وصلت إلى قدمى الولد البطل وسمع صوتاً حزيناً يقول : « أنا روح التمساح» فرد الولد البطل : أرجوك لا تأكلينى أيتها الروح قالها وصوته يرتعد مثل ركبتيه، «لو أنك لم تفعلى لأعطيتك قميصى الوردى الجميل» فقالت له الروح حسناً: «اترك قميصك

الوردى الجميل وسراويلك البنفسجى تحت النخلة عند حافة الجدول، ثم أخرج من غابتي بأسرع ما تمكنتك منه قدماك الحمقاوتين»، فخلع الولد البطل قميصه الوردى وسراويله البنفسجى وتركهم عند النخلة وهو يتشهد من الحسرة، ثم جرى عائداً عبر الغابة عارياً من ملابسه ما عدا سراويله الداخلى، وعندما مر بجوار الجدول حيث كانت الفتيات قد عدن مرة أخرى للعمل وغسيل ملابسهن .

فسألته : «أين قميصك الوردى سراويلك البنفسجى أيها الولد البطل ؟ ولماذا تجرى عبر الدغل بسراويلك الداخلى مثل أى ولد من عامة العمال ؟» فأجاب الولد البطل : «أن تمسأحاً مرعباً فى حجم هذه البركة خرج من الجدول فعض على سراويلى البنفسجى، وحاول أن يجذبنى إلى الماء ثم عض على قميصى الوردى وكان على أن أصارعه بشجاعة وكما تعلمن إنى فعلت ذلك حتى أنجو بحياتى فعقبت الفتيات «حقاً : أنت بالفعل محارب عظيم أيها الولد البطل، لا يوجد كثيرون يمكنهم الفرار من تمساح عملاق»، وبعد ذلك بفترة قصيرة، أقيم احتفال فى القبيلة، وكان يعتقد أنه فى هذا الحفل تحضر كل أرواح الأدغال وكل أرواح الماء للرقص مع الرجال، وكانت تقدم الديوك والماعز لهذه الأرواح كقرابين، وكانت تقام صلوات وطقوس العبادة وكان هناك احتفال فى كل بيت، ثم يأتى أفضل ما فى ذلك وهو الرقص . ويجتمع كل أفراد القبيلة للرقص، وكانت الموسيقى تعزف بالطبول والمزامير وآلات الإيقاع والنقر المختلفة، ثم دوت الطبول بصوت خفيض مثل صوت الثور الهائج، وعزفت المزامير بصوت مرتفع كصوت أجمل الطيور فى الغابة مثل العصفير، وأحضر القرويين البطاطا المحمرة، وعصير البلح الطازج ليشربوه، واحضروا بعض الكراسى الخشبية المزخرفة، أو الحصر المصنوعة من سعف النخيل، وبعض أوراق شجر الموز ليجلسوا عليها، وبعضهم جلس على قطعة من الشجر أو كراسى مصنوعة من الطين نظمت جميعها فى ساحة القرية، بدأ بعض القرويين الرقص على أنغام المزامير والطبول خلف أحد الراقصين الذى كان يرتدى قناعاً يرمز لأحد الأرواح وكل راقص من راقصى الأرواح كان يرتدى إزاراً، وكان قناعه الخشبي المزخرف ينظر بكل فخر واعتزاز نحو السماء.

وجلس الولد البطل بين الرجال يصفق بيديه على ركبتيه متماشياً مع إيقاع الطبول ولم ير الفتیان الآخرين وهم يتسللون مبتعدین، وفجأة اهتزت الأرض بصوت طبله جديدة وارتعدت أوراق الشجر على نغمة مزمار جديد وعلى طول الطريق القادم من الغابة ظهر موكب جديد من الراقصین، فظهر أولاً راقص يرتدى قناعاً لطائر «العقاب» يتراقص ويتمايل فى طريق القرية وعلى رأسه الخشبى كانت قبعة الولد البطل الذهبية اللون، ثم جاء راقص آخر مرتدياً قناع ثور هائج وبهز رأسه ويتمايل كالثور الهائج متفاخرًا بقرنيه، وبدلاً من إزاره الخشبى كان يرتدى رداء الولد البطل الأزرق الجميل، ثم جاء راقص مرتدياً قناع تمساح ضخمة مكشراً عن فكین كبيرین مفتوحین على آخرهما وبدلاً من الإزار كان يرتدى قميص الولد البطل الوردى وسراويله البنفسجى وعندما بدءوا يرقصون فى ساحة القرية أغرق كل القرویین فى الضحك فقد سمعوا بمعارك الولد البطل العظيمة مع العقاب والثور الهائج الضخم والتمساح الكبير، وأخذت ضحكاتهم تدوى أعلى فأعلى، تعالت ضحكاتهم وغطت على صوت المزامير وهنا أدرك الولد البطل الخدعة التى نسجت عليه فامتلاً قلبه بالغضب وتناول عصا أراد أن يضرب بها الراقصین لكن والده أمسك بذراعه وصاح فيه قائلاً «: يمكنك فقط أن تفوز بأن تضحك أعلى منهم جميعاً». الآن بدء الولد يدرك أن الإنسان عندما يضحك ساخرًا من نفسه فهو أمر صعب وشعور مرير، فحاول الولد البطل أن يضحك لكنه لم يستطع لأن الغضب الذى كان يملأ قلبه جمده ضحكاته وأخذت عيناه يزرقان الدمع، فحاول مرة أخرى فخرجت الضحكة بصوت ضعيف وغريب فأذت حلقه ولكنها كانت ضحكه، ثم جاءت الضحكة الأخرى أسهل .

وسريعاً انضم الولد البطل فى نهاية الأمر إلى طابور الراقصین فى الساحة، وظلت الطبول تقرع والمزامير تدوى وأخذ كل فرد يرقص حتى آخر كوب من عصير البيلج وكانت ضحكته هى آخر ما اختتم به اليوم⁽¹⁾.

(1) Watson , Jane Werner: "Nigeria . Republic Ofa hundred Kings" , Frederick Muller , London- GB, 1970, P.P.63: 73.

ثانياً - الوظيفة القرابية للحكايات الشعبية

إن حكاية : (إن المعروف لا يضيع) تشير إلى أن السحر له مكانة بارزة فى قضايا الحب والزواج وجميع مناحى الحياة الاجتماعية عند النساء وبعض الرجال. فقد تستجد المرأة بأحد العرافين، وتطلب منه أن يعطيها شيئاً تستطيع من خلاله أن تسيطر به على زوجها، بحيث لا يستطيع أن يرفض لها طلباً . واستجاب لها العراف وطلب منها إحضار لبن بقرة وحشية كبداية إلى حل مشكلتها وذهبت المرأة بالطعام للبقرة عدة أيام، وقامت بكل المحاولات حتى استطاعت ترويض البقرة الوحشية، وتم حدوث ألفة بين المرأة والبقرة الوحشية مما أدى إلى حصول المرأة على اللبن المطلوب .

وتؤكد الحكاية على أن الاحترام والإحسان والعشرة الطيبة من أهم أسباب حصول المرأة على ما تريده من الرجل والعكس صحيح، وهذه الصفات التى عبر بها راوى تلك الحكاية الشعبية الطريفة، هى التى تدفع الشاب إلى أن يختار الزوجة الصالحة .

وتؤكد الحكاية على أن الحياة الزوجية يجب أن يلقن مفهومها للأبناء منذ الصغر ؛ لأنها حياة تقوم على الأمن والاطمئنان والاستقرار، وأن تكون هدفها المودة والرحمة، وليس السيطرة والإجبار على فعل الأشياء .

وتشير الحكاية إلى أهمية الدور الذى يقوم به العراف فى المجتمعات التقليدية - التى تؤمن به ويكل ما يقوم بعمله - فهو بمثابة حافظ للأسرار التى تتعلق بعالم ما وراء الطبيعة، وهو المرشد والمستشار الأمين لمجتمعه فى كل شئون الحياة .

تشير حكاية : (اذهب يا بطن إلى حيث عرفت) إلى بعض العادات الدينية والاجتماعية وظاهرة تعدد الزوجات ووجود الأسرة الممتدة التى ينتج عنها التزايد السكانى السريع .

وتشير الحكاية إلى معاملة الزوجات بعضهن لبعض وتبين نظرة الزوجات التى تتجب للزوجة التى لا تتجب، وتبين الحكاية أيضاً موقف الزوج بالنسبة للزوجة

التي لا تتجيب، وكيف كان يتعامل معها معاملة حسنة ؟ وكيف كان يستشيرها في كل أمور البيت ؟ لأنها زوجة صالحة مطيعة راضية بما قسمه الله لها، تعطف على الصغير والكبير وتحسن للجميع حتى الحيوانات .

وتؤكد هذه الحكاية الشعبية على القيمة الاجتماعية والاقتصادية للتجارة والمكانة الاجتماعية للمشتغلين بالنشاط التجاري الذي تهتم به قبيلة الهوسا وتقدسه .

وتشير الحكاية إلى وجود تبادل تجارى بين القبائل، فكان التاجر يذهب ببعض السلع ويعد بيعها وعند عودته يأتي من البلد التي كان فيها بسلع أخرى ويحضر الهدايا أيضا لأفراد أسرته .

وفى الحكاية دعوة لجميع أفراد قبيلة الهوسا إلى ضرورة الإحسان إلى الحيوانات ومعاملتهم بشفقة ورحمة وخاصة المألوفة منها ؛ حيث إنها لا تملك قدرة الإفصاح عن نفسها وعما بداخلها غير أنها تشعر بمن يعطف عليها، وتؤكد الحكاية على أن الله دائماً يكافئ الصابرين لذلك فقد رزق الزوجة الكبرى بالولد الذي كانت تتمناه .

إن حكاية: (عود واحد لا يكنس) تشتمل على كثير من الأحداث اليومية للناس، لذلك فإنها شديدة الارتباط بتكوين الناس الفكرى والسلوكى، وكذلك بأحداث حياتهم اليومية وأفراد قبيلة الهوسا تعيش على أرضها فى أمن وسلام فهى قبيلة تميل إلى الهدوء والسكينة .

وتعدد الزوجات أمر طبيعى عند مجتمع الهوسا الإسلامى وتشير الحكاية إلى وجود الزوجات فى منزل واحد مع الأبناء والأحفاد وزوجاتهم وهذا يرمز إلى قمة الترابط الأسرى والتعايش السلمى الاجتماعى لدى قبيلة الهوسا فهم يجمعهم منزل واحد لا فرق بينهم، فالجميع متعاونون .

وتبين الحكاية أهمية الإنجاب بالنسبة لهذا المجتمع القبلى الزراعى الذى يعتمد فى أنشطة حياته الاقتصادية على الأيدي العاملة .

وتشير الحكاية إلى بعض الأنشطة الاقتصادية التى تعتمد عليها قبيلة الهوسا، فمنها الصيد والصناعة والتجارة بنوعها الداخلية والخارجية، وعمل الخبز

والزراعة التي تعتبر النشاط الاقتصادي الأول لقبيلة الهوسا، وتؤكد الحكاية على أهمية ملكية الأرض وملكية العقار . وتشير الحكاية إلى حسن استضافة الضيوف وإكرامهم وضرورة رد الجميل بالإحسان وليس بالإساءة .

هذه الحكاية الشعبية تؤكد على العلاقة الحميمة بين أفراد مجتمع الهوسا، وفي مستوى هذه العلاقة التماسك الاجتماعي المتين الذي يربط بين أفراد الأسرة الواحدة ببعض . ويرتبط أفراد الأسرة بعضهم ببعض حتى ينتج من هذا كله مجتمع متماسك ملتحم من الداخل. وتؤكد هذه الحكاية على قيمة الاتحاد بالنسبة لأفراد الأسرة والمجتمع لأن فرد وحده لا يستطيع أن يفعل شيئاً وأن الاتحاد يقوى العلاقات، ولا يستطيع أحد أن يفرق بين المتحدين طالما أنهم مؤمنون بقيمة اتحادهم وبأن تماسكهم سوف يجعلهم يصلون إلى ما يتمنون . وهذه الحكاية تبين أيضاً موقف الجماعة التي تحرص على التميز على جماعة أخرى ومن المعروف أن قبيلة الهوسا تحصل على مكانة كبيرة بين القبائل الأخرى في نيجيريا .

تعد حكاية (الزرع الذي يحبه الله سوف ينبت ولو بدون ماء) مشابهة بشكل كبير لحكاية سندريلا الشهيرة، وتقدم هذه الحكاية نموذجاً آخر من المقابلة بين الخير والشر ولحسن حظ الفتاة تال كل ما تستحقه ؛ لأنها صبرت على كل ما حدث لها من مصاعب بسبب زوجة أبيها الظالمة، التي كابت تدلل أختها وتركها بدون أي رعاية أو اهتمام أو طعام، وفي المقابل كان جزاء زوجة الأب من نفس جنس عملها، فكما أرادت أن تقتل ابنة زوجها، أذاقها الله من نفس الكأس وقتلت ابنتها دون قصد منها بدلا من ابنه زوجها .

وتؤكد الحكاية على أن علاقة الدم بين الأخت وأختها كانت قوية جداً وهذا واضح من أنها كانت تأكل مع أختها دون علم أمها، وهذه العلاقة حرصاً من الأختين على ألا تفرق بينهما زوجة الأب إذا علمت بهذه العلاقة فإن الأشقاء حريصون على بعضهم بعضاً بالغيرة ولا يشذ عن هذا إلا نضر قليل لظروف معينة .

وتشير الحكاية إلى قيمة الصبر في حياة هذا المجتمع القبلي فالإنسان العاقل بالنسبة لمجتمعه هو الإنسان الصابر على مشقات الحياة، ونأخذ من تلك الحكاية

مفهوماً إسلامياً وهو أن الصبر والاعتزاز بالنفس والقناعة والبساطة يؤدي إلى الفوز بكل الخيرات التي يريدها الله للإنسان . وتؤكد الحكاية على ضرورة حسن معاملة الأيتام وتشير أيضاً إلى ضرورة وجود الترابط الأسرى بين أفراد الأسرة كلها .

وإن حكاية : (ماء الشفاء) تصور لنا حقيقة تحدث في كل المجتمعات الإفريقية وهي الغيرة بين النساء وخاصة إن كن ضرائر فقد تصل الغيرة عند بعض النساء إلى درجة أقوى من روابط الإخوة أحياناً .

ومسألة تعدد الزوجات أمر طبيعي في مجتمع الهوسا الإسلامي، وتشير هذه الحكاية إلى وجود امرأتين لزوج واحد لكل منهما ابنة على شاكلتها فهناك زوجة متكبرة وصاحبة الأمر والنهي وابنتها مثلها في كل الطباع، أما الزوجة الأخرى فهي سيدة مغلوب على أمرها وتقوم بكل الأعمال المنزلية دون شكوى لزوجها وكانت ابنتها جميلة هادئة يحبها الجميع، وهذا كان سبباً في غيرة الزوجة وحقدتها ؛ لأن ابنتها لم يكن لديها من الجمال وحب الناس ما للفتاة الأخرى . فدبرت مكيدة لكي تتخلص منها لكن كل ما دبرته هذه السيدة للفتاة انعكس على ابنتها هي . ولا ننسى أن ابنة بورا قد ظلمت عندما اتهمتها زوجة أبيها ظلماً وزوراً بأنها قد تبولت على الإهاب مع أن ابنتها هي التي قد تبولت وبورا بريئة من كل هذا ففعلت معها ما فعلت زوراً وبهتاناً .

إن العائلات الممتدة في المجتمعات الإفريقية عامة والهوساوية خاصة أكثر فاعلية من العائلات الصغيرة في غرس معايير حب العائلة والمساواة والعدل بين أفراد العائلة، وفي هذه الحكاية دعوة للعائلات كي تسود بينهم القيم التي تنشأ عليها العائلة نشأة حسنة وهي الاحترام والرحمة والمساواة بين الإخوة والتضامن الأسرى والتعاون وعدم الغيرة والحقد والتكبر على الغير، فإن مجموعة هذه القيم هي التي تيسر المناخ الأسرى الملائم للقيام بعملية التنشئة الاجتماعية وهي التي يهدف المجتمع على تأكيدها في تربية النشء كما أشارت الحكاية إلى مصير وعاقبة أصحاب الغيرة والحسد والتكبر .

تعد حكاية : (أربع بنات عجيبات) إحدى الحكايات الخرافية وهي تدور حول أربع بنات لكل واحدة منهن مهارة تمتاز بها وقد وعدت كل واحدة منهن بأنه باستطاعتها فعل هذه المهارة، وقد أنجزت كل واحدة مهارتها، لكن الغيرة بين النساء قد تكون أقوى في بعض الحالات من روابط الإخوة فكيد النساء وحقدهن على بعضهن جعل الضرة تقوم بإبعاد التوأمين عن والديهما لكي تفوز هي بالملك دون الأخرى .

وقد اتضح من الحكاية : أن الله - سبحانه وتعالى - دائماً يعيد الحق لأصحابه مهما طال الزمان، فمع أن الدين الإسلامي وتعاليمه يدعو لثقافة سمحة وروح طيبة والمعاملة الحسنة بين الضرائر، وبين أفراد الأسرة أيضاً، إلا أن الحقد والحسد دائماً في النفس البشرية التي دائماً ترغب في الخير لنفسها أكثر من المحيطين بها، وأن الصدق دائماً ينجي من المهالك، وأن الإنسان الصالح دائماً يفعل الخير حتى إذا لم يأخذ الثمن، وهذا ما فعلته السيدة العجوز والتي كان جزاء معروفها وإحسانها على الطفلين كان جزاؤها معروف وإحسان الملك لها جزءاً لرعايتها للطفلين الصغيرين اللذين رأيا منها كل الخير رغم أنها عجوز وفقيرة لا تملك إلا قوت يومها .

إن حكاية : (ما يزرع الإنسان يحصده إن خيراً فخير وإن شراً فشر) حكاية واقعية غالباً فتعد الأسرة المكونة من الوالدين والأولاد غير المتزوجين أصغر وحدة قرابية عرفها المجتمع البشرى. ووظيفتها عند مالينوفسكى هي إمداد المجتمع بالمواطنين، على اعتبار أنها هي الجماعة الوحيدة التي تستطيع بفضل عقد الزواج القائم بين الزوجين أن تقدم للمجتمع أبناء شرعيين، ثم توفر لهم ما يحتاجون إليه من التغذية والتربية والتعليم، كما توفر لهم بعد ذلك حاجتهم من السلع المادية، وأخيراً تهيئ لهم مركزاً معيناً في المجتمع^(١).

ومجتمع الهوسا مجتمع أبوي وقد اكتسب الأب هذه السلطة الأبوية المطلقة من منطلق فهمهم للإسلام؛ حيث جعل الإسلام الأب رباً للأسرة وقائماً على شئونها

(١) أحمد أبو زيد : البناء الاجتماعي . المفاهيم . مرجع سابق . ص ٩٧ .

ومسئولاً عنها، والامتثال له واجب وحق ديني فهو يحرص على أبنائه حرصه على نفسه، فيلبي لهم كل رغباتهم في حدود العرف والعادات والتقاليد والدين ويتدخل في كثير من الأوقات في شئونهم الخاصة.

إن التماسك الأسرى بين أفراد الأسرة الواحدة واحترام الوالدين وتقديرهما يعتبر من القيم الدينية الأساسية في تنشئة الأبناء وإعدادهم للحياة، فاحترام الوالدين وطاعتها من أبرز القيم التربوية والأساسية في حياة الأبناء، والثقافة التي يجب أن يتلقنها الصغير في مراحل عمره الأولى، وغرس القيم الدينية يكون أولاً وأخيراً من خلال القدوة، والقدوة في هذه الحكاية هو الأب الذي لم يحسن تربية ابنه منذ الصغر وكانت النتيجة المعاملة السيئة من الابن للأب .

وتشير الحكاية إلى أن الأبناء رزق من عند الله، فهم نعمة يجب الحفاظ عليها وذلك بحسن التربية منذ الصغر فحسن التربية يؤدي إلى استقرار الأبناء والآباء، وتؤكد الحكاية على أن ما يفعله الإنسان بأبويه يفعله أبنائه معه . وتشير الحكاية أيضاً إلى أهمية تقدير فضل الوالدين عند الكبر وضرورة بر الأبناء لوالديهم في جميع مراحل حياتهم وخاصة في شيخوختهم، وتبين الحكاية أيضاً أن علاقة الأب والابن تقوم على مسئولية الأب تجاه ابنه، وذلك من خلال تعليمه كل ما يجب أن يتحلى به، ونهيه عن كل ما لا يليق به أن يفعله، ومقابل ذلك وجوب طاعة واحترام الابن لأبيه .

وتشير الحكاية إلى أن الوظيفة الأساسية للأسرة التي تتفرد بها دون غيرها من النظم الاجتماعية هي إنجاب أبناء شرعيين، وتربيتهم تربية سليمة.

حكاية : (أسوأ الأمور أن يفضب الابن والديه) تعتبر مرحلة الطفولة من أهم مراحل الحياة بالنسبة للفرد في كل المجتمعات الإفريقية؛ لأنها مرحلة تتضارب فيها أفكار الطفل وذلك بسبب صغر السن وعدم الخبرة وعدم الاحتكاك بالناس. وتؤكد هذه الحكاية الشعبية على ضرورة اهتمام الوالدين بأبنائهم بحكم رابطة الدم وضرورة المساواة بين الأبناء وهذا أمر طبيعي وضروري في كل المجتمعات الإفريقية .

وفى الحكاية دعوة مباشرة للحث على التعليم وأهميته بالنسبة لأفراد المجتمع ويقول الشاعر :

بالعلم والمال يبنى الناس ملكهم . لم بين ملك على جهل وإقلال

ومن أهم مبادئ التنشئة الاجتماعية عند القبائل الإفريقية بوجه عام وقبيلة الهوسا بوجه خاص كمجتمع إسلامى مبدأ النصيحة وأهميتها بالنسبة للإنسان، وتؤكد الحكاية على عاقبة من لا يستمعون إلى نصيحة من هم أهل للنصيحة وتدعو إلى التعقل فى كل الأمور والتدبر وبعد النظر للعواقب لأن الندم لا ينفع عند فوات الأوان .

وتدعو الحكاية الأبناء إلى طاعة وعدم إغضاب الوالدين وكبار السن والمعلم وطلب المغفرة منهم إذا قاموا بإغضابهم حيث إن كان إغضاب الوالدين أمر قد حذر منه الدين الإسلامى ونهى عنه فى القرآن الكريم والسنة الشريفة . وقبيلة الهوسا كمجتمع إسلامى يتبعون تعاليم الدين ويحذرون من إغضاب الوالدين، وإن تربية الأبناء والحفاظ عليهم وتنشئتهم تنشئة سليمة تتم فى ظل استخدام الرحمة والحنان والمعاملة الحسنة للصغار، وعقاب الأبناء أمر ضرورى إذا أخطأوا .

إن حكاية : (كل من يحاول أن ينال أكثر مما كتبه الله له هلك) ذات طبيعة تعليمية تدعو لإعمال العقل وتكشف عن ظاهرة دائماً تحدث فى جميع المجتمعات ولدى الأطفال من حب الاستطلاع وسعى وراء المعرفة من خلال كثرة السؤال، حيث إن الأطفال يحاولون استيعاب ما يحدث حولهم، من ظواهر مدفوعين بغريزة حب الاستطلاع لكل ما حولهم وخاصة المجهول منه، وفى هذه الحالة يجب أن يعرف الآباء ما ينبغى أن يقدم للأبناء الصغار وما لا ينبغى أن يقدم لهم إذ إنها مرحلة دقيقة يجب أن يقدم للطفل ما يفيد وما يناسب سنه حتى لا توجد عملية الحشو.

وتؤكد الحكاية أيضاً على أهمية ضرورة أن يتعامل القوى مع الضعيف بلطف وإحسان؛ لأن من أحسن إلى الناس أحسن الله إليه وهذا ما حدث للنجار فقد أحسن إلى القزم وأخيراً فقد كافأه القزم عن إحسانه .

إن المجتمع القبلى يخشى كل الخشية من أن يتكرر الفرد منهم للقيم الأصيلة إذا ما تغيرت ظروفه الاجتماعية وحصل على المال والثروة والجاه . وتحذر الحكاية من عواقب الطمع والتكبر؛ لأنهما يفسدان على المرء حياته وهذا ما حدث للنجار عندما أغراه ثراؤه بالطمع فى أكثر مما وهبه الله، وأغراه بالتكبر وضاع منه كل شيء .

(التعايش فى الدنيا مهارة) إن هذه الحكاية الشعبية الطريفة تعد ضمن الحكايات التعليمية ؛ إذ إنها تعلم كيف ينبغي أن يتسلح الإنسان بالمهارة اللازمة للتعايش فى المجتمع إذ إن الحياة فى المجتمع تتطلب مهارة فائقة فى اختيار الأصحاب والتروى قبل اختيارهم والتروى فى طريقة الكسب أيضًا .

وقد جعل الراوى البرغوث رمزًا للمهارة والتروى، وجعل القملة رمزًا للتهور وعدم الخبرة، ويعتبر السرير رمزًا للمجتمع أو للعالم أما البرغوث فهو رمز للإنسان الذى يعيش فى المجتمع أو العالم بمهارة فائقة فينجح فى حياته، أما القملة فهى رمز للإنسان غير العاقل والمتهور الذى ليس لديه أى خبرة ولذلك يفشل فى المجتمع والعالم الذى يعيش فيه بسبب تهوره وعدم التروى فى تصرفاته .

أما حكاية : (البخل على الغير كالبخل على النفس) فإنها تعبر عن قطاعات كبيرة من المجتمع، وطبقة يدخل فى نطاقها أناس كثيرون يتصفون بصفات ليست طيبة، وهى صفة البخل وصفة الطمع وهما صفتان ذميتان لا يقرهما مجتمع الهوسا الإسلامى .

وتلك الحكاية بها إشارات بضرورة التخلّى عن البخل والطمع وبذل الجهد لتحقيق الكرم الذى هو صفة النبلاء، والبخيل هو أشد حرصًا على ماله، وطعامه، وشرابه، وكل ما يمتلك وهو ليس بخيلا على غيره فقط ولكن يعتره البخل على نفسه أيضًا، وأهل بيته . أما الطماع فهو يطمع فى كل ما يمتلكه الآخرون .

إذاً فالحكاية تدعو إلى تدعيم القيم الدينية الإسلامية والأخلاقية الإيجابية وتأكيداها وهى الكرم والإنفاق فى سبيل الله على الفقراء والمساكين وإكرام الضيوف

وحسن معاملتهم . وتكشف الحكاية عن العادات الأخلاقية السلبية والسيئة وتنصح بالابتعاد عنها وهى البخل والطمع .

وتبين هذه الحكاية الشعبية أن الكرم والقناعة هى صفات أصيلة تدعو القبيلة أفرادها إلى التمسك بها، وهى تتمثل فى الأصالة فى سلوك الناس بعضهم مع بعض ويضاف إلى هذا الدعوة إلى الكرم الذى تتميز به الحياة القبلية .

تعرض لنا حكاية : (إلا خمسة) مواقف شائعة وتدعو إلى تأصيل القيم الأخلاقية الإيجابية وتأكيدا كما تكشف عن العادات الأخلاقية السلبية . ومن أجل هذا يبحث راوى الحكاية الشعبية أفراد قبيلة الهوسا على التحلى بالأخلاق الكريمة والابتعاد عن الشجار والكذب وعدم النظافة والسرقة والنميمة، وهى الصفات السيئة التى وصفت بها كل فتاة من الخمس فتيات .

وتؤكد الحكاية على أن التقاليد والعادات الاجتماعية والدينية، بمثابة الوسيلة القانونية فى حياة المجتمعات القبلية التى ترفض وجود تلك الصفات فى مجتمعاتها .

كما تؤكد الحكاية على ضرورة اختيار الزوجة الصالحة التى تتميز بعكس صفات الفتيات الخمس . وتدعو الحكاية كل الفتيات إلى فعل الخير فى شتى صورته وتشير الحكاية أيضاً إلى أن من يفعل الشر عاقبته وخيمة .

إن السحر له مكانة بارزة فى قضايا الحب والزواج وجميع الأمور فى الحياة الاجتماعية عند النساء وبعض الرجال، ويعتبر الدعاء من العادات المتعارف عليها فى مجتمع الهوسا المنتشرة بين النساء حيث تذهب واحدة إلى رجل معروف بهذه المهنة وتبث إليه شكواها طالبة منه أن يسأل الله أن يفرج عنها همها مقابل منحه بعض المال .

أما السحر : فيحدث فيه ما يحدث فى الدعاء، ولكن المرأة تعطى الساحر بعض المال الذى يكون قد اشترطه عليها قبل بدء العمل فى السحر .

أما الرجال عند الهوسا عندما يقومون بعمل سحر غالباً يكون هذا السحر لأجل أن يفوز هذا الرجل بالسلطة ولأجل أن يصبح غنياً وما شابه ذلك .

وتبين الحكاية حسن تصرف الولي فى الأمور، كما تؤكد سلطان الأولياء على أبناء مجتمعهم، إذ تمكن الولي من التوفيق بين كل فتاة والزوج المناسب لها فنتج عن ذلك تحويل كل الصفات السلبية الموجودة عند الأربع فتيات إلى صفات إيجابية، ما عدا الفتاة النمامة التى نصحتها أن تعود لبلدتها وأن تتوب لعل الله يغفر لها ما فعلته، وذلك يوضح أن الصفات الأربعة أهون إلى حد ما من الصفة الخامسة التى لا حل لها ولذلك يجب التحلى بالأخلاق والقيم الإيجابية.

ومما لا شك فيه أن حكاية : (كيف قتل أوتا دودو؟) تدعو إلى حب الوطن والدفاع عنه بأية وسيلة من القوة الشريرة الخارجية الغاشمة التى تهدد أمنه وتؤكد الحكاية على ضرورة عقاب المجرمين . وهذه الحكاية تدور حول بطل يمتاز بالشجاعة والمروءة والإقدام والوقوف أمام من يهدد أمن المجتمع وأفراده وهذه الصفات صفات عربية إسلامية، وتؤكد الحكاية كذلك على أن يكافئ الحكام من يحافظ على أمن مجتمعهم .

إن اختيار بطل الحكاية أوتا الذى هو معناه آخر العنقود، ترمز إلى أن أصغر فرد فى المجتمع، قد يقوم بأداء أكبر إنجاز إذا أعد لهذه المهمة .

ودودو يرمز إلى القوة الأسطورية التى لا تقهر ولكن رغم قوتها الأسطورية استطاع أوتا أصغر فرد فى المجتمع وأضعفها أن يقاومها ويقضى عليها .

ومعنى هذا أن القوة ليست بضخامة الجسد، وإنما هى بالإصرار والعزيمة حيث إن أوتا كان ضئيل الجسم ضعيف البنية، ولكنه بإصراره وعزيمته وحكمته تغلب على دودو الذى هو ضخم وقوى البنية . فالعقل المفكر تغلب على الجسد الكبير .

هذه الحكاية الشعبية : (الولد البطل والأرواح) بها وصف للحياة القروية البسيطة، لطبيعة الحياة فى القرية حيث إنها حياة بدائية خالصة، فكل شئ فى هذه الحياة يشير إلى بدائيتها من العادات والتقاليد والمعتقدات، فهى حياة قائمة على الخرافات والأساطير.

فمن الناحية الدينية نجد أن أكثر القرويين يؤمنون بالأرواح و يقيمون طقوساً دينية تقدم فيها القرابين للأرواح، وتقام الصلوات وطقوس العبادة .

وهذه الحكاية تصور لنا جزءاً من هذه المعتقدات الدينية الخرافية وبجانب ذلك تصور لنا الحكاية جانباً من الحياة الاجتماعية والتعليمية حيث إن البنين يقومون عادة بمساعدة آبائهم فى المهن المختلفة وذلك بعد المدرسة، وأما البنات، فموكلات بالنظافة، فلكل دوره الذى يقوم به . فإنه تقسيم قروى رائع للأدوار الاجتماعية .

ومن الموضوعات التربوية ذات الأهمية الفولكلورية، الشخوص التى تستخدم فى الحكايات الشعبية لتخويف الأطفال، إذ تعرف كل الثقافات الشعبية عدداً من الشخوص التى تخيف بها الأطفال وهى تستعمل للأغراض التربوية عامة، إما لإبعاد الطفل عن أماكن معينة إما تخويفه من ممارسة فعل أو سلوك معين أو إصدار قول معين . وقد استخدم الراوى فى هذه الحكاية الشعبية لفظ « الأرواح الشريرة » .

خاتمة

تؤكد الحكايات الشعبية السابقة الوظيفة القرابية الاجتماعية بشتى أبعادها، والحق يقال إن الحكايات الشعبية القرابية الاجتماعية تؤثر فى أفراد المجتمع أبلغ التأثير، وهى لا تقدم لهم فى صورة الإمتاع والترفيه والتسلية وملء أوقات الفراغ والتثقيف والتعليم والترابط الاجتماعى فحسب، بل تقدم إليهم من أجل إثراء معرفة أو تأصيل قيمة اجتماعية وإنسانية أو تأكيد مثل اجتماعى أو أخلاقى .

وتقوم الحكاية الشعبية بدور المصلح الاجتماعى فهى تؤدى وظيفتها بالنسبة للمعتقدات والتصورات الشعبية ولذلك فأفراد المجتمع لا يمكن أن يتقبلوا النصائح الموجودة فى الحكاية إذا كانت مقدمة بصورة مشوهة.

وتبحث هذه الحكايات التى بين أيدينا فى هذا الفصل فى العادات والحياة القرابية الاجتماعية عند الرجل والمرأة والعلاقات الأسرية بين الزوج والزوجة والأبناء، وعن علاقة المرأة بالزوج الذى ترغب فى أن تسيطر عليه عن طريق السحر . وقد أكدت الحكاية الشعبية على أن الاحترام والاحسان والعشرة الطيبة أهم أسباب حصول المرأة على ما تريد من الرجل . وتشير الحكاية إلى وجود ظاهرة تعدد الزوجات فى منزل واحد وأن العلاقة بينهم غالباً تكون علاقة طيبة وأحياناً تكون العكس، وتبين الحكاية موقف الزوج من الزوجة التى لا تنجب.

وتشير الحكاية إلى ضرورة الاتحاد، وتؤكد على قيمة الاتحاد والتماسك الذى يؤدى إلى مجتمع أفضل متماسك ومتربط .

وتؤكد الحكاية على أن الزرع الذى يحبه الله سوف ينبت ولو بدون ماء وهذا ما حدث للفتاة من زوجة أبيها التى أرادت هلاكها فأهلك الله ابنتها هى جزاء لها وأهلكها هى أيضاً. وتؤكد الحكاية على وجود روابط الإخوة بين الأخوات .

وتشير بعض الحكايات إلى غيرة النساء التى تؤدى بهن إلى الهلاك فى نهاية الأمر، كما تؤكد الحكاية على أن الحق لا بد وأن يعود لأصحابه مهما طال الزمن، وتشير الحكاية إلى ضرورة احترام الكبير وخاصة الوالدين وكبار السن والأخذ بنصائحهم والاهتمام بالأبناء وتربيتهم تربية سليمة والمساواة بينهم، والتعقل فى كل الأمور والتدبر وبعد النظر للعواقب، والإحسان إلى المحتاج وعدم التنكر للقيم الأصلية إذا ما تغيرت الظروف الاجتماعية، وضرورة تقرب الحكام وأبنائهم إلى أبناء الشعب والحرص على مصادقتهم والتقرب منهم وتؤكد الحكاية على قيمة الصداقة وضرورة اختيار الزوجة الصالحة، واختيار الزوج المناسب أيضاً، كما تحث الحكاية على التسلح بالمهارة اللازمة للتعايش فى المجتمع، والابتعاد عن البخل والتحلّى بالكرم والقناعة والابتعاد عن الشجار والكذب وعدم النظافة والسرقة والنميمة لأنها صفات غير إسلامية ومفسدة للحياة الاجتماعية بشكل عام .

وتعمق الحكاية حب الوطن والدفاع عنه مهما كانت الظروف ومهما كان البطل صغير الحجم ؛ لأن الدفاع عن الوطن ليس بضخامة الجسد ولكن برجاحة العقل وتدبره .

وتشير بعض الحكايات إلى المعتقدات الدينية الخرافية، وتؤكد الحكاية على أن هناك تقسيم عمل بين البنين الذين يقومون بمساعدة آبائهم، والبنات اللاتى تساعدن أمهاتهن كما تؤكد الحكاية على وجود أشخاص تستخدم لتخويف الأطفال مثل الأرواح .

وأخيراً يتضح من تلك الحكايات الوظيفة القرابية الاجتماعية للحكاية الشعبية، وأن هذه الوظيفة تشمل تاريخ الفرد وعرفه ودينه وكل شىء فى حياة الفرد الاجتماعية.

الفصل الخامس

الوظيفة السياسية للحكاية الشعبية الهوساوية

تقديم

- أولاً - الحكايات الشعبية :
- حكاية - الدجاجة البرية والكلب الصغير .
- حكاية - المتسلل Mai- Asigiri .
- حكاية - شكل الشخص ليس هو نفسه .
- حكاية - هديل الحمامة كلام لا يفهمه إلا العاقل.
- حكاية - كل من يعتمد على الله لا يخاف حاسداً ولا حقوداً .
- حكاية - إذا كنت تحفر حفرة للشر فلا تعمقها .
- حكاية - السنجاب والقنفذ .
- حكاية - منع الآخر منع للنفس .
- حكاية - السنجاب البرى والأسد .

حكاية - الثعلب ملك الحيلة .

حكاية - كفى عبرة ما يحدث للآخرين .

حكاية - إذا انشق الحائط تجد السجلية مكاناً للدخول .

ثانياً - الوظيفة السياسية للحكايات الشعبية

● خاتمة

تقديم

« البناء Structure » إن هذا اللفظ من أكثر الاصطلاحات استعمالا فى علم الاجتماع وفى الأنثروبولوجيا، وهو أيضا من أكثرها غموضا ويوجه عام، يمكن القول بأنه هو صفة الظاهرة الاجتماعية باعتبارها مشتملة على نوع من النظام والمعقولة والاستقرار النسبى .

والبناء - حسب هذا المعنى - يعنى مجموع العناصر المكونة بالضرورة لظاهرة معطاة حسب العلاقات الضرورية بين هذه العناصر، فالمجتمع السياسى لا يفهم إلا بأرض معينة وشعب وفئات وجماعات مختلفة وسلطة وثقافة، وكل عنصر من هذه العناصر له أيضا بناؤه الخاص . فالسلطة لها علاقات بالأرض والشعب وبالجماعات، وكلها بدورها لها علاقات بالسلطة وهكذا نرى أن عناصر البناء هى من الواقع الملموس فى كل مرة^(١) .

لا يستطيع الإنسان العيش إلا فى نطاق جماعة ويترتب على هذا أنه يدخل مع الآخرين فى معاملات وبالتالي تنشأ بينه وبين الآخرين علاقات تتعارض فى شأنها المصالح، وبالتالي تنشأ الخلافات والنزاعات ونتيجة لهذا فقد ظهرت حاجة المجتمع البشرى إلى القواعد التى تنظم العلاقات والمعاملات فى نطاق المجتمع المحلى أو المجتمع الدولى، وتفصل فى المنازعات والخلافات التى قد تنشأ فى نطاقه وهى ما يطلق عليها علماء الاجتماع قواعد الضبط والتنظيم الاجتماعى لتعيين أدوار الأفراد وتحديد مجال حرية كل منهم، وتنظيم العلاقات التى تقوم فيما بينهم،

(١) عبد الوهاب جعفر : البنية فى الأنثروبولوجيا وموقف سارتر منها . دار المعارف . القاهرة . ١٩٨٩ . ص ٤٢ .

وكذلك للفصل فى الخلافات والنزاعات التى قد تقع فى نطاق معاملاتهم، وقواعد الضبط الاجتماعى متعددة منها الدين والأخلاق والعادات والتقاليد والقانون

ومن هذه القواعد التى تحكم وتنظم سلوك الأفراد فى نطاق المجتمع يتكون القانون فالحاجة إلى القانون تنشأ إذن من مجرد وجود أناس يعيشون فى جماعة، ومن ثم فإذا كان الإنسان لا يعيش إلا فى مجتمع فإن قيام هذا المجتمع على أساس من النظام والاستقرار يستلزم وضع قواعد يأنمر بها الأفراد وذلك حرصاً على إقامة التوازن بين حرياتهم ومصالحهم المتعارضة فيحل بذلك النظام والاستقرار محل الفوضى وطفغان الأقوياء على الضعفاء .

ويرمى القانون إلى تنظيم المجتمع تنظيمًا من شأنه العمل على تحقيق الخير العام للأفراد، وكفالة المصلحة العامة للمجموع وحماية حريات الأفراد ومصالحهم الخاصة والتوفيق بين الصالح الخاص وما يمثل الصالح العام المشترك للمجموع، والفصل فى المنازعات التى تنشأ بين أفراد المجتمع .

ومن المعروف أن لكل دولة أو قبيلة سياستها العامة التى تستمد وجودها ومفاهيمها واتجاهاتها من أيديولوجية الدولة أو القبيلة، وأسلوب حياتها، وقيمها ومعاييرها، ودرجة تطورها، ومواردها وإمكانياتها، وأهدافها ومشكلاتها واحتياجاتها، وموقعها الجغرافى، إلى غير ذلك من العوامل، والسياسة العامة للدولة أو القبيلة مجرد تفكير منظم يعبر عن الأهداف التى ترى الدولة أو القبيلة تحقيقها فى جميع الميادين والمجالات الداخلية والخارجية، واقتراح الأساليب والوسائل التى يمكن استخدامها لتحقيق هذه الأهداف .

وينبثق عن السياسة العامة سياسات فرعية يختص كل منها بميدان أو مجال معين كالسياسة الزراعية، والصناعية، والتعليمية، والاجتماعية إلى غير ذلك . وتقوم الدولة بعمل المشروعات وإصدار التشريعات التى تعمل على تحقيق الأهداف التى يراد تحقيقها فى كل مجال من المجالات التى تختص بها السياسات الفرعية المنبثقة عن السياسة العامة للدولة .

وتعد العادات الاجتماعية عاملاً من أكبر عوامل التنظيم والضبط فى علاقات الأفراد سواء فى المجتمع ككل أو داخل الهيئات الاجتماعية، ولا يقل دور العادات الاجتماعية فى الضبط والتنظيم عن دور القوانين الوضعية .

والحكايات الشعبية تنفس عن الناس شعورهم بالظلم من الحكام المستبدين، أو أفراد الحاشية، أو كل من لهم سلطة فى المجتمع ويستخدمونها استخداماً سيئاً ولذلك تعبر الحكايات الشعبية عن كل ما بداخل الشعب من أشياء يصعب ظهورها علناً أمام الحكام خوفاً من العقاب إذا كان الحكام ظالمين .

وفى هذا الفصل، سوف تستعين الباحثة ببعض الحكايات الشعبية التى لها وظيفة سياسية .

أولاً - الحكايات الشعبية :

١- حكاية : الدجاجة البرية والكلب الصغير .

Hikaya : Zabuwa da Dan Kuwuikwuyo

ها هي الحكاية هنا أمامكم، ها هي هنا أحكيها إليكم « يا سادة » :

كانت هناك عائلة مكونة من رجل وأهل بيته، وكانوا يعيشون في المدينة وكان لديهم دجاجة برية، وكلب صغير . وفى ذات يوم من الأيام بات من الصعب على أهل المدينة أن يأكلوا لحمًا، ويشربون مرقة، وذلك بسبب امتناع الجزارين عن الذبح فى ذلك الوقت، وعندئذ خلت المدينة جميعها من اللحم فقال الرجل لأهل بيته «أى زوجته» : حسنًا، إن ما يمكن عمله الآن، هو إما أن تذبح هذه الدجاجة، إما يذبح هذا الكلب الصغير، ثم يوضع فى المرقة حتى لا يحتسيها الأولاد وهى خالية من طعم اللحم وآثاره .

وعندئذ قالت زوجته : حسنًا، ولكنه من العبث أن يمسك أحدهما هكذا فقط ليذبح، بل يجب أن يكلفا بطحين بعض الحبوب وينبه عليهما ألا يشريا ماء، ومن يخل منهما بذلك يذبح هكذا .

إنه لمن دواعى العجب، أن الحوار الذى دار « بين الرجل وزوجته » سمعته الدجاجة بأكمله، وعندئذ أخذت قرعة كبيرة وأفرغت ما بداخلها ووضعتها جانبًا .

وعندما وزعت عليهما الحبوب ليقوما بطحنها، فقبل أن تذهب الدجاجة لأداء عملها «طحين نصيبها» اغترفت ماء، ووضعت فى هذه القرعة الجوفاء، ثم ذهبت به حيث مكان الطحن ودفعت به إلى جوار حجر الطحن، ثم بدأ العمل . وفى أثناء العمل، قالت الدجاجة البرية للكلب الصغير : يا أنت كيف ينبغى لنا أن نطحن هكذا بدون إنشاد الغناء ؟ إنه من الأفضل لنا أن نستمر فى الغناء لعلنا نجد المتعة فى العمل أى «الطحن» .

وعندئذ قال الكلب الصغير : حسناً أنت أيتها الدجاجة البرية، عليك أن تبدأين الغناء » وهكذا بدأت الدجاجة الغناء « كلمات بلا معنى » :

لو أن هناك هناك هناك، لو أن هناك بعيد .

لو أن هناك .

لو أن هناك هناك هناك، لو أن هناك بعيد .

أما الكلب الصغير فأخذ أيضاً ينشد أغنيته، وهى أيضاً كلمات بلا معنى وهى:

لو أنكم أنكم، لو أنكم أنتم .

لو أنكم أنتم .

لو أنكم أنكم، لو أنكم أديتم العمل .

لقد فعلوا هكذا كثيراً، وبعد فترة من العمل قالت الدجاجة البرية : « دعنى ألملم هذه الحبوب التى تبعثرت منى أثناء الإنشاد » ثم غافلت الكلب الصغير، والتقطت بعضاً من الحبوب، وشربت من الماء الذى وضعتة فى القرعة .

لقد استمر على هذا الحال كثيراً . ثم بعد فترة بدأت أمارات التعب تظهر على الكلب الصغير بسبب الجوع والعطش . أمام الدجاجة فضلت تنشد أنشودتها، وأما الكلب الصغير فأخذ صوته يخفت رويداً رويداً إلي أن خفت تماماً، فلم يعد أحد يسمع ما يقوله الكلب فى أنشودته .

لقد ظل الوضع هكذا حتى قامت الدجاجة بعد أن اطمأنت إلى حال الكلب وانطلقت جرياً وهى تقول : هلم إلى، ها هو الكلب الصغير سوف يموت . وعلى الفور جىء به؛ « أى : الكلب الصغير » وذبح لأنه أخفق فى أداء العمل المكلف به، وحصل أهل المنزل على لحم المرقة الدسم . أما بالنسبة للدجاجة فقد نشطت فى الطحن، وعندما انتهت من عملها، أطلق سراحها لتمضى وشأنها وهكذا كانت الحكاية^(١).

(١) صبرى إبراهيم على سلامة : صور من بلاد الهوسا . مرجع سابق . ص ٧٤ : ٧٧ .

٢- حكاية : المتسلل Mai - asigiri .

. Hikaya : Mai - asigiri dan Samame

يوجد شخص في زمن أميركتسنا «Katsina» "محمد بلو" « ذلك الشخص أزعج » الكتسينيين Katsinawa وكان هذا الشخص يخطف بناتهم ويأخذهن إلى بلد الشمال ويبيعهن هناك، ولذلك جمع الملك جميع كبار العلماء في البلد وأعطاهم مالا كثيرا، وطلب منهم المساعدة للإيقاع بهذا الشخص، وإن تم الإيقاع به سيتم شنته في السوق، واهتم الناس بالأمر وبعد عشرة أيام جاء هذا الشخص الذي يدعى "Mai- asigiri" « وخطف فتاة عند باب "Sami" ليلاً وظلت الفتاة تصرخ، وسمع حراس المدينة صراخ الفتاة، فأخذوا أقواسهم وسهامهم وتوجهوا إلى المكان للنجدة، وهم يصرخون، ولما سمع الناس الصراخ، خرجوا من ديارهم وتوجهوا إلى الباب ولكنهم، وجدوا الباب مغلقاً، فرجعوا إلى ديارهم، وتصادف أن خرج رجل شجاع يدعى "Gulbi" من بيت أحد الأمراء، ولما علم بالأمر، ذهب إلى بيته، وأخذ عتاد الحرب من سيف ورمح وقوس، وتسلق السور، ولما وصل إلى مكان "Mai-asigiri" خاف منه هذا الأخير، وجرى ولكنه لحق به، وأمسكه ثم سلمه لهؤلاء الحراس، وطلب منهم أن يقولوا إنه هو الذي أمسك به، ويكونوا هم الذين نجحوا في الإمساك به بعد ذلك، وأخذوه إلى أحد مساعدي الملك، وهو بدوره أخذه إلى الملك في نفس الليلة، وسأل الملك مساعده عن أمسكه، فقال له : الحراس ثم أمر الملك بإحضارهم بالصباح ليأمرهم ومن هنا قال : "Mai-asigiri" « لم يمك بى إلا "Gulbi Bikwaine" وفي صباح اليوم التالي أعطى الملك "Gulbi" عشرة أفراس وهدايا كثيرة وقطعة أرض، ثم جمع الملك كبار أمراء "Katsina" وأخبرهم عن إعتقال هذا الظالم، وسألهم عن رأيهم وأشاروا إليه بقطع رأسه في السوق، فقال الملك فى الغد إن شاء الله، وأمر الملك بإحضاره بالليل، وقال له : سألت جميع الأمراء عن أمرك وكلهم أشاروا إلى بقتلك ولكنى لا أريد أن أقتلك وسأطلق سراحك على شرط ألا تخطف أية فتاة فى مملكة "Katsina" وتخبرنى عن أى خبر سمعته عن بلاد الشمال فور سماعك إياه، وأعطاه الملك هدايا كثيرة وأمر الملك خدامه أن يرافقه إلى بوابة المدينة وأن يفتحوا له الباب ليخرج، وطلب منهم

ألا يقولوا شيئاً لأهل المدينة، وفى صباح اليوم التالى، أعلن الملك هروبه، وعدم العثور عليه .

وبعد فترة من الزمن خرج الملك مع أهله إلى "Modoji" للنزهة ووصل خبر خروج الملك إلى " Danbaskore " وقد اعتزم هذا الأخير على مهاجمة مدينة "Sokoto" وقد اعتزم أيضاً على انتهاز هذه الفرصة للإيقاع بملك "Katsina" وقلته وقد وصل كل هذا إلى "Mai - asigiri" ولما توجه الجيش إلى الشمال، خرج وتوجه إلى "Katsina" وأدركه الليل فى الطريق وعندما وصل إلى بوابة "Guga" طلب من حراس البوابة أن يفتحوا له الباب ولكنهم رفضوا سائلين عن شخصيته. فقال إنه رسول من ملك "Sokoto" وعندما أصروا على الرفض طلب مقابلة أحد مساعدى الملك ويدعى "Durbi" وعندما حضر مساعد الملك سأله من يكون ؟ فأجابه بأنه رسول من ملك "Sokoto" حاملاً رسالة إلى ملك "Katsina" .

فقال له مساعد الملك : أعطنى الرسالة لأقدمها للملك، وبعد ذلك سيفتح لك الباب، ومن هنا طلب منه "Mai - asigiri" أن يقترب منه ليهمس فى أذنه، ولما اقترب منه، قال له : أنا جئت لأخبر الملك عن هجوم سيقع بعد يومين، وستغرق كل قرى "Katsina" فى الدم وهم الآن على طريقهم إلى "Katsina" ملك "Gobir" وملك "Tosawa" ، ومن هنا أمر مساعد الملك بفتح الباب وأحضر أحد الحراس المفتاح من مكانه، وفتح الباب، ودخل "Mai - asigiri" وقدم له الطعام وبعد ذلك قال له مساعد الملك : الملك الآن فى "Modoji" وسأمر أحد الخدام أن يرافقك إلى هناك ولما وصلا إلى هناك سأله البواب من يكون ؟ فقال له رسول من ملك "Sokoto" وطلبوا أن يقدم لهم الرسالة ؛ ليقدموها للملك وبعد ذلك يفتح له الباب وبعد ذلك طلب منهم أن يخبروا الملك بقدومه، ولما أخبر الملك أمر الملك كل خدامه أن يأخذوا سيوفهم، ورماحهم، وأفراسهم، والملك بدوره أيضاً أخذ أسلحته، ثم خرجوا جميعاً إلى البوابة وأمر الملك بفتح البوابة، ودخل "Mai - asigiri" وقال للملك : أنا "Mai - asigiri" فقال له الملك : ما وراءك فقال له غداً فى مثل هذا الوقت سيكون هذا المكان محروقاً، ولذا جئت على عجل لأخبرك، فقال له

الملك : أشكرك جداً، ومن أية جهة سيدخلون ؟ فقال له من ناحية الشمال وودعه الملك، وفى صباح اليوم التالى رجع الملك إلى بيته، ثم خرج وطلب من جميع أمراء "Katsina" أن يحضروا ولما حضروا، أخبرهم الملك بأنه سيكون لهم ضيوف غداً ملك "Gobir" و "Danbaskore" على طريقهم إلى "Katsina" ولذلك يجب أن ندبر أمرنا من الآن .

فقال أحد مساعدى الملك : أرى أن تأمر أيها الملك بربط الأشجار المحيطة ببوابة المدينة، وهم بذلك لا يستطيعون الدخول حتى يفكوا الرباط، وخلال إنشغالهم بفك الربط نكون قد قتلنا منهم خلقاً كثيراً، وأيد الملك هذا الرأي وهكذا أيد هذا الرأى شخص يدعى "Kaura" وأمر الملك بذلك، ومن هنا ذهب مساعد الملك "Durbi" ليتفقد فرقة الأقواس والسهام ويعد صلاة الظهر أمر بالإعلان فى السوق عن وقوع حرب وشيكة، وقد استعد الكتسينيين "Katsinawa" أتم الأستعداد قبل قدوم "Danbaskore"، وفى صباح اليوم التالى بعد طلوع الشمس بقليل سمع صياح كثيرة من جهة الشمال وطلب مساعد الملك "Durbi" من أحد الخدام إخبار الملك بقدوم المهاجمين، وضرب طبول الحرب ولم يعرف "Danbaskore" أنه تم ربط كل الأشجار المحيطة بالمدينة، ودارت الحرب قبل أن يفكوا الربط حتى وسط النهار، ويعد ذلك تم الانتصار على جيوش العدو، وتم اغتنام ما يقرب من خمسين حصاناً وثلاثين راكباً، ورأى "Durbi" ملك "Danbaskore" وجه إليه ونزل "Danbaskore" رمحه وأخذه "Durbi" أنت "Danbaskore" ؟

فقال : نعم، فهاجمه "durbi" ليخطفه ولكنه جرى وجرى "durbi" وراءه حتى وصلا إلى سور فاجتاز فرس "Danbaskore" السور ولكن فرس "Durbi" عجز عن اجتياز السور وذهب "Danbaskore" إلى داره ولم يكن معه إلا ؛ لأنه لم يؤسر ولما وصل "Danbaskore" إلى بيته قال لا بد أن أنتقم من الكتسينيين "Katsinawa" فأنا كفى المعزة ذى رائحة كريهة فمن أكله لا بد أن يتقيأ .

ومضت سنة كاملة ولم يتوجه "Danbaskore" إلى "Katsina" ، ولكنه ظل يعمل السحر، ويدفنه فى الأرض، ولكن كلما دفن السحر، كلما ذهب "Mai

“asigiri” إلى ملك “Katsina” وأخبره عن المكان ويتم نبش المكان، وإخراج السحر منه، وذات يوم طلب “Danbaskore” من رجاله أن يحضروا له رأس ملك “Katsina”، وهو بدوره سيعطيهم كل ما يريدون، وأعطاهم ملابس النساء، وأمر بتدفير شعرهم، حتى يبدو كالنساء، وتم تدبير الأمر مع أحد الحاضرين على أساس أن يقدمهم إلى ملك “Katsina” على أنهم جوارى ليشتروهم، وتم تسميم السكاكين بحيث يموت كل من طعن بها فور طعنه بها، وأعطاهم سماً آخر لوضعه في بيت الملك .

وأخبر أحد الناس “Mai - asigiri” وهو بدوره توجه بالليل إلى “Katsina” وأخبر الملك بأن هناك رجلاً تاجرًا للعبيد سيأتيه بالجوارى ولكنهم ليسوا جوارى بل رجالا في ملابس نساء فقال الملك نحن في انتظارهم، وعندما جاءوا تم اعتقالهم وأخذوا إلى خندق كبير قرب بوابة “Gobir” وتم إعدامهم هناك وسدد الدين بذلك الكنوى “Bakano”⁽¹⁾.

٣- حكاية : شكل الشخص ليس هو نفسه.

Hikaya : Kamannin mutum ba ya nuni akan hakikanin shi .

في بلاد نيسو كان يعيش أمير عظيم يسمى ناصرو، كان أهل البلاد لا يرون أحداً مثله، فهو جميل الوجه، والأسنان منسقة، ويفوق الجميع في الذكاء والعقل، وفي ساحة النزال يفوق الجميع كأنه عنتره، وأن عنتره يعرف شجاعته .

وذات يوم استعد هو ورجاله وركب وخرجوا للصيد، فلما وصلوا إلى الغابة رأوا غزالة، فقال الأمير لرجاله « لا تدعوها تهرب » نحن وكلنا بها وسوف نفعل ما أمرنا به أطلقوا عنان الخيل وطاردها، الأمير في المقدمة وهم يتبعونه، وكانت الغزالة تتسلق المرتفعات، وتترك خلفها الغبار، وأخيراً عجز عبيد الأمير أن يتبعوها، فتركوا حصان الأمير وحده يطاردها . ولكن رغم سرعة جرى هذا الحصان نجت

(1) Labaru Na Da Da Na Yanzu : op. cit. p.p. 28 – 31.

قام بترجمة هذا النص للغة العربية الأستاذ / حافظ إبراهيم عبدالله .

الغزاة من المطاردة، وبعد غروب الشمس يثس الأمير، فتوقف وعزم على العودة، وأخذ يتعرف الطريق فعجز، وها هي الشمس قد غربت، وقد تعب هو وحصانه .

فوجد شاطئ أحد الأنهار فرقد، وترك حصانه يرعى، ونام ولم يستيقظ من النوم إلا بعد طلوع الفجر، فلما طلعت الشمس تتبه، وقام فوجد نفسه قد تحير وازداد نسياناً، ولم يعرف الشرق ولا الغرب، فأمسك حصانه وركبه، وأخذ يتجول حتى وصل إلى جبل، فقال في نفسه « ربما لو حاولت، أن أصعد هذا الجبل أرى معالم المدينة » . ثم تسلق الجبل بعد أن ربط حصانه وتركه يرعى، وأثناء تسلق الجبل أدخل رأسه فرأى كهفاً واسعاً، فتناول حصوة صغيرة ورمها بداخله ليعرف مداها، دون أن يعرف ما بداخله، فرأى شخصاً يخرج منه ويحتضنه، ويدخل به، فقد ألقى الحصاة في كهف ملك الجن فلما دخل به وجد الملك يجلس على كرسي ويهون له، فنظر إليه ملك الجن وقال : « مَنْ أنت ؟ و مَنْ أين جئت ؟ » .

انحنى الأمير وقال : « أنا ناصرو أمير نيسو، خرجت للصيد ظهر أمس، وتتبع غزال، وشاء القدر أن انفصل عن رجالى حتى أتى إلى هنا » .

قال ملك الجن : « حتى أنت يا أمير جئت هنا لترمينى بالحجارة ! هل تتعالى بعظمتك اليوم، ستقول لهم إن النار شديدة الحرارة » .

فأخذ الأمير ناصرو يرجوه ليعفو عنه، ويقول : « إنه لم يعرف، وأن الجهل أشد من الليل ظلمه » .

قال أحد خدم ملك الجن له : " إن كنت لا تعرف، ألا ترى، أم أنت أعمى؟".

قال الأمير : " لو كنت أرى، ماذا يحملنى على رميكم بالحجارة ؟ "

قال ملك الجن : " سأعفو عنك، إذا وافقت على شىء واحد، منذ خلقت لم أعش أبداً بين الإنس، ففى الجن ولدت، وبينما كبرت حتى ورثت أجدادى، والآن ما أريده أن تعيرنى ثيابك لأرتديها، وأعود إلى نيسو اليوم فقط لأرى أسلوب حكمكم للناس، وأنت تقيم هنا فى منزلى حتى يطلع فجر الله، وأعود غداً، وماذا يجعلنى انتظر حتى الليل ؟، وعندما يحين المغرب سترانى اليوم، لأننى لا أستطيع أن أكل طعامكم "

قال أمير نيسو : " وهو كذلك " ، وخلص ملابسه كلها وقدمها لملك الجن، وأخذ بعضها ولبسها، وأخذ العمامة وقدمها للجنى ولفها له، ونزل وركب الحصان وقصد المدينة .

فلما دخل ملك الجن المدينة، لم يعرف الطريق الذى يسلكه ليدخل منزل الأمير، فأخذ يتجول فى شوارع المدينة، والناس ينحنون تحية لأميرهم، فرأى شاباً فقال له « أيها الشاب سر أمامى لنذهب إلى منزلى » فسار الشاب أمامه حتى القصر .

فلما رأى الحراس الأمير قادمًا، أقبلوا عليه، وأمسكوا الحصان لينزل، وتبعه الجنود يقولون له : « خطوات السلامة يا أمير .. أمير المسلمين » وأوصلوه إلى المجلس وجلس، وأخذ الناس يفدون عليه يباركون وصلوه، وهو يقول كلمة استحسان ولم يعرف أحدًا منهم، ولم يناد أحدًا باسمه .

عندما انتهوا من استقباله، جلس الوزير يرمى الأمير، فرأى أن دخوله كدخول أميرهم، ولكن طبيعته وصوته كأنه ليس هو، وحاول أن يرى وجهه فلم يستطع، لأنه مغطى، وهو يعرف أن صوت الأمير رفيع قليلا، واليوم يسمعه مبحوحًا، لذلك لم يستطع سماعه، قال : « نصرك الله، أين نمت أمس ؟، اسمع صوتك مبحوحًا، كمن أصابه البرد».

قال ملك الجن: « ويحك، اترك هذا الكلام، لقد تعبت أمس، أترى عندما خرجنا للصيد أمس، وأنتم تتبعوننى .. » .

قال الوزير : « نصرك الله، أنا لم أخرج معكم، ألم تقل لى أن انتظر لأحرس المدينة ؟ » .

قال الأمير : « نعم، أنت الذى تركت لتحرس المدينة، ذهبنا مع العمدة ؟ » .

قال الوزير : « عمدة المدينة هو الذى كلفته بالذهاب إلى أمير الشمال ليساعده فى جباية الخراج أما الذى خرج معك فهو ولى العهد ورئيس الحراس » .

قال الأمير : «هكذا، نادهم لنسمع منهم ماذا فعلوا بعد أن تفرقتنا ».

قال الوزير : « ها هم أمامك » .

قال الأمير : « لقد ارتبكت، لم استطع الرؤية جيداً » ، ونظر إليهم وقال : «ماذا فعلتم بعدما تفرقنا ؟، أمس اختبرنى الله بغزالة تجرى، ورغم سرعة حصانى فقد هربت منى» .

فقال خادم الأمير : « عندما رأينا الغبار عجزنا فعدنا إلى المنزل، لقد عرفنا أنك ستعود إلينا، إلا إذا كتب عليك الموت . ولكن سمعناك تقول إنها غزالة كبيرة هل اتبعت بعد ذلك غزالة أخرى ؟، لأن الغزالة التى وجدناها معك فى البداية، غزالة صغيرة » .

قال الأمير : « أين ؟ ابنة صغيرة جعلتها تجرى، أنتم تعرفون أننى كنت فى المقدمة وأقرب منكم إليها، وكانت كبيرة، عندما تركتها هربت منى، وهممت بالعودة إلى المنزل، فلم أجد فرصة، فقد أقبل الليل وصرت أنا وحصانى كالبقرة العجوز تنام هى ورضيعها، فبحثت عن ماء، وسقيت حصانى، وكنت مكاناً ونمت، وأخذ الحصان يرعى قليلاً حتى الصباح، وعندما طلع النهار اليوم حضرت » .

قال الوزير : « مشكلة الخراج التى حدثتك عنها أمس ، لم تقل شيئاً عنها، وخرجتم للصيد » .

قال الأمير : « هل انتهيت، ودفعوا جميعاً ؟ » .

ابتسم الوزير وقال : «دفعوا وانتهى الأمر ؟ نصرك الله، كل ما حددته الشهر الماضى دفع الآن، اليوم أنت تشعر بكل النشاط، كل من فينا من الناس كأنك لا تعرف أحداً منهم، وحتى الآن لم تناد أحداً منهم باسمه، وكل من حياك تقول له سيدى » .

قال الأمير : «حيرتى هذه بلغت حدًا كبيرًا، ومشكلة الخراج التى تتكلم عنها؟» .

قال الوزير : « أمير الغرب قال : إن رجاله هاجروا، بعث عندما أمرت أن تأخذ حيواناتهم، ونبيعها رغماً عنه » .

قال الأمير : « وهو كذلك لنتشاور فيما يجب أن يكون » .

وجاء كاتب القاضى، وهو ابن الأمير ناصرو الكبير، وأدى التحية، وقال : « جئت بشأن مشكلة حسن جولومبى، الذى لم يؤد الدين الذى فرض عليه وقدره ثلاثة شلنات ونصف، حتى الآن لم يدفعها » .

قال ملك الجن : « يجب أن يسجن سبعين عاماً » .

ضحك الكاتب وقال : « سبعون عاماً، نصرك الله » .

قال الأمير : « هل هذا قليل ؟ زد عليها عشرة » .

فلم يجد الكاتب ما يقوله، فقال الأمير:«تكلم، لماذا عينتك قاضياً، إن لم يكن لذلك » .

ضحك الوزير وقال : « ليس هو القاضى إنه الكاتب » .

قال الأمير : « لقد تحيرت بسبب هذه الليلة التى نمتها فى الغابة » انقل تحيتى للقاضى وأخبره أننى عدت، لماذا لم يأت ؟ » .

وكان القاضى أمامه، فقال : « نصرك الله، إنى هنا منذ فترة، أنا والوزير » .

نظر إليه الأمير وقال : « لم انتبه للجميع، إن العقل هو الذى يرى وليس العين، أين الوزير الذى جئت معه ؟ » .

قال الوزير : « نصرك الله، منذ فترة أتكلم معك » .

قال الأمير : « علمت، ظننت أنه يقصد الوزير المساعد، ألسنا نتكلم فى مشكلة الخراج من فترة ؟ » .

قال الوزير : « نصرك الله، لا يوجد وزير مساعد فى هذه المدينة، أم أنك عينت وزيراً ولم نعرف ؟ » .

قال الأمير : « اليوم التبس على الأمر كله، لعلى أرى الناس غير واضحين » .

قال الوزير : « يبدو رفعتك الله، أنه ينبغي أن نتركك، حتى إذا هدأت نفسك، نستمر غداً في بحث شأن الملك، نتركك بالسلامة، وانصرفوا » .

قام الأمير وقصد المنزل وهو لا يعرف الطريق، حتى دلوه عليه، فذهب ووجد الخدم والنساء، فأخذ يتكلم معهم كلاماً فارغاً كما حدث في المجلس، فتحيروا في أمره، فظنوا أنه أصيب بالجنون، عندما نام في الغابة .

وعندما حان المغرب ذهب إلى دورة المياه ثم اختفى، وذهب أمير الجن فوجد الأمير ناصرو، فقال : « لقد سمعت اليوم ثرثرات كثيرة، ثرثرتكم أيها البشر ليس أصعب منها، طول النهار لا يفلق الناس أفواههم، جاء الوزير بمشكلة الخراج، وجاء الكاتب بمشكلة القضاء، وجاءت الجارية لتتحدث عن الطعام، ويحكم ! ألا تتركون الإنسان يستريح ؟ » .

عقد الأمير ناصرو صداقة مع ملك الجن، وأمر الجن أن يحملوه ويعيدوه إلى منزله قبل أن يغمض عينيه، وأعطاه مالا كثيراً .

عندما طلع النهار خرج الأمير إلى الحاشية، وتجمع الناس، وحياه الجميع، وأخذ ينادى كلا منهم باسمه، ويسأله عن الأخبار كما تعود تماماً، وليس كما حدث بالأمس .

قال الوزير : « نصرك الله، ما نوع الدواء الذي شفاك من الزكام هكذا ؟، لقد جئت بالأمس وصوتك مبجوح تماماً، واليوم عدت كما كنت من قبل، أمس لم تكن تعرف أحداً، نصرك الله كنت في حيرة . لم تستطع رؤية الكاتب، ولا أي أحد، ظننا أنك أصبت بالجنون، حتى أننا حزنا، عندما أنكر حسن جولومبي ثلاثة شلنات ونصف دينار ولم يؤده، قلت : « يسجن سبعين عاماً، هل قتل نفساً ؟ » .

انفجر الأمير في الضحك وقص لهم كل ما حدث بينه وبين ملك الجن، فلم يتمالكوا أنفسهم من الضحك، وقال الوزير : ويحك، نصرك الله، والله لقد أدركت ذلك، ولكن الخوف من معنى من الكلام، كل من يتدخل ويتعد عما أمره الله به يضع نفسه في مكان آخر، يجلب لنفسه الكلام، هنا أخذ مداحو الأمير يمدحونه قائلين:

ها هو شخص أتى شبيهه ناصر
التشبه بالملك يكون صعباً
فى الوجه كاد أن يكون هو
هاهى الهيئة فى الجسم والجمال
لبس العباءة والصدار
ولكن حاله مختلف « (١).

٤- حكاية : هديل الحمامة كلام لا يفهمه إلا العاقل .

Hikaya : Kukan Kurciya Jawabine mai hankali ke ganewa.

ذات يوم خرجت امرأه تسمى "جما" من مدينتها قاصدة مدينة تسمى سورد، لتزور والديها اللذين يعيشان فيها، وأثناء الطريق قابلها بعض أطفال المدينة الأشقياء، وقاموا بالتهليل خلفها ورميها بالحجارة لأنها قروية، زينتها وملابسها مختلفة عنهم . وكانوا كلما رأوها تصرخ أمعنوا فى رميها بالحجارة، ومنهم من أخذ يلطمها، وأسقطوا بعض الهدايا التى أعدتها لوالديها .

أسرعت "جما" إلى منزل الأمير، ورفعت إليه شكوى، فقال لها الناس: « الأفضل أن تصبرى من أن ترفعى الشكوى إلى الأمير، ستتعبين نفسك بلا فائدة إذا لم تصبرى، إن الإبرة لا تحفر بئراً » .

قالت "جما" : « وهو كذلك، إذا لم أصل إلى الأمير، هل تدفعون لى ثمن ما أفسدوه؟ »، قال لها الناس : « ما هذا الكلام الفارغ ؟، اذهبي . » .

وهمت "جما" بالذهاب، فقال لها رجل عجوز : « يا ابنتى لا ترفضى كلام الناس، هذا الأمير وجوده كعدم وجوده، فهو لا يهتم بمن يسبه، ولا يهتم بمن يسب الناس حتى يحكم بينهم، فهو طالما يملأ بطنه، لا يهتم حتى لو لطمته، أمره غريب لا يعرفه أحد، إذا كان هذا صيراً فقد تجاوز الإسلام، وإذا كان هذا غباء نسال الله أن

(١) الحاج أبوبكر إمام : مرجع سابق، ص ٢٠٢ : ٢٠٨ .

يخفف عنه في هذه المدينة، يسرقك اللصوص الآن في وضع النهار، إذا كنت قوية، تستطيعين أن ترديهم بقوتك، وإلا تصيرين وتسلمين أمرك لله .

عندما سمعت "جما" هذا الكلام، انحنت وشكرت هذا العجوز واتجهت إلى قصر الأمير وهي تبكي، فلما وصلت لم تتوقف إلا أمام مجلسه؛ حيث يجتمع رجال الحاشية، وانحنت وقالت : « نصرك الله، عندما كنت قادمة إلى هذه المدينة قابلني بعض الأطفال، وضربوني، وأهدروا كرامتي وسلبوا بعض متاعى وجروا، وحاولت أن أكظم غيظى وأتركهم، فعجزت، لذلك جئت إليك الآن لتساعدنى، لا أريد أن تجمع أطفال هذه المدينة وتضربهم أو تقدم إلى معروفًا، ما أريد أن تساعدنى به، هو أن تعلمنى كيف أصبر ولا أهتم بما حدث من أمور، كما سمعت أنك تفعل، وأن تساعدنى كما ساعدك الله، حتى أصبر دائماً على ما يفعله الناس بى، لأن الرؤساء لم يكونوا لتحذير الناس، وليصبروهم ليعيشوا حياتهم، ويتركوا الناس يعيشون حياة السمك فى الماء، كل تحميه قوته .»

عندما سمع الأمير هذه المرأة، فهم مقصدها، وصار كمن استيقظ من النوم، وبدأ يجمع هؤلاء الأطفال، وعاقبهم على ما فعلوه لـ "جما"، وأحضر مالا كثيرا وقدمه إليها، تعويضًا عما فعلوه بها، ومنذ هذا اليوم أصبح يهتم بأمور ملكه .

قال الناس : « إن هذا الكلام الذى قالته "جما"، لا يفهم معناه إلا أصحاب العقول فقط »^(١).

٥- حكاية : كل من يعتمد على الله لا يخاف حاسداً ولا حقوداً.

Hikaya : Wanda ya dogara da Allah baya tsoron mai hassada ko mai mugun kulli .

كان يعيش فى بلاد السودان أمير، لم يكن له مثيل فى الثراء فى كل البلاد، وقد خلق الله لهذا الأمير قلباً يختلف عن باقى الأثرياء، لأن كل الأثرياء يكنزون أموالهم، لا يأكلون، ولا يشربون، ما عدا هذا الأمير، كان كل يوم يجمع العميان

(١) المرجع السابق : ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

والمساكين، ويتصدق عليهم وإذا جاء أحد الأعراب، لا سيما إذا كان ذا علم، فيغدق عليه الهدايا حتى يعجز عن شكره لشدة السرور .

وذات يوم جاءه رجل عالم يسمى عبده أجو، وحياه، فرحب به الأمير وسأله عن البلد الذى جاء منها، وما صناعته ؟ وما أخبار بلاده ؟ قال عبده أجو : إنه رجل من الغرب، وهو على علم، فلما سمع الأمير ذلك سر به، وبدأ يختبره، فوجده عالماً ككل العلماء، فلما رأى ذلك رفع منزلته، ولم يكن هذا الأمير فى حاجة إلى شيء، كحاجته للعلماء المشهورين، وكان كلما احتاج إلى مشورة سأل هذا العالم .

وكان فى هذه المدينة وزير لا يضايقه شيء كالخير الذى ينفقه هذا الأمير على العجزة . فإذا رآه قدم لأحد خيراً، يغضب كأنه أخذ من ماله الخاص، وكان غضبه قبل ذلك كالمزاح ولكن منذ أن رأى الأمير يعظم العالم عبده أجو أخذ غضبه يزداد وأخذ يصب عليه غضبه، وعندما رأى أنه على الرغم من كل هذا الحسد يزداد رفعه فى نظر الأمير، يكاد يقتل نفسه من شدة الغيظ، وذات يوم بلغ به الحقد مداه، حتى لم يستطع على ذلك صبراً، فذهب إلى الأمير وقال : « إن لديه كلاماً يريد قوله، فتفرق كل الناس وتركوا له المكان ،، فانحنى وقال للأمير : « أطال الله حياتك، أريد أن أتكلم معك منذ مدة طويلة، ويمنعنى الخوف » .

قال الأمير : « إذا كنت تخشى الآن أن تقول لى كلاماً، فمتى إذا تستطيع ؟ ، لقد جعلتك وزيراً لأنى أراك قادراً » .

قال الوزير : « حقيقة .. نصرك الله .. إن أمرنا مع أفراد الشعب أرى أنه قد تجاوز الحد وأرى أنه إذا زاد، سيسبب لنا الضعف فى السيطرة على شئون الملك» .

نظر إليه الأمير بعين غير راضية وازدراء، وقال : « أهكذا ؟ » .

أدرك الوزير أن الكلام لم يعجب الأمير، فغير من جلسته وقال : « نعم، أطال الله حياتك، تسامحك مع أفراد الشعب أمر تجاوز الحد، أنت الآن الأمير بن أمير حفيد أمير، لا ينبغى لمثلك أن يكون لى له أصدقاء مقرين سوى، من لا أصل لهم، الذين لا يبيغون إلا الشهرة، إذا حضر الآن بعض الأمراء، ووجدوا أن الحاشية

مملوءة بالمغمورين سنشعر حينئذ بالخجل، ولكن أقول لك الحقيقة، نصرك الله إذا كان هذا الكلام أملك اغفر لى»، وحنى الوزير رأسه .

هز الأمير رأسه، وحرك قدمه، وقال : « ماذا تقول ؟ لأننا نساعد العجزة من عباد الله، سيضعف هذا من شأن الملك، قل لى ما الأمر الذى ضعفنا فيه، من أمور الملك وإلا يكون كلامك هذا كلاما فارغا ؟ » .

حنى الوزير رأسه وقال : « هدأ الله من روعك، تبت، تبت » .

قال الأمير : « وهو كذلك، لقد قلت : إن مثلى لا ينبغي أن يبت الأمر مع الأشرار الذين لا أصل لهم، وهو كذلك أنا من ؟، بأى شىء أفوقهم ؟، إذا كرهت الناس، هل أمارس الملك على الأشجار ؟، كلام فارغ، كل ما تقوله حسد من أجل الخير القليل الذى أقدمه ليتامى الله والعجزة، هل إذا مت يوجد الوريث لثروتى الذى يضايقه ما أفعل ؟، قم واترك هذا المكان، ودع هذا الكلام الفارغ » .

قام الوزير، وانحنى وقال : « هدأ الله من روعك، اعف عنى، تبت، تبت » .

قال الأمير : « وهو كذلك، لا بأس، اذهب، ولكن عليك أن تعرف الكلام الذى تقوله لى » .

قام الوزير خجلا، وذهب إلى بيته، وكأن الحزن سيقته، وقال فى نفسه : « طالما أخرجنى هكذا، من أجل هذا الحقير الفاسد الذى يسمى "عبده أجو" إن شاء الله، سأرى آخرته، إذا لم أواجهه بشدة سيكون سبباً فى فضح الأمير لى فى هذه المدينة » .

وبعد حوالى شهر هدأت نفس الأمير من هذا الغضب الذى سببه الوزير، ثم دخل عليه بعد ذلك وهو يضم فى نفسه أمراً لـ "عبده أجو"، وذات يوم هداه تفكيره إلى حيلة، كان "عبده أجو" إذا ذهب إلى القصر مع الوزير يجعله أمامه احتراماً، ويسير خلفه .

وذات يوم، قبل أن يذهب يصطحبه ليذهبا إلى القصر، أتى الوزير ببصل شديد الرائحة، وكسره ووضع فى العسل والتوابل، وغطاه وعندما جاء الظهر، جاء "عبده

أجو" ليذهبا معاً إلى القصر، ودخل لتحية الوزير، فرد الوزير قائلاً: « يا شيخ عبده هل حضرت ؟ » .

قال عبده أجو: « نعم، أطال الله حياتك » .

قال الوزير: « عندما جئت أمس شعرت أن الزكام يكاد يصيبك، لذلك أمرت أن يعد لك دواء، مثل الدواء الذي أتناوله إذا شعرت أنه سيصيبني » .

قال عبده أجو: « والله أشكرك، أطال الله حياتك، لم تغمض لى عين أمس، الزكام ليس مريحاً، رويداً رويداً يجعل الإنسان يرقد » .

قال الوزير: « الزكام، أخبار الزكام، أنا أعلم بها، احضروا له هذا البصل » فاحضروا « لعبده أجو البصل فى العسل، فجلس وأخذ يأكل منه، وعيونه تدمع، والمخاط ينزل من أنفه لشدة التوابل .

وعندما انتهى من الأكل، قال للوزير: « أطال الله حياتك، انتهيت، ينبغي أن نذهب إلى القصر، حتى لا يسبقنا الأمير » .

قال الوزير: « صدقت » واستعد للقيام، ثم عاد وجلس، وقال « لقد نسينا، لبتك تركت أكل البصل، حتى تعود من القصر، لأن الأمير لا يكره شيئاً مثل رائحة البصل، عندما يشمه لا يكف عن القىء .

قال عبده أجو: « وهو كذلك، ما العمل ؟ » .

قال الوزير: « الأفضل أن ننتظر الجارية حتى تأتي لك بالصابون لتغسل يديك وتمضمض فمك جيداً، ربما تقل الرائحة » .

قال عبده أجو: « وهو كذلك أطال الله حياتك » .

وارتدى الوزير الحذاء وهم بالخروج، ثم انتظر وقال: « الأمر المؤكد لرائحة البصل، مهما غسلت فمك لا تخرج الرائحة، والأفضل، عندما تتكلم مع الأمير اليوم، تلتفت برأسك دائماً، وتغطي فمك بكم قميصك، وذلك أفضل من أن تجعل الأمير يتقيأ وسط الحاشية » .

قال عبده أجو: « أطال الله حياتك، والله هذه حيلة مفيدة » .

قال الوزير : « ومع ذلك يجب أن ننتظر قليلا، لتجرب الفسيل، حتى إذا لم تتقطع الرائحة كلها، تقل، وسأسبقك، وتلحقنى هناك » .

قال عبده أجو : « وهو كذلك بلغه التحية » .

ذهب الوزير، فوجد القصر قد امتلأ، وبعد قليل سمعوا أقدام الأمير قادمًا، فقام الوزير وقابله، وحياه وكانت العادة إذا أقبل الأمير قبل أن يصل إلى مكان الناس، ينادى عبده أجو ليستقبله، ويتبادلا التحية .

عندما رأى الأمير الوزير وحده، قال : « أين هذا الضيف اليوم ؟، لم أركمنا اليوم معاً ؟ هل هو مريض ؟ » .

قال الوزير: « لا، صحته جيدة، فى منزلى منذ الصباح تركته هناك يصلى ثم يصل » .

قال الأمير : « هل وصل به التجول حتى منزلك ؟ » .

قال الوزير : « لا يفصلنا عن بعض سوى الليل فقط، يقص على أخبار مدينتهم، » قال : « إنه مل الإقامة هنا، ويريد أن تعطيه ما ستعطيه ليرحل، إنه أضحكنى عندما قال إنك حتى الآن لم تعطه شيئاً طيباً، سوى الوليمة التى تقيمها له دائماً، كأن الجوع يطارده » .

قال الأمير : « بالله يقول هذا يا وزير؟ » .

قال الوزير : « هل هذا الأمر البسيط يجعلك تفضب عليه، رغم ما بينكما من علاقة ؟، لو سمعت الكلام الذى يقوله كله لطردته الآن » .

قال الأمير : « بالله عليك زدنى بكل الكلام الذى سمعته يقوله، لأعرف كيف أتعامل معه » .

قال الوزير : « أطل الله حياتك، لعلك تعرف مدى علاقتى بك، والعاقلة لا يقبل أن يسىء إليك أمامنا، ولكن سمعته يوماً يخطئ فى حقه غير مقصود، قال : إنه لا يكره شيئاً ككرهه أن تتكلم معه ورائحه فمك كريهة، يقول : إنك إذا دعوته لتشاوره فى أمر ما، يشعر كأنه سيتقيأ من رائحة فمك، ويقول : إنه وجد حيلة لذلك، وهى

أن يغطى أنفه بكم قميصه إذا تكلم معك، حتى لا يضيق صدره، ويتقيأ، حتى أنه يتعجب كيف أتحدث معك وجهاً لوجه هكذا ؟، وقد قلت له : إننى لم أشعر أبداً برائحة فمك الكريهة، والله . أطال الله حياتك . لو قال شخص آخر هذا الكلام أمامى لسجنته قبل أن تسمع ذلك، ولكن عبده أجو طالما أنت راضى عنه، إذا فعلت شيئاً له ستقول أننى أحسده، وهذا ما أخشاه، عندما جئت لأتساور معك منذ أيام مضت، أخذت تلومنى، والآن أقسم بعماتك، كل المدينة تتحدث عنه، وإذا كنت حتى الآن تظن أننى كاذب، فإنهم يقولون حبك الشيء يعمى عن رؤية العيب، اتركه وعندما يأتى استدعه كأنك ستتكلم معه فى أمر سراً، سترى ما يفعل . » .

عندما وصل الوزير إلى هذا الحد، طلب من فصيح أن يقول ما حفظ، ويكرر ما قاله دون أن يترك شيئاً حتى يستمر الوزير فى الكلام .

وصل الأمير إلى المجلس، وترجع والناس جميعاً يحيطون به، ويعد قليل دخل عبده أجو، فانحنى وأدى التحية، فرد الشرطة، فنظر إليه الأمير وقال « عبده أجو قرب هنا لنسمع » .

قال عبده أجو : « أطال الله زمانك، ها أنا » وذهب أمام الأمير وجلس القرفصاء فجذبه الأمير فى الحديث ليعرف ما إذا كان يريد العودة إلى بلدهم، فأخفى فمه بكم قميصه وطأطأ رأسه، حسب الخطة التى قالها له الوزير، حتى لا يشم الأمير رائحة البصل، وقال : « نصرك الله، هل لى أمنية الآن أن أذهب إلى أى بلد وأعيش فيه سعيداً إلا بلدكم ؟ » .

عندما لاحظ الأمير كيف يتكلم عبده معه وفمه مغطى بكم قميصه، غضب ويعد وتركه، واجتمعت الحاشية وتفرقت، وأخذ الأمير يفكر فى طريقة يقتل بها أجو، فلم يجد، إذا أمر أن تقطع رقبتة فى السوق، سيلومه الناس، لأنه رضى به حتى جعله من المقربين، وبعد قليل فكر الأمير فى أفضل طريقة وهى أن يعطيه مظروفاً مغلماً، ويكتب فيه أن يقتل حامله .

وبعد حوالى ثلاثة أيام، كتب الأمير رسالة إلى كبير السيفيين، يطلب فيها قتل من يحمل الرسالة، وختمها، ووضعها فى المظروف وأغلقه، ونادى عبده أجو

وسلمها له، وقال : « حتى الآن لم أقدم لك خيراً عظيماً، منذ أتيت، خذ هذه واحملها إلى الأمير قرايا، وتأخذ ما يعطيك، وإذا عدت تستعد للعودة إلى بلدك، لتأتى بأولادك، حتى تهدأ نفسنا »، ولم يقل الأمير لأحد ما يقصده .

انحنى عبده أجو وشكره، وخرج بالرسالة مسروراً، دون أن يعرف ما فيها، وعند خروجه، رآه الوزير بالرسالة فقال له : أن يذهب إلى منزله وينتظره حتى يأتى، وبمجرد أن تفرق المجلس، توجه الوزير إلى منزله بسرعة، ما بالك بالحسود ظن أن الرسالة التي نادى الأمير عبده أجو وسلمها له، سينال بها شيئاً عظيماً ذا قيمة، لذلك عندما رأى عبده أجو متشوقاً للذهاب، فكر أن يذهب ويمكر به .

عندما وصل الوزير إلى المنزل وجد عبده أجو يجلس ينتظره، فتبادلا التحية وقال الوزير وهو يبتسم : « لعل الأمير سمح لك بالسفر بهذه الرسالة الكبيرة ؟ » .

قال عبده أجو : « نعم، طلب أن أسلمها إلى أمير قرايا، سيعطينى بعض الأشياء وعندما أعود أرحل إلى بلدنا، لأتى بأولادى إلى هنا » .

وعندما سمع الوزير ذلك ظن أن المؤامرة التي دبرها له منذ أيام فشلت فبدلاً من أن يطرده قدم له مكافأة، لأنه سيذهب ويأتى بأولاده، وبدأ يفكر كيف يمكر به ويأخذ الرسالة، ويحملها هو، فإذا أعطاه مكافأة يسرق نصفها ويعطى عبده أجو النصف الآخر، لذلك قال له : « إن هذا الطريق ليس سائماً، يوجد بعض اللصوص فى الغابة الصغيرة التي بيننا وبوجابرى، وأنت لا تعرف الطريق جيداً، فقيه تفرعات كثيرة، وأرى أن الأفضل لنا، أن تعطينى الرسالة، إذا ركبت الآن وذهبت بها، أصل قبل العشاء وإذا سلمنى الأمير شيئاً استريح قليلاً، وأركب الحصان فى الصباح الباكر وأعود، وأصل قبل أن ينادى للصلاة » .

قال عبده أجو : « لا، من أنا حتى أرسلك ؟، أذهب أنا أفضل من أن يقال إننى بعثتك، طالما أنتى اعتمد على الله ورسوله إن شاء الله لن يصيبنى شيء » .

قال الوزير : « طالما أننا نعرف ذلك، ما بيننا من ود لا يعلمه إلا الله وحده »، وألح عليه، حتى يأخذ الرسالة، وأمر أن يعد له الحصان ليركب، كمن سيذهب إلى نزهة، وذهب بها، وذهب عبده أجو إلى المنزل ليستريح، ولم يخرج حتى لا يراه الأمير، فيقول لماذا أرسله ؟ فرفض الذهاب .

عند وصول الوزير فى الليل سلم أمير قرايا الرسالة فقرأها، ورأى خط الأمير وخاتمه، فلم ينتظر قليلا وأمر بقطع رقبة الوزير، كتب أنه نفذ أمر الأمير، وأمر أحد خدمه أن يركب حصان الوزير، حتى يصل قبل أن يخرج الأمير فى الصباح وعندما خرج الأمير سلمه الرسالة، فقرأها وقال : « الحمد لله » ونظر إلى الحصان، وقال : « هذا حصان الوزير، من أين جئت به ؟ » .

قال الخادم : « هذا الحصان كان يركبه الذى بعثت به » .

غضب الأمير وطلب أن ينادى الوزير، ليسأله عن السبب الذى جعله يعير عبده أجو حصانه، فأسرع رئيس الحراس إلى منزل الوزير، فقالت الجارية : « لم تر الوزير منذ أمس عندما خرج للنزهة عصرًا، ونحن مشغولون لعله خير » .

عاد رئيس الحرس وقال للأمير، قال الأمير: « كيف حدث هذا ؟، اذهب إلى منزل ميتساميا، حيث ينزل عبده أجو وانظر هل هو موجود » .

عندما ذهب وجده قد انتهى من صلاة الضحى، ويقرأ الورد، فقال له : « يا شيخ عبده، أقبل مسرعا الأمير يناديك » .

فقطع الورد، وأتبع الحرس، وقلبه يخفق، لأن الأمير بعثه فأخذ الوزير الرسالة وذهب بها، ويخشى أن يظن الأمير أنه رفض الذهاب عند وصولهما، انحنى عبده أجو، وحياه، فنظر إليه الأمير غاضبًا، وقال : « أين الرسالة التى سلمتها لم لم تحملها إلى أمير قرايا ؟ » .

انحنى عبده أجو وجسمه يرتعش، وقص للأمير كل ما حدث بينه وبين الوزير، حتى أعطاه الرسالة، عندما سمع الأمير ذلك، أدرك ما حدث وتعجب وقال : « الله أكبر»، إذا بحثنا هذا الأمر الذى بين الوزير وعبده أجو سنجد فيه كيدًا «، والتفت إلى عبده أجو وقال: «بالله عليك، أتذكر أنك تكلمت مع الوزير وقلت له أن فى رائحته كريهة ؟» .

قال عبده أجو: « والله والله، لم أقل هذا «، وسكت وبعد قليل قال : « والله لم أقل هذا أبدًا، وصمت، وبعد قليل قال : « لعلك أطلال الله حياتك تقصد الكلام الذى حدث بيننا بأنك لا تحب رائحة البصل ؟» .

تعجب الأمير وقال : « متى قلت إننى لا أحب رائحة البصل ؟ ».

قال عبده أجو : « حتى إنه منذ أيام عندما ذهبت إلى منزل الوزير قدم إلى البصل لآكله كمعلاج للبرد، وقال : « إذا جئت لأتحدث معك أن أخفى أنفى بكم قميصى، حتى لا تشم الرائحة، فنتقياً ؟ أطال الله حياتك، ولعلك تتذكر أنه عندما سبقنى الوزير فى المجيء إلى القصر، وجئت فناديتنى لتسألنى، هل أريد العودة إلى بلدى، تلاحظ أننى عندما كنت أتكلم معك فى هذا اليوم كنت ألفت رأسى، وأعطى فمى بكم قميصى، وقد سبقنى الوزير فى الحضور إلى هنا، لأننى أنتظرت فى منزله أغسل فمى بالصابون وأمضمض فمى، لعل الرائحة تنقص، فلا تشم الرائحة إذا جئت إليك، ولكنى كل ما فعلته بلا فائدة » .

عندما سمع الأمير ذلك، قال : « لا حول ولا قوة إلا بالله » ولم يشعر إلا والدموع قد تساقطت من عينيه شفقة وقال : « هذه القصة صارت تحذيراً للرؤساء، ولكل رئيس يحاول أن يمكر ببنى آدم، ويشى به سيندم، والأفضل للرؤساء كل من يأتى لهم بوشاية، أن ينتظر حتى يتحقق، فإن بعض الظن إثم » .

وفى الحال أمر الأمير بجمع الناس، ولم يعرف عبده أجو أى شئ مما حدث، وقص لهم الأمير كل ما حدث بين الوزير وعبده أجو، منذ البداية حتى النهاية .

قال الناس : « لا حول ولا قوة إلا بالله »، وتعجبوا، وأترك لكم تخيل ما فعله عبده أجو عندما علم بهذا الأمر، وعندما علم أهل الوزير أنه مات بكوا كالعادة، ونظر الناس إلى الأمير وقالوا : « نصرك الله، طالما أن الله قدر أن يحدث هذا الأمر، لم يبق الآن إلا أن يعين عبده أجو وزيراً، لقد أعطاه الله، وليس لنا أن نحسده على ما قدر الله » .

قال الأمير : « هذا ما كنا نريد »، وعين، وعندما دخل منزل الوزير أقيمت الأفراح الكثيرة، وأخذ الطبالون يمدحون .

وأتبعه كل أهل المدينة، يستمتعون بحياتهم مع أميرهم، وإذا أراد الأمير أن يمزح وأغلق مطروفاً ووضع عليه خاتمه، وجاء الوزير ليسلمه له، قال : خذه بسرعة

واحمله إلى أمير قرايا «، فيضحكون، ويقول الوزير: « أطال الله حياتك، لن أحمل ظرفاً مغلقاً أبداً»^(١).

٦- حكاية : إذا كنت تحفر حفرة للشر فلا تعمقها .

Hikaya : In zaka gan Rumin Mugunta kada ka gina da zurfi .

كان يعيش في إحدى المدن شاب قصير وأبيض اللون، وكان يسمى منصوراً وكان يصطاد الطيور، وذات يوم اصطاد عصفور كنارياً، وصنع له قفصاً، وأخذه وعلقه على باب منزله .

وذات يوم كان رئيس حاشية المدينة يمشى فسمع هذا الكنارى يغرد، فوقف وسأل هذا الشاب هل يبيعه ؟، فرد عليه أنه ليس للبيع، إلا أن رئيس الحاشية أحب هذا الكنارى، فقال : إذا وافق منصور سيعطيه خمسة شلنات ويأخذ هذا الكنارى .

عندما سمع منصور أنه سيعطيه خمسة شلنات وافق، فطلب منه رئيس الحاشية أن يحمله ويأتي ليأخذ ثمنه، مشى منصور ،وأمامه رئيس الحاشية، فلما وصلا إلى ممر المنزل، أخذ رئيس الحاشية الطائر ودخل المنزل، كأنه سيحضر المال ويقدمه إلى منصور، فلما دخل المنزل علق القفص، وانصرف لشأنه وكأن شيئاً لم يكن، وكأنه لم يترك أحد على الباب، وبعد وقت مل منصور الانتظار، فقام وأخذ يقرع الباب، ويستأذن قائلاً : « السلام عليكم، السلام عليكم »، وبعد قليل سمعه أحد الخدم، فأسرع إلى الباب، فوجد منصور، فقال له « خيراً، لماذا تقرع الباب هكذا؟» .

قال منصور : « أين هو الخير، رب بيتك اشترى عصفورى ودخل وتركتني هنا، ولم يرجع العصفور ولا ثمنه ؟، ادخل وقل له أن يعطينى مالى، وإذا كان لن يشتري، يرد لى العصفور، لم أقل له أنى أريد بيعه، حتى يتكبر على » .

(١) الحاج أبو بكر إمام : مرجع سابق . ص ٢٧١ : ٢٧٨ .

فقال هذا الخادم : « استر على نفسك، اذهب بالتى هى أحسن، وإلا والله، إن لم تتصرف، وواجهته فسوف تتدم » .

غضب منصور وقال : « رب منزلکم هذا، ليس إلا رئيسًا للحاشية ! » .

« قال الخادم : « ألسنت من هذه المدينة حتى لا تعرف بَرَوُ، الذى من ظلمه يسميه الناس « ابن الشيطان » ؟، حتى نسى الناس الآن اسم بَرَوُ وأصبح يعرف باسم ابن الشيطان، وإذا ناداه الناس بهذا الاسم لا يغضب، ولكنه يرد عليهم، بل صار يفضل هذا الاسم » .

نظر منصور إلى هذا الخادم وقال : « قل له إذا كان هو أبو الشيطان وليس ابن الشيطان يدفع مالى، قل له ذلك، وقل إن كان لا يريد أن يدفع، يرد إلى عصفورى، فقد نقضت البيع، وإذا كان يفخر فليقله لى » .

قال الخادم : « إذا سمعت مشورتى، اذهب لحالك وأنت مبتسم، قبل أن يصيبك الضرر، يبدو أنك لم تعرف ابن الشيطان، لا يوجد فى كل هذه المدينة من لم يخفه، كثير من الناس فى هذه المدينة يحبون الآن أن يطأوا ذيل الثعبان ولا يغضبون ابن الشيطان » .

قال منصور : « ما شأنك أنت حتى تتدخل فى هذا الأمر؟ ، بلغ أنت الرسالة وادخل وقل له، أنتى أرسلتك، إذا كان يتباهى بأنه شيطان فسأفعل ما بدا لى، إذا كانوا يسمونه شيطاناً وأنا أقول له إذا كان للشيطان أب، فأنا أبوه » .

عندما رأى الخادم أن منصوراً لا يبدو عليه الخوف، قال : « وهو كذلك، دعنى أدخل وأقول له من كان له نصيب فى الضرب لا يستمع إلى النصيح » ودخل، فدخل منصور يتسلل خلفه، انحنى الخادم وقال لابن الشيطان ما قاله منصور .

فلما سمع ذلك عض شفتيه، وضرب الأرض بقدميه، ونهر الخادم وزجره وقال : « أين هذا الولد ؟، بسرعة استدعه » .

عندما سمع منصور ذلك اندفع ودخل، ووقف أمام ابن الشيطان وجهاً لوجه، يضرب الأرض بقدميه، وينظر إليه نظرة ازدراء، وقال : « ها أنا، ادفع لى ثمن عصفورى، أو رده لى، كى أعرف ما سأفعله » .

غضب ابن الشيطان من شجاعة منصور، وبعد قليل تنهد وقال : « أيها الشاب اذهب لشأنك، لقد رأيتني دخلت المنزل، إذا انتظرت حتى أخرج وأجدك، أقسم بعمامة الأمير، الآخرة خير لك من الدنيا »، وقام ونفض حذاءه ودخل .

وقف منصور وكأنه يريد أن يخرج ليعرف ماذا سيفعل له، وإذا أراد أن يدمره فليفعل، ثم تذكر أن الناس يقولون التراجع يوم الحرب جبن، لذلك خرج وهو يتمتم كما يفعل أبناء هذا الزمان .

خلف منزل ابن الشيطان كان يوجد بئر حيث تملأ نساء المدينة منها الماء، ولأن ابن الشيطان يحب أن يتطلع عليهن منه، أمر بعمل نافذة تطل على البئر من الدور العلوى، وكان كل يوم يصعد ويطل على نساء الناس، فلما عرف منصور ذلك ذهب ذات يوم بعد أن انتصف النهار، وارتدى ثياباً جميلة من ثياب النساء، وتزين، حتى إذا رأته تقسم بالله أنه امرأة جميلة .

وأخذ إناءً جميلاً وذهب إلى هذا البئر، وجلس على فوهتها وأخذ يلعب بالإناء .

وكان ابن الشيطان كلما عاد من القصر يمر بهذا البئر، حتى ولو لم يكن فى طريقه، وجلس منصور قليلاً، حتى يرى من بعيد ابن الشيطان عائداً من القصر مسرعاً، فلما رأى أنه اقترب منه، ترك الإناء يسقط فى البئر وأخذ يقلب كفيه، ويتحسر ويقول : « والآن ماذا أفعل حتى أخرج هذا الإناء ؟ » .

فلما رأى ابن الشيطان ذلك، وهو يحب النساء، وقف يساعدها، لقد قلت لك أنه لا يحب شيئاً كحبه للنساء، فلما نظر شرقاً وغرباً، فلم ير أحداً أخذ حبلأ صغيراً كان فى مدخل البئر وربطه بعمامته، وربط خشبة ذات شعبتين، وانحنى ومد يده فى البئر، حتى يصل الحبل، عندما رأى منصور أن كل قوته تركزت فى البئر، تسلل من الخلف، وأمسك قدميه، وقال : « أنا منصور الذى استوليت على عصفوره »، ثم دفعه داخل البئر، وجرى، دون أن يراه أحد، وذهب إلى المنزل معتقداً أنه مات .

أراد الله أن يكون لابن الشيطان نصيب فى شربة ماء، فقد جرح فقط، ولكن لم يموت، ولم يكن فى البئر ماء غزير، لذلك لم يفرق ولكنه أخذ يصرخ، ولكن دون

جدوى . فلم يسمعه أحد، وبعد قليل سمع بعض النسوة جئن ليفترفن الماء، ففرح وقال : « بالله ساعدوني »، وهو يضرب الماء بيديه .

عندما سمعت النساء كلاماً داخل البئر، وخفن وتراجعن للخلف بسرعة، يظنون أنه جنى، فرفع ابن الشيطان صوته مرة أخرى، وتكلم معهن، وهنا جاءت إحداهن مسرعة، ووقفت وتقدمت قليلاً وقالت : « إنسان أم شيطان ؟ » .

وهنا اندفع ابن الشيطان قائلاً : « أنا ابن الشيطان، بالله عليكم مدوا إلى حبلأ، لأخرج »، ظن أنه عندما ينطق الاسم الذى يطلق عليه، ستعرفه النساء .

فلما سمعت اسمه تراجعت إلى الخلف، وقالت : « أخرجك ؟، اللهم احفظنى، الشياطين فى الحياة الدنيا أرهقونا، من يعرف عددكم، حتى أخرجك وأزيد المصائب مصيبة ؟، طالما أن الله شاء أن يقذفك إلى هنا، فامكث هنا حتى يوم القيامة، وسأذهب وأقول للناس، ألا يأتى أحد ويفترف الماء هنا منذ اليوم، طالما أنك فى البئر، اللهم فرق بيننا وبينك » .

وعندما همت بالانصراف بدأ يرجوها، ويقول لها :، إنه ليس شيطاناً حقيقياً، إنه رئيس الحاشية، فأخذت هذه المرأة حجراً، وقذفته فى البئر، وهى تقول : « اللهم فرق بيننا وبين ذريتهم » وجرت وهى تتلفت خلفها .

عندما ذهب النسوة وأذعن الخبر فى المدينة، جاء بعض الناس للتأكد من الحقيقة، فلما عرفوا أنه لم يقصد شيطاناً حقيقياً، ولكنه يقصد ابن الشيطان رئيس الحاشية، أحضروا حبلأ وأخرجوه، وحملوه إلى منزله كالميت فأخذوا يمرضونه حتى كان يتقيأ دمأ، وعملوا له كمادات من الرمال، وظل ينازع ولا يستطيع النوم، ولكن كل ما كان يهيمه هو ماذا يفعل لينتقم من منصور حتى يشفى غليله قبل أن يشفى .

عندما سمع منصور الأخبار لم ينم، وقال « إن المشكلة لم تنته بعد، إذا تركت هذا الفاجر يفيق، لا بد أنه سيقنتنى »، وتحير فى هذا الأمر .

وذات يوم كان يتجول، فخطرت على فكرته حيلة، فذهب إلى السوق واشترى سكيناً، من نوع معين، وارتدى ثياب أطباء الأعشاب، وغطى رأسه ووجهه بقبعة

من ريش النسور، وملاً جسمه بالتمائم، وذهب إلى الغابة، وأخذ يحضر ويستخرج جذور النباتات، واشترى سلة وملاًها بالجذور والنباتات الطفيلية، وعلقها في عنقه وأحضر عصا قوية وأمسكها، وقصد منزل ابن الشيطان، وقال : إنه طيب، لديه جميع الأدوية .

عندما سمع أحد الخدم ذلك، أخذه إلى ابن الشيطان لعله يستطيع مساعدته، وبعد أن تبادلوا التحية، قال ابن الشيطان، يريد أن يركب له علاجاً لإخراج الدم الفاسد، سأله منصور عما أصابه، فقال له كل شيء، فلما سمع منصور ذلك، نظر إلى الخدم الموجودين، وأرسلهم، وقال : « هذا يذهب بسرعة ويأتى بلحاء شجر الكوكا، وهذا يذهب ويحضر لحاء شجر كذا، وهذا يذهب ويحضر جذور كذا » .

وعندما وزعهم منصور كلهم، وصارا وحدهما فقط في الحجرة، قام وقصد سرير ابن الشيطان، وقال : « يا ابن الشيطان لدى علاجان، يجب أن تبدأ بشريهما لاكتساب القوة، ولكنهما شديدا المرارة، هل تستطيع أن تشريهما ؟ » .

قال ابن الشيطان : لا، هل أنا صبي صغير ؟، مهما كانت مرارتهما أستطيع شريهما، الصحة تفوق كل شيء » .

قال منصور : « قل لى الآن، منصور هو أكبر عدو لك فى هذه الدنيا » .

قال ابن الشيطان : « هذا الكلام لا قذفاً ولا زوراً » .

قال منصور : « ومع ذلك ها أنت الآن بين الحياة والموت، ليس فى نفسك سوى أن تنال العافية، وتنتقم مما فعله فيك، أليس كذلك ؟ » .

قال ابن الشيطان : « لقد كنت أريد أن أنتقم منه، فأقتله، وأقتل أمه، وأباه، إذا كانا على قيد الحياة، وإذا لم يكن له أبوان، أقتل إخوته، حينئذ أشفى غيلى » .

قال منصور : « سمعت، ولكن أنت تعرف إذا نوى الإنسان شراً فى حياته، لا يفيد الدواء معه، ما أريده منك أن تغفر لمنصور، حتى يفيد معك الدواء، فقل غفرت له، حتى يفيد علاجنا، هذا الغفران هو الدواء الأول، لقد قلت إنك تستطيع شربه، مهما كانت مرارته، اشرب، حتى تشفى . وقل غفرت له » .

قال ابن الشيطان : « أغفر له ؟، ماذا تقصد بهذا الكلام أيها الساحر ؟، لن أغفر له مطلقاً، أكبر شيء يرغبني في الشفاء هو الانتقام منه، لن أغفر له إلى الأبد، من الآن بدأنا العداوة حتى يوم القيامة، قدم لي دواءك إذا كنت تستطيع، والا اخرج واتركني .»

عندما سمع منصور ذلك، قام وجلس فوق بطنه وخنقه وكشف عن وجهه وقال: « كافر، كلب، ظالم، ابن حرام، لو قلت إنك غفرت لي، ما فعلت لك شيئاً، ولكني طالما قلت إنك لن تغفر لي حتى لو هلكت، حتى والدي اللذين لم يفعلوا بك شيئاً، ها هو الدواء الأول الذي قلت سأقدمه لك ولكنه مر » وأحضر سكيناً حاداً وطعنه في قلبه وتركه ميئاً، واتخذ طريقه وتسلسل قبل أن يراه أحد^(١).

٧- حكاية : السنجاب والقنفذ .

. Hikaya : Kurege da bushiya

ذات يوم لطيف كان القنفذ يتجول حتى وصل مدخل جحر السنجاب، فاستأذن قائلاً : يا هذا أنا أشعر بالبرد! ألا من مكان لأختبأ فيه ؟ .

فقال السنجاب : حسناً هاهو مكان صغير فجلسا معاً وبعد وقت قصير قال السنجاب : أنت يا قنفذ جلستنا هذه ليست ممتعة فإن جسدك ملىء بالشوك فمن فضلك اذهب إلى مكان آخر .

فقال القنفذ : « يا له من شيء عجيب، أما أنا فأشعر بالسعادة واللذة، فالذي لا يناسبه هذا المكان أليس عليه تغيير المكان هو ؟ »^(٢).

٨- حكاية : منع الآخر منع للنفس .

. Hikaya : Hana Wani hana kai

يمامتان من صفار اليمام اختارتا مكاناً ما ليينيا فيه عشاء، فإذا بواحدة أخرى جاءت وقالت لهما : قوما وانصرفا هذا بيتي .

(١) الحاج أبوبكر إمام : مرجع سابق . ص ٤٦٥ : ٤٦٩ .

(2) Ka Kara Karatu: Zaria. Nigeria. 1969.P.4.5. (هوسا)

قام بترجمة هذا النص للغة العربية الدكتور / صبرى إبراهيم على سلامة .

فقالتا : لن نقوم لأننا سبقناك فى الوصول .

فقالت : كيف سبقتمانى ؟ ومنذ العام قبل الماضى لقد بنيت هذا العش، فعندئذاً ابتدئوا الشجار هم الثلاثة حتى نزعوا ريش بعضهم، ولم يدركوا أنه من غرائب الأمور أنه توجد قطة تراقبهم من بعيد .

وعندما رأت القطة أنه قد جن جنونهم، قفزت عليهم قفزة واحدة وجمعتهم الثلاثة والتهمتهم أكلاً وترتب على ذلك عدم وجود أحد يأخذ البيت⁽¹⁾.

٩- حكاية : السنجاب البرى والأسد .

. Hikaya : Kurege da zaki

ذات مرة، رأت الحيوانات أن الأسد يقتلهم جميعاً وأنه بذلك سوف يبيدهم عن آخرهم، مالم يتخذوا ضده إجراء مناسباً، فاجتمعت الحيوانات وقالوا لبعضهم البعض إذا أردنا الحياة فلا بد أن نضع خطة محكمة وإلا فالأسد سوف يقضى علينا جميعاً .

وبعد أن انتهى اجتماعهم ذهبوا جميعاً إلى الأسد وقالوا له : يا ملك الغابة جئنا نطلب معروفًا، سنحضر لك كل صباح واحدًا منا لتأكله مقابل أن تترك الآخرين دون أن تقضى عليهم جميعاً .

فأجاب الأسد بالموافقة . وبعد ذلك انصرفت الحيوانات وقاموا بعمل قرعة فيما بينهم، فكان أول من وقعت عليه القرعة هو الغزال فقبضوا عليه وذهبوا به إلى الأسد وهو سعيد جدًا، ولم يذهب للصيد فى ذلك اليوم، وفى الصباح التالى قامت الحيوانات بعمل قرعة فيما بينهم ووقعت هذه المرة على الظبى الذى قبضوا عليه وأخذوه إلى الأسد الذى أكله وهو فى منتهى السعادة . واستمرت الحيوانات فى عمل هذه القرعة كل يوم حتى جاء يوم وقعت فيه القرعة على السنجاب البرى

(1) Ibid. P.II.12.

قام بترجمة هذا النص للغة العربية الدكتور / صبرى إبراهيم على سلامة .

وهمت الحيوانات بتقييده حتى يأخذه للأسد، وبينما هم كذلك إذا بالسنجاب يصرخ قائلاً لا : اتركونى ولا تقيدونى وسوف أذهب للأسد بمفردى فوافقت الحيوانات على ذلك وتركوه يذهب منفرداً لكن ما أن أطلق السنجاب حتى عاد إلى جحره ونام حتى منتصف النهار وبالتالي فالأسد لم يتناول طعامه المعتاد فى هذا اليوم فأخذ الأسد يزأر بغضب من شدة الجوع وبدأ يبحث عن أى شىء يأكله . وبعد أن استيقظ السنجاب خرج من جحره وتسلق شجرة بالقرب من البئر وظل منتظراً على الشجرة حتى مر الأسد، فسأله السنجاب : لماذا كنت تزأر ؟

فأجابه الأسد بغضب : تسألنى لماذا تزأر وأنا منذ الصباح الباكر أنتظر أحداً منكم لأكله وأنتم لم تحضروا إلى أحداً .

فأجابه السنجاب حسناً : لقد قمنا بعمل القرعة فوقعت على وكنت فى طريقى إليك ومعنى طبق من العسل الذى كنت قد أحضرته خصيصاً لك عندما قابلنى أسد آخر عند البئر وأخذ منى طبق العسل بالقوة فسأله الأسد وأين ذلك الأسد الآخر فأجاب السنجاب : إنه فى قاع البئر وأنه أقوى منك فثار الأسد وهاج عندما سمع هذا الكلام ووقف على حافة البئر ونظر داخله فظن أنه قد رأى بالفعل أسداً آخر ينظر إليه .

فأخذ يزأر ويصيح حتى يخيف ما ظنه أسداً آخر ولكنه عندما سمع صدى صوته زأر صائحاً مرة أخرى بغضب وقفز فى البئر فسقط الأسد وغرق فى مياه البئر .

بعد ذلك ذهب السنجاب إلى الحيوانات وقال لهم : لقد أكلت الأسد الآن، ليستطيع كل واحد منكم أن يعيش كما يريد ولكن بالنسبة لى فسوف أعود مرة أخرى إلى جحرى .

فقالت الحيوانات : حقاً إن الاستراتيجية والتخطيط أفضل من القوة⁽¹⁾.

(1) Lumley frederick : op. cit, p.p.118.119 .

١٠- حكاية: الثعلب ملك الحيلة .

. Hikaya : Dila sarkin dabara

ذات يوم كان غراب ما يتجول باحثاً عما سيأكله، فإذا به قد رأى قطعة لحم صغيرة ملقاة على الأرض بالقرب من أحد المنازل، فهبط والتقطها، وطار بها، ثم هبط فوق غصن إحدى الأشجار .

وإنه مما يدعو للعجب، أو ما يثير الدهشة أن كل ما فعله الغراب كان الثعلب يراقبه، فطار عقله بسبب قطعة اللحم الصغيرة، وعندئذ أخذ يفكر تفكيراً عميقاً، حتى يأخذها منه، فذهب الثعلب إلى جذع الشجرة وأخذ يناشد الغراب، قائلاً : لقد سمعتك فى يوم من الأيام تتشد أغنية وصوتك أيضاً رائع جداً، فهل تعيد على إنشاد أغنيتك هذه لأسمعها ؟

فعندما سمع الغراب أنه يمتدح بكلام معسول كهذا، نسى ما فى فمه، وثغر فمه لكى ينشد الأغنية هكذا فعندئذ وقعت قطعة اللحم، هكذا، فأخذ الثعلب قطعة اللحم، واستدار إلى الخلف قائلاً : « الحمد لله » وعندئذ أخذها وانصرف^(١).

١١- حكاية: كفى عبرة ما يحدث للآخرين .

. Hikaya : Gani ga wane ya isa Tsoron Allah

قيل فى معنى هذا الكلام : خرج الأسد والذئب والثعلب ذات يوم للصيد، واصطادوا أرنباً وغزالاً وحماراً وحشياً، وبعد ذلك ذهبوا إلى الظل وجلسوا يستريحوا .

وبعد ذلك أمر الأسد الذئب أن يقسم بينهم ما اصطادوه فقال الذئب : أنت تأخذ الحمار الوحشى، وأنا أخذ الغزال، والثعلب يأخذ الأرنب، ولكن الأسد لم يعجبه هذه القسمة، فهاجمه الأسد وضربه على رأسه فانشق رأسه إلى نصفين ومات .

(2) Malam Mohammadu Ingaw , Jean Boyd: op.cit,p.p.12.13.

قام بترجمة هذا النص للغة العربية الدكتور / صبرى إبراهيم على سلامه .

ثم قال للشعلب : تعال يا أستاذ الغابة وقسم، فقال الشعلب : تتغذى بالحمار الوحشى الآن، وتتغشى بالأرنب، وتفطر بالغزال فى صباح الغد، فقال له الأسد : من علمك هذه القسمة العادلة ؟ فقال الشعلب : علمنى هذه القسمة رأس الذئب، وهو الذى علمنى العبرة بما يحدث للآخرين⁽¹⁾ .

١٢- حكاية : إذا انشق الحائط تجد السحلية مكانًا للدخول.

. Hikaya Sai bango ya tsage kadangare ke samun wurin shiga

كان لرجل أربعة أبناء، الكبير كان يسمى الأول، والذى يليه ثانى، والذى يليه ثالث، وأصغرهم كان يسمى رابع، وكانت أمهم واحدة، وكان ما يضايق الأب فى أمرهم، أنهم منذ صغرهم لم يكونوا متحدين، فما يريده أحدهم لا يريده الآخر، إذا قال أحدهم شرقا، يقول الآخر غربًا، وكان الأب يحاول دائما هدايتهم ويجعلهم متحدين، ولكن دون جدوى .

وذات يوم مرض أبوهم مرض الموت، فلما أشرف على الموت نادى هؤلاء الأولاد، ووعظهم، وقال لهم :أهم ما تفعلونه لوجه الله أن تتحدوا وتعملوا معًا، لا ينفرد أحدكم بنفسه .

وليوضح لهم معنى كلامه، طلب منهم أن يجمعوا له أربع عصى قصيرة، ولما أحضروها ربطها معًا، وطلب من الكبير أن يكسرها، فوضعها على ركبته، وحاول كسرها فأخفق، فسلمها الأب لمن يليه، فحاول هو الآخر، فعجز، فأعطيت لكل واحد منهم فعجز عن كسرها، فقال الأب: « فرقوها، لتروا هل ممكن كسرها ؟، فلما تفرقت أخذ كل واحد عصا فكسرها، فقال الأب: « إذا رفضتم الاتحاد، ما حدث لهذه العصى عندما تفرقت سيحدث لكم، فركعوا جميعًا وسألوه المغفرة،

(1) Labaru Na Da Da Na Yanzu : op . cit.p 65:

قام بترجمة هذا النص للغة العربية الأستاذ / حافظ إبراهيم عبد الله .

فغفر لهم، ولما هموا بالانصراف قال لهم : « رأيتم ما حدث لهذه العصى عندما تفرقت ؟، قال الأبناء « نعم رأينا يا أبانا » .

قال الأب : «وهو كذلك، انتظروا أخبركم بسر، كنت أخفيه عنكم منذ زمن طويل»، فركعوا مرة أخرى، فقال: « واحد منكم ليس ابني، ابن حرام، ولكن لا تفسوا هذا السر لأحد، طالما أنه لا يعرفه أحد، فاكتموا هذا السر في قلوبكم، وتصرفوا كأننى أنجبتكم جميعاً، وإذا تركتم أحداً يسمع فلا تلوموا إلا أنفسكم » .

وحاول الأبناء كثيرا ليقول لهم من هو، وقالوا إنهم لن يكشفوا سره، فقال الأب إنه لا يستطيع أن يخبرهم، فإنه يخشى أن يجرح مشاعره وقال : إذا كنتم لا تحبون إثارة المشكلات فما الفائدة من معرفة من هو ؟، وكانوا كلهم يقصدون هدفاً واحداً، فلما هموا بالقيام قال لهم مرة أخرى : « انتظروا، بقى أمر واحد، فى مستتق من ناحية الباب الشرقى دفنت بعض المال، منذ مدة، ولكن نسيت الجهة التى دفنته فيها، إذا ضاقت عليكم الدنيا فاجتمعوا واحضروا هذا المستتق جيداً، فسوف تجدون ما يكفيكم فى الحياة »، فرد الأولاد على كلامه بدموعهم .

نظر إليهم الأب وقال : « أغفروا لى، وقد غفرت لكم فى الدنيا والآخرة، بارك الله فيكم »، وجذب الملاة وغطى وجهه، ونام، ثم فارق الحياة، فأتوا الجنازة وانتهى الأمر .

وبعد أن تصدقوا عليه سبعة أيام، أخذ الأولاد يوزعون ثروته التى تركها لهم، يفعلون كل أمر معاً، وأخذ الناس يتعجبون كيف انتهى أمرهم هكذا، بينما كانوا لا يحب أحدهم الخير لأخيه، فى حياة أبيهم وكأنهم من أب واحد ولكن غير أشقاء. وذات يوم وهم على هذه الحال، كانوا يتناولون الطعام، نظر ثانى إلى رابع وقال: « وأنت تشرب حساء أكثر منى، وكذلك لا تأكل من أمامك، فتأكل من أمام هذا، وتأكل من أمام ذلك، أكل الطعام بهذا الأسلوب ليس مستحباً » .

ونظر إليه الأول وقال : « انظر إليه، كيف يجلس على ساقيه كالمرأة، ويربع كأنه ابن أمير استبول، الإنسان مهما كان مثقفاً لا يتكبر على الطعام ».

وهنا قال ثالث : « إذا نظرنا إلى حال رابع، لا يستطيع أن يعيش معه، الذي نشأ على الشراهة ؟، انظر، لا يستطيع أن يمضغ الطعام، ويبطئ في الأكل كالكلب ولا يقطع اللقمة جيداً بفمه، ويقطعها دائماً بأسنانه . »

تركه رابع، ورأى أن إثارة المشكلات كثرت، لذلك قال : « كل الطيور تأكل القاذورات » .

قال ثالث : « وهو كذلك، من غيرك تراه يأكل الطعام هكذا ؟، قلت إن الطيور كلها تأكل البراز، أتعرف أن الولد لا يحترم من هو أكبر منه مباشرة ؟»

نظر رابع إلى ثالث وقال : « وأنت، ألسنت تأكله بكل حرارته ؟»

قال رابع : « لا، الحقيقة أنت الكبير تتكلم، تتدخل في الكلام » .

عندما سمع ثالث ذلك غضب وقال : « من الدجاجة، أنت الولد الصغير، إننى أعرف أنك ابن حرام » .

ولعلك تعرف الصبى، لم يعرف رابع ما يقصد ثالث بقوله : « إنه يعرف أنه ولد ابن حرام »، فظن أنه يقصد أنه الابن الذى قال أبوه إنه ابن حرام، لذلك غضب وقال : « هل قال أبى قبل أن يموت إننى ابن حرام ؟، لاشك أنك أنت ابن الحرام ولست أنا » .

ثم قاما وهما بالقتال، وفصل بينهما الكبار، وقبل أن يفصل بينهما استولى الغضب على ثالث حتى لطم رابعاً، ولكن لم يصبه، فأصاب وجه الثانى .

شعر ثانى بالألم، فرفسه بقدمه، وقال « هل رأيت هذا الولد ابن الحرام، هل لديك القلب الذى يغضب بسرعة دون سبب، ونفصل بينكما فتضرب » .

قال الأول الذى كان يفوقهم حظوة عن ثالث، قال لثانى : « مهما تقل له، دع قولك له ابن حرام، طالما أن أبى مات ولم يوضح لنا من فينا ابن الحرام، فلا تطلقها على أحد » .

هذا الكلام أغضب ثانى، فقال : « اذهب، لقد قال فقط ابن حرام، أنت ابن الحرام، لأنه لم يوضح، وهو الذى جعله يكرهك وهو حى » .

قال الأول : لا، مشاجرتكما وصلت إلى ؟»، ثم نشبت بينهما معركة مصارعة وملاكمة، وصفح بالأكف، بين أول وثانى .

فأمسكهما ثالث ورابع، وحاولوا كثيرا حتى أصابا أنفسهما بالجراح، وأخذ كل من المتشاجرين يقول : « إنه ابن الحرام، وأخفى أبوه عنه الخبر » .

ولما سمع الجيران فى الحى ضوضاء فى المنزل، دخلوا ليروا ما فى الأمر، فوجدوا أنهم جرحوا بعضهم، ويقول كل منهما « أنت ابن حرام »، فلما رأى الناس أن الأمر وصل إلى هذا الحد، تملكهم الرعب واستدعوا الشرطة فساقهم حتى منزل الأمير، وقال له ما يقولون، وكيف وجدهم .

قال الأمير : « لماذا يقول كل واحد منكم للآخر إنه ابن حرام؟ »، هل يوجد شخص ابن حرام بينكم ؟ »

قام الأول بصفته الكبير، ينكر ذلك، حتى لا يكشف السر كما قال أبوهم فصفعه رئيس الشرطة بيده، فاستغرب، ثم سألوا ثانيًا، فقال كل ما قال أبوهم » .

فلما سمع الأمير ذلك، وكان رجلا ظالما، فقال « لقد كشفكم الله، هل ستخفون علينا وتوزعوا الثروة على ابن حرام ؟، فلا بد أن ترونى الآن ابن الحرام فيكم، وإلا سأخذ ثروتكم كلها، وأترككم فقراء » .

وجم الأطفال، وهنا نظر أول إلى ثانى، وقال : « لماذا تنظر إلى، هل أنا ابن الحرام ؟، لماذا لا تكون أنت، ولست أنا ؟ »

وهنا التبس عليهم الأمر، هذا يقول هذا، وهذا يقول هذا » .

قال الأمير : « اتركوا هذا الاتهام، لقد كشف الله سركم، وأمر الشرطة أن يذهبوا بهم إلى السجن ويجردوهم تمامًا، وطردهم الأمير من المجلس، فخرجوا وكل يهاجم أخاه، واشتغل الأول حمالًا، وينال قرشًا يأكل به وأخذ ثانى يبيع اللحم المجفف، وذهب ثالث إلى منزل أحد الطباليين، يشد له الطبول الصغيرة، ولكن رابع كان ضعيفا، فكان يقطع العشب ويبيعه، كل هذه كانت حرف تجول بالنهار، فإذا أقبل الليل عادوا إلى منزلهم وياتوا فيه » .

واستمروا على هذه الحال، وذات يوم، حمل ثان اللحم المجفف وذهب بييعه كعادته كل يوم ودخل المدينة، فنادى عليه بعض التجار، وظلموه وأكلوا عليه ثلاثة قروش دون أن يعرف، ولما حان المغرب عاد إلى كبير القصابين، فعد المال فوجده ينقص قرشاً فأخذ يسبه، وقال له إن ما سرق هو أجره، وقال إذا تكرر هذا سيطرده .

عاد ثان إلى المنزل، وكان فى هذا اليوم لا يملك نصف قرش يشتري به ثريداً، فصعد سريره ونام، فعجز عن النوم، واشتد الجوع عليه، وأخذ يفكر فيما سيفعله غداً، إذا طرده كبير القصابين، وأثناء التفكير خطر على فكره قول أبيه، عندما قال إنه دفن بعض المال فى مستنقع القصب، لذلك عندما طلع النهار قام وأخذ فأسه، وتوجه إلى المستنقع، وأخذ يحفر فيه ما شاء الله، ولم يخرج، فعاد إلى المنزل، وصبر .

ولم يمضى يومان حتى حاول الأول أن يجد ما يحمله، فلم يجد، فعاد إلى المنزل ولم يجد ما يأكله من طعام، فنام وأخذ يعد خشب السقف، وقرب الصلاة تذكر الثروة التى قال أبوهام إنه دفنها فى المستنقع، فتسلل، حتى لا يعلم إخوته، وتوجه إلى المستنقع، وأخذ يحفر حتى توسطت الشمس السماء، فلم يحفر إلا القليل فعاد إلى المنزل، وصبر .

وذات يوم تذكر رابع، فذهب، وأخذ يحفر هو الآخر، ولم يكن فى قوتهم، فعجز وتعب، وعاد .

وذات يوم، ضاق الأمر فى المدينة على ثالث، فذهب هو الآخر، ولكنه عجز عن حفر أى شئ، فقال فى نفسه : « لو اجتمعنا وحفرنا هذا المستنقع جيداً، فى كل مكان يحتمل أن يكون دفن أبونا فيه المال، ثم سكت، ولم ينطق شيئاً » .

وعجزوا جميعاً وظن كل واحد منهم أنه عجز وحده، فرأى أنه لو اجتمعوا جميعاً، وحفروا المستنقع، وحفروا كل شئ فيه، وتحمس كل واحد فيهم، ولايستطيع أن يبادر الآخر بالقول ليجتمعوا ويحفروا جميعاً، وبعد عدة أيام عندما أدرك ثالث أن الله فعال لما يريد، أشار على الباقيين أن يجتمعوا ويحفروا هذا المستنقع،

لعلهم يجدون ما قال لهم أبوهم أنه قد دفعه، فقال كل منهم : « لقد كنت أريد أن أستشيركم فى هذا، ولكن خشيت أن ترفضوا، لذلك سكت » .

وأحضروا الفتوس، وأخذوا يحفرون المستقع، وظلوا يعملون حتى حفروا تمامًا، فلم يجدوا شيئاً، لذلك صبروا، وقالوا : « هيا نزرعها بقصب السكر حتى لا يضيع عملنا هباء » .

منذ كان هذا المستقع لم يجد من يستصلحه مثل هذا اليوم، لذلك كان القصب الذى زرع هذا العام لا يعلم جودته إلا الله، وأن هذا هو الثروة التى كان يقصدها أبوهم، ولكن لم يدركوها، وقالوا : إن هذا هو المال الذى قال أبوهم إنه دفعه، ومن هذه اللحظة غيروا ما فى قلوبهم، واجتمعوا وركزوا اهتمامهم فى الزراعة، وفى وقت قصير عادوا كما كانوا، أغنياء جداً، وذات يوم اجتمعوا لياكلوا الطعام، وجلسوا يتسامرون، فقال ثالث : « أرأيتم ما قاله أبونا »، ثم قال : « إننا لو وافقنا على أن نتفرق، نخسر، أن نتحد أفضل من أن نتفرق عن بعضنا، كما قال، إذا تركنا الناس يعرفون سرنا فلا نستطيع النجاة بثروتنا » .

قال الباقون : « رأينا ما حدث بيننا، إن كل واحد يرفض كلام من هو أكبر منه، يندم حيث لا فائدة من الندم » .

قال ثالث : « أرأيتم هذه الثروة التى هبطت علينا، والتى جلبها علينا اتحادنا، وطاعتنا والاهتمام بالزراعة »^(١).

ثانياً - الوظيفة السياسية للحكايات الشعبية

إن حكاية : (الدجاجة البرية والكلب الصغير) تعتبر ضمن الحكايات الرمزية ويتضح من شكلها العام أنها تؤكد على المجتمع القبلى بأن يتخذ الحذر والحيطه من الآخرين ويجب أن يتصرف بذكاء ودهاء حتى يصل إلى ما يريد .

وقد أشار الدكتور « صبرى سلامة » فى تعليقه على هذه الحكاية بأنها رمزت بـ « الدجاجة البرية » التى أوقعت بـ « الكلب الصغير » رمزت بها إلى إحدى بؤر الشر

(١) الحاج أبو بكر إمام : مرجع سابق . ص ٥٧٩ : ٥٨٢ .

التي كانت سبباً في النزاع الذي حدث في الستينيات من القرن العشرين والذي كان يهدف إلى انفصال نيجيريا وإنشاء دولة جديدة تحمل اسم «بيافرا» .

وكان نتيجة لهذه الفكرة التي دعت إلى الانفصال أن نشبت حرب أهلية راح ضحيتها آلاف المواطنين من أبناء الهوسا الذين أهدرت دماؤهم وأزهقت أرواحهم دون سبب، كما رمزت الحكاية بـ « الكلب الصغير » في وفائه وإخلاصه إلى « شعب الهوسا»، أما البيت الذي كانوا يعيشون فيه فيرمز إلى « الوطن نيجيريا »^(١).

إن حرب بيافرا دليل واضح على أن نيجيريا قد عانت مثل بعض المجتمعات الإفريقية الأخرى من مظاهر مشكلة الاندماج الوطني في الإطار السياسي، وخاصة الصراع من أجل السيطرة على الحكم المركزي، وفي ظل هذا الصراع كانت توجد قبائل أخرى ضد هذا الانفصال وذلك دفاعاً عن وحدة نيجيريا .

أما حكاية : (المتسلل Mai-asigiri) فتشير هذه الحكاية الشعبية إلى ما ينبغي أن يكون الملك أو الرئيس عليه من حسن السياسة والقدرة على استغلال الموقف لصالح رعيته، فالحكاية تحدثنا عن شخصية شريرة متمثلة في شخصية «Mai asigiri » هذه الشخصية التي تقوم بخطف الفتيات، ويبيعهن في سوق الرقيق، فهي شخصية شريرة إلى أقصى الحدود، وتحدثنا الحكاية عن كيفية استغلال الملك «الزعيم السياسي» هذه الشخصية الشريرة فيما ينفع العباد والبلاد، كانت بالأمس شخصية مارقة عن كل الأعراف الاجتماعية فالشيء المتبادر إلى الذهن مصير هذه الشخصية القتل، حتى تستريح الأمة من شرها، وتتجو من أذاها، ولكن الملك بفضل ذكائه، وفطنته، أدرك أنه بالإمكان أن يستغل هذه الشخصية أحسن استغلال، وهذا ما حدث بالفعل، فكان حسن استغلال الموقف هو سر نجاح الملك وسحق أعدائه وأعداء رعاياه، ويمكننا أن نقول : « إن الملك قد استطاع أن يصطاد عصفورين بحجر واحد، حيث استطاع أن يجعل هذه الشخصية تكف عن الشر وتتحول أيضاً إلى شخصية مفيدة، تقوم بما فيه خير العباد والبلاد . ولولا

(١) صبرى إبراهيم على سلامة : صور من بلاد الهوسا . مرجع سابق . ص ٧٠ .

ذكاء الملك وحسن تدييره لما هزم أعداءه . ففى الحكاية دعوة إلى محاولة إصلاح المجرمين بالمعاملة الحسنة، كما تشير الحكاية إلى السمات التى يجب أن يتصف بها الملك أو أى زعيم سياسى حتى يقود أمتة إلى بر الأمان .

وتؤكد الحكاية أيضاً على أهمية اتخاذ الحذر من سياسة البلاد الأخرى، فالاستراتيجية والتخطيط فى حكم البلاد، وفى الإعداد للحروب، تؤدى إلى النصر، وأنه من الواجب على أى حاكم أن يخبر حاشيته وشعبه بقدوم عدو مهاجم لهم ؛ لى يتخذوا حذرهم ولى يستعدوا مع الحاكم للدفاع عن الوطن .

وتدعو الحكاية إلى الحفاظ على الوطن، والدفاع عنه بكل الوسائل الممكنة ؛ لتحقيق الأمن للمجتمع الذى لا يتحقق إلا بالحكمة والصبر ؛ إذ لا يتحقق ذلك الأمن والأمان إلا بالذكاء ومساعدة الأصدقاء المخلصين .

وتشير الحكاية أيضاً إلى بعض الحقائق التى تتعلق بالحياة فى بلاد الهوسا فى ذلك الوقت وإن كانت لا وجود لها الآن على الإطلاق و هذه الحقائق هى كثرة الحروب، وتجارة الرقيق ؛ أما الإيمان بالسحر فقد أصبح الآن لا يؤمن به إلا القليل من أفراد المجتمع .

(شكل الشخص لىس هو نفسه) هذه الحكاية تبين ما ينبغى أن يكون عليه الحاكم أو الأمير من قضية العدل السياسى وكيف يكون كفتاً للمهام المناط بها وذا حنكة سياسية وخبرة واسعة وتحمل أعباء الحكم، ولذلك عندما حاول ملك الجن - الذى هو رمز لمن لا خبرة له فى أمور الحكم - أن ينهض بأمور الحكم ليوم واحد، عجز عن ذلك وأصابه الملل .

وتشير الحكاية أيضاً إلى أنه كيف ينبغى أن يختار الأمير حاشيته ؟ حيث يجب أن يختار حاشية صالحة تعيده إلى الصواب إذا حاد عنه وتلاحظ كل شىء، فقد لاحظت حاشية الأمير أن تصرفاته غير طبيعية ولذلك طلبت الحاشية منه أن يذهب ليسترىح حتى الغد .

وتحث الحكاية أيضاً على أنه يجب أن يقوم كل فرد من أفراد الحاشية بأداء أعماله كما ينبغى .

وتبين الحكاية كذلك أن الأمير لديه مهام كثيرة ومتعددة تناقش في مجلسه، فالحاشية توضح له كل الأمور والمهام في هذا المجلس، حتى يعرف كل المصالح التي تخص المجتمع الذي يحكمه، وبذلك نستطيع أن نقول إن مجلس الأمير كمجلس القاضى تطرح فيه القضايا ويتم البت فيها في نفس المجلس .

أما حكاية : (هديل الحمامة كلام لا يفهمه إلا العاقل) تشير إلى ظاهرة في نظام الحكم تنتقدها الجماعة، وهي تتمثل في هؤلاء الذين يتولون حكم بعض البلاد فإذا بهم ينصرفون إلى مصالحهم الخاصة ويركنون، غافلين عما يجب عليهم اتجاه من يحكمونهم واتجاه البلاد التي يحكمونها حيث إن الحكاية فيها دعوة إلى ضرورة وجود حاكم يستطيع أن يدير كل شئون البلاد والعباد .

وهذه الحكاية الشعبية تشير إلى أهمية وجود مستشار ناصح بجانب كل زعيم سياسى ؛ لأن الزعيم قد لا تتقسه الحكمة والعقل وحسن السياسة في تدبير أمور الناس ولكن بالإمكان أن تستولى عليه الغفلة، بحيث يغفل عن القيام بواجباته، ويصرف اهتمامه إلى نفسه، فهو في هذه الحالة بحاجة إلى من يستنهضه، ويوقظ فيه هذه المواهب، ويرده عن غفلته وهذا الدور هو الذى قامت به «جما» .

وحكاية : (كل من يعتمد على الله لا يخاف حاسداً ولا حقوداً) تشير إلى كيفية تعامل الإنسان مع الآخرين وكيف يكون تعامل الراعى مع رعيته، وهذا واضح فى تعامل الأمير مع شعبه، حيث يهتم بالفقراء والمساكين، وتؤكد الحكاية على ضرورة يقرها المجتمع وهى إعطاء الفقير وحمايته والوقوف معه فى الصعاب .

كذلك تدعو الحكاية إلى دور الأمراء والمسئولين فى تشجيع العلم والعلماء واستشارتهم فى كل ما استعصى وصعب فى أمر الرئاسة . وتشير الحكاية أيضاً إلى أن الصدقة أساس كل خير، والعدل أساس الملك، وهذا واضح فى أمر العالم « عبده أجو » مع الوزير حيث وثق « أجو » فى الوزير وكان يأخذ برأيه ظناً أنه صادق مثله .

كما أن هذا العالم لم يدخر للأمير نصحاً، وكان ينصحه ويرشده إلى ما هو خير وصالح له ولشعبه، وهذا واجب كل عالم صالح اتجاه أمير بلاده .

كما تحذر هذه الحكاية من الحقد والحسد والغدر والخيانة، وتحذر من عواقبها الوخيمة، كما حلت بالوزير من أنه حقد على العالم أن يكون مع الأمير، وحاول بكل ما يستطيع أن يوقع بين الأمير والعالم وانتهى الأمر بفشله وانقلب السحر على الساحرة، وتحذر الحكاية الأمراء وتؤكد على ضرورة الحرص من الحاشية فقد يكون فيها بعض الأشخاص أصحاب النفوس الضعيفة .

وتتلخص فوائد وحكمة هذه الحكاية فيما لخصه الأمير في نهاية الحكاية حين يسدى النصح لشعبه ولحاشيته قائلاً : «هذه الحكاية صارت تحذيراً للرؤساء، ولكل رئيس يحاول أن يمكر ببني آدم، ويشى به سيندم، والأفضل أنه كل من يأتي لهم بوشاية أن ينتظر حتى يتحقق، فإن بعض الظن إثم .»

وهذا الكلام يؤكد على ضرورة أن يترث الأمير أو الحاكم ويدقق ويدرس ويتحرى الصدق أولاً وقبل أن يصدر الحكم، أو قبل أن يتخذ أى قرار فيما يتعلق بشئون الحكم أو الإدارة وهذا واضح في هذه الحكاية الشائقة؛ حيث حكم الأمير على عبده أجو بالإعدام دون أن يتحرى الصدق وكان جزاء الوزير من نفس جنس العمل فقد حفر حفرة لـ «عبده أجو» لكنه هو الذى وقع فيها، فكان يجب على الأمير ألا يتسرع بالغضب ويصدر حكماً دون التأكد أولاً .

أما حكاية : (إذا كنت تحفر حفرة للشر فلا تعمقها) تعد ضمن الحكايات الشعبية البطولية، وهى توضح بعض العادات السلبية التى يرفضها المجتمع القبلى وتدعو الحكاية إلى عدم الأخذ بها وتؤكد على ضرورة الابتعاد عنها وهى استغلال السلطة والنفوذ .

فالحكاية تدعو إلى مقاومة استغلال النفوذ من السلطة، كما هو واضح من منصور الذى قام بمقاومة هذا الرجل الجبار الذى يخاف منه الجميع إلا منصور الذى وقف وقوف الشجعان ليأخذ حقه رغم التهديدات التى وجهت له . وقد نجح منصور الذى يعتبر رمزاً للإصرار والصمود فى مقاومة استغلال النفوذ وعدم ظلم الناس، وبما أن مسأله استغلال النفوذ مسألة شائعة فى المجتمعات الإفريقية، فهذه الحكاية تدعو إلى مقاومة هذه الظاهرة بكل الوسائل .

فقد كان رئيس الحاشية يستغل نفوذه فى ظلم الناس حيث يشتري الأشياء من الناس من غير أن يدفع الثمن وقد أشاع الرعب والفرع فى نفوس الناس؛ لدرجة أنهم يسمونه « ابن الشيطان » لعداحة شره، ولكن منصور استطاع أن يقف فى وجه هذا الظالم وأصر على مقاومته حتى انتصر عليه، وتؤكد الحكاية على عاقبة الحاكم الظالم وجزاء أعماله الشريرة التى يرفضها المجتمع القبلى وأفراده .

أما حكاية : (السنجاب والقنفذ) فهى حكاية رمزية تصور إحدى استراتيجيات المستعمر فى محاولته، الاستيلاء على أرض الغير، حيث يأتى مسالماً حتى إذا تمكن فى المكان بدأ ينشر ما من شأنه أن يزعج السكان الاصليين من العادات والتقاليد التى تخالف عادات وتقاليد أهل الأرض، وعلاوة على ذلك يبدأ ينفث سمومه فى المجتمع وإذا طلب منه أهل الأرض أن يكف عن ذلك يتحول من الضيف المسالم إلى المستعمر الفاشم ومن هنا تظهر نواياه الحقيقية، التى رمز إليها الراوى بالشوك وهذه النوايا هى الاستيلاء على الأرض والثروات واستبعاد أهلها .

وقد رمز الراوى بالسنجاب إلى - جماعات الهوسا، أما القنفذ فهو - الاستعمار - وهذه الحكاية تؤكد على عدم الاستسلام للاستعمار وضرورة الدفاع عن أرض الوطن .

وتشير حكاية : (منع الآخر منع للنفس) إلى كيفية استغلال المستعمر الأوروبى النزاعات القبلية فى إفريقيا لصالحه، إذ إن الحروب كانت تثار آن ذاك من أجل ملكية الأرض، والمستعمر الأوروبى بدوره يحرص على حدوث مثل هذه الحروب حتى تكون له السلطة الأخيرة أو الملكية الأكبر لأراضى المستعمرة .

وتؤكد الحكاية أيضاً على أهمية ملكية الأرض لدى القبائل الهوساوية، لأنها تضى على أفراد المجتمع مكانة اجتماعية وهيبية ؛ ولأنها تعتبر ثروة لا تنفد أبداً لعطائنها الدائم . وقيمة الأرض بالنسبة لأهل الهوسا تتمثل فى الزراعة والإقامة والمكانة الاجتماعية .

وتؤكد الحكاية على عدم الاستسلام وترك المكان للغرباء وتشير إلى ضرورة التعاون والتضامن بين أفراد المجتمع وعدم النزاع من أجل وجود مجتمع أفضل .

أما حكاية : (السنجاب البرى والأسد) تعتبر هذه الحكاية رمزية وتشير إلى الكيفية التى يجب أن يقاوم بها الاستعمار الغاشم إذ إن الأسد فى الحكاية يعتبر رمزاً للاستعمار وسائر الحيوانات رمزاً للشعوب المستعمرة .

وتشير الحكاية أيضاً إلى أن النصر لا يكون بالأفكار الساذجة السطحية، إذ إن الحيوانات - الشعوب - لو استمروا فى تقديم أفرادهم للأسد - الاستعمار - لفنوا جميعاً ولكن النصر يتحقق بالاستراتيجيات والتخطيطات الفعالة كما فعل السنجاب الذى هو رمز للفكر الناضج فى المجتمع .

إن حكاية : (الثعلب ملك الحيرة) تصور الصراع بين الدول وكأنها تدعو الدول الضعيفة إلى اتخاذ الحكمة والذكاء والدهاء، وإظهار الاستسلام والضعف للدول القوية حتى تحين الفرصة لهم - أى للدول الضعيفة - للانقضاض والنصر فى النهاية .

وحكاية : (كفى عبرة ما يحدث للآخرين) تعد ضمن حكايات الحيوان وهى تشير إلى أنه كيف ينبغى أن يتصرف الإنسان فى حالة انعدام الأمن والاستقرار السياسى فى المجتمع . أى أنها تدعو إلى ضرورة اتخاذ القرارات بحكمة وحيلة وذكاء كما تدعو إلى دراسة المواقف وتحليلها، ثم اتخاذ البدائل المتاحة . كما تدعو إلى الاستفادة من التجارب، ولذلك نرى أن الثعلب قد مر بتجربة أليمة حيث لقى زميله الحنف أمامه وقد استفاد جيداً من هذه التجربة الأليمة حيث استعمل ذكائه وحيلته لينجو من الورطة التى وقع فيها زميله .

وكان الحكاية تدعو بنى البشر إلى التعلم من تجارب الآخرين فى حالة غياب « العدل الاجتماعى » أو حين تتحول القوانين إلى قوانين الغابة، كما يحدث أحياناً فى بعض المجتمعات الإنسانية .

يتضح من خلال حكاية: (إذا انشق الحائط تجد السحلية مكاناً للدخول) أن العائلة فى المجتمعات القبلية بناء متماسك لأنها أكثر الطبقات ارتباطاً بأصولها وأكثرها حفاظاً على عاداتها وتقاليدها وتراثها بصفة عامة وهى لهذا السبب أشد الطبقات حفاظاً على المبدأ السائد الذى يقول: «الاتحاد قوة وبه تنهض الأمم».

وتؤكد الحكاية على أهمية قيمة الأتحاد وإن قيم الحياة القبلية تؤكد عادة على الجماعية، وليس الفردية فى العمل وخاصة الأعمال التى تحتاج لأيدى عاملة كثيرة، حيث إن الجماعية فى العمل تساعد على استغلال الموارد الاقتصادية بطريقة أفضل.

كما تبين الحكاية أهمية قوة العمل الرئيسية، فقبيلة الهوسا العائلة فيها ممتدة، والأرض فيها ملك للعائلة، والجميع يشاركون فى العمل الزراعى، والقدرة على إتقان جميع عمليات الزراعة تضى على صاحبها مكانة وهيبة اجتماعية، وكلما زادت ملكية الأرض بالنسبة للعائلة زادت المكانة الاجتماعية، ولذلك يستوعب الفرد فى القبيلة أهمية وظيفة الأرض فى البناء الاقتصادى وأهمية أنواع معينة من المحاصيل بالنسبة إليهم .

وتشير الحكاية إلى أهمية ملكية الأرض الزراعية لأنها مصدر النشاط الاقتصادى الأول لبلاد الهوسا ؛ ولأنها ثروة تدوم وتزيد إذا دام الأتحاد والطاعة والاهتمام بين المستفيدين من الأرض - أصحاب الأرض، والذين يعملون فيها - أى أن الحكاية تشير إلى قيمة الأتحاد والعمل الجماعى .

وتؤكد الحكاية على ضرورة وجود علاقة حميمة بين أبناء قبيلة الهوسا وبين الأرض الزراعية وفى مستوى هذه العلاقة التماسك الاجتماعى المتين الذى يربط أفراد الأسرة الواحدة بعضهم ببعض، حتى ينتج من هذا كله مجتمع متماسك متلاحم من الداخل ويستطيع أفراد الأسرة أن يهتموا بأرضهم التى تضى عليهم مكانة اجتماعية متميزة بين أفراد المجتمع .

خاتمة

هناك بعض القيم السياسية والوطنية تتصل من ناحية بالنظام السياسى وتتصل من ناحية أخرى بالوطن عامة .

فالنظام السياسى الذى ينظم الحياة السياسية للمجتمع، مثل أعمال الضبط والسيطرة وتحقيق الأمن الداخلى وإدارة الأمن الخارجى للمجتمع، فإنه لكل نظام اجتماعى ميثاقه أى وثاقفته، التى تضم مجموعة القيم التى تضبط التفاعل فى إطار هذا النظام والتى تشتق منها القواعد والعايير الحاكمة للنظام والمنظمة لأدائه.

والقيم الوطنية هى القيم التى تعكس روح الجماعة وهى عادة ما تتشكل من تفاعل عناصر قيمية عديدة، بعضها مصدره التراث والتاريخ بينما بعضها الآخر مصدره التفاعلات المعاصرة الواقعة فى قلب المجتمع أو الوطن . إذا فلا بد من أن يكون توحد الأفراد مع القيم الوطنية فى المجتمع قوياً .

إن هذه الحكايات الشعبية السياسية التى تم الاستعانة بها فى هذه الدراسة من أهم وظائفها أنها تخلق لدى من يسمعها ارتباطاً بتاريخ الوطن وأحداثه وقيمه الأساسية، هذا إلى جانب أنها تساعد على استيعاب قيم الشجاعة والفداء والتضحية من أجل الوطن وأفراد المجتمع وتبعد من يسمعها عن العادات السلبية المضادة لذلك، وهو الأمر الذى يجعل منهم مواطنين قادرين على المشاركة الإيجابية الواعية فالإنسان التقليدى لا يعيش منشغلاً بمشكلاته الخاصة فقط بل أن مشكلات مجتمعه والمجتمعات الأخرى تشغله إلى حد كبير .

وتشير الحكايات الشعبية السياسية التي بين أيدينا إلى ضرورة عدم الاستسلام للنزاعات القبلية التي غالباً ما يدعو إليها ويثيرها الأعداء الذين يرغبون في الانفصال وعدم الترابط والتماسك بين أفراد المجتمع، وتؤكد الحكايات الشعبية السياسية أيضاً على ضرورة حسن استغلال الملك للمواقف لصالح رعيته، والحفاظ على الوطن والدفاع عنه بكل الوسائل الممكنة، والتأكيد على ضرورة أن يكون الأمير كفوئاً للمهام، أى يتسطيع أن يتحمل أعباء الحكم وأن يكون ذا خبرة بأمر الحكم وضرورة وجود مستشار ناصح بجانب كل زعيم سياسى . والتعامل بالحسنى مع الآخرين، و تشجيع العلم والعلماء والتأكد من أى وشاية قبل إصدار الحكم عليها، وعدم استغلال السلطة والنفوذ، والابتعاد عن الظلم، وعدم الاستسلام للاستعمار، وضرورة الدفاع عن أرض الوطن، وعدم ترك المكان للغرباء، والتعاون والتضامن بين أفراد المجتمع، وعدم النزاع من أجل وجود مجتمع أفضل، وضرورة التخطيط قبل الدفاع عن الوطن ؛ لأن الاستراتيجية والتخطيط الفعال هما أساس النصر، وإظهار الاستسلام للدول الأخرى حتى تحين الفرصة للانقضاض والنصر، وضرورة اتخاذ القرارات بحكمة وحيلة وذكاء .

كل هذه موضوعات وأفكار تعبر عنها وتؤكدها الحكايات الشعبية السابقة الذكر، مما يشكل معايير للسلوك يجب الاقتداء بها للدفاع عن الوطن .

الفصل السادس

الوظيفة الدينية للحكاية الشعبية الهوساوية

تقديم

أولاً - الحكايات الشعبية :

- ١ - حكاية - الشيطان والنبي .
- ٢ - حكاية - المصارعون وإبليس .
- ٣ - حكاية - لا ملك إلا الله .
- ٤ - حكاية - الرجل وزوجته القبيحة .
- ٥ - حكاية - القاضى الفاسد .
- ٦ - حكاية - أيها الغلام ابذل جهداً عظيماً لتشتهر .
- ٧ - حكاية - ما شأن الرزق بالشعر السيء من وهبه الله الصبر لا يلام .
- ٨ - حكاية - ضفدعتان .
- ٩ - حكاية - الحياة أفضل من المال .

١٠ - حكاية - لكل بعيد أبعد منه .

١١ - حكاية - جزاء من الله .

١٢ - حكاية - إذا كان الساحر غاضباً فسد سحره .

ثانياً - الوظيفة الدينية للحكايات الشعبية :

خاتمة

تقديم

يرى موريس دولافوس أن « ما من نظام يشاهد بين قبائل إفريقيا السوداء سواء أكان نظاماً اجتماعياً أم سياسياً أم اقتصادياً إلا وهو يرتكز على فكرة دينية والدين هو حجر الزاوية فيه، وتلك الشعوب التي كان يظن أنها مجردة من الفكرة الدينية هي في الواقع من أشد شعوب الأرض تديناً^(١) .

وفي الماضي كانت الحياة في إفريقيا دينية أساساً « فعلاقة الفرد بأسرته وبالقبيلة والأخلاق والقانون والعبادات والاحتفالات والسياسة والمركز الاجتماعي والطرق الاقتصادية والحرب والسلام كلها كانت تضعف أو تقوى من مركزه في الدين^(٢) .

ويرى دوركايم « أن كل المعتقدات الدينية سواء البسيطة أو المركبة، تمثل خاصية واحدة عامة أو مشتركة فهي تفترض تصنيفاً لكل الأشياء الواقعية والمثالية^(٣) .

ويمثل الدين أحد المستويات العليا في الثقافة، والواقع أن طبيعته الرمزية تضعه في مستوى أسمى بكثير من المستوى التكنولوجي أو المستوى الاجتماعي^(٤) .

(١) هوبيرديشان : الديانات في إفريقيا السوداء . ترجمة: أحمد صادق حمدي . راجعه: محمد عبد الله دراز . سلسلة الألف كتاب . رقم (٥٢) دار الكتاب المصري . القاهرة . ١٩٥٦ . ص ٩ .

(٢) إبراهيم محمد مدحت غيث : مرجع سابق . ص ١٢١ .

(٣) السيد حافظ الأسود، وآخرون . " تصور رؤية العالم في الدراسات الأنثروبولوجية " (ص ٥) في رؤى العالم تمهيدات نظرية . إشراف: أحمد أبو زيد . المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية . القاهرة . ١٩٩٢ .

(٤) وليام هاولز : ما وراء التاريخ . ترجمة وتقديم: أحمد أبو زيد . دار نهضة مصر . القاهرة . ١٩٦٥ . ص ٣٢٨ .

وليس من السهل تعيين حدود دقيقة للدين، ولذا فقد يكون من الأفضل أن نتكلم عن السلوك الدينى، بدلاً من أن نتكلم عن الدين، خاصة وأن الموقف الذى تقفه الثقافة إزاء أى اعتقاد أو أى فعل معين قد يكون هو العامل الذى يعطيه خاصيته الدينية^(١).

إن الدين من الأسس التى يصعب وضع مدلول محدد له، وهذا يرجع إلى عديد من الاعتبارات، فمن الضرورى أن يكون هناك تعريف شامل للدين ينطبق على كل المجتمعات الإنسانية رغم اختلاف ظروفها، كما أن عدم الاتفاق من جانب العلماء على ماهية الدين البدائى، ومدى التفرقة بينه وبين غيره من الأديان شكل صعوبة لوضع تعريف محدد للدين، ومن أهم الوظائف الاجتماعية للدين .

١ - تحقيق القوة للفرد لاحتتمال كل ما يقاسيه فى وجوده .

٢ - يعزز من قيمة الإنسان وأهميته كموجود .

٣ - يعمل على دعم القيم الاجتماعية للمجتمع ليظل أشد تماسكاً^(٢).

يذهب علماء الأنثروبولوجيا إلى اعتبار الدين إحدى السمات الهامة - إن لم يكن هو السمة الأساسية - التى تميز الجنس البشرى عن غيره من الكائنات، وفى ذلك يختلف الدين عن غيره من النظم مثل (العائلة) التى توجد لدى القرود العليا، أو بعض أشكال التنظيم الاجتماعى التى توجد لدى الحشرات الراقية كالنمل والنحل^(٣).

ولم يتفق علماء الأنثروبولوجيا حتى الآن على تعريف واحد وموحد للدين، أو تحديد طبيعته بدقة ووضوح، وربما كان ذلك راجعاً إلى تعدد صور وأشكال الحياة الدينية، وتباين هذه الصور والأشكال بتباين المجتمعات والثقافات، ولكن هؤلاء العلماء يميلون فى الوقت نفسه على التمييز بوجه عام بين الدين والسحر، وإن

(١) إبراهيم محمد مدحت غيث : مرجع سابق . ص ١٠٧ .

(٢) سامية مصطفى الخشاب : علم الاجتماع الإسلامى . الطبعة (٢) . دار المعارف . القاهرة . ١٩٨١ . ص ١٤ : ١٦ بتصرف .

(٣) أحمد أبو زيد : المجتمعات الصحراوية فى مصر . مرجع سابق . ص ٩٩ .

كانوا يختلفون في نظرتهم إلى الخصائص التي يجب توافرها حتى يمكن الحكم على مجموعة معينة من العقائد والشعائر بأنها عقائد وشعائر دينية أو سحرية، فثمة علماء من يرى - مثلما فعل «سير جيمس فريزر Sir James Frazer» أن الدين يقوم أساساً على الاعتقاد في الكائنات الروحية (أو الآلهة)، بينما يتألف السحر من الأعمال والممارسات والطقوس التي تتصل بالكائنات الأخرى، ولكن ثمة فريقاً آخر يرى - مثلما فعل إميل دوركايم - أن الطقوس والشعائر الدينية هي تلك التي تتعلق بالضرورة بالأشياء المقدمة بشرط أن تمارس على المستوى الجماعي، بينما الشعائر والممارسات والطقوس الفردية تدخل في مجال السحر، وهكذا^(١).

إن الحكايات الدينية تحمل المغزى الديني، وهذا المغزى يقصد به اعتناق البشر للدين كمبدأ، وأن هذا الدين وما يدور حوله من حكايات جعلت البعض يرى أن التمسك بقواعد الدين في المجتمع أصبح مسألة شخصية تتعلق بعقيدة الفرد وحرية، وذلك نظراً لما نلمسه في المجتمع قديماً وحديثاً من وجود حريات دينية تتيح للفرد أن يمارس معتقداته بحسب فكره الذاتي وآرائه الشخصية، هذا الاعتقاد يبرر عدم فعالية هذا النظام في مجتمع يموج بتيارات ومذاهب شتى تتعارض مع الدين كنظام اجتماعي أو متحالفة معه باعتباره أداة اجتماعية ضابطة، ولكن رغم هذه النظرات المتباينة للدين، وانتشار النزعة الفردية المادية عند الأفراد والجماعات، فما زال للدين أثره في النفوس خاصة في المجتمعات الإفريقية التي ما زالت تتمسك بالعقيدة الدينية وطقوسها كإطار للحياة الاجتماعية وقواعد ضابطة لسلوك أفرادها .

وتعتبر حياة قبيلة الهوسا دينية في شتى المجالات . فالهوسا شعب مسلم مسالم يؤمن بكل تعاليم الدين الإسلامي التي ذكرت في القرآن الكريم والسنة الشريفة . وانتشار الإسلام والثقافة الإسلامية بين قبيلة الهوسا قد أثر - وبدون أدنى شك - في حياتهم اقتصادياً، واجتماعياً، وسياسياً، ودينياً، وقد غير الدين الإسلامي من سلوكهم وعاداتهم وتقاليدهم التي كانت تنتمي إلى الوثنية وعلى

(١) المرجع السابق : ص ٩٩، ١٠٠ .

الرغم من ذلك فمازال هناك بعض آثار العادات الوثنية فى حياة وتقاليد الهوسا ولكنه أثر ضئيل وذلك بسبب انتشار الإسلام بينهم . وقد انتشرت اللغة العربية بانتشار الإسلام نظراً؛ لأنها لغة تأدية الشعائر الدينية عند مسلمى قبيلة الهوسا . وقد دخل الإسلام بلاد الهوسا بثقافة سمحة تدعو إلى تماسك القبائل الإفريقية وتوحيدها فى شتى الأمور .

تتضمن الحكايات الشعبية الإفريقية عادة مجموعة من القيم المستندة أساساً إلى ديانة المجتمع والتي تدور حول محورين أساسين :

المحور الأول - علاقة الإنسان بربه، ويدور حول ما يسمى بالعبادات .

المحور الثانى - فيتصل بعلاقة الإنسان بالإنسان، وهو ما يعرف بالمعاملات .

ومن الطبيعى أن تنقسم القيم الأخلاقية والدينية إلى أمرين :

القيم المرغوبة : أى التى ينبغى أن يستوعبها الفرد لتوجه سلوكه وهى كلها مجموعة من القيم الأخلاقية الدينية التى تشكل الصفات الأساسية للفرد فى المجتمع أو التى ينبغى أن يحافظ عليها الفرد .

القيم المرفوضة : أى التى يجب على الفرد أن يبتعد عنها ولا يعتقها وهى قيم محددة للغاية فى المجتمع .

وقد استعانت الباحثة ببعض الحكايات الشعبية الهوساوية التى لها وظيفة دينية وهى كالتالى :

أولاً - الحكايات الشعبية :

١- حكاية : الشيطان والنبي .

. Hikaya : Shedan da Annabi

أمر الله الشيطان أن يذهب إلى نبي من أنبياء الله، ويجيبه عن كل الأسئلة التى يسألها، فظهر الشيطان على هيئة شيخ كبير فى ثياب قذرة رثة .

ولما وصل الشيطان سأله النبي مَنْ أنت ؟ فقال : أنا إبليس أمرنى الله أن أجيبك
عن كل ما تسألنى عنه ؟

فقال له النبي كم أعداؤك يا شيطان ؟ فقال خمسة عشر .

الأول - أنت - يقصد أنبياء الله - .

الثانى - العادل .

الثالث - الغنى المتوكل .

الرابع - الصادق .

الخامس - الفقيه التقى كثير الصلاة .

السادس - المؤمن الناصح .

السابع - المؤمن المتمسك بالعطوف .

الثامن - التائب الثابت على توبته .

التاسع - الورع .

العاشر - المؤمن الدائم فى الطهارة .

الحادى عشر - المؤمن الكثير الصدقة .

الثانى عشر - المؤمن ذو الأخلاق الحسنة .

الثالث عشر - المؤمن الذى ينفع الناس .

الرابع عشر : الذى يداوم على قراءة القرآن .

الخامس عشر - الذى يصلى فى جوف الليل والناس نيام .

ثم قال له النبي وكم أحباؤك فى أمتى ؟ فقال : عشرة .

الأول - السلطان الجائر .

الثانى - الغنى المتكبر .

- الثالث - الغنى الظالم .
 - الرابع - شارب الخمر.
 - الخامس - المنام الذى يأكل لحوم الناس .
 - السادس - صاحب الرياء.
 - السابع - أكل أموال اليتامى .
 - الثامن - المستهين بالصلاة .
 - التاسع - مانع الزكاة .
 - العاشر - المفطر فى الآمال : هؤلاء إخوانى وأحبائى .
- أيها الشباب اسمعوا هذا الحديث، فلا تكونوا أصدقاء الشيطان والتزموا استعاذة من الشيطان⁽¹⁾.

٢- حكاية : المصارعون وإبليس .

. Hikaya : Yandanbe da iblis

تدور الحكاية حول فتى اسمه « أودو » الملقب بالقوى، وكان لأبيه مائة وخمسون رأساً من الماشية، نحرها جميعاً ووضع جلودها فى أكياس ورحل يبيعهها، كما رحل فى الوقت نفسه ابنه « أودو » ليختبر قوته .

وفى الطريق التقى « أودو » عند بئر ماء بشاب قوى اسمه « هامبارى »، الذى حين فتح فمه شرب الماء كله، ورحل الشابان حتى أتيا نهراً، فضرب « هامبارى » الماء بيده فانشق الماء، الأمر الذى أثار إعجاب « أودو » ثم سارا معاً حتى التقيا بشاب ثالث قوى اسمه « داشيرا»، الذى انضم إليهما حين عرف أنهما ماضيان

(1) Labaru Na Da Da Na Yahzu : op. cit . p. 49.

قام بترجمة هذا النص للغة العربية الأستاذ / حافظ إبراهيم عبد الله .

ليجريا قوتهما . سار الثلاثة، وفى الطريق التقوا بشاب رابع قوى اسمه «تاكوكو» انضم إليهم حين عرف وجهتهم، وساروا جميعاً إلى الغابة . وهناك ناموا ليلتهم تحت إحدى الأشجار التى كان يقدها الراقصون، حيث كانوا يعتقدون أنها مأوى الأرواح .

وحين طلع النهار قال « أودو » : «هيا بنا نذهب إلى الصيد، ولكن ليبق « هامبارى » يحرس أمتعتنا حتى نعود» . « ما إن انصرف الثلاثة، حتى خرج إبليس من الشجرة وحيا « هامبارى » وقال له : «يقال إنك شاب قوى، فانهض وصارعنى» وفى الحال قام « هامبارى » وأخذ يصارع، إبليس استطاع أن يطرح « هامبارى » أرضاً وأن يوثقه، ثم تركه وعاد إلى الشجرة .

عاد الثلاثة من رحلة الصيد فكوا وثاق « هامبارى » بعد أن عرفوا قصة المصارعة مع إبليس، واتفقوا على أن يتركوا فى الغد « داشيرا » ليقوم بالحراسة. وفى الغد جاء إبليس بعد أن مضى الثلاثة، وصارع « داشيرا » كما صارع صاحبه بالأمس، واستطاع أن يطرحه أرضاً وأن يوثقه بالحبال . ثم عاد إلى الشجرة . ولما رجع الثلاثة من رحلة الصيد وعرفوا قصة « داشيرا »، فكوا وثاقه، ثم قرروا أن يتولى « تانكوكو » الحراسة فى الغد .

وفى اليوم التالى انطلق « أودود » وحده إلى رحلة الصيد وخرج إبليس من الشجرة وطلب منازلة « تانكوكو» كما نازل رفيقيه من قبل، ووافق « تانكوكو »، وأخذا يتصارعان إلى أن تمكن إبليس من طرح « تانكوكو » أرضاً وشد وثاقه، ثم دخل الشجرة، ولما عاد « أودو » من رحلة الصيد وعرف ما حدث لرفيقه، قرر أن يبقى هو فى الغد ليتولى الحراسة ولينتظر مجئ إبليس حتى يصارعه .

وفى الغد ظهر إبليس فحيا « أودو » وقال له : « أعلم أنكم أنتم الأربعة قد خرجتم إلى العالم لتختبروا قوتكم، ولكنى ندد لكم، وقد صارعت ثلاثة منكم ولم يبق سواك، فهيا نتصارع واستجاب « أودو » لطلب المصارعة، وبدأ النزال، وظلا يتصارعان فترة من زمن، لا يستطيع أحدهما أن يتغلب على الآخر، ثم صعدا إلى السماء ينخران طوال الوقت، فما كان من « هامبارى »، « وداشيرا»، «وتانكوكو» إلا

أن ولوا هارين بينما ظل إبليس وأودو ينخران، لا يكفان عن ذلك حتى الآن، وهذا هو سبب هزيم الرعد^(١).

٣- حكاية : لا ملك إلا الله .

Hikaya : Babu sarki sai Allah.

إن ملكاً اعتاد الناس حين يدخلون عليه أن يحيوه قائلين : « لعل عمر الملك يطول إلى الأبد ». إلا أن شخصاً واحداً كان يشذ عن هذه القاعدة، فما من مرة يقبل فيها على الملك إلا وحياه قائلاً: « لا ملك إلا الله »، ولكثرة ترديده هذه العبارة سماه الملك ورجال البلاط بها، فكانوا يقولون .. لا ملك إلا الله جاء، لا ملك إلا الله راح وهكذا . لكن الملك أخيراً ضاق به ذرعاً، واشتد حقه عليه، فأراد أن ينتقم منه بمكيدة دبرها له، وذلك بأن أعطاه خاتمين من فضة يحفظهما عنده بصفة أمانة . ووضع الرجل الخاتمين في قرن كبش مفرغ وسلم القرن لزوجته لتحفظه عندها . وما كادت تمضي خمسة أيام حتى استدعى الملك الرجل وقال له : « سأرسلك في مهمة إلى إحدى القرى » وأبدى الرجل إستعداده تماماً للقيام بالمهمة المطلوبة .

وما كاد الرجل يمضي حتى استدعى الملك خدمه وقال لهم : « اذهبوا إلى زوجة الرجل المسمى لا ملك إلا الله، واعرضوا عليها لو أنها ردت للملك الأمانة التي أودعها زوجها لديها لتحفظها له، فستال مليون قطعة نقدية، ومليون رداء، ومليون عصابة رأس، ولما بلغت الزوجة بذلك وافقت في الحال، فردت القرن وأخذت ما عرض عليها . وحين تسلم الملك القرن، فتحه وأخرج الخاتمين ليتأكد من أنهما الخاتمان الأصليان، ثم ردهما إلى القرن ودفعهما ليستقرا في نهاية القرن، وأمر خدمه بإلقائه في بحيرة لا يجف لها ماء أبداً . وما كاد الخدم يلقون بالقرن في ماء البحيرة حتى أقبلت سمكة كبيرة وابتلعته .

(١) أ. جيه . إن . تريميرن : خرافات الهوسا وعاداتهم، ترجمة: محمد عبد الواحد . مجلة الفنون الشعبية . عدد (٥٩ ، ٥٨) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٩٨ . ص ١٤٦ .

ولما عاد الرجل المسمى « لا ملك إلا الله » من رحلته ووصل إلى مدينته التقى ببعض رجال كانوا فى طريقهم إلى البحيرة لاصطياد سمك بالشباك، فذهب معهم. وشاء حظه أن يصطاد هذه السمكة الكبيرة، ورجع بها إلى بيته . وبينما كان ابنه ينظفها، ارتطم سكينه بالقرن، فلما أخبر أباه بذلك طلب منه أن ينتزع ذلك الشيء، فلما انتزع القرن وشاهده الأب تملكته الدهشة، ولما فتحه وأخرج منه خاتمى الملك، الأمانة التى أوتمن عليها، قال: « حقاً لا ملك إلا الله » وما كاد الابن وأبوه ينتهيان من تنظيف السمكة، حتى أقبل رسول الملك يطلب من الرجل المثل بين يديه بعد أن يفتسل ويستريح من عناء السفر ولما انصرف رسول الملك سأل الرجل زوجته عن الأمانة التى طلب منها أن تحفظها له، فقالت : لست أدرى، لا بد أن فأراً سلبها « فرد زوجها قائلاً قولته المشهورة : « لا ملك إلا الله » .

واتجه « لا ملك إلا الله » إلى البلاط الملكى، وحين وصل اتخذ مجلسه بين رجال البلاط . ولما أقبل الملك أخذ المستشارون يرددون : « لعل عمر الملك يطول إلى الأبد » فى حين أخذ هو يردد عبارته المعهودة « لا ملك إلا الله »، وجلس الجميع، ثم طلب الملك من رجاله أن يكفوا عن الترترة لأنه يريد التحدث إلى « لا ملك إلا الله » . وحين ساد الصمت سأله الملك « أو ليس هناك ملك إلا الله ؟ » .

فأجاب الرجل « أجل .. لا ملك إلا الله » .

فقال الملك « إذا فإنى أريد الآن الأمانة التى لى عندك » .

وكان الملك قد أمر بعض رجال حرسه بالإحاطة بالرجل، بحيث إذا عجز عن رد الأمانة جروه وأجلسوه على خازوق عقاباً له على تقريطه فى الأمانة . لكن الرجل ما إن طلب الملك منه الأمانة حتى أدخل يده فى جيبه وأخرج القرن وسلمه للملك . ولم يصدق الملك عينيه وهو يرى خاتميه فى القرن، وصاح منفعلًا « حقاً لا ملك إلا الله » وحيأ رجال البلاط الرجل، أما الملك نفسه فقد قسم مدينته قسمين ومنح الرجل أحدهما ليتولى حكمه^(١).

(١) أ. جيه . إن . تريميرن : خرافات الهوسا وعاداتهم . ترجمة محمد عبد الواحد . مجلة الفنون الشعبية . عدد (٥٤، ٥٥) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٩٧ . ص ١٢٨، ١٢٩ .

٤- حكاية : الرجل وزوجته القبيحة .

Hikaya : Namiji da mammunar matarshi

ذات مرة كان هناك رجل متزوج من امرأة واضحة « صريحة »، وفى الحقيقة كانت أقبح سيدة فى المدينة، وكانا فقراء لدرجة أن الزوج لم يكن لديه رداء لائق يرتديه، والسيدة كذلك .

وفى يوم من الأيام كان الزوج منشغلا يبنى كوخًا بعيدًا عن منزله، وعندما انتهى من بنائه، قال لزوجته سوف أدخل فى هذا الكوخ الآن، وعندما أدخل أريدك أن تغلقى الباب خلفى ؛ لكى أعيش فيه كناسك لمدة أربعين يومًا. وعندما دخل هذا الرجل الكوخ أغلقت الزوجة الباب بالطين، وبعد ذلك قضى هذه الأيام والليالى داخل الكوخ فى صلاة وصوم، وفى آخر ليلة من هذا التعبد راح فى النوم، وأتت له رؤيا، وفى رؤياه أحس بأنه يستطيع أن يحقق ثلاث أمنيات مهما بلغت صعوبة تحقيقها .

وفى صباح اليوم التالى كان وقت تعبه قد انقضى، فاستيقظ ونادى زوجته لكى تفتح له الباب ليخرج . فجاءت بألة حادة، وكسرت بها الحائط الطينى الذى كانت قد بنته أمام باب الكوخ وأخرجت زوجها .

فقال لها عندما رآها : دعواتى إستجيبت، وبدأ يحكى لها ما حدث له خلال الأربعين يوما قائلا : « كنت أصوم وأدعو حتى آخر ليلة، إذ رأيت رؤيا قيل لى فيها إننى إذا دعوت لثلاثة أشياء سوف تتحقق على الفور » .

صممت الزوجة للحظة مفكرة فيما قاله زوجها ثم قالت له : أنت تعلم أن مظهرى غير جذاب وأننى أقبح سيدة فى المدينة، لذلك أريدك أن تدعو لى كى أصبح جميلة، وعندما أتى الليل بدأ يدعو لزوجته لتحقيق رغبتها، وفى الصباح كانت قد تغيرت تمامًا، وأصبحت ذات رقة وجمال لا تضاهيه أى امرأة وهذه الأخبار نقلت بسرعة لقصر الحاكم، الذى أمر رجاله فور سماعه هذه الأخبار متعجبًا أن يحضروها للقصر بسرعة وعلى الفور ذهب جنود الحاكم وأحضروها بالقوة للقصر، وعندما اكتشف الزوج فقدان زوجته، وأنها أخذت إلى الحاكم،

أصابة إحياط شديد، وبعد ذلك تذكر الثلاث دعوات التي منحت، فدعا لزوجته لكي تتحول إلى قرد .

وفى القصر حيث كان الحاكم يستعد للذهاب إلى عروسه الجديدة، فوجئ بالحراس يقولون له : أحضر بسرعة لترى ما حدث، فتبع الحاكم الحراس إلى حجرة السيدة وهناك - فى الحجرة - بدلا من أن يجد العروس، وجد قرداً جالساً على السرير، فغضب بشدة وأمر خدمه أن يبعدوا القرد عن القصر، فحملها الحراس وألقوا بها عند منزل زوجها. وعندما وجدها الزوج تغيرت إلى شكل القرد دعا من أجل أن تستعيد شكلها الأصلي، واستجيبت دعواته وعادت مرة أخرى إلى صورتها القبيحة التي كانت عليها من قبل، وفيما بعد دعا الزوج من أجل الأكل والملابس والأشياء الأخرى التي كان يحتاجها هو وزوجته لكن دعواته لم تستجب لأنه بالفعل كان قد استنفذ الثلاث دعوات التي كان وعد بها فى رؤياه فقال فى نفسه : كل من أخذ بمشورة امرأة سوف تكون عواقبه وخيمة⁽¹⁾.

٥- حكاية : القاضى الفاسد .

Hikaya : Mugun Alkali .

ذات يوم قدم أحد الناس إلى القاضى، فذهب المدعى عليه واستجاب لدعوة القاضى، وبعد المحاكمة فهم القاضى أن المدعى عليه ليس على الحق، فقال له هل لك من كلام ؟

فأشار المدعى عليه بثلاثة أصابع .

فقال القاضى فى نفسه : هو لا يعرف الكلام، فعندئذ أصدر حكماً لصالح المدعى عليه، وعندما ذهب المدعى عليه إلى البيت أرسل إلى القاضى بثلاث قرعات، وكان القاضى قبل ذلك يعتقد أن الإشارات بأصابعه الثلاث تعنى ماعزاً، فذهب القاضى على الفور واستدعى المدعى عليه .

(1) Lumley, Frederick : op. cit, p.p.110 . 111.

وقال القاضى : أنت إنسان منافق ؛ لقد خدعتنى لعنك الله، اذهب وانصرف .
وعندما خرج قال : حقا إن حلاق الصحة لا يجب الحجامة لنفسه⁽¹⁾.

٦- حكاية : أيها الغلام ابدل جهداً عظيماً لتشتهر .

Hikaya : Yakai wannan yaron kabada kokari sosai sabod ka .shahara

فى إحدى بلاد الشرق البعيد عن هنا، كان يعيش رجل يسمى عبدالله، كان ثرياً وعالمًا كبيراً، وكان من بين ثروته عشرة من الإبل مختارون من بين الإبل كلها نوق متساوية فى الحجم فلا تزيد واحدة عن الأخرى .

عندما شعر هذا العالم أنه على وشك الوفاة، نادى أولاده الستة، وقال لهم: «إذا مت لا تضموا هذه الإبل إلى الميراث الذى ستوزعونه، لم أنو أن أجمعها لنفسى، فى نيتى إذا كبرت، أعطى ابنى الأكبر النصف، والذى يليه الثلث والابن الأصغر التسع، إن عددهم ليس كبيراً، ولكن مع ذلك يجب أن توزع على هذا النحو، ولا تدعو أى عالم يغير فى هذه القسمة التى قسمتها، وأن يقول هذا ليس بالحلال، إنى أعلم بما نويته فى نفسى .»

احتضن الأولاد أباهم وهم يبكون، ويعد قليل شعروا بالبرودة تسرى فى جسمه، فأخذوا ينظرون إليه حتى أسلم الروح، دون أن يعرف أحد، فاجتمع الناس وشيعت الجنازة، وانتهى الأمر .

ويعد سبعة أيام بعث القاضى بالساعى ليحضر بهم لتوزيع الميراث، فقال له الشهود ما قال عبدالله بالنسبة لتوزيع الإبل التى تركها، فعندما هم بالقسمة، جنب هذه الإبل فى مكان، ووزع باقى الثروة، وعند توزيعها قال الأولاد : « يجب أن توزعها حسب الوصية التى تركها أبونا، حتى ننتهى من القسمة نهائياً .»

(2) Ka Kara Karatu: op. cit, p.p.5.6.

قام بترجمة هذا النص للغة العربية الأستاذ /حافظ إبراهيم عبد الله .

« ما يسمى النصف هو ٢/١ وما يسمى الثلث هو ٣/١ أى يقسم الواحد ثلاثة أجزاء ويؤخذ جزء واحد، وما يسمى التسع هو ٩/١ أى يقسم الواحد تسعة أجزاء ويؤخذ جزء واحد ». صمت الساعى، وأخذ يحسب الإبل، فوجد أنه لا يمكن تقسيمها كما أراد هذا الأب، فقال لهم : « هذه الإبل لا يمكن تقسيمها كما أراد أبوكم، إلا إذا ذبح بعضها ووزع لحمها عليكم، أو يصبر أحدكم ويرضى بنصيبه، ويأخذ أحدكم أكثر من نصيبه، فكروا، وقرروا، نصف السبعة عشر، ثمانية ونصف، فكيف نجد نصف جمل، إن لم يذبح ويقسم، أو يباع ويقسم ثمنه، أو توافقون أن يأخذ كبيركم أكثر من النصف فيحصل على تسعة » .

قال الأخوان « لا، لم يوصى أبونا بذلك، لم يرد أبونا أن ينال أحدنا أكثر من الآخر » قال الساعى : « وهو كذلك، لعله يوافق على النصف لكم ويأخذ ثمانية » فأجاب هو الآخر قائلا : « لا أوافق أن يزيدوا عنى، قال أبى لا يختلف نصيب عن الآخر » .

صعب الأمر عليهم وتحير الساعى فى الأمر، فأخذهم وأخذ الإبل معهم وذهبوا جميعا إلى القاضى، وعرضوا الأمر كله عليه .

فلما سمع القاضى القصة، صمت وبعد قليل قال : « وهو كذلك، هيا نخرج لرؤية الإبل »، وخرجوا ورأوها، وعدّها، وهز رأسه وقال : « هذا أمر يسير » قال الشباب : « غفر الله لك يا سيدى، لا ينبغي أن يأخذ أحد أكثر من حقه ولا تنقص من حق أحد » .

قال القاضى : « أتقولون لى هذا الكلام ؟، هل أنتم أول من أقسم لهم الميراث؟، انحنى الشباب وقالوا : إنهم أسفون، فعفا عنهم القاضى، ثم نادى أحد خدمه، وقال : « اذهب وأحضر ناقتى التى أركبها، وفى الحال جاء الخادم بها، فقال القاضى : « ضمها إلى نوق هؤلاء الشباب، وافعل ما أقوله لك، ففتح كل فمه تعجبا، ونظر لما سيفعل .

والتفت القاضى إلى الابن الأكبر وقال : « كم عدد هذه الإبل ؟ » .

قال الابن الأكبر : « ثمانية، غفر الله لك يا سيدى » .

قال القاضى : « حسنًا، كم من الإبل أوصى لك أبوك ؟ » .

قال الشاب : « النصف، أحسن الله إليك يا سيدى » .

قال القاضى : « الحمد لله، ما هو نصف سبع عشرة ناقة ؟ » .

قال الشاب : « ثمانية جمال ونصف جمل، غفر الله لك يا سيدى » .

قال القاضى : « وهو كذلك، كم نصف الثمانى عشرة ناقة ؟ » .

قال الشاب : « تسعة » .

قال القاضى : « إذا حصلت على تسع نوق، وأنت تريد ثمان ونصف، ألا يكفيك هذا ؟ » .

قال الشاب : « غفر الله لك يا سيدى، هذا فاق الحد، لقد زدت بهذا نصفًا ؟ » .

قال القاضى : « وهو كذلك، سق الناقة ولكن لا تضيفها إلى ناقتى، أعرف أنتى وإن لم أمنعك من ذلك، سوف لا تفعل، لأنها أصغر من الباقى » .

بدت السعادة على وجه الشاب وابتسم، وساق النوق التسع، وذهب إلى منزله مسرعًا، خشية أن تنقص القسمة، ويطلب منه إعادة واحدة .

نظر الإخوة الباقون الأصغر منه إلى القاضى فى غضب يظنون أنه طالما زاد نصيب أخيهم الأكبر إن نصيبهم سينقص .

نظر القاضى إلى الآخر الذى يلى الكبير وقال : « وأنت كم عدد الإبل التى أوصى بها لك أبوك ؟ » .

قال الصبى : « قال أن تقسم ثلاثة أجزاء وأنال جزءًا واحدًا، غفر الله لك يا سيدى » .

قال القاضي : « إذا قسمت الثماني عشرة ناقة إلى ثلاثة أجزاء كم جزءاً سيكون نصيبك ؟ » .

قال الصبي : « أحسن الله عملك يا سيدي، سيكون كل جزء ستة ستة ستة » .

قال القاضي : « إذا أخذت ستة أجزاء ألا ينقص هذا من نصيبك ؟ » .

قال الصبي : « أين هو النقص ؟، إذا لم تعطنا نافتك، يكون خمسة إبل وثلثين من الإبل أنا لها ” ، فأخذها ومضى .

لعلك تذكر أن إبلهم كانت سبعة عشر، وأمر القاضي أن تضاف إليهم ناقته فصارت ثماني عشرة، الكبير أخذ تسعة، والأصغر منه أخذ ستة، وهو كذلك تسعة وستة، إذا جمعناها يكون الناتج خمسة عشر، وإذا انقصنا من الثمانية عشر واحدة، يتبقى اثنان من الإبل .

نظر القاضي إلى الابن الأصغر وقال : « وأنت كم ناقة قال أبوك أنها نصيبك ؟ » .

قال الابن الأصغر : « قال إذا قسمت هذه الإبل السبعة عشر، تسعة أجزاء يكون نصيبي جزءاً واحداً، أي سيكون نصيبي جملاً واحداً، وثمانية أتساع » .

قال القاضي : « أنت تريد جملاً واحداً، وثمانية أتساع جمل فما بالك لو حصلت على جملين » .

قال الابن الأصغر : « إذا حصلت على جملين، أحسن الله عملك يا سيدي كل ما تفعله طيب ؟ » .

قال القاضي : « وهو كذلك، سق جملين، ولكن أترك جملتي » فساقهما الابن الأصغر ومضى مسروراً .

ثم نظر القاضي إلى خادمه وقال : « خذ ناقتي التي أحضرتها، وأرجعها إلى أخواتها فأخذها وذهب، وتعجب الناس من مهارة هذا القاضي »^(١).

(١) الحاج أبو بكر إمام : مرجع سابق . ص ٤٤٩ : ٤٥٢ .

٧- حكاية : ما شأن الرزق بالشعر السيء ومن وهبه الله الصبر لا يلام .

Hikaya : Ina Ruwan arziki da Mugun gashi wada Allah ya bashi hakuri ba'a zargin shi .

كان قديماً يوجد رجل ثرى اسمه عيسى العامرى، لم يكن له مثيل فى الثراء، ولكثرة ماله كان إذا ذكر اسمه تسمع الناس يمدحونه قائلين: « صاحب المال الكثير فى المدينة »، وكان أكبر أمر ينقص سعادته فى الحياة الدنيا، أنه لم يرزق بالابن ولا الحفيد، لذلك كان يقول : إنه ليس له هدف من هذا المال المكتوز الذى وهبه الله، وكل ما كان يفعله هو الاستمتاع وأكل ثمار الكولا، وتدخين التبغ، رجل دنيوى محب للمتعة، وكان إحسانه كمطر السماء، وكان أهله دائماً يحاولون منع الخير الذى يفعله، ويقولون له : « يا عيسى المال لا يجب من ينفقه فى الملذات » فيقول لهم : « وهو أيضاً لا يجب أن يجمع ويكنز ».

فلما شعر أن أقاربه يضايقونه، خرج ذات يوم للنزهة، تذكر أن هذا المال الذى وهبه الله ليس لاجتهاده، فطلب أن يجمع له كل المساكين العميان والعجزة فى المدينة ووزع عليهم ماله صدقة لوجه الله، ولم يبق لنفسه إلا شلنا . فدعى له الجميع بأن يرحمه الله كما رحمهم، ويجازيه خيراً مما قدمه إليهم . وانصرفوا، وذاع خبره فى كل أنحاء المدينة، فشعر أهله بأنهم سيموتون من الغيظ، لقد كانوا يتمنون أن يرثوا ماله بعد أن يموت، طالما ليس له ابن ولا حفيد .

حدث كل هذا فى شهر ربيع الأول، شهر المولد النبوى، ولم يكتمل اليوم العاشر من هذا الشهر، حتى صار عيسى لا يجد ما يأكل سوى ما يقدم إليه الجيران، وأخذ أهله يسخرون منه ويقولون : « لقد قلنا لك إن المال لا يجب الإسراف، ها هو اليوم لم يمتضى سوى عشرة أيام فقط على تبذيرك للثروة حتى بدأت تتسول، نسأل الله أن يزيدك ».

لم تغير أحداث الزمن قلب عيسى، فكان عندما ينال قرشاً يتصدق بنصفه والنصف الآخر يشتري به طعاما، ويدعو أحد العجزة ليأكل معه، وإن لم يجد أحداً، يدعو الكلاب والقطط فتأكل معه .

وفى اليوم الثانى عشر من هذا الشهر أى ليلة المولد، كان نائمًا فرأى رؤية، سمع من يقول له : « فى ظهر الغد سيأتيك رجل يرتدى ثياب الطوارق ويقف أمامك، فعندما تراه وقف، تأخذ عصا غليظة، وتضربه ضربًا كثيرًا، فستراه قد تحول إلى مال كثير فتجمعه، لقد بدأ الله يجازيك على خيرك، وقبل مرور العام فى مثل هذا اليوم، ستحمل زوجتك، وتنجب ذكرًا، فأطلق عليه اسم سعيد » .

وهنا هب من النوم فزعًا، وجلس، وتلفت حوله لما سمع، وقال : « هذا الأمر رؤيا أم ماذا ؟، الأفضل أن أنتظر حتى ظهر الغد لأرى، إذا رأيت أحد الطوارق جاء ووقف أمامى، سأضربه بالعصا، إذا تحول مألًا، حينئذ أعرف أنه لم يكن حلمًا، ولكن رؤيا صادقة، وإذا لم يتحول، حيث يريد أن يأخذنى فليأخذنى، يفعل بى ما يشاء » .

ونظر خارج المنزل فرأى النهار قد طلع، فقام وصلى، وبحث عن يد فأس كبيرة وأخذها، ولم يخبر أحدًا برؤياه، وقرب الظهر إذا بحلاق أسمه شعيب ابن الحلاق صاحب السلاح الحاد . يأتى إليه فى الممر ليقص له شعره، لأنه حلاقه منذ كان ثريًا .

جلس ابن الحلاق وبدأ عمله، وأثناء عمله نظر فرأى على يمين عيسى يد الفأس فقال له : « هذا الفأس ستصلحها ؟ » .

قال عيسى العامرى : « نعم، أنت تعرف إذا كسدت التجارة أتحوّل إلى الزراعة » وبعد قليل كاد أن ينتهى من الحلاقة، إذا بأحد الطوارق يدخل الممر، ولم يقل شيئًا ووقف عند رأس عيسى، وعند رؤيته تذكر عيسى رؤيا الأمس، فقال للحلاق « انتظر » توقف الحلاق، وقام عيسى وأخذ يد الفأس وأخذ يضرب الرجل حتى سقط على الأرض، ولم ينطق الرجل بحرف واحد، فأستمر يضربه بالعصا .

وهم الحلاق بمنعه فقال له : « لا شأن لك أنت لا تعرف ما بيننا »، وعند سقوطه رأوه قد تحول، وصار مألًا مكومًا، تعجب شعيب ابن الحلاق، وقال فى نفسه، « إذا ضرب الإنسان رجلًا من الطوارق تحول مالا » أخذ عيسى العامرى عشرة شلنات وقدمها للحلاق، وجمع الباقي وتوجه به إلى المنزل .

عندما وضعها فى مكان واحد، جلس يحمد الله، على هذه الهبة التى ردها الله إليه، وما كاد شعيب ذو السلاح الحاد يخرج، حتى قصد السوق واشترى عصا غليظة وأخفاها، وقصد مكان تجميع الطوارق إذا جاءوا لبيع التمر، فوجدهم قد ملاؤا المكان يشربون الفرا . وعند وصوله دخل فى وسطهم، ورفع عصاه وانهاه عليهم ضرباً، فخرجوا جميعاً يجرون، فأمسك واحداً منهم وأخذ يطأه بقدميه، ويضربه، فلما سمعوا رفيقهم يصرخ، عادوا وهجموا على شعيب، وامسكوه وقادوه إلى رئيس السوق، فسار بهم حتى وصلوا إلى الأمير وقالوا هذا الرجل المجنون جرح رفيقنا .

نظر الأمير إلى الجريح وقال : « لماذا حدث هذا الأمر ؟ » .

قال الطوارق : « كنا نجلس فى الكوخ نشرب الفرا، فجاء هذا الرجل ودخل علينا وانهاه علينا ضرباً، فلما رأينا أنه سيقتل أخانا، فقلنا أيها الرجل صبراً، فأمسكناه وجئنا به إلى هنا » وشهد الناس جميعاً بذلك، نظر الأمير إلى الطوارق، وقال: « لقد أصيب بالجنون، يجب أن تصبروا سآمر بوضعه فى الأغلال » .

عندما سمع الحلاق كلمة الأغلال، نظر إلى الأمير وقال: « لا، كيف أوضع فى الأغلال وصحتى جيدة ؟ » .

ابتسم الأمير وقال : « وهو كذلك، أين هى الصحة الجيدة التى تجعلك تعمل هذا العمل ؟ » .

قال الحلاق : « يوجد سبب لذلك، - أطال الله حياتك - فى ظهر هذا اليوم، كنت أقص لعيسى العامرى شعره فدخل أحد رجال الطوارق الممر، وعند رؤيته قام عيسى وانهاه عليه ضرباً، فرأيته قد تحول فى الحال مآلاً، وقد أعطانى من هذا المال عشرة شلنات ها هى . »

عندما سمع رجال الحاشية ذلك انفجروا فى الضحك، وقالوا : « لا بد أن هذا الحلاق جن، ولكن لنستدعى عيسى العامرى لنسمع كلامه » وفى الحال استدعى عيسى العامرى فجاء .

سأله الأمير، فقال : « هذا كذب، كيف يحدث هذا ؟، منذ دعوته ليحلق لى، رأيت أن رأسه فى هذا اليوم لم يكن متزناً، فقد جذب عمامتى وقال : « ترون أنه لم يتم قص شعرى، قام وجرى وتركنى » .

نظر شعيب بن الحلاق إلى عيسى العامرى وقال : « ويحك يا عيسى، قل الحق، لأنك ضربته كثيراً، تريد أن تتال هذا المال الكثير وحدك ؟، لا تريد أن يعرف أحد سرك، إذا دعنى أضرب هذا الرجل، وسترى، ما إذا كان سيتحول مالا أم لا، لقد كاد يوشك أن يتحول مالا، ولكن حقدنا نحن أبناء السوق أفسد على الأمر » .

عندما سمع الأمير ذلك قال : « لا بد أنه جن، يجب أن ننقله إلى السجن » . ولما هموا بالخروج به، ركع عيسى العامرى أمام الأمير وقال : « بفضل بركتك، أطال الله حياتك، إذا وافقت، أريد أن تتركه لى، لأذهب به إلى المنزل، لأعمل له بعض التعاويذ، وقبل مضى ثلاثة أيام إن لم يشف، وتعدز الأمر على سأتيك به لتساعدنا » .

قال الأمير : « وهو كذلك، اذهبوا رينا يشفيه » .

أخذ عيسى العامرى يده وهم بالخروج، فنظر إلى الطوارق وقال : « عجباً، هذا المال بين أيديكم كثير، وتتركونه ينصرف » . فانفجر الجميع فى الضحك، وتفرقوا .

أخذه عيسى العامرى إلى المنزل، وأخذ يهدئ من روعه، ويقول : « والله هذا حلم لا تتبعه لقد كاد يسجنك دون ذنب، منذ أن جئت إلى فى هذا الممر وأنت تنفس، وتأخذك سنة من النوم، وأنت تقص شعرى، إن لم يكن حلما هل رأيت من قبل رجلا يضرب فيتحول مالا؟، فكر فى هذا بعقلك » . وأخذ يضرب له الأمثال، حتى اقتنع بأنه كان حلما كاد يجنه عندما أدرك عيسى العامرى أنه اقتنع، اصطحبه إلى المنزل وعاد به، وكان كلما جاء ليقص شعره، يذكره بهذا العمل الذى قام به، فيضحكون .

وبعد حوالى شهر، حملت زوجة عيسى العامرى، ولم يمر العام حتى أنجبت له مولوداً ذكراً، فلم ينسى ما قيل له، فأسماه سعيداً، وأقيم له فرح كبير .

وحيثما كان يذهب ابن الحلاق فى المدينة، كانوا يسخرون منه ويقولون : « ابن الحلاق صاحب الطوارق »^(١).

٨- حكاية : ضفدعتان .

Hikaya : Kwadi biyu .

كانت هناك ضفدعتان وقعتا فى إناء اللبن فمجزتا عن الخروج فسبحتا كثيراً إلى أن تعبت إحداهما .

فقال الضفدعة : « اليوم حياىى انتهت »، فتركت المحاولة واستسلمت فغرقت وماتت، أما الأخرى فقد حاولت كثيراً، فى مكان هذه الحلقة التى يفعلها كثرة السبع حتى تجمع الزيت، عندما تجمعت قطعة زيت، فصعدت على قطعة الزيت وقفزت للخارج .

لقد قال الله « قم لأساعدك »^(٢).

٩- حكاية : الحياة أفضل من المال .

Hikaya : Rai ya fi Dukiya .

رجل ما، سبب له الفقر يأساً، لدرجة أنه لم يعد لديه ما سيفعله، فعندئذ ذهب إلى مكان الأمير وقال : « ليس لدى طعام اليوم ولا طعام الغد، وليس لدى أى شىء فى الدنيا إلا هذا السراويل، لقد يئست من حياىى أريدك أن تقتلنى » .

فقال الأمير : « حسناً » فاستدعى الحراس، وقال : « فليذهب به وليقتل ليستريح » .

(١) الحاج أبو بكر إمام : مرجع سابق . ص ١٦٧ : ١٧٠ .

(2) Ka kara karatu: op.cit, p.4.

قام بترجمة هذا النص لفة العربية الدكتور / صبرى إبراهيم على سلامة .

عندما كان يربط إذا بشخص قد جاء وقال : « إذا قتل أريد أن تعطوني سراويله » .

فغندئذ حدث الرجل نفسه قائلاً : « ياله من شيء عجيب توقفوا ليعاد بي إلى الأمير لدى كلام أريد أن أقوله للأمير » فتوقف الحراس وأعيد به للأمير .

فقال الأمير : « ماذا حدث » ؟

فركع الرجل أمام الأمير وقال : « أطال الله عمرك دعني لقد رأيت اليوم من هو أشد مني فقرا يا له من شيء عجيب الحياة جميلة » .

فقال الأمير : « اذهب وشأنك، واشكر الله الذي منحك الحياة والصحة »⁽¹⁾.

١٠- حكاية : لكل بعيد أبعد منه .

Hikaya : Gaba da gabanta .

أمسكت إحدى الحدآت بدودة، فإستغاثت الدودة قائلة : « دعيني » فقالت الحدأة : « كلا ولن أدعك بل سألتهمك لأنني أشد منك قوة »، وهناك فجأة لمح صقراً هذه الحدأة فاندفع نحوها، وأمسك بها، وطار بها إلى قمة إحدى الأشجار، فقالت الحدأة مستغيثة : « صبراً أيها الصقر دعني » .

فقال الصقر : « إنني أأبى أن أتركك بل سألتهمك لأنني أشد منك قوة »، وبينما هو يأكل فيها فإذا بنسر وقع في رأسه .

فقال : « الحمد لله عثرت على طعامي »، قال الصقر : « توبت مخاطباً للنسر إن تركتك تعيش أبيت جوعاً سوف ألتهمك لأنني أشد منك قوة » . وبمجرد النطق بهذا شعر بالرمح في جسده ياله من شيء عجيب، فلقد رآه أحد الصيادين فاصطاده وأخذه قائلاً : « اليوم يموت وتلتقى بمن هو أشد منك قوة »⁽²⁾.

(1) Ibid.p.9.

قام بترجمة هذا النص للغة العربية الدكتور / صبرى إبراهيم على سلامة .

(2) Ibid . p.p 15.16

قام بترجمة هذا النص للغة العربية الدكتور / صبرى إبراهيم على سلامة .

١١- حكاية : جزاء من الله.

Hikaya : Sakaiyar Allah .

هناك ثرى كثير المال مشهور بشدة الغضب والتكبر، وفى يوم من الأيام غضب هذا الفنى وشتم أحد عماله ورماه بطوب، وأما هذا العامل فانحنى وأخذ الطوب ثم قال : «سوف يأتى يوم انتقم فيه من عدوى، لأن الله هو الذى يغنى الفقير، ويفقر الفنى» .

وبعد مرور زمن طويل بدأ هذا الفنى السفيه ينفق أمواله فى تبذير شديد، وفى انتهاك أعراض الناس، حتى افتقر وصار فى حالة لا يحسد عليها وعبرة للمعتبرين .

وفى أحد الأيام رأى هذا العامل الفقير الفنى الذى أهانة يوماً ولما رآه هذا العامل أخذ هذا الطوب الذى رماه به لينتقم منه، ولكنه تذكر أن الله لا يحب الانتقام ومن هنا ترك أمره لله لأنه هو المجازى وأعطاه شيئاً يحسن به حاله قائلاً: أحسن إلى الناس يحسن الله إليك وأحسن إلى أعدائك يحسن الله إليك^(١).

١٢- حكاية : إذا كان الساحر غاضباً فسد سحره.

Hikaya : Idan boka yayi fushi yo to bokancin Nasa yabaci .

فى إحدى المدن فى كنو، كان يعيش رجلان، أحدهما يسمى جاتو، والثانى يسمى "طنسندا Dan sanda"، ليس لهما أية صناعة إلا أن يذهبا إلى الغابة لقطع الأخشاب وبيعها، ولما كانت صناعتها واحدة، تصادقا مع بعضهما، الليل فقط يفصلهما عن بعضهما، لعلك تعرف أن الإنسان ليس له حديث إلا عن صناعته، ولذلك كان حديثهما دائماً، أين سيذهبان ليجدا خشباً جيداً .

(1) Labaru Na Da Da Na Yanzu : op.cit, p.51

قام بترجمة هذا النص للغة العربية الأستاذ / حافظ إبراهيم عبدالله.

وهما على هذه الحال، قالت زوجة طنسندا له : ألا ينتظر جاتو اليوم، ويذهب وحده لقطع الأخشاب، لأنه دائماً إذا ذهب مع جاتو لا يجدان خشباً كثيراً، وإذا وجداه لا يبيعانه بسرعة، وقالت له : جاتو سييء الحظ، لذلك رأيت أن تبعده عن زوجها حتى لا ينحسه.

عندما جاء وقت الخروج ذهب جاتو إلى منزل طنسندا ليذهبا معاً، فقالت زوجته : « سبقك وخرج »، فتعجب مما جعله يسبقه ويخرج، ولم يجد سبباً، وذهب إلى مكانه، وسار حتى وصل إلى الغابة، ثم توغل فيها فوجد صندوقاً فى أحد كهوف الأشجار، فجذبه وفتحه، وإذا بمال كثير، سرقه اللصوص وأخفوه، فوقف يشكر الله، فأخذ غطى فرع الشجرة، وعاد إلى المنزل .

ولما وصل المدينة قصد منزل صديقه طنسندا، فوجده قد عاد منذ قليل، فأعطاه هذا الصندوق أمانة، لأن منزله لا يوجد فيه مكان أمين، أخذ طنسندا الصندوق، وأثناء الليل قالت له زوجته : « لا بد أن نفتح لنرى هذا الشيء الثقيل الذى بداخله » .

وفتحا الصندوق فوجدا المال الكثير، فلما رأيت ذلك قالت لزوجها : « إذا سألك قل إنه لم يعطك شيئاً، وإنه يكذب، ويذهب حيثما يريد، ومهما أذاقوك من عذاب لا تكشف السر، ثم لعلك تعرف أن الراحة تكون بعد التعب، رجل مثلك لا يضعف أمام الصعاب ».

فقال « ربنا يسهل، هل مثلى يجبن، تعرفين أننا لو حصلنا على هذا نسعد » .

قالت : « امسك لسانك أنت » وأخفيا الصندوق .

وبعد حوالى ثلاثة أيام، جاء جاتو وقال : « طنسندا أريد الصندوق » .

قال طنسندا : « أى صندوق لك ؟، أنت لم تعطينى شيئاً ».

قال جاتو : « ألا تكف عن المزاح، بالله عليك أعطينى إني متعجل » .

قال طنسندا : « والله ليمس لك شيء عندي » .

قال جاتو : « حتى تقسم بالله » .

قال طنسندا : « الله، أنا لا أعب معك، كيف ذلك؟ رويداً رويداً، وصل الأمر إلى القاضى » .

بعد أن كرر الكلام، بحث القاضى الأمر بقدر ما يستطيع، فرأى أنه لا يوجد سند يعتمد عليه، وتركهم حتى الغد .

عندما طلع النهار، عاد إلى منزل القاضى، حاول القاضى كثيراً، رفض طنسندا قول الحقيقة، وهم أن يحلفه، فقال جاتو : « أتركه حسبى الله » .
عند عودة جاتو إلى المنزل، فكر كثيراً، وعمل شبه إنسان من الحطب، وصنع له رأساً صغيراً، وأيد صغيرة .

ولما انتهى حملة ووضعه فى كوخه، وكان يوجد ثوب قديم لطنسندا عنده، لأن حاجتهم واحدة، ثم أخذه وألبسه لخيال المآة، وذهب إلى القرية وأحضر كلبين صغيرين، وجاء بهما إلى الكوخ وغطاهما، وكان كلما أحضر الطعام وضعه على كم قميص خيال المآة، حتى تعودا على شم رائحته، ولا يلعبون إلا فوقه .

ومرت الأيام، وذات يوم جاء أبناء طنسندا لتحية صديق أبيهم، وهذان الولدان لم يبلغا الخامسة، فلما رأهما جاتو، أمسكهما وأخذهما إلى قرية صغيرة، وطلب أن يحرسوهما، ويقدمون لهما السكر إذا بكيا، وعاد وأخذ الجروين، وذهب إلى منزل طنسندا، وهو ييكي .

سأله طنسندا وقال : « سلامتک ؟ » .

قال جاتو : « أين هى السلامة، جاء ولدك لتحتيتى، فصارا كلبين » . دق طنسندا وزوجته صدريهما، وقالوا : « غير ممكن، إنه يكذب، كيف يحدث ذلك، تقول: إن الإنسان تحول كلباً ؟ » .

وعندما قام طنسندا لم يتوقف إلا فى منزل القاضى، وقال له كل ما حدث، وفى البداية عارض القاضى، وفى الحال بعث من يستدعى جاتو، فسأله فكرر الكلام .

قال القاضى : « قل لنا الحقيقة » .

قال جاتو : «مغفرة يا سيدي، هل هذا أمر عجيب فى خلق الله، الذى له القدرة على كل شئ، يحيى من مات، ويميت الحى، رازق الفقير، ومفقر الغنى» .

عندما سمع القاضى ذلك قال : « هكذا يفعل الله » .

قال جاتو : « وهو كذلك إذا كنتم تظنون أننى أكذب دعنى استدعى هؤلاء الأولاد الكلاب، وأحضرهم هنا » .

وفى الحال أسرع وأحضر هذين الكلبين وتركهم وسط الناس ولعلك تعرف الكلاب والقدرة على تمييز الرائحة، ما كاد يضعهما وشما رائحة طنسنندا توجهها إليه، وأخذها يشمان رائحة خيال المائة، الذى صب لهما الطعام فوق قميصه، لقد كانا يشعران بالجوع فهجما على طنسنندا يشمان، لعلهما يجدان الطعام الذى تعودا على أكله .

عندما رأى الجالسون ذلك، قالوا: « لا حول ولا قوة إلا بالله »، وأخذ كل يقول: « عرفا أباهما، إن بين الابن وأبيه أمرًا عظيمًا » .

نظر القاضى إلى طنسنندا وقال : « عليك أن تذهب وتطلب من العلماء أن يدعوا لك، لعل الله يعيدهما آدميين، وأستاذنوا من القاضى وأخذوا طنسنندا الكلاب فى كم قميصه وخرج .

عندما وصل المنزل قال لزوجته كل ما حدث، فأخذت تبكى، لا تأكل ولا تشرب، قال الزوج : « لعل قول جاتو » حسبى الله أخذت تصيبنا، أنت التى قلت لا نعطيه ماله، هذا ما أصابنا بسببه، لعن الله الظالمه، كنت مع صديقى، جعلتلى أخون أمانته، إن لم نذهب، ونعيد له ماله، ونتوب، لا بد أن نتحول نحن أيضًا إلى كلاب.

وقاما وحملتا مال جاتو كله وذهبا إلى منزله، وانحنيا أمامه وأعلنا توبيتهما فأخذ ماله، وذهب وأحضر لهما أبنيهما، وقال: « ها والداكما، أناس عابثون يخونون الأمانة، لولا الحيلة التى فعلتها ما أخذت مالى، لعنكم الله، فقاما وقد غطى

الخجل وجهيهما، وضحكا كثيراً من ذكاء جاتو، والخبر الذى نشره فى المدينة، وأخذ الجميع يضحك عليهما، حتى جمعا متاعهما وغادرا المدينة^(١).

ثانياً - الوظيفة الدينية للحكايات الشعبية

إن حكاية : (الشيطان والنبي) تحمل الروح والمبادئ والقيم الإسلامية، وتمثل الطابع الإسلامى الخالص، ويظهر فى تلك الحكاية تأثير الثقافة الإسلامية على ثقافة قبيلة الهوسا، الذين يهتمون بتنفيذ تعاليم دينهم، ويحافظون على القيام بالعبادات الإسلامية فى أوقاتها .

وتتمثل الوظيفة الدينية لهذه الحكاية فى مدى الكراهية والحقد الدفين الذى يكنه الشيطان اللعين لكل ما هو مؤمن ومسلم، وتدل الحكاية أيضاً على حكمة وعظمة الأنبياء من خلال الحوار والأسئلة التى سألها النبي للشيطان، وحرص النبي على إظهار حقيقة الشيطان، وما يكنه للإنسان الذى هو خليفة الله فى أرضه .

وهذه الحكاية تحذر بنى آدم من الشيطان، فهى حكاية تدعو قبيلة الهوسا لعمل الصالحات، والقيام بالعبادات واجتناب المعاصى المهلكات .

وتورد الحكاية أهم صفات المؤمن، وهو من يكرهه الشيطان وهذه الصفات الطيبة الخيرة التى يرضى عنها الله ورسوله هى صفات المؤمنين .

أما الصفات الشريرة الهدامة للفرد والمجتمع فهى تلك التى نهى عنها الله ورسوله، لذا فالشيطان يسعى هو وأعوانه إلى ترسيخها ونشرها بين البشر الأشرار الذين يتبعونه .

ويعد هذا صراع بين الخير والشر فالنبي رمز للخير والشيطان رمز للشر وهذا صراع أبدي، وقد أخذ الشيطان من رموز الخير أعداء له ومن رموز الشر أحبباً .

(١) الحاج أبو بكر إمام .: مرجع سابق . ص ٢٤٧ : ٢٤٩ .

أما حكاية : (المصارعون وإبليس) فتعد حكاية خرافية، وترمز إلى الصراع الأزلى الدائم القائم بين الخير المتمثل فى الإنسان والشر المتمثل فى الشيطان .
وتؤكد الحكاية على أهمية الابتعاد عن إبليس اللعين وذلك يتم بطاعة الله وتنفيذ كل أوامره .

وتشير الحكاية إلى وجود الأرواح التى يعتقد فى وجودها بعض الهوسا وتعتبر هذه الحكاية تعليلية أيضاً لأنها تعلل سبب هزيم الرعد .

حكاية : (لا ملك إلا الله) إن مجتمع هذه الحكاية - مجتمع الهوسا - من المسلمين وتعد هذه الحكاية بقايا باهتة لديانات قديمة مرت على الإنسان كمعتقدات .

وتعتبر هذه الحكاية ضمن الحكايات الدينية إذ أنها تثبت أنه لا ملك حقيقة إلا الله، وهى تدور حول ملك جعل من نفسه إلهاً وساعده على ذلك حاشيته، إذ كانوا ينسبون إليه صفة من صفات الخالق وهو الخلود، وكان من بين هؤلاء الحاشية من كان ينكر ذلك إنكاراً شديداً ويؤمن بأن الملك لله وحده، ولذلك دبر له الملك مكيدة للتخلص منه، ولكن الله أنقذه منها، ومن هنا تيقن الملك أنه لا ملك حقيقة إلا الله .

وتؤكد الحكاية على ضرورة اختيار الزوجة الصالحة التى تحفظ لزوجها أمانته ولا تخونه فى أى شئ .

وحكاية : (الرجل وزوجته القبيحة) لعل هذه الحكاية الشعبية تدعو قبيلة الهوسا وكل القبائل الإفريقية إلى القناعة والرضا بما قسمه الله، والاعتراف بأن الرازق والمناج والمناج هو الله، وتدعو أيضاً إلى حسن الاستفادة بما منحه الله للعبيد .

وتؤكد الحكاية على ضرورة اللجوء إلى الله فى كل الشدائد التى تصادف الإنسان، فالرجل لجأ إلى الله ودخل فى خلوة لمدة أربعين يوماً وأربعين ليلة وأخيراً أكرمه الله واستجاب دعواته لكن الرجل لسوء الحظ لم يحسن الاستفادة من منحة الله، واتبع مشورة زوجته، وباعت حياته بالفضل .

وفى الحكاية دعوة لاختيار الزوجة الصالحة صاحبه المشورة الحسنة وتدعو الحكاية أيضاً إلى طاعة الزوج، وتؤكد على الأخذ بأولويات الأمور فى كل شىء وهذا ما اتضح فى هذه الحكاية حيث إن الزوج كان فقيراً للغاية وحينما أتاحت له الفرصة لاستجابة دعواته . كان يجب عليه أن يدعو بالستر والغنى ولكن انقاد لرأى زوجته التى اهتمت بجمالها كمادة المرأة ؛ فكانت النهاية مأسوية بحيث خسر الاثنان الغنى والجمال .

تدعو حكاية : (القاضى الفاسد) إلى العدل ونبذ الظلم، وعدم قبول الرشوة، فقد خلق الله الناس متساوين فى الحقوق والواجبات، وجعل أساس التفاضل بينهم التقوى والعمل الصالح، وفرض مجموعة من الحدود عقاباً لمن يخرج على أمن المجتمع، أو يهدد حياة أفراد، وعلى ولى الأمر ألا يقصر فى تطبيق أى حد من حدود الله، فلا يجامل، أو يحابى، وهذه الحكاية تشير إلى قاض فاسد، حكم بالباطل من أجل رشوة من المدعى عليه، ولم يكن يعرف أن الذى يظلم الناس يرد الله عليه ظلمه، ولما تبين له أن المدعى عليه قد خانته حسب اعتقاده، انزعج كثيراً ووصف المدعى عليه بالخداع والغدر، ونسى أنه هو الذى أتاح للمدعى عليه هذه الفرصة ؛ لأنه خان العهد وأمانة عمله كقاض، وقبل الرشوة من المدعى عليه، وهو بذلك قد فتح باباً واسعاً للظلم الاجتماعى، لأنه إذا لم يكن القاضى مستقيماً وهو القائم على تحقيق العدل، فالمجتمع كله سيسوده الظلم والغدر والخداع ؛ لأنه لن يكون هناك ملجأ لشكوى المظلوم .

تتحدث حكاية : (أيها الغلام ابذل جهداً عظيماً لتشتهر) عن وصية الميت، والتى تعد واجباً إسلامياً فيما لم يتجاوز الثلث من التركة . وهى من الأمور التى وجبها الشرع الإسلامى، وذلك لأن الإنسان يحتاج إلى أن يختم حياته بعمل يقربه من الله تعالى، وأن يتدارك ما قصر فيه من أعمال الخير فى حياته، وسبيله إلى ذلك الوصية فتكون مشروعة كسائر العقود والتصرفات التى يحتاج إليها أفراد المجتمع ومقدار الوصية الواجبة ثلث التركة، ولا يجب أن تزيد عن ذلك القدر وإذا زادت عن الثلث لم تنفذ الوصية إلا إذا أجاز ذلك الورثة، وهذه الحكاية الشعبية المتأثرة بتعاليم الدين الإسلامى تؤكد ضرورة تنفيذ الوصية طالما أنها فى إطارها

الشرعى، وتؤكد الحكاية على أن طاعة الآباء حتى بعد وفاتهم تعتبر واجبة ومن يطع والديه حتى بعد وفاته يعتبر ابناً باراً .

وتشير الحكاية أيضا إلى ضرورة وجود شخص متخصص لكى ينفذ الوصية ويقسم التركة وهذا يدل على ذكاء القاضى العادل وحكمته فى توزيع الوصية .

(ما شأن الرزق بالشعر السيئ ومن وهبه الله الصبر لا يلام) إن الدعوة الإسلامية تدعو إلى التدين والحث على الخلق القويم والعلم والعمل والإيمان بالله هو مصدر القيم الأخلاقية؛ لأنه هو القوة التى تعصم الإنسان من الشر وتدفعه إلى الخير قولاً وعملاً .

وتدعو هذه الحكاية إلى الإنفاق فى سبيل الله والتكافل الاجتماعى، وتشير الحكاية أيضاً إلى أن وجوه الخير كثيرة وأن نعم الله تعد ولا تحصى، وتحدثنا الحكاية عن نعمة الإنجاب وبأن الأولاد رزق من الله يهب لمن يشاء ذكوراً ويهب لمن يشاء إناثاً ويجعل كل من يشاء عقيماً، وتؤكد الحكاية على أن الخير لا يذهب هباءً لأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

وتدعو هذه الحكاية الشعبية الطريفة إلى أنه لا ينبغى أن يتصرف أى إنسان فى شىء لا يعرف أسراره، ولكن يجب أن يسأل أهل الذكر وحتى لا يقع فى المحذور، كما فعل شعيب ابن الحلاق حين تصرف فى شىء لا دراية له فيه وجعل من نفسه أضحوكة للآخرين .

حكاية : (ضفدعتان) انطلاقاً من إيمان قبيلة الهوسا بتعاليم الدين الإسلامى فقد تبين أنهم استخدموا عدة طرق لنشر تعاليم هذا الدين، من هذه الطرق، الحكايات الشعبية، والحكاية التى نحن بصدد تحليلها الآن، هى من هذه الحكايات التى استخدمت لهذا الغرض . فهى تدعو قبيلة الهوسا وكل القبائل الإفريقية إلى الاتكال على الله وبذل الجهد إلى أقصى الحدود وعدم الاستسلام لأى عقبات أو صعاب وحسن التصرف فى الأمور، طالما أنهم مؤمنون بقدرة الله وبوجوده معهم، ولا شك أن راوى هذه الحكاية الشعبية متأثر بآيات من التنزيل الحكيم .

(الحياة أفضل من المال) إن مشكلة الظلم فى توزيع الأرزاق تشغل الإنسان فى كل القبائل والمجتمعات الإفريقية إلى درجة أنه يحاول فى كثير من حكاياته أن يجد لها تفسيراً وهذه الحكاية تؤكد على شكر نعم الله مهما قلت، والنظر إلى من هو أدنى منه . كما تدعو إلى عدم اليأس من روح الله ؛ لأنه لا يئس من روح الله إلا القوم الكافرون . وعلاوة على ذلك تشير الحكاية إلى القناعة بما قسمه الله، لأنه ما من شخص مهما اشتد فقره إلا وهناك من هو أفقر منه، ومهما اشتد شقاؤه إلا وهناك أشقى منه فالسعادة فى الحياة هى الرضا بما قسمه الله، والنظر إلى من هو أدنى منك .

أما حكاية : (لكل بعيد أبعد منه) تصور حقيقة من حقائق الوجود، وهذه الحقيقة هى عدم مساواة الناس فى القوة، وإذا كان الناس غير متساويين فى القوة والقدرة فالذى ينبغى أن يسود بين الناس هو التسامح والعدل، وأما إذا كانت القدرة والقوة هما الميزان، فسيتحول المجتمع الإنسانى إلى فوضى يسود فيها قانون الغابة حيث يكون البقاء للأقوى .

وتلك الحكاية تحث الكبير على ألا يظلم الصغير بل لا بد أن يعامله معاملة حسنة، ويرحمه لأنه ضعيف . وتؤكد الحكاية أيضاً على أهمية تاصيل القيم الأخلاقية، والمعاملة الحسنة، من القيم الأساسية فى المجتمعات الإفريقية، واحترام الصغير للكبير وعطف الكبير على الصغير ومساعدته له فى كل مراحل الحياة ضرورة تؤكد عليها قيم تلك المجتمعات القبلية التى لا تعرف الظلم . كما تدعو الحكاية أيضاً إلى استغلال الفرد لقوته فى الخير وليس فى إيذاء الآخرين فكل كائن مهما علا ومهما وصلت قوته وجبروته فلا بد أن يكون هناك من هو أقوى منه، وفى النهاية القوى هو « الله »، وهى دعوة صريحة للاعتراف والإيمان بقوة الخالق الرزاق حتى يرحم كل إنسان غيره .

أما حكاية : (جزء من الله) تشير إلى أن قبيلة الهوسا شديدة التأثر بالدين الإسلامى الذى يدعو إلى التسامح والعفو، وهذه الحكاية تصور لنا واقعاً يعيشه البعض فى المجتمع الإفريقى، فقد يتخيل بعض الأغنياء أنهم بكثرة أموالهم وسيطرتهم سوف يملكون من يعملون لديهم . وتشير الحكاية إلى جشع بعض

الأغنياء الذين ينسون الله، ويسيروا في الأرض يبطشون بأقدامهم كأنهم صفوة خلق الله مع أنهم يكبرهم وعدم تسامحهم في الحياة يعتبرون أعداء لله .

وتؤكد الحكاية أهمية المعاملة الحسنة وعدم التكبر على الغير والعطف على المسكين وإعطاء الفقير والعفو عند المقدرة، والتسامح وعدم الانتقام من الغير، واحترام المهن وتقديرها، أي كان نوعها طالما أنها مهنة يقر بها المجتمع وأفراده . وتشير الحكاية إلى أهمية قيمة الثروة في حياة الناس وعدم التبذير، وتدعو إلى الإيمان بالقضاء والقدر نظراً لأن العامل قال إن الله يغني الفقير ويفقر الغني . والرجل العامل كان يؤمن إيماناً راسخاً بأن الله لا يحب الانتقام وأنه سوف يأخذ له حقه من هذا الغني، وأن الظلم عاقبته وخيمة .

أما حكاية : (إذا كان الساحر غاضباً فسد سحره) هذه الحكاية الشعبية تبين أن هناك بعض القيم المرغوبة في المجتمع والتي يحث عليها الدين الإسلامي ويطلب من أفراد المجتمع استيعابها وفقاً لمتطلباتها وتلك القيم مثل: الصدق، والأمانة، والوفاء، وعدم الأخذ بالمشورة السيئة والدعوة إلى مكارم الأخلاق، والتعاون الحقيقي بين الأصدقاء .

وتدعو الحكاية إلى رفع قيمة الصداقة بين الناس في مجتمع الهوسا حتى يتم الالتئام بين من يتصفون بصفات متقاربة، وصولاً بهم إلى رفعة المجتمع وخيره . فكان هذه الحكاية تعرض أمنية تمننتها قبيلة الهوسا وهي أن يكون المجتمع خالياً من خيانة الأصدقاء وزاخراً بالصدقات الصادقة .

وفي الحكاية دعوة إلى ترك الأمر لله، فهو الذي يعطى وهو الذي ينتقم للعباد، وهو المحي والمميت وهو الرزاق ذو القوة المتين، وهذا الكلام يدل على الإيمان العميق لقبيلة الهوسا بأن الله تعالى هو القادر والخالق الأعظم .

وتدعو الحكاية أيضاً إلى حسن اختيار الزوجة حتى تكون عوناً لزوجها وأصدق مستشار له، فزوجة طنسندا لم تكن زوجة صالحة، لأنها حاولت أن تفرق بينه وبين صديقه وجعلته يخونه .

والحكاية تدعو كذلك إلى حسن السياسة في محاولة استرداد الحقوق، فقد أحسن جاتو اختيار الطريقة التي اتبعها لاسترداد حقه المسلوب، وتشير الحكاية إلى عاقبة الخيانة وعدم الوفاء .

خاتمة

إن الدين فطرة إنسانية جبلت عليها كل المجتمعات الإنسانية قديمها وحديثها فلم يخل منها أى مجتمع من المجتمعات سواء القبلية أو المتحضرة ؛ لأن الدين يعد بمثابة المنبع الأساسى الذى ترتوى منه المجتمعات البشرية .

فهو يعمل على استقرار وتضامن المجتمع، ويقوم بوظيفة الضبط الاجتماعى للمجتمعات البشرية وباعتباره النظام الرائد يمثل أهم النظم التى لها فاعليتها فى ضبط وتنظيم سلوك الأفراد والجماعات ويصبغ الدين كل النظم الاجتماعية الأخرى بصبغة سواء بطريق مباشر أو غير مباشر، فالدين محور الحياة الاجتماعية .

إن كل حكايات الهوسا الدينية التى تم الاستعانة بها فى هذا الفصل تدور حول فكرة دينية معينة هدفها غرس بعض القيم الدينية عند أفراد مجتمع الهوسا الإسلامى وغرس الأفكار وترسيخ المعتقدات الدينية لدى أفراد المجتمع حتى تصبح جزءاً من العادات والتقاليد .

ولا يمكن تجاهل مافى الحكايات من معتقدات ذات أصل دينى . فقد تكون الحكاية الدينية يشوبها نوع من الأمتاع والتسلية، وهذا هو الأغلب فى الحكايات الشعبية، وإما أن تركز هدفها على قضايا التربية والتعليم .

ومن هذه الحكايات الدينية ما هو بقايا باهتة لديانات قديمة، مرت على الإنسان كمعتقدات مثل حكاية « لا ملك إلا الله »، ومنها ما يتعلق بالإسلام بشكل خاص بحكم أن مجتمع هذه الحكايات من المسلمين . وهذه الحكايات تتضمن بعض القيم الإيجابية الإسلامية، ففى هذه القيم مبادئ وأحكام أخلاقية بالغة الأثر فى تفادى

كثير من العادات السلبية فالخلق والسلوك الذى يدعو له الدين الإسلامى قائم على التزام المؤمن باتباع تعاليم دينه وإيمانه بنبيه والبعد عن الشيطان، وعدم اتباع المعاصى التى يدعو إليها الشيطان الرجيم، وذلك يتم بطاعة الله وتنفيذ كل أوامره، والإيمان بوحداية الله، والقناعة والرضا بما قسمه الله، واللجوء إلى الله فى كل الأمور، والتقرب لله بالصلوات والدعوات، والحكم بين الناس بالعدل، ونبذ الظلم وعدم قبول الرشوة، وتنفيذ أوامر الله كما ورد فى موضوع الوصية، والإنفاق فى سبيل الله والتكافل الاجتماعى، والاتكال على الله وعدم الاستسلام لأية عقبات، وعدم اليأس من روح الله ؛ لأنه لا يبيئس من روح الله إلا القوم الكافرون، والمعاملة الحسنة ورحمة الضعيف، والتسامح والعتو والصدق والأمانة والوفاء، وعدم الأخذ بالمشورة السيئة والدعوة إلى مكارم الأخلاق، فكل هذه القيم الإيجابية لا بد من تعميقها فى نفوس أفراد المجتمع منذ طفولتهم حتى يتم تتشنتهم على احترامها واستيعابها وممارستها، حتى إذا ما كبروا كانت هذه القيم الدينية كلها جزءاً منهم، ليس ذلك فحسب بل فى احترام تعاليم الدين وأحكامه وعباداته، وكل هذه الأمور إذا ما تم تنشئة الأطفال عليها فإنها تصبح قيماً يتمسكون بها فإنها تحكم سلوكهم وتبعدهم عن الانحراف . وفى المجتمعات الإفريقية تشكل القيم الدينية جوهر الثقافة السائدة، وهى القاعدة التى يستند إليها البناء القيمى والثقافى .

الخاتمة

هذه الدراسة هي إحدى الدراسات التي تحاول أن تلقى الضوء على الحكاية الشعبية، والتي تعد أحد أنواع الأدب الشعبي الذي يندرج تحت الفولكلور، والذي تهتم بدراسته الأنثروبولوجيا الثقافية التي تدرس بالوصف والتحليل موضوع الثقافة الإنسانية للمجتمعات التقليدية، والمجتمعات الريفية، والمجتمعات المدنية (أى ثقافة الشعوب) فتبين معناها وخصائصها وعناصرها، وكيف تنتشر وتؤثر وتتأثر ودورها فى بناء الشخصية الأساسية للإنسان ؟ كما تدرس الفروق التي يتميز بها الإنسان استنادا إلى إنتاجه الثقافى الذى يتميز به عن الحيوان ؛ لأن جميع الخصائص العضوية والانفعالية مشتركة بين الإنسان والحيوان، والذى يميزهما عن بعضهما البعض هي الثقافة كإنتاج حضارى، يقدمه الإنسان فقط .

والفولكلور يندرج تحت الأنثروبولوجيا الثقافية، وهو فى أحد تعريفاته التراث الروحى للشعب، وخاصة التراث الشفاهى، وهو كذلك العلم الذى يدرس هذا التراث .

وقد تخصص الفولكلور آخر الأمر فى العناصر الثقافية المؤثرة فى أشكال التعبير الأدبى والفنى، التي تصدر عن وجدان جمعى، فى إطار شعب من الشعوب فى فترة زمنية محددة، فهو محصلة الثقافة الشعبية الحية الفعالة والمتراكمة من أقدم العصور، والمواكبة لتاريخ الشعب والمعينة على تقدمه، والفولكلور هو الذى يحافظ على دعامة الأصالة وجوهر الإنسانية، والتكامل الحيوى بين الفرد، وبين إطاره الاجتماعى .

وينبثق الأدب الشعبى من الفولكلور وهو يعبر عن وجدان الشعب، ويمثل اتجاهاته ومستوياته الحضارية وهو يتصف بالمرونة بحيث نستطيع أن نضيف إليه أو نحذف منه .

والحكاية الشعبية فيها كل مقومات الأدب الشعبى من العراقة والتطور والإضافة، ومن التعبير عن وجدان الجماعة أكثر من وجدان الذات .

هذا وقد استعانت الباحثة فى دراستها بنظرية البنائية الوظيفية، وأعدمت الدراسة على المنهج الوظيفى ؛ وذلك للتعرف على الدور الوظيفى للحكاية الشعبية فى مجتمع الهوسا .

إن الحكاية الشعبية أنتجت الشعوب وأودعت بها كل ما مر بها من أحداث، وهى بذلك مرآة عاكسة لخلاصة تجارب الشعوب عبر مراحل تاريخها الطويل، فهى تعطى وصفاً لكل ما يمر بالإنسان من أحداث مختلفة، وتظهر أفكاره ومعتقداته وعاداته وتقاليده، وتعيد للأبناء صورة تاريخ الأجداد ومواقفهم وأعمالهم الخالدة التى يعتزون بها .

وتحتوى الحكاية الشعبية على كل مقومات البقاء والاستمرار؛ لذلك فهى تؤدى دائماً دورها الاجتماعى والفكرى الذى أنشئت من أجله، فهى موروث تراثى يرثه الخلف عن السلف، ليستمر التواصل بين الأجيال ويحدث ترابطاً بين الماضى والحاضر، ويحدث نقلاً للصفات والعادات الاجتماعية المتوارثة والأحداث التاريخية المختلفة، وتبرز الحكايات كل عادات وتقاليده ومعتقدات المجتمع، وتشير إلى أنماط الحياة الاقتصادية والقرايبية والسياسية والدينية .

وقد استخدم مفهوم الحكاية الشعبية فى كل المجتمعات عدة استخدامات إلى أن تطور إلى مفهوم الحكاية الشعبية وهذه المفاهيم هى : الخرافة، والأسطورة، والسمر، والحدوتة، والأقصوصة، والقصة، والرواية .

هذا وقد نشأت الحكاية الشعبية كثمرة تفكير الإنسان، فهى عمل إنسانى عام وليس فردياً، عمل مجهول المؤلف، عمل يشعر به الجميع ويفهمه الجميع، ولا يستطيع أحد أن يزعم بأنه يعرف عمر الحكاية الشعبية الهوساوية، فالمسرح الأول للحكاية الشعبية هو الأرض، أو البيئة التى عاش ويعيش فيها الإنسان .

وقد اختلف العلماء حول تصنيف الحكاية الشعبية ؛ لأن أشكالها كثيرة ومتعددة فمنها: الحكايات التعليلية، والحكايات البطولية، وحكايات المآزق، وحكايات المخادعين، وحكايات الحيوان، والحكايات الخرافية، وحكايات العمالقة والغيلان، وحكايات الأشباح والأرواح، والحكايات المرححة .

تتعد مصادر الحكاية الشعبية الهوساوية وتختلف، ويصعب تحديدها تحديداً دقيقاً إلا أننا يمكن أن نورد بعضها فيما يلي :

البيئة وما تحتوى، والوضع الاقتصادي، وعلاقة الجوار مع الشعوب والقبائل المجاورة، وطبيعة هذه العلاقة، والغارات القبلية والتأثير والتأثر على المستوى الداخلى والخارجى، والاعتباس، والمعتقد الدينى، وبيئة الهوسا مليئة بمصادر الحكايات الشعبية الجميلة، وتشير بعض المصادر إلى أن تدوين حكاية الهوسا الشعبية بدأت أولى خطواتها فى النصف الأول من القرن العشرين وكان ذلك على أيدى بعض المهتمين بالأدب الهوساوى وعلى رأسهم « الحاج أبو بكر إمام » و«إبراهيم يارو يحيى» وقد جمعوا عدداً لا بأس به من حكايات الهوسا الشعبية .

أما عن راوى الحكاية الشعبية الهوساوية فى بلاد الهوسا فهن فى الغالب عجائز النساء، وتأخذ الحكاية الشعبية الهوساوية فى مبناها أحد ثلاثة أشكال، إما أن تكون طويلة، وإما متوسطة، وإما قصيرة .

وشخصيات الحكاية الشعبية الهوساوية كثيرة ومتعددة فمنها: الحيوانات، والطيور، والعفاريت، والأشباح، والأرواح، وأسماء الأماكن مثل: الغابة، والغار، والأنهار، والجن، والأسلاف وما إلى ذلك .

والرمزية فى الحكاية الشعبية تكسبها خاصية الخروج عن المؤلف، وهى مجال تصويرى إبداعى وقد اتضح أن معظم الحكايات الشعبية الهوساوية تتميز بالرمزية لأن راوى الحكاية الشعبية يلجأ للرمزية عندما لا يستطيع أن يقول آراءه وأفكاره بحرية أمام حاكم ظالم أو أمام المستعمر الغاشم، ولذا فإن الرمزية هى الوسيلة الوحيدة التى تجعل الراوى يعبر من خلالها عن آرائه وآراء مجتمعه المظلوم .

وكما اختلف الباحثون والعلماء فى تعريف الحكاية الشعبية فقد اختلفوا فى تعريف مفهوم وظيفة الحكاية الشعبية، وتعنى الوظيفة عند « مالىنوفسكى » و«راد كليف براون» أنها فعل أو لون من النشاط له قيمة اجتماعية يحددها الإطار الحضارى العام .»

إن حكايات الهوسا الشعبية كباقى حكايات المجتمعات الإفريقية المتأثرة بالثقافة العربية الإسلامية، وهذا ظاهر بوضوح فى كثير من الحكايات الشعبية مثل حكاية « النبى والشيطان » وحكاية « الزرع الذى يحبه الله سوف ينبت ولو بدون ماء » التى تشبه حكاية « سندريلا » العربية الشهيرة .

ويتضح أيضا أن حكايات الهوسا متأثرة بحكايات كليلة ودمنة الهندية، والتى تتميز دائما بوجود الحيوانات فيها كشخصيات أساسية .

إن ما نراه فى الحكايات الشعبية الهوساوية ليس كله خيالا، بل هناك كثير من الحقائق التى تحدث بالفعل فى المجتمع الهوساوى، وتعتبر الحكاية الشعبية وسيلة إيجابية يستطيع من خلالها أن ينفس أفراد المجتمع عن عالم الكبت أيا كان نوعه، سواء من خلال الأسرة أو من خلال المجتمع، ولذلك فالحكايات الشعبية نستطيع أن نقول إنها وسيلة لتكوين شخصية أفراد المجتمع منذ مرحلة الطفولة .

وهذه الدراسة تعد بمثابة انطلاقة تدفع إلى دراسة باقى أنواع الأدب الشعبى الأخرى التى تعبر عن وجدان الشعب ؛ حيث إنها فى مجملها تعبر عن عادات وتقاليد ومعتقدات ومدى ترابط المجتمع وقوته ؛ كما أنها تعبر عن معوقات تغيره أو تخلفه عن ركب باقى المجتمعات الأخرى .

إن قبيلة الهوسا تعد أكبر القبائل المنتشرة فى شمال نيجيريا التى تقع فى غرب القارة الإفريقية، يحدها من جهة الشمال دولة النيجر، ومن جهة الشرق دولة تشاد والكاميرون، ومن جهة الجنوب خليج غانا، ومن جهة الغرب دولة بنين، ومساحتها أقل قليلا من مساحة جمهورية مصر العربية، وتعتبر ثلث مساحة السودان .

وقد حصلت نيجيريا على الاستقلال عام (١٩٦٠م) وأصبحت جمهورية اتحادية ودخلت الكومنولث عام (١٩٦٠م) وأصبحت ذات نظام برلمانى ديمقراطى، ومن أهم

قبائلها قبيلة الهوسا / فولانى والإيبو، واليوروبا، ويتركز الهوسا فى مراكز عمرانية مثل : كانو، وكاتسينا، وزاريا .

وأهم الأحداث التاريخية التى حدثت لقبيلة الهوسا كانت فى بداية القرن التاسع عشر عام (١٨٠٤م) وهى ظهور الداعية الإسلامى « عثمان بن فوديو » الذى جدد الإسلام فى هذه المنطقة بعد أن أعلن الجهاد ضد حكام الهوسا وممتلكاتهم فى الجزء الشرقى، وكان من أهم نتائج هذا الجهاد هو امتزاج الفولانى الغزاة بقبيلة الهوسا، والذين تزوجوا منهم وتمثلوا ثقافتهم وتكلموا لغتهم حتى أنه يطلق على الهوسا والفولانى فى شمال نيجيريا (الهوسا/فولانى) على اعتبار أنهم شعب واحد له سمات ثقافية واحدة ولغة واحدة .

ولقد تعددت الآراء حول الأصول السلالية لقبيلة الهوسا، وعلى أية حال فليس هناك الآن جنس واحد يمكن أن يسمى جنس الهوسا؛ لأنهم خليط من شعوب تنتمى إلى أصول مختلفة وإن جمعهم لغة واحدة وذاتية ثقافية واحدة .

وتعد لغة الهوسا من مجموعة اللغات التشادية، وتتبع أسرة اللغات الأفروآسيوية وقد تأثرت بالعديد من الكلمات العربية، وكانت تكتب لعدة قرون بالخط العريى إلى أن دخل الاستعمار البلاد وجعل كتابتها بالخط اللاتينى .

أما عن النظام الاجتماعى والسياسى لقبيلة الهوسا فقد تبين أن هناك ثلاث مراتب سياسية واضحة لدى الهوسا هى : الحائزون على مناصب وراثية، والحائزون على مناصب حكومية، وأفراد عامة الشعب ومعنى ذلك أن النظام الاجتماعى والسياسى للهوسا قائم على التمايز الطبقي ومعايير هذا التمايز تقوم على مدى القرابة من البيت الحاكم .

إن مجتمع الهوسا مجتمع قبلى قائم على النظام الأبوى، وبمجرد أن يصبح الولد رجلاً يتزوج وبذلك يلقى احترام جميع أفراد المجتمع ويصبح رجلاً مسئولاً عن كل تصرفاته، وللرجل الحق فى الزواج بامرأة إلى أربعة، وهذا حسب الشريعة الإسلامية، ويعتبر تعدد الزوجات أمراً منتشرًا عند الهوسا .

ويعد المهر من أهم الموضوعات التى حظيت باهتمام علماء الأنثروبولوجيا؛ لأنه أيا كان نوعه أو مقداره فهو الوسيلة الوحيدة لقيام علاقة شرعية يعترف بها

المجتمع، علاوة على ذلك يعطى الأبناء مركزهم الاجتماعى، وعموماً فإن المهور بالنسبة لقبيلة الهوسا ليس فيها مغالاة، ولكن تحكمها عدة اعتبارات مثل : المركز الاجتماعى والمالى لكل من الرجل والمرأة، كذلك يختلف مهر الفتاة البكر عن المرأة الثيب، وعلى الرغم من أن المهر لا بد أن يقدم للعروس أيا كان قيمته أو نوعه فإن هناك هدايا كثيرة ومتنوعة يقدمها العريس للعروس قبل الزواج يطلق عليها عدة أسماء مثل : هدايا العروس أو هدايا العيدين وما إلى ذلك .

إن المباني عامة عند الهوسا تبنى على الشكل المستطيل ويأخذ السقف شكلين أحدهما الشكل المسطح، والآخر أن يكون على شكل قنطرة، وهذا الشكل هو الأكثر انتشاراً إذ يساعد على صرف ماء المطر بسهولة ويسر .

ويتم عقد القران عند قبيلة الهوسا حسب الشريعة الإسلامية، وذلك على مذهب الإمام مالك، ولا يوجد تدوين لهذا العقد فى أوراق رسمية أى ما يعرف «بقسيمة الزواج» ويتم عقد القران فى الصباح الباكر أو بعد غروب الشمس ويتجمع فيه العلماء وولى العريس والعروس والأقارب والجيران وكل محبى الخير .

وبالنسبة لعملية الولادة فغالباً ما تلد المرأة فى منزل أهلها وبعد إتمام عملية الولادة من غسل الطفل وكل ما اتسخ من جراء الولادة تنظف حجرة النساء حتى تكون مهياً للزوار .

ويستشار العلماء فى تحديد اسم المولود وهو غالباً يكون من الأسماء الإسلامية. وعادة يفطم أبناء الهوسا بعد حولين كاملين كما أوصى الدين الإسلامى والبعض الآخر يفطم بعد عام ونصف، وإذا حملت الأم أثناء الرضاعة يمنع الطفل من ثدى أمه تماماً، وبالنسبة للختان فإن قبيلة الهوسا يمارسونه للذكور دون الإناث، وتقام له احتفالات عظيمة .

إن الطلاق فى مجتمع الهوسا أمر شائع، وفى حالة حدوث وفاة يتم إبلاغ الأقارب والجيران وكل من لهم صلة ومعرفة بالميت وبعد تغسيل الميت وتكفينه يصلى عليه ويدفن فى المقابر ويتم أخذ العزاء فى بيت المتوفى ويدعى له بالرحمة والمغفرة وتتم بعض طقوس الوفاة لعدة أيام يشترك فيها أهل الميت والجيران .

ومن الأعياد المهمة التي يحتفل بها مسلمو الهوسا عيد الفطر المبارك، وعيد الأضحى المبارك، والمولد النبوى الشريف، وقد انتشر الإسلام فى بلاد الهوسا وظل كل هذه القرون لأنه دين البساطة واليسر لا رهبانية فيه فهو دين الفطرة الذى لا لبس فيه ولا غموض، ويعتقد الهوسا اعتقاداً شديداً فى السحر والجن ويتخذون لذلك التمايم والتعاويد والأحجبة خوفاً من أن يصيبهم أى مكروه .

إن المرأة نصف المجتمع ونساء الهوسا ماهرات بطبعهن ولهن دور بجانب الرجل على الرغم من أن هذا المجتمع يفضل عدم خروج المرأة للعمل خارج المنزل فإن بعض النساء اللاتي خرجن للعمل قد أثبتن وجودهن فى الحياة العملية .

وقد تبين أن الحياة الاقتصادية لقبيلة الهوسا تعتمد على عدة أنشطة معينة كالزراعة وهى الحرفة الأولى والأساسية فى بلاد الهوسا التى تعتمد عليها فى دخلها الاقتصادى، ومن المحاصيل الزراعية لدى الهوسا الكاكاو وهو محصول التصدير الرئيسى، ومنتجات النخيل، والذرة، والأرز، واليام والقمح والفول السوداني والشعير والقطن وقصب السكر والموايح، وغير ذلك من محاصيل مهمة ذات دخل كبير، ويعتمد الهوسا فى عملهم على تقسيم العمل .

وملكية الأرض عند الهوسا ترجع إلى القبيلة بحكم التكوين القبلى، ولم يسمح لأى فرد من خارج القبيلة باستخدام الأرض دون إذن من زعيم القبيلة .

ويعتبر الرعى بجانب الزراعة من الأسس المهمة فى اقتصاد الهوسا وتعد الأرض والماشية أهم وسائل الإنتاج .

أما الصناعات اليدوية التقليدية فكانت منذ القدم تورث إلى الأبناء، فكان دائماً يرث الابن مهنة أبيه، وقد عرفت بلاد الهوسا الصناعات اليدوية منذ زمن بعيد ومن أهمها الصناعات الجلدية والخشبية والمنسوجات، والفخار، والزجاج، والحياكة، وصناعة الحصر، وصيد السمك والحيوانات، والبناء، والتعدين، وتقوم النساء بإعداد وبيع الأطعمة المطهية كما يقمن بأعمال الغزل والنسيج وخاصة الطواقي .

والتجارة وهى إحدى طرق دخول الإسلام إلى بلاد الهوسا، وتناول الحديث أيضا السوق، وقد تبين أنه نوعان : الأول: أسواق القرى وهى تقام أسبوعياً، والآخر: أسواق المدن وهى تقام يومياً ويعرض فيها مختلف أنواع السلع .

وقد تبين أن الحكاية الشعبية لها عدة وظائف مثل :

الوظيفة الاقتصادية للحكاية الشعبية الهوساوية : والتي تهتم بالعلاقات الاجتماعية ذات الطابع الاقتصادى، والتي تكمن وراء الأنشطة والممارسات الاقتصادية مثل : الوسائل والآلات والأدوات المستخدمة فى الإنتاج وغير ذلك من علاقات وقيم ومعايير تتحكم فى تلك الأنشطة والممارسات .

وأهم الوظائف التى تدعو إليها الحكايات الشعبية الاقتصادية ما يلى :

الحث على اتخاذ أرض جديدة لجعلها بيئة جديدة صالحة لكافة الأنشطة فى الحياة اليومية، وضرورة التخطيط فى العمل الجماعى الذى يعتمد على تقسيم العمل، وعدم الكسل ومكافحة البطالة، والتأكيد على أن العمل الجماعى يساعد على استغلال الموارد الاقتصادية بطريقة أفضل، وضرورة وجود ترابط أسرى بين أفراد الأسرة حتى يحصلوا على نتائج حسنة فى عملهم، والتأكيد على أهمية بعض الأنشطة الاقتصادية التى تعتمد عليها قبيلة الهوسا مثل : الزراعة، والتجارة، والصيد، والصناعة، و التأكيد على أهمية دور المرأة الهوساوية داخل المنزل فأعمال المنزل التى تقوم بها لا تقل قيمة بأى حال من الأحوال عن عمل الرجل خارج المنزل، كما توضح الوظيفة التى تؤديها الحكاية الشعبية أن الرزق يحتاج للكد والمثابرة، كما تشير الحكاية إلى بعض السلوكيات الاقتصادية الحسنة فى حالات البيع والشراء كما تنفر من بعض السلوكيات الاقتصادية السيئة مثل: الغش، والسمسرة، والمساومة، وهى سلوكيات يرفضها المجتمع الهوساوى الاسلامى الذى يؤكد على قيمة الأمانة وغرسها فى نفوس أبناء المجتمع، كما تدعو إلى بعض الصفات التى يجب أن تتوافر فى أى رئيس عمل؛ لأنه أحرص الناس على ماله وتجارته كالإنصات والإبصار الجيد، والدقة فى الإحصاء .

والوظيفة القرابية للحكايات الشعبية الهوساوية : هى الوظيفة التى تبين من خلالها علاقة الأب والأم ببعضهم البعض وعلاقتها بالأبناء ومعنى ذلك أنها

الوظيفة التي يتبين من خلالها العلاقات القرابية عمومًا و الدور الذي تؤديه الأسرة في تعليم وتثقيف وتسلية الأبناء، ودعوتهم إلى الاهتمام بالترابط الاجتماعي .

وتشير الباحثة فيما يلي إلى أهم الوظائف القرابية التي تؤكدتها الحكاية الشعبية الهوساوية :

البحث على ضرورة وجود علاقة حميمة وتماسك أسرى بين أفراد الأسرة، والتأكيد على أن الاحترام والإحسان والعشرة الطيبة من أهم أسباب حصول المرأة على ما تريده من زوجها، وتشير الحكايات الشعبية إلى تعدد الزوجات كظاهرة منتشرة في مجتمع الهوسا وعلى وجود الأسرة الممتدة في منزل واحد كأمر طبيعي، وتبحث على ضرورة اتخاذ الزوجة الصالحة المطيعة، والتأكيد على أن الإحسان والمعاملة الحسنة يجب أن تكون لكل مخلوقات الله تعالى، والتأكيد على أهمية قيمة الصبر؛ لأنها من أهم القيم الإنسانية فالإنسان العاقل بالنسبة لمجتمعه هو الإنسان الصابر على مشقات الحياة، وضرورة حسن معاملة الأيتام والضعفاء، والمساواة والرحمة بين الإخوة والتضامن الأسرى والتعاون وعدم الغيرة والحقد والتكبر على الغير، كما تؤكد على أن الأبناء رزق من الله فيجب الحفاظ عليهم والاهتمام بهم، وذلك بحسن التربية منذ الصغر، وتقدير فضل الوالدين عند الكبر وضرورة بر الأبناء لوالديهم وطاعتهم في جميع مراحل حياتهم وخاصة في شيخوختهم، وإن الصداقة لها أهمية كبيرة بين الناس، فهي من أجمل وأعظم العلاقات الإنسانية، كما تؤكد الحكاية على ضرورة استعمال العقل والتدبر في كل شئون الحياة والحفاظ على البيئة وخاصة المساحات الخضراء، كما تحذر الحكاية من عواقب الطمع والبخل والتكبر لأنها أمور تفسد على المرء حياته، وتؤكد الحكاية على ضرورة التحلي بالقيم الإسلامية الإيجابية مثل: الكرم، والإنفاق في سبيل الله، وعدم التكبر، وتفر الحكاية من بعض الصفات الذميمة مثل : الشجار والكذب وعدم النظافة والسرقة والنميمة، لأنها صفات يستكرها المجتمع القبلي الإسلامي الذي يدعو إلى كل ما فيه خير وصلاح للمجتمع .

والوظيفة السياسية للحكايات الشعبية الهوساوية : إن لكل مجتمع منظم سياسة ينتظم بها أمره وتعد العادات الاجتماعية والدين من أهم العوامل التي

تنظم وتضبط علاقات أفراد المجتمع، وقد تبين أن الحكايات الشعبية تعتبر تفسيرا عن شعور الناس بالإحساس بالظلم والقهر وما إلى ذلك . هذا فضلا عن النظم والقوانين السياسية التي تضعها القبيلة فهي من أهم الأمور التي تجعل المجتمع يسير آمنا ويكون دائما في حالة أمن واستقرار .

وأهم الوظائف التي تشير إليها الحكايات الشعبية السياسية هي كالتالي :

ضرورة اتخاذ الحذر والحيطه من أعداء القبائل والدول الأخرى ؛ وذلك بذكاء ودهاء، وتحض الحكاية على بعض الصفات التي يجب أن تتوفر في أى ملك أو حاكم، والتي من أهمها حسن السياسة، والقدرة على استغلال المواقف لصالح الرعية، وتحمل أعباء الحكم، وأن يكون الحاكم ذا خبرة واسعة بأمر الحكم وذا حنكة سياسية، وأن يدير شئون البلاد والعباد ألا يففل عن مصالحهم، كما تؤكد الحكاية على ضرورة اختيار حاشية صالحة تعيد الحاكم إلى صوابه إذا حاد عنه، وأهم ما تتصف به هذه الحاشية الصالحة هو عدم استغلال السلطة لصالحها، وأداء عملها بكل إخلاص، وعلى أهمية وجود مستشار ناصح بجانب كل زعيم سياسى، كما تؤكد الحكاية على أن أهم أسباب نجاح القبائل فى الحياة السياسية يكمن فى استخدام الاستراتيجية والتخطيط فى حكم البلاد، وفى الإعداد للحروب، كما توضح الحكاية إن مجلس الأمير تناقش فيه أمور كثيرة ومتنوعة خاصة بالمجتمع والرعية، ومن العدل أن يساوى الحاكم بين رعيته وأن يتقرب منهم، كذلك تدعو الحكاية إلى دور الأمراء والمسئولين فى تشجيع العلم والعلماء واستشارتهم فى كل ما استعصى وصعب فى أمر الرئاسة، « وأن كل ملك أو أمير يحاول أن يمكر ببنى آدم، ويشى به سيندم، ولذا فعليه أن يتيقن من الأمر فإن بعض الظن إثم » كما تؤكد الحكاية الشعبية على ضرورة أن يترىث الأمير أو الحاكم ويدقق ويدرس ويتحرى الصدق أولاً وقبل أن يصدر الحكم، وتشير الحكاية إلى كيفية استغلال المستعمر الأوروبى للنزاعات القبلية فى إفريقيا لصالحه، إذ إن الحروب كانت تثار آن ذاك من أجل ملكية الأرض، والمستعمر الأوروبى بدوره يحرص على حدوث مثل هذه الحروب حتى تكون له السلطة الأخيرة أو الملكية الأكبر لأراضى المستعمرة،

وضرورة مقاومة الاستعمار الفاشم بالحكمة والذكاء، وإظهار الاستسلام والضعف حتى تحين الفرصة للانتفاض والنصر فى النهاية.

والوظيفة الدينية : إن تأثير الثقافة العربية والدين الإسلامى على قبيلة الهوسا بدون أدنى شك كان ولا يزال تأثيراً كبيراً جداً، فقبيلة الهوسا تتمتع بحياة دينية فى كل نظمها الاجتماعية نظراً لتماسكها الدينى ونظراً لأن الدين الإسلامى يتمتع بكل بساطة وسهولة ويسر.

وقد تبين من الحكايات التى استعانت بها الباحثة فى هذه الدراسة أن القيم والتعاليم الإسلامية والعربية منتشرة بشكل كبير وواضح نظراً لتمسك قبيلة الهوسا بهذا الدين العظيم .

وأهم الوظائف التى تحث عليها الحكايات الشعبية الدينية هى كالتالى :

إن الخلق والسلوك الذى يدعو له الدين الإسلامى قائم على التزام المؤمن باتباع تعاليم دينه وإيمانه بنبيه والبعد عن الشيطان، وعدم اتباع المعاصى التى يدعو إليها الشيطان الرجيم، والإيمان بوحداية الله، والقناعة والرضا بما قسمه الله، واللجوء إليه فى كل الأمور، والتقرب لله له بالصلوات والدعوات، والحكم بين الناس بالعدل، ونبذ الظلم وعدم قبول الرشوة، وتنفيذ ما أمر به الله وذلك مثل تنفيذ الوصية لأنها واجب إسلامى، كما تدعو الحكاية إلى الإنفاق فى سبيل الله والتكافل الاجتماعى، والتوكل على الله وعدم الاستسلام واليأس من روح الله ؛ لأنه لا يبيئس من روح الله إلا القوم الكافرون، كما تؤكد بعض القيم مثل : المعاملة الحسنة ورحمة الضعيف، والتسامح والعفو والصدق والأمانة والوفاء، وعدم الأخذ بالمشورة السيئة والدعوة إلى مكارم الأخلاق .

ولا شك أنه من الممكن أن يجد الباحث - فى مجال الحكايات الشعبية - حكاية تشتمل على كل هذه الوظائف التى تم ذكرها فيما سبق نظراً لأن الحياة الاجتماعية مجالها واسع ومعقد وكل ما فيها مترابط بشكل كبير .

وتهدف الحكاية الشعبية إلى تعويد أفراد المجتمع بطرق غير مباشرة المعاشة السليمة للأحداث والأشخاص، والسلوك الإنسانى الفاضل وحفزهم على الخلق والابتكار والتجديد، وتحمل المسئولية واكتشاف مواطن الصواب والخطأ فى

المجتمع، ذلك لأن الحكايات الشعبية تدور حول أفكار وأشخاص وحوادث خارجة عن نطاق الخبرة الشخصية للطفل، ومن ثم فهي تعتبر مصدرًا مهمًا لتنمية أفكاره عن الأشياء ولعل كل هذه الوظائف التي تؤديها الحكاية بالنسبة للأفراد هي التي تجعلها من أخطر مصادر التنشئة الاجتماعية بالنسبة للأطفال .

وتعتقد الباحثة أن السبب الرئيسي في إعجاب أفراد المجتمع بالحكايات الشعبية هي أنها تعتبر كاللعب بالنسبة للصغار أما بالنسبة للصغار والكبار معًا فهي تعد مصدرًا أساسيًا للتسلية والإمتاع والترفية والتثقيف والتعليم والترابط الاجتماعي وغير ذلك، وهي كالحلم بالنسبة لأي فرد حيث إن أي فرد في المجتمع يتخيل فيها الشخصيات والأحداث كما لو كانت حلمًا يحلم به .

إن الحكاية الشعبية ليست مجرد مادة للتسلية والترفية وما إلى ذلك فحسب، بل هي حكايات فنية تعد مرآة صادقة لأفكار وحكمة وتراث كل المجتمعات الإنسانية الإفريقية وهي بذلك تعتبر مدخلًا لدراسة المجتمعات .

وأخيرًا : إن الحكاية الشعبية تعرف أفراد المجتمع منظومات القيم الأخلاقية والدينية والسياسية والاقتصادية والأسرية وذلك لكونها الوسيلة التي تؤثر من خلال الطبيعة العاطفية على شخصية مستمعيها. وإن غالبية الحكايات الشعبية التي تقدم للأفراد عند الهوسا تدور موضوعاتها حول قيم السياق القبلي أي عن عادات وتقاليد الحياة القبلية، وهي - الحكايات - تخاطب قلوب مستمعيها وتشبع رغباتهم وخيالهم وتصور التجارب المألوفة والخبرات الإنسانية، وتساعد على التدقيق وتمدد مستمعيها بكثير من المعلومات الضرورية لحل كثير من المشكلات، وتنمي الشعور بالذات وبالآخرين، وتدفع العقول إلى حب الاستطلاع والتأمل والتفكير، وتثير روح النقد، ومما لا شك فيه أن الحكاية الشعبية تخلق لدى مستمعيها ارتباطًا بتاريخ الوطن وأحداثه وقيمه وعاداته وتقاليدته .

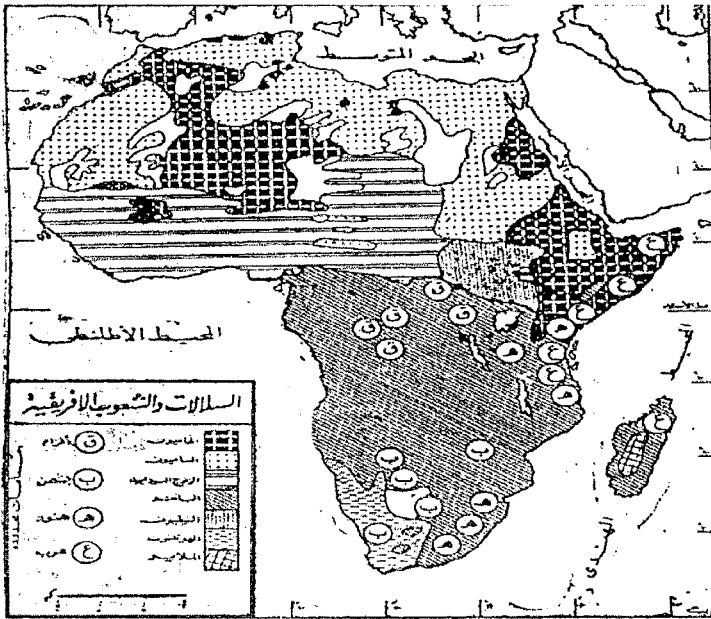
الخرائط

شكل رقم (١) موقع نيجيريا فى إفريقيا



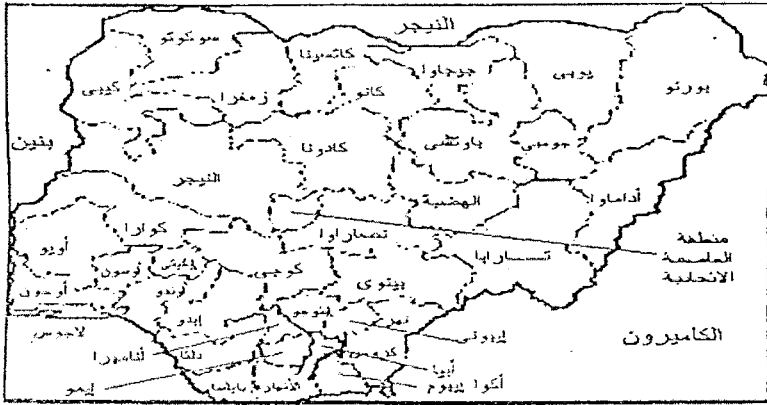
المصدر : محمد عبد الغنى سعودى : إفريقيا دراسة فى شخصية القارة
وشخصية الأقاليم . مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة . ١٩٨٣ .

شكل رقم (٢) السلالات والشعوب الإفريقية



المصدر: المرجع السابق: ص ٦٠ .

شكل رقم (٣) الولايات النيجيرية الحالية (منذ ١٩٩٦ م)



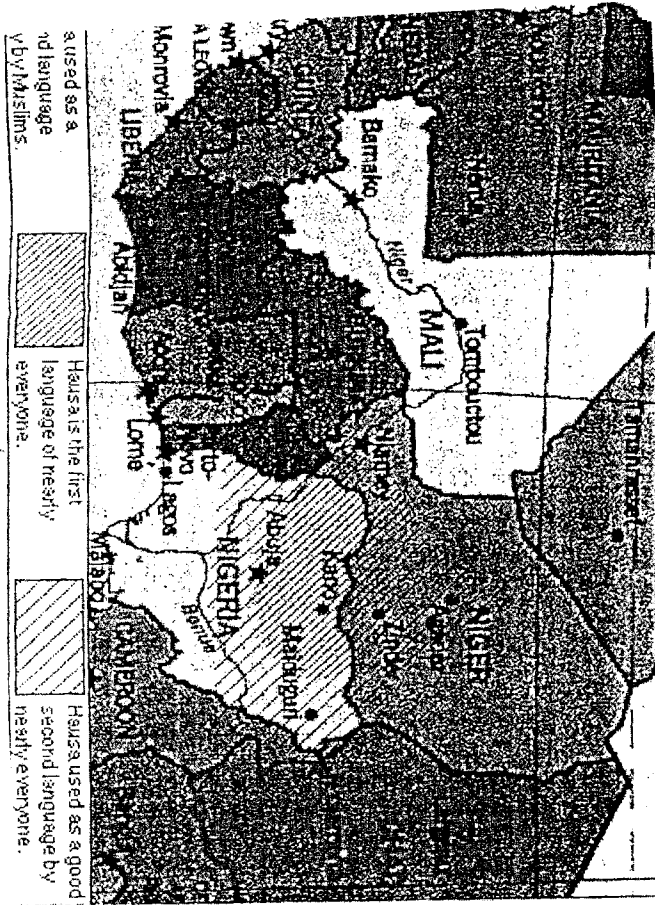
المصدر : صبحى قنصوة : الدين والسياسة فى نيجيريا « إشكاليات العلاقة بين النظام السياسى والواقع الدينى فى مجتمع تعددى » كلية الاقتصاد والعلوم السياسية . برنامج الدراسات المصرية الإفريقية . جامعة القاهرة . ٢٠٠٤ . ص ١٨ .

شكل رقم (٤) القبائل الرئيسية فى نيجيريا



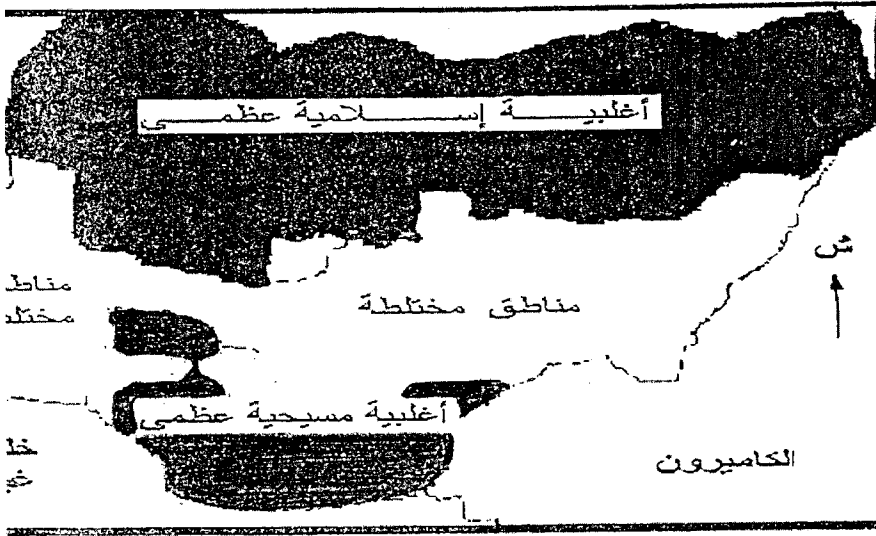
المصدر : أنوارعبد الحلیم محمد منصور : مدينة لاجوس «دراسة فى الأنثروبولوجيا الحضریة» . مرجع سابق ص ٤٥ .

شكل رقم (٥) أماكن انتشار شعب الهوسا ولغته



المصدر: www.gumel.com

شكل رقم (٦) الانتشار الإقليمي للإسلام والمسيحية في نيجيريا



المصدر : صبحى قنصوة : الدين والسياسة في نيجيريا « إشكاليات العلاقة بين النظام السياسي والواقع الديني في مجتمع تعددي » . مرجع سابق . ص ٢٠ .

قائمة المراجع العربية والمترجمة

أولاً - المراجع :

- ١ - إبراهيم شعراوى : الخرافة والأسطورة فى النوبة . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٨٤ .
- ٢ - أحمد أبو زيد : البناء الاجتماعى « مدخل لدراسة المجتمع » . الجزء (١) . المفهومات . الطبعة (٨) . المكتب الجامعى الحديث . الإسكندرية . ١٩٨٢ .
- ٣ - : البناء الاجتماعى « مدخل لدراسة المجتمع » الجزء (٢) . الأنساق . دار الكاتب العربى للطباعة والنشر . بدون تاريخ .
- ٤ - : المجتمعات الصحراوية فى مصر . دليل العمل الميدانى . الطبعة (٢) . المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية . القاهرة . ١٩٩٣ .
- ٥ - أحمد أبو سعد : قاموس المصطلحات والتعابير الشعبية «معجم لهجى تأصيلى فولكلورى» . مكتبة لبنان . بيروت . ١٩٨٧ .
- ٦ - أحمد أمين : قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية . الطبعة (١) . مطبعة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة . ١٩٥٣ .
- ٧ - أ . جى . بريل . دائرة المعارف الإسلامية . إشراف إبراهيم زكى خورشيد ، أحمد الشناوى ، عبد الحميد يونس . الجزء (١٢) . (مادة حكاية) . بدون تاريخ .
- ٨ - أحمد رشدى صالح : الأدب الشعبى . الطبعة (٣) . مكتبة النهضة . القاهرة . ١٩٧١ .

- ٩ - أحمد زكى بدوى : معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية . مكتبة لبنان . بيروت . ١٩٧٧ .
- ١٠ - أحمد سويلم : « التربية الثقافية للطفل العربى » . الطبعة (١) . مركز الكتاب للنشر . القاهرة . ١٩٩١ .
- ١١ - أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية . الجزء (٦) . الطبعة (٣) مكتبة النهضة . القاهرة . ١٩٧٨ .
- ١٢ - كيف تكتب بحثاً ورسالة « دراسة منهجية » . الطبعة (٢٤) . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة . ١٩٩٧ .
- ١٣ - أحمد على مرسى : مقدمة فى الفولكلور . عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية . القاهرة . ١٩٩٥ .
- ١٤ - من مآثوراتنا الشعبية . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٩٨ .
- ١٥ - أحمد كمال ذكى : الأساطير . دار الكتاب للطباعة والنشر . القاهرة . ١٩٦٧ .
- ١٦ - آدم عبدالله الالورى : موجز تاريخ نيجيريا قاموس صغير يلقى الضوء على تاريخ هذه البلاد قديمة وحديثة . منشورات دار مكتبة الحياة . بيروت . ١٩٦٥ .
- ١٧ - الثقافة الشعبية : العدد (٢) . المركز الحضارى لعلوم الإنسان والتراث الشعبى . كلية الآداب . جامعة المنصورة . ٢٠٠٠ .
- ١٨ - السيد حافظ الأسود ، وآخرون : « تصور رؤية العالم فى الدراسات الأنثروبولوجية » . فى رؤى العالم تمهيدات نظرية . إشراف: أحمد أبو زيد . المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية . القاهرة . ١٩٩٣ .
- ١٩ - الحاج أبو بكر إمام : الكلام رأسمال . ترجمة: مصطفى حجازى السيد

- حجازى. تقديم: محمود فهمى حجازى . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة . ٢٠٠٠ .
- ٢٠ - الكزاندرهجرى كراب : علم الفولكلور . ترجمة: رشدى صالح . وزارة الثقافة . القاهرة . ١٩٦٧ .
- ٢١ - ايكه هو لتكرانس : قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور . ترجمة محمد الجوهري، وحسن الشامى . دار المعارف . القاهرة . ١٩٧١ .
- ٢٢ - بارباراك، وارين س . ووكر : نيجيريا ثقافتها وقصصها الشعبية . ترجمة: وتقديم عبدالعليم السيد منسى . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة . بدون تاريخ .
- ٢٣ - توفيق الحسينى عبده : الموسوعة الإفريقية . الأنثروبولوجيا . المجلد (٤) . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ١٩٩٧ .
- ٢٤ - جودة حسنين جودة : جغرافية إفريقيا الإقليمية . الطبعة (٩) . الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية . الإسكندرية . ١٩٩٦ .
- ٢٥ - راف ل. بيلز : مقدمة فى الأنثروبولوجيا العامة . الجزء (١) . ترجمة: محمد الجوهري ، والسيد محمد الحسينى . دار نهضة مصر . القاهرة . ١٩٧٦ .
- ٢٦ - سامى منصور : نيجيريا عملاق إفريقيا التائه . دار المعارف بمصر . القاهرة . ١٩٦٦ .
- ٢٧ - سامية مصطفى الخشاب : علم الاجتماع الإسلامى . الطبعة (٢) . دار المعارف . القاهرة . ١٩٨١ .
- ٢٨ - شارلوت سيمور، سميث : موسوعة علم الإنسان المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية . ترجمة مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بإشراف: محمد الجوهري . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة . بدون تاريخ .
- ٢٩ - شوقى عبد الحكيم : تراث شعبى . الجزء (١) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٩٤ .

- ٣٠ - شيخو أحمد سعيد غلادنت : حركة اللغة العربية وآدابها فى نيجيريا من سنة ١٨٠٤ إلى سنة ١٩٦٦م . دار المعارف . مصر . بدون تاريخ .
- ٣١ - صبحى على قنصوة : الدين والسياسة فى نيجيريا» إشكاليات العلاقة بين النظام السياسى والواقع الدينى فى مجتمع تعددى . كلية الاقتصاد والعلوم السياسية . برنامج الدراسات المصرية الإفريقية . جامعة القاهرة . ٢٠٠٤ .
- ٣٢ - صبرى إبراهيم على سلامة : صور من بلاد الهوسا . الجزء (١) . الطبعة (١) . دار الهانى للطباعة والنشر . القاهرة . ٢٠٠٣ .
- ٣٣ - صفوت كمال : الحكايات الشعبية الكويتية . « دراسة مقارنة» . الطبعة (١) . وزارة الإعلام . الكويت . ١٩٨٥ .
- ٣٤ - عادل على مصطفى : «العلاقات القرابية فى إفريقيا دراسة فى الأنثروبولوجيا الاجتماعية» . فى الموسوعة الإفريقية . المجلد (٤) . الأنثروبولوجيا . اليوبيل الذهبى لمعهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ١٩٩٧ .
- ٣٥ - عبد المنعم الصاوى : دليل الدول الإفريقية . إشراف: حلمى شعراوى . مطبوعات الجمعية الإفريقية . القاهرة . ١٩٧٥ .
- ٣٦ - عبد العليم السيد : أطلس الشئون الإفريقية . مراجعة وإشراف: زاهر رياض . دار المعرفة . القاهرة . ١٩٦٢ .
- ٣٧ - عبد الوهاب جعفر : البنيوية فى الأنثروبولوجيا وموقف « سارتر» منها . دار المعارف . القاهرة . ١٩٨٩ .
- ٣٨ - عبدالله عبدالرازق إبراهيم : الإسلام والحضارة الإسلامية فى نيجيريا . مكتبة الأنجلوالمصرية . القاهرة . ١٩٨٤ .
- ٣٩ - عبد الباسط محمد حسن : أصول البحث الاجتماعى . الطبعة (١١) . مكتبة وهبه . القاهرة . ١٩٩٠ .
- ٤٠ - عبدالسلام محمد شلوف، محمد حسن البركى، وآخرون : وثائق إفريقية» من أكرا إلى لومى» . الطبعة (١) . الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلام . القاهرة . ٢٠٠١ .

- ٤١ - عبد الفتاح مقلد الغنيمي : حركة المد الإسلامى غربى إفريقيا . مكتبة نهضة الشرق . جامعة القاهرة . بدون تاريخ .
- ٤٢ - عبد التواب يوسف : الطفل العربى والأدب الشعبى . الطبعة (١) . الإدارة المصرية اللبنانية . ١٩٩٢ .
- ٤٣ - عبد الحميد يونس : الحكاية الشعبية . دار الكاتب العربى للطباعة والنشر . القاهرة . بدون تاريخ .
- ٤٤ - دفاع عن الفولكلور . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٧٣ .
- ٤٥ - عدنان أحمد مسلم : محاضرات فى الأنثروبولوجيا « علم الإنسان » « الموقع المعرفى . الموضوع . الميادين والمنهج » . الطبعة (١) . مكتبة العبيكان . الرياض . ٢٠٠٠ .
- ٤٦ - عز الدين إسماعيل : الأدب وفنونه دراسة ونقد . الطبعة (٣) . دار الفكر العربى . القاهرة . ١٩٦٥ .
- ٤٧ - القصص الشعبى فى السودان « دراسة فى فنية الحكاية ووظيفتها . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر . القاهرة . ١٩٧١ .
- ٤٨ - على محمد المكاوى : الأنثروبولوجيا الاجتماعية « دراسة التغير والبناء الاجتماعى » سلسلة علم الاجتماع المعاصر الكتاب «٨٢» . مكتبة نهضة الشرق القاهرة . ١٩٩٠ .
- ٤٩ - فاطمة حسين المصرى : الشخصية من خلال دراسة الفولكلور المصرى دراسة نفسية تحليلية أنثروبولوجية . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٨٤ .
- ٥٠ - فاروق عبدالجواد شويقة : دراسات ايكولوجيا إفريقية وحوض النيل . الطبعة (٢) . دار روتابرينت . القاهرة . ١٩٨٦ .
- ٥١ - فردريش فون ديرلاين : الحكاية الخرافية . ترجمة: نبيلة إبراهيم . مكتبة غريب . القاهرة . بدون تاريخ .

- ٥٢ - فوزى العنتيل : عالم الحكايات الشعبية . دار المريخ . الرياض . ١٩٨٣ .
- ٥٣ - : الفولكلور ما هو . دار المسيرة . الطبعة (٢) . بيروت . ١٩٨٧ .
- ٥٤ - لوسى مير : الأنثروبولوجيا الاجتماعية . ترجمة: علياء شكرى، وحسن الخولى. تقديم: محمد الجوهري . دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية . ١٩٩٤ .
- ٥٥ - محبات إمام أحمد شرابى : نيجيريا الجديدة كنوزها واقتصادياتها . المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر . القاهرة . ١٩٦٤ .
- ٥٦ - محمد الجوهري : علم الفولكلور . دراسة فى الأنثروبولوجيا الثقافية . الجزء (١) . الطبعة (٣) . دار المعارف . القاهرة . ١٩٧٨ .
- ٥٧ - : الأنثروبولوجيا . أسس نظرية وتطبيقات عملية . بدون دار نشر . ١٩٩٢ .
- ٥٨ - وآخرون : دراسات فى علم الفولكلور . الطبعة (١) . عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية . القاهرة . ١٩٩٨ .
- ٥٩ - وآخرون : الإنتاج الفكرى العربى فى علم الفولكلور : قائمة ببليوجرافية . الطبعة (١) مركز البحوث والدراسات الإفريقية . كلية الآداب . جامعة القاهرة . القاهرة . ٢٠٠٠ .
- ٦٠ - : الفولكلور العربى «بحوث ودراسات» . المجلد (١) . الطبعة (١) . مركز البحوث والدراسات الاجتماعية . كلية الآداب . جامعة القاهرة . القاهرة . ٢٠٠٠ .
- ٦١ - وآخرون : الفولكلور العربى «بحوث ودراسات» . المجلد (٢) . الطبعة (١) . مركز البحوث والدراسات الاجتماعية . كلية الآداب . جامعة القاهرة . القاهرة . ٢٠٠١ .
- ٦٢ - محمد السيد غلاب، وآخرون: البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة فى العالم المعاصر . راجعه وأضاف إليه مادة تاريخية: محمد فتحى عثمان . المملكة العربية السعودية . وزارة التعليم العالى . كلية العلوم الاجتماعية .

الرياض . ١٩٧٩ .

٦٣ - محمد طالب الدويك : القصص الشعبي فى قطر . الجزء (١) . الطبعة (١) .
مركز التراث الشعبى لدول الخليج العربى . ١٩٨٤ .

٦٤ - محمد عاطف غيث : قاموس علم الاجتماع . الهيئة المصرية العامة للكتاب
القاهرة . ١٩٧٩ .

٦٥ - محمد على محمد : البحث الاجتماعى دراسة فى طرائف البحث وأساليبه .
دار المعرفة الجامعية . ١٩٩٥ .

٦٦ - محمد عبد الفنى سعودى : قضايا إفريقية . مجلة عالم المعرفة . الكويت .
١٩٨٠ .

٦٧ - : إفريقية دراسة فى شخصية القارة وشخصية الأقاليم . مكتبة الأنجلو
المصرية . القاهرة . ١٩٨٢ .

٦٨ - محسن أحمد الخضرى : الأسس العلمية لكتابة رسائل الماجستير والدكتوراه
مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة . ١٩٩٢ .

٦٩ - محمد غنيمى هلال : الأدب المقارن . نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة . بدون تاريخ .

٧٠ - محمد مصطفى الشعبينى : نيجيريا الدولة والمجتمع . دار النهضة العربية
القاهرة . ١٩٧٨ .

٧١ - مرسى الصباغ : القصص الشعبى العربى فى كتب التراث . دار الوفاء لندنيا
الطباعة والنشر . الإسكندرية . ١٩٩٩ .

٧٢ - مصطفى الخشاب : علم الاجتماع ومدارسه . فى الكتاب الثانى المدخل إلى
علم الاجتماع . مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة . ١٩٦٥ .

٧٣ - مصطفى حجازى السيد حجازى : العربية والهوسا نظرات تقابلية . معهد

- اللغة العربية . جامعة أم القرى . المملكة العربية السعودية . ١٩٨٥ .
- ٧٤ - أدب الهوسا الإسلامى . الإدارة العامة للثقافة والنشر . المملكة العربية السعودية . ٢٠٠٠ .
- ٧٥ - مهدى آدمو : «الهوسا وجيرانهم بالسودان الأوسط» فى تاريخ إفريقيا العام . إفريقيا من القرن الثانى عشر إلى القرن السادس عشر . المجلد (٤) . المشرف على المجلد ج ت نيانى . اليونسكو . ١٩٨٨ .
- ٧٦ - نبيلة إبراهيم : قصصنا الشعبى من الرومانسية إلى الواقعية . مكتبة غريب . القاهرة . بدون تاريخ .
- ٧٧ - أشكال التعبير فى الأدب الشعبى . دار نهضة مصر للطبع والنشر . القاهرة . ١٩٧٤ .
- ٧٨ - الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق . المكتبة الأكاديمية . القاهرة . ١٩٩٤ .
- ٧٩ - نبيل راغب : فنون الأدب العالمى . مكتبة لبنان الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان . القاهرة . ١٩٩٦ .
- ٨٠ - هدى محمد قناوى : الطفل وأدب الأطفال . مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة . ١٩٩٤ .
- ٨١ - هويبرديشان : الديانات فى إفريقيا السوداء . ترجمة: أحمد صادق حمدى . راجعه: محمد عبد الله دراز . سلسلة الألف كتاب رقم (٥٢) . دار الكتاب المصرى . القاهرة . ١٩٩٦ .
- ٨٢ - وليام هاولز : ما وراء التاريخ . ترجمة وتقديم: أحمد أبو زيد . دار نهضة مصر . القاهرة . ١٩٦٥ .
- ٨٣ - وليام باسكوم : الكتاب السنوى لعلم الاجتماع . عرض: عبدالله لؤلؤ . إشراف محمد الجوهري . العدد (١) . كلية الآداب . جامعة القاهرة . ١٩٨٠ .

٨٤ - يحيى مرسى عيد بدر : أصول علم الإنسان الأنثروبولوجيا . تقديم: محمد عباس إبراهيم . الجزء (١) . الطبعة (١) . مكتبة مطبعة الإشعاع الفنية . بدون مكان نشر . ٢٠٠٠ .

٨٥ - يورى سوكلوف : الفولكلور قضاياها وتاريخه . ترجمة: حلمى شعراوى، وعبد الحميد حواس . مراجعة عبد الحميد يونس . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر . القاهرة . ١٩٧١ .

ثانياً - الرسائل :

١ - إبراهيم محمد مدحت غيث : الوظائف الاجتماعية للحكاية الشعبية فى كينيا « نماذج سواحيلية وبيانتوثية كيكوثية » . رسالة ماجستير . قسم الأنثروبولوجيا . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ٢٠٠٠ .

٢ - أحمد بسام ساعى : الحكاية الشعبية فى اللازقية . رسالة ماجستير . قسم اللغة العربية وآدابها . كلية الآداب . جامعة القاهرة . ١٩٧٠ .

٣ - أحمد صقر سيد نجم : الحركة الوطنية فى نيجيريا (١٩١٤ - ١٩٦٠م) . رسالة ماجستير . قسم التاريخ . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ١٩٨٣ .

٤ - أشرف محمد الهادى السعيد العزازى : أنماط التركيب الاصطلاحية فى لغة الهوسا . رسالة ماجستير . قسم اللغات . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ١٩٩٤ .

٥ - أنوار عبد الحلیم محمد منصور : مدينة لاجوس . دراسة فى الأنثروبولوجيا الحضرية . رسالة ماجستير . قسم الأنثروبولوجيا . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ١٩٨٩ .

٦ - شوقى صلاح نوح الفرماوى : كتاب «مَنْ يتزوج جاهلة ؟» للكاتبة الهوساوية Balaraba (دراسة دلالية معجمية) . رسالة ماجستير . قسم اللغات . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ٢٠٠٤ .

- ٧ - صبرى إبراهيم على سلامة : المصطلحات السياسية فى البرامج الموجهة بلغة الهوسا « دراسة دلالية ومعجم لعام ١٩٨٩ ». رسالة ماجستير . قسم اللغات . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ١٩٩٢ .
- ٨ - عبدالله عبدالرازق إبراهيم : دولة سوكوتو منذ عام ١٨١٧م حتى ١٩٠٣م . رسالة دكتوراه . قسم التاريخ . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ١٩٨٢ .
- ٩ - على أبو بكر محمد : الثقافة العربية فى نيجيريا فى القرن التاسع عشر . رسالة دكتوراه . قسم اللغة العربية وآدابها . كلية الآداب . جامعة القاهرة . ١٩٦٥ .
- ١٠ - عيد سعيد محمد أبو زينة : « التحليل الاقتصادى للتجارة الخارجية فى نيجيريا الفترة ١٩٧٤/١٩٩٢ » . رسالة ماجستير . قسم النظم السياسية والاقتصادية . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ١٩٩٥ .
- ١١ - فراج عطا سالم : الإسلام والتغير الثقافى والاجتماعى لدى بعض الجماعات الإفريقية المقيمة بمكة المكرمة « دراسة ميدانية » . رسالة ماجستير . قسم الأنثروبولوجيا . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ١٩٨٩ .
- ١٢ - ماجدة فتحى رفاعة : « مفهوم السلطة فى المجتمعات الإفريقية مع التطبيق على قبائل الهوسا / فولانى واليوروبا والإيبو الموجودة فى نيجيريا » . رسالة ماجستير . قسم الأنثروبولوجيا . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ١٩٩٥ .
- ١٣ - محمد حسين حسن هلال : « الحكاية الشعبية » دراسة ميدانية فى مركز العياط . رسالة ماجستير . قسم اللغة العربية وآدابها . كلية الآداب . جامعة القاهرة . ١٩٨٩ .
- ١٤ - محمد على نوفل : ألفاظ الحياة الاجتماعية فى لغة الهوسا دراسة دلالية لكتاب « Zaman Mutum da Sana'Arso » . رسالة ماجستير . قسم اللغات . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ١٩٩٣ .

- ١٥ - محمد محمود محمد أحمد : قصة الجسم المتحدث دراسة دلالية لقاموسها اللغوى . رسالة ماجستير . قسم اللغات . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ١٩٩٠ .
- ١٦ - مصطفى كمال السيد طایل : اقتصاديات المواد الأولية فى نيجيريا . رسالة ماجستير . قسم النظم السياسية والاقتصادية . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ١٩٧٩ .
- ١٧ - نجوى عبد النبى شحاتة : الاستعمار البريطانى فى نيجيريا ١٨٦١ - ١٩١٤ . رسالة ماجستير . قسم التاريخ . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ١٩٨٠ .
- ١٨ - نهلة عبد العظيم إبراهيم : تطور الحركة الثقافية فى نيجيريا (١٩٠٠ - ١٩٦٠) وأثرها فى تطور الحركة الوطنية . رسالة دكتوراه . قسم التاريخ . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ١٩٩٤ .
- ١٩ - هالة محمد العيسوى : الكلمات ذات الأصل العربى فى لغة الهوسا دراسة لغوية . رسالة ماجستير . قسم اللغات . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ١٩٨٦ .

ثالثاً - الدوريات :

- ١ - أ. جيه . إن تريميرن : خرافات الهوسا وعاداتهم . ترجمة: محمد عبد الواحد . مجلة الفنون الشعبية . العدد (٥٨،٥٩) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٩٨ .
- ٢ - خرافات الهوسا وعاداتهم . ترجمة: محمد عبد الواحد . مجلة الفنون الشعبية . العدد (٥٥ ، ٥٤) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٩٧ .
- ٣ - أحمد سويلم : السير الشعبية فى أدب الأطفال . مجلة الفنون الشعبية . العدد (٥١) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٩٦ .

- ٤ - أحمد على مرسى : الأدب الشعبى العربى المصطلح وحدوده . مجلة الفنون الشعبية . العدد (٢١) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٨٧ .
- ٥ - آلان دندس : المفهوم الأمريكى للفولكلور . ترجمة: على عفيفى . مجلة الفنون الشعبية العدد (٤٩) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٩٥ .
- ٦ - أيمن إبراهيم عبدالله الأعصر : توظيف الراوى فى المسرح السواحلى . مجلة آفاق إفريقية . المجلد (٢) . العدد (٨) . القاهرة . ٢٠٠٢ .
- ٧ - توفيق الحسين عبده : مكانة الجمل فى الفولكلور الصومالى . مجلة الدراسات الإفريقية . العدد (١٥) . القاهرة . ١٩٩٣ .
- ٨ - جاك شوفرييه : نظرة إلى التراث الشفهى فى إفريقيا السوداء . ترجمة: نورا أمين . مجلة الفنون الشعبية . العدد (٤٧) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٩٥ .
- ٩ - حسين سيد عبدالله مراد : دولة كانو الإسلامية تطورها السياسى والحضارى حتى نهاية القرن ١٥هـ / ١٥م . نشرة رقم (٤٧) . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ١٩٩٧ .
- ١٠ - حمدى عبدالرحمن حسن : التعددية وأزمة بناء الدولة فى إفريقيا الإسلامية . الطبعة (١) . مركز دراسات المستقبل الإفريقى . سلسلة أوراق إفريقية . القاهرة . ١٩٩٦ .
- ١١ - شاكى عبد الحميد : الحكايات الشعبية . «ودورها فى تنمية الحس الجمالى والفنى لدى الطفل» . مجلة الفنون الشعبية . العدد (٥١) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٩٦ .
- ١٢ - صبرى إبراهيم على سلامة : بعض معتقدات الهوسا وعاداتهم « دراسة فى الأدب الهوساوى» . مجلة الدراسات الإفريقية . العدد (٢١) . جامعة القاهرة . ١٩٩٩ .

- ١٣ - الحرب الأهلية النيجيرية فى الأدب الهوساوى « الشعر كنموذج ». فى أعمال المؤتمر السنوى للدراسات الإفريقية . « الصراعات والحروب الأهلية فى إفريقيا » . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ١٩٩٩ .
- ١٤ - صفوت كمال : الحكايات الشعبية فى مجال أدب الأطفال . مجلة الفنون الشعبية . العدد (٢٥) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٨٨ .
- ١٥ - عادل ندا : الحكاية الشعبية . مجلة الفنون الشعبية . العدد (٢٠ : ٣١) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٩٠ .
- ١٦ - عبد العزيز رفعت : حيوية الحكاية الشعبية . مجلة الفنون الشعبية . العدد (٥١) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٩٦ .
- ١٧ - عبدالله نجيب محمد : وظيفة الحكاية الشعبية السواحيلية وفنيتها . نشرة (٢١) . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ١٩٨٩ .
- ١٨ - غراء مهنا : « حول أصل وانتشار الحكاية الشعبية » . مجلة الفنون الشعبية . العدد (٢٣) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٨٨ .
- ١٩ - : الرمز فى الحكايات الشعبية . مجلة الفنون الشعبية . العدد (٣٤) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٩١ .
- ٢٠ - فاروق أحمد مصطفى : الحكاية الشعبية « دراسة أنثروبولوجية » مجلة كلية الآداب . الجزء (٢) . المجلد (٢٨) . جامعة الأسكندرية . ١٩٩٠ .
- ٢١ - فالتر اودفولر، ماتياس فولر : الحكاية الشعبية فى القرن العشرين . ترجمة: أحمد عمار . مجلة الفنون الشعبية . العدد (٤٥) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٩٤ .
- ٢٢ - مفهوم الحكاية الشعبية . ترجمة: أحمد عمار . مجلة الفنون الشعبية . العدد (٤٧) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٩٥ .
- ٢٣ - فوزى العنتيل : حكايات الحيوان وتطورها . مجلة الفنون الشعبية . العدد (١١) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٦٩ .

- ٢٤ - فون سيدوف : دراسات فى الحكاية الشعبية وعلم اللغة . ترجمة: جمال صدقى . مجلة الفنون الشعبية . العدد (٤٤) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٩٤ .
- ٢٥ - محمد الجوهري : حماية التراث الشعبى : دور مستقبلى لعلم الفولكلور . مجلة الفنون الشعبية . العدد (٥٨-٥٩) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٩٨ .
- ٢٦ - محمد على نوفل : التعدد اللغوى فى نيجيريا . مجلة الدراسات الإفريقية . العدد (٢٢) . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة . ٢٠٠٠ .
- ٢٧ - محمد عبد الواحد محمد : خرافات الهوسا وعاداتهم . مجلة الفنون الشعبية . العدد (٥٢) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٩٦ .
- ٢٨ - محمد فهمى عبد اللطيف : الحدوتة والحكاية فى التراث الشعبى . مجلة الفنون الشعبية . العدد (٩) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٦٩ .
- ٢٩ - محمود ذهنى : بين الأدب الشعبى وأدب الطفل . مجلة الفنون الشعبية . العدد (٢١) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٨٧ .
- ٣٠ - مصطفى حجازى السيد حجازى : دراسة دلالية للكلمات العربية المقترضة فى لغة الهوسا . مجلة مجمع اللغة العربية . الجزء (٥٠) . القاهرة . ١٩٨٢ .
- ٣١ - الأثر العربى فى لغة الهوسا . «نموذج من تأثير الأمثال العربية» . مجلة مجمع اللغة العربية . الجزء (٥٢) . القاهرة . ١٩٨٣ .
- ٣٢ - ظواهر صرفية مشتركة بين اللغة العربية والهوسا . مجلة مجمع اللغة العربية . الجزء (٥٥) . القاهرة . ١٩٨٤ .
- ٣٣ - الهوسا لغةً وشعباً . مجلة فيصل . عدد (٩١) . الرياض . السعودية . ١٩٨٤ .
- ٣٤ - الإسلام ونشأة الكتابة فى بلاد الهوسا . مجلة مجمع اللغة العربية . الجزء (٦١) . القاهرة . ١٩٨٧ .

٣٥ - معلومات أساسية عن جمهورية نيجيريا الاتحادية . مجلة آفاق إفريقية .
المجلد (١) . العدد (٢) . القاهرة . ٢٠٠٠ .

٣٦ - وليم ر . باسكوم : الفولكلور والأنثروبولوجيا . ترجمة أحمد صليحه . مجلة
الفنون الشعبية . العدد (٤٣) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٩٤ .

رابعاً - المحاضرات :

صبرى إبراهيم على سلامة، عمر السيد عبد الفتاح : ملامح الأدب الإفريقي .
مذكرة محاضرات غير منشورة . قسم اللغات . معهد البحوث والدراسات الإفريقية .
جامعة القاهرة . ٢٠٠٠ .

قائمة المراجع الأجنبية

Refernces - ١

- 1 - Adepoju. Aderanti :. « Family Population and Development in Africa” zed books. New Jersey- USA. 1997.
- 2 - Anderson. J.D. :. « Stories of the Peoples of Africa. West Africa and East Africa in the Nineteenth and Twentieth Centuries”. Heinemann Educational Books. London. GB. 1972.
- 3 - Aryeetey - Attoh. Samuel :. « Geography of Sub- Saharan Africa”. Prentice Hall. New Jersey- USA. 1997.
- 4 - Berger. Iris and white. E. Frances: . « Women in sub-saharan Africa-Restoring women to History”. Indiana University press. Indiana- USA. 1999.
- 5 - Cohen. Abner.: « Custom and politics in Urban Africa- A study of Hausa Migrants in Yaruba Towns”. Routledge and kegan paul. London- GB. 1969.
- 6 - Dgar. Frank (Translated by skinner Neil):. « Hausa Tales and traditions - An English Translation of (Tatsuniyoyi Na Hausa) - vol.1” Frank cass and Co. Ltd. London- GB. 1969.
- 7 - Ekah. Peter. p.: « The scope of culture in Nigeria.” vol. 7. Nigeria. 1989.

- 8 - Fage. J.D. :. « An Intro duction to the History of west Africa”.
Combrige University press. London- GB . 1959.
- 9 - Falala. Toyin: . « Culture and customs of Nigeria” . Greenwood
press. Connecticut – USA. 2001.
- 10 - Gordon . April A. and Gordon. Donald L. :. « Understanding
Contemporary Africa”. Lynne Rienner Publishers. London. GB.
2001.
- 11 - Habib Alhassan. Usman Ibrahim Musa :. “Zaman Hausawa”.
Don Makarantun Gaba Da Firamare. vol.1. Printed Da the
Institute of Education Printer . Nigeria. 1980 . (هوسا).
- 12 - Hassana Umaru :. “Nuni Cikin Nishadi”. Northern Nigerian
Publishing Company Limited. Zaria. 1980.(هوسا) .
- 13 - Hunter. Guy: . « The New Societies of Tropical Africa- A.
Selective Study”. Frederick A. Praeger Publishers. New York-
USA. 1964.
- 14 - Ibrahim Yaro Yahaya :. “Labarun Gargajiya”. littafi Na Biyu.
University Press Limited Ibadan. Ibadan. 1982.(هوسا) .
- 15 - Ka Kara Karatu : Zaria . Nigeria . 1969. (هوسا) .
- 16 - “Labaru Na Da Da Na Yanzu” : Second Edition. the Nothern
Nigeriaian Publishing Company . Ltd. Zaria. 1968. (هوسا) .
- 17 - Levinson. David and Ember Melvin: . « Encyclopedia cultural
Anthropology”. vol.2. Henry Holt and Company. New York-
USA. 1996.
- 18 - Lumley. Frederick :. “Nigeria- The Land. Its Art and Its
people”. Studio Vista. London – GB. 1977.

- 19 - Lye. Keith and the Diagram Group :. "Encyclopedia of African Nations and Civilizations". Facts on file. New York - USA. 2002.
- 20 - Madauci. Ibrahim. Isa. Yahaya and Daura. Bello.: "Hausa Customs". Northern Nigerian Publishing Company. Zaria-Nigeria. 1982.
- 21 - Mahammad Balarabe Umar :. "Dangantakar Adabin Baka Da Al Adun Gargajiya". Triumph. Gidan Sa Adu zungur.Kano. 1987. (هوسا).
- 22 - Malam Mohammodu ingaw. Jean Boyd :. "Ka Yi Ta Karatu Sabuwar Hanya. The Northern Nigerian Publishing Company. Zaria . 1977. (هوسا).
- 23 - Malam Sidi Sayudi Mohammed :. "Karamin Sani". Na Daya. Sabuwar Hanya. The Northern Nigerian Publishing Company. Zaria . 1973 . (هوسا).
- 24 - Mitchison. Lois.: " Nigeria: Newest Nation". Pall Mall press. London - GB. 1960.
- 25 - Muhammad Kabir Mahmud Galadan ci.: " An Introduction to Hausa Grammar". Longman Nigeria. Kano. 1976.
- 26 - Murphy. Robert E. :. "An overture to Social Anthropology" prentice- Hall. New Jersey. USA. 1979.
- 27 - Nettle. Daniel :. " Linguistic Diversity". Oxford University Press. New York - USA. 1999.
- 28 - Onwuejeogwu. M. Angulu :. "The Social Anthropology of Africa : An Introduction". Heinemann. London- GB. 1975.

- 29 - Radcliffe - Brown, A.R. and forde, Daryll. "African Systems of kinship and Marriage". Oxford University press. London-GB. 1950 .
- 30 - Ramsay, F.Jeffress.: « Africa". McGraw Hill/ Dushkin Company, Connecticut- USA. 2001.
- 31 - Sodaro, Michael J.et al . :. "Comparative Politics - A Global Introduction". Mc Graw / Hill. Singapore. 2001.
- 32 - The Diagram Group :. "Encyclopedia of African Peoples" . Fitzory Dearborn publishers. Chicago - USA. 2000.
- 33 - « The New Encyclopaedia Britannica". Vol.5. Encyclopaedia Britannica. Inc., Chicago - USA. 1991.
- 34 - "The world Book Encyclopedia" . vol.9. World Book- Inc .. Chicago- USA. 1991.
- 35 - Watson, Jane Werner :. « Nigeria - Republic ofa Hundred Kings". Frederick Muller. London - GB. 1970.
- 2- Periodicols
- 36 - Forrest, Tom.: « African Modernization and Development Series- Politics and Economic Development in Nigeria". Westview Press, Colorado- USA. 1993.
- 37 - Hodder, Rupert :. « Routledge Contemporary Human Geography Series- Development Geography" . Routledge. London- GB. 2000.

مواقع الإنترنت

[/www.gumel.com](http://www.gumel.com)

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة :	
موضوع الدراسة	٧
الفصل الأول - الإطار النظرى	١٣
١- الأنثروبولوجيا الثقافية وعلاقتها بالفولكلور والأدب الشعبى	١٥
٢- الإطار النظرى والمنهجى للدراسة	٢٤
٣- مفهوم الحكاية الشعبية الهوساوية	٢٦
٤- تطور مفهوم الحكاية الشعبية	٣٢
٥- نشأة الحكاية الشعبية الهوساوية	٣٨
٦- أشكال الحكاية الشعبية الهوساوية	٤٠
٧- مصادر الحكاية الشعبية الهوساوية	٤٥
٨- جمع وتدوين الحكاية الشعبية الهوساوية	٤٧
٩- رواة الحكاية الشعبية الهوساوية	٥٠
١٠- فنية الحكاية الشعبية الهوساوية	٥٤
أ - بناء الحكاية الشعبية الهوساوية	٥٤
ب- الشخصيات فى الحكاية الشعبية الهوساوية	٥٧
ج- الرمزية فى الحكاية الشعبية الهوساوية	٥٨
١١- مفهوم وظيفة الحكاية الشعبية	٦٠
الفصل الثانى - مجتمع الدراسة	٦٥

٦٩ تقديم
٧١	١- نيجيريا موطن مجتمع الدراسة
٧٣	٢- بعض القضايا التي يتضمنها التركيب السكانى فى نيجيريا
٧٤	٣- الأصول السلالية لقبيلة الهوسا
٧٨	٤- قبيلة الهوسا
٨١	٥- لغة الهوسا
٨٦	٦- تأثير الثقافات الوافدة على مجتمع الهوسا
٨٦	أ - تأثير الثقافة العربية الإسلامية
٨٧	ب - تأثير الثقافة الإنجليزية
٨٨	٧- النظام الاجتماعى والسياسى لقبيلة الهوسا
٩٠	٨- أنماط الحياة الاجتماعية والثقافية لقبيلة الهوسا
٩٠	أ - القرابة
٩١	ب - الزواج
٩٤	ج- تعدد الزوجات
٩٥	د - الخطبة
٩٦	هـ- المهر
٩٩	و - المسكن
١٠٢	ز - عقد القران والزفاف
١٠٥	ح - الولادة
١٠٦	ط - التسمية
١٠٧	ى- مفهوم الرضاعة
١٠٨	ك - الختان
١٠٩	ل - الطلاق
١١٠	م - الوفاة
١١٢	ن- الميراث

١١٣ س - الأعياد
١١٣ ع - المعتقدات
١١٣ أولاً: الدين
١١٨ ثانيًا - السحر
١٢٠ ف - بعض عادات الهوسا وتقاليدهم
١٢٢ ص - دور المرأة في مجتمع الهوسا
١٢٤ ٩- أنماط الحياة الاقتصادية لقبيلة الهوسا
١٢٥ أ - الزراعة
١٢٨ - ملكية الأرض
١٢٨ ب- الرعى
١٢٩ ج- الصناعات اليدوية
١٣٢ د - التجارة
١٣٣ - السوق

الفصل الثالث - الوظيفة الاقتصادية للحكاية الشعبية الهوساوية

١٣٧ - تقديم
١٣٩ أولاً : الحكايات الشعبية
١٣٩ ١- حكاية : مزرعة الحيوانات
١٤٢ ٢- حكاية : الإقامة في مكان واحد خطر
١٤٣ ٣- حكاية : كل من قلد غيره فقد شخصيته
١٥٢ ٤- حكاية : الإلحاح في الطلب لا يحضر المطلوب
١٥٦ ٥- حكاية : التاجر والغلام
١٥٧ ٦- حكاية : زكزكى والكنوى
١٥٨ ٧- حكاية : اللعبة العقلية
١٥٩ ٨- حكاية : فليهتم كل بنفسه
١٦٠ ٩- حكاية : أحد الأشخاص وأولاده وزوجته Nagode

١٦٠ ثانياً - الوظيفة الاقتصادية للحكايات الشعبية
١٦٧ خاتمة
١٦٩ الفصل الرابع - الوظيفة القرابية للحكاية الشعبية الهوساوية
١٧١ تقديم
١٧٤ أولاً - الحكايات الشعبية
١٧٤ ١- حكاية : إن المعروف لا يضيع
١٧٦ ٢- حكاية : اذهب يا بطن إلى حيث عرفت
١٨١ ٣- حكاية : عود واحد لا يكس
١٨٨ ٤- حكاية : الزرع الذى يحبه الله سوف ينبت ولو بدون ماء
١٩٦ ٥- حكاية : ماء الشفاء
٢٠٣ ٦- حكاية : أربع بنات عجيبات
٢٠٤ ٧- حكاية : ما يزرع الإنسان يحصده إن خيراً فخير وإن شراً فشر
٢٠٦ ٨- حكاية : أسوء الأمور أن يفضب الابن والديه
٢١٠ ٩- حكاية : كل من يحاول أن ينال أكثر مما كتبه الله له هلك
٢١٥ ١٠- حكاية : التعايش فى الدنيا مهارة
٢١٦ ١١- حكاية : البخل على الغير كالبخل على النفس
٢١٧ ١٢- حكاية : إلا خمسة
٢٢٠ ١٣- حكاية : كيف قتل أوتا دودو ؟
٢٢١ ١٤- حكاية : الولد البطل والأرواح
٢٢٦ ثانياً - الوظيفة القرابية للحكايات الشعبية
٢٢٧ خاتمة
٢٣٩ الفصل الخامس - الوظيفة السياسية للحكاية الشعبية الهوساوية
٢٤١ تقديم
٢٤٥ أولاً - الحكايات الشعبية
٢٤٥ ١- حكاية : الدجاجة البرية والكلب الصغير

- ٢٤٧ ٢- حكاية : المتسلل Mai-asigiri
- ٢٥٠ ٢- حكاية : شكل الشخص ليس هو نفسه
- ٢٥٦ ٤- حكاية : هديل الحمامة كلام لا يفهمه إلا العاقل
- ٢٥٧ ٥- حكاية : كل من يعتمد على الله لا يخاف حاسدا ولا حقودا
- ٢٦٦ ٦- حكاية : إذا كنت تحفر حفرة للشر فلا تعمقها
- ٢٧١ ٧- حكاية : السنجاب والقنفذ
- ٢٧١ ٨- حكاية : منع الآخر منع للنفس
- ٢٧٢ ٩- حكاية : السنجاب البرى والأسد
- ٢٧٤ ١٠- حكاية : الثعلب ملك الحيلة
- ٢٧٤ ١١- حكاية : كفى عبرة ما يحدث للأخرين
- ٢٧٥ ١٢- حكاية : إذا انشق الحائط تجد السحلية مكانا للدخول
- ٢٨٠ ثانيًا - الوظيفة السياسية للحكايات الشعبية
- ٢٨٩ - خاتمة
- ٢٩١ الفصل السادس : الوظيفة الدينية للحكاية الشعبية الهوساوية
- ٢٩٢ - تقديم
- ٢٩٦ أولاً - الحكايات الشعبية
- ٢٩٦ ١- حكاية : الشيطان والنبي
- ٢٩٨ ٢- حكاية : المصارعون وإبليس
- ٣٠٠ ٣- حكاية : لا ملك إلا الله
- ٣٠٢ ٤- حكاية : الرجل وزوجته القبيحة
- ٣٠٣ ٥- حكاية : القاضى الفاسد
- ٣٠٤ ٦- حكاية : أيها الغلام ابدل جهدا عظيما لتشتهر
- ٣٠٨ ٧- حكاية : ما شأن الرزق بالشعر السيء ومن وهبه الله الصبر لا يلام ..
- ٣١٢ ٨- حكاية : ضفدعتان
- ٣١٢ ٩- حكاية : الحياة أفضل من المال

٣١٢	١٠- حكاية : لكل بعيد أبعد منه
٣١٤	١١- حكاية : جزاء من الله
٣١٤	١٢- حكاية : إذا كان الساحر غاضبا فسد سحره
٣١٨	ثانياً - الوظيفة الدينية للحكايات الشعبية :
٣٢٥	- خاتمة
٣٢٧	الخاتمة
٣٣٩	الخرائط
٣٤٥	قائمة المراجع العربية والمترجمة
٣٦١	قائمة المراجع الأجنبية
٣٦٤	مواقع الإنترنت

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

